

السيرة النبوية

بروايــة أهـل البيت

علي الكوراني العاملي

الجزء الثالث

دار المرتضى
بيروت

السيرة النبوية

بنظر أهل البيت عليهم السلام



المجلد الثالث

دار المرتضى
بيروت

الفصل الرابع والخمسون

غزوة حنين والطائف

١- أسباب غزوة فتح مكة وغزوة حنين والطائف

قد يصنع أحداث التاريخ أشخاص بدون أن يقصدوا ، ولله في خلقه شؤون ! ومن أولئك (بنو نفاثة) وهم عائلة صغيرة شريرة من كنانة ، عُرفت بأنها تسرق أمتعة الحجاج في حرم الله تعالى ، وكان لها ثأر عند خزاعة ، فأرادت الهجوم عليهم وأقنعت بذلك رؤساء كنانة ، فطلبوا من قريش أن تمدهم بالسلاح وبمقاتلين ليباغتوا خزاعة ، ويقتلوا منهم أكبر عدد ممكن !

ففعلت قريش ذلك وهي تعلم أنه نقض لعهدها مع النبي صلى الله عليه وآله في الحديبية ! فقدمت بذلك للنبي صلى الله عليه وآله مبرراً لفتح مكة ، فأخضعها وأجبرها على خلع سلاحها !

وشبيهاً بذلك فعلت هوازن في غزوة حنين ، وثقيف في الطائف !

فقد فكر رئيس هوازن مالك بن عوف أن النبي صلى الله عليه وآله بعد سيطرته على قبائل الجزيرة وانتصاره على اليهود وإجلائهم ، لم يبق عليه صلى الله عليه وآله إلا أن يهاجم قبائل نجد لإخضاعها ، فبادر الى تحشيد القبائل لحرب النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يحاربه !

وقبض النبي صلى الله عليه وآله في طريقه الى فتح مكة على عين لهوازن أقر بأنهم يجمعون لحربه ، فأمر بحبسه حتى لايخبروهم بحركة النبي صلى الله عليه وآله ! (الصحيح من السيرة:٢١٥/٢١).

وبعث اليهم النبي صلى الله عليه وآله « عبد الله بن أبي حدرد عيناً ، فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن إنكم أحدُّ العرب وأعدُّها ، وإن هذا الرجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال ، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم (جفن السيف: غلافه) واحملوا عليه حملة رجل واحد. فأتى ابن أبي حدرد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره».(إعلام الورى:٢٢٨/١)

وأكملت هوازن تحشيد قواتها واتخذت مركز معسكرها وادي أوطاس ، وهو شمال شرق مكة ، على بعد بضعة وعشرين كلم من حنين ، قرب الضربية (ذات عرق) ميقات أهل العراق. ثم اتفقوا مع ثقيف على حرب النبي صلى الله عليه وآله فقدموا مركز معسكرهم الى وادي حنين بين الطائف ومكة ، ويعرف اليوم بالشرائع.

تقدمت نخبة قوات هوازن وثقيف وعسكرت في حنين ، وهددت المسلمين وأهل مكة ، فعطلت الحج في تلك السنة ، فقصدهم النبي صلى الله عليه وآله وكانت المعركة فانهزم الثقفيون الى الطائف ، وهي تبعد نحو تسعين كم عن مكة ، وترتفع عن سطح البحر نحو ١٣٠٠متراً . ثم انهزمت قبائل هوازن الى أوطاس القريبة .

٢- أخذ النبي صلى الله عليه وآله قريشاً معه الى حرب هوازن

في مناقب آل أبي طالب: ١٨٠/١: « فات الحج من فساد هوازن في وادي حنين ! فخرج صلى الله عليه وآله في ألفين من مكة ، وعشرة آلاف كانوا معه».

ورووا أن النبي صلى الله عليه وآله أعلن موعد تجمع جيشه في منى ، في مكان مؤتمر قريش وكنانة لمقاطعة بني هاشم ! قال صلى الله عليه وآله:« منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر» ! (صحيح بخاري: ٩٢/٥). وفي ذلك تخليدٌ للمكان ، وتذكير لقريش بجرائمها بحق الإسلام وبني هاشم !

بقي صلى الله عليه وآله في مكة أسبوعين ، وكان خروجه الى حنين يوم السبت السادس من شوال ، ووصلها يوم الثلاثاء التاسع من شوال. (الصحيح من السيرة: ٥٣/٢٤).

وفي إعلام الورى:٢٢٨/١:« ثم كانت غزوة حنين ، وذلك أن هوازن جمعت له جمعاً كثيراً ، فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وآله أن صفوان بن أمية عنده مائة درع فسأله ذلك فقال: أغصباً يا محمد؟ قال: لا ، ولكن عارية مضمونة. قال: لابأس بهذا فأعطاه. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ألفين من مكة وعشرة آلاف كانوا معه فقال أحد أصحابه (هو أبو بكر: الصحيح/١٠٦/٢٤): لن نغلب اليوم من قلة ! فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله سبحانه: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ...

٣- دريد بن الصمة ينصح هوازن فلا يقبلون !

في إعلام الورى:٢٢٩/١:« قال الصادق عليه السلام: وكان مع هوازن دُرَيْد بن الصُّمَّة خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمنون برأيه ، فلما نزلوا بأوطاس قال: نِعْمَ مجالُ الخيل لاحَزَنٌ ضِرْسٌ ولاسهلٌ دَهْس ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم. قال: فأين مالك ؟ فدعي مالك

له فأتاه فقال: يا مالك أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاة ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: ويحك لم تصنع شيئاً ، قدمت بيضة هوازن في نحور الخيل ، وهل يرد وجه المنهزم شئ؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ! قال: إنك قد كبرت وكبر عقلك ! فقال دريد: إن كنت قد كبرت فتورث غداً قومك ذلاً بتقصير رأيك وعقلك ، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه ! ثم قال: حربٌ عَوَان ! يا ليتني فيها جذع أخبُّ فيها وأضع» !

وفي سيرة ابن هشام:٢٩٠/٤، أن ابن عوف قال:«والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ! وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكرٌ أو رأي ، فقالوا: أطعناك» ! روي أن دُريد بن الصُّمَّة كان عمره مئتي سنة ، وكان أعمى يحملونه في محفة ، وكان أسطورة في حروب العرب، وقد تركوا رأيه لأنه خالف مالك بن عوف! وعندما انهزمت هوازن ورجعت فلولهم الى أوطاس كان دريد هناك ، فلحقهم المسلمون وقتلوه فيمن قتلوا من هوازن ، بينما سلم مالك بن عوف وعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وأعطاه أهله وماله ومئة بعير .

٤- تآمر طلقاء قريش مع هوازن على النبي صلى الله عليه وآله

ذكر القرآن الجو العام الذي سبَّب هزيمة المسلمين في حنين وهو إعجابهم بكثرة عددهم ، فقد كانوا في خيبر ألفاً وخمس مئة ، وفي مؤتة ثلاثة آلاف ، ورأوا أنفسهم في حنين اثني عشر ألفاً فأعجبتهم كثرتهم ! فنبههم الله تعالى الى

خطأتفكيرهم وأن النصر لم يكن يوماً بالكثرة ، قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ((٢٥-٢٧)

والخطاب في الآية للمسلمين دون الطلقاء ، لأنها تخاطب الذين نصرهم الله من قبل والطلقاء ليسوا منهم ، وهي تذكر اغترارهم بكثرتهم في أسباب الهزيمة ، لكنها لا تنفي وجود عوامل أخرى ، وفي أولها اتفاق الطلقاء مع النجديين على أن يسهلوا لهم هزيمة النبي صلى الله عليه وآله، مقابل عدم هجوم هوازن على مكة ، وبذلك يثأر الطلقاء منه صلى الله عليه وآله ، لأنه أخضعهم وأجبرهم على خلع سلاحهم !

ونورد فيما يلي نصوص الهزيمة ، ثم نذكر الأدلة على ضلوع القرشيين فيها:

في إعلام الورى: ٢٢٩/١: « قال جابر بن عبدالله: فسرنا حتى إذا استقبلنا وادي حنين كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضائقه ، فما راعنا إلا كتائب الرجال بأيديها السيوف والعمد والقنا ، فشدوا علينا شدة رجل واحد ، فانهزم الناس راجعين لايلوي أحد على أحد ! وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين ، وأحدق ببغلته تسعة من بني عبد المطلب.

وأقبل مالك بن عوف يقول: أروني محمداً ، فأروه ، فحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان رجلاً أهوج ، فلقيه رجل من المسلمين فالتقيا فقتله مالك ، وقيل إنه أيمن بن أم أيمن ، ثم أقدم فرسه فأبى أن يقدم نحو رسول الله صلى الله عليه وآله !

وصاح كلدة بن حنبل وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وصفوان يومئذ مشرك: ألا بطل السحر اليوم ! فقال صفوان: أسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن» !

وفي تفسير القمي: ٢٨٦/٢: «وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله اجتماع هوازن بأوطاس فجمع القبائل ورغبهم في الجهاد ووعدهم النصر ، وأن الله قد وعده أن يُغنمه أموالهم ونساءهم وذراريهم ، فرغب الناس وخرجوا على راياتهم ، وعقد اللواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها ، وخرج في اثني عشر ألف رجل عشرة آلاف ممن كانوا معه...

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الغداة انحدر في وادي حنين وهو واد له انحدار بعيد وكانت بنو سليم على مقدمة فخرجت عليها كتائب هوازن من كل ناحية فانهزمت بنو سليم ، وانهزم من ورائهم ولم يبق أحد إلا انهزم !

وبقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل ، ومر المنهزمون برسول الله صلى الله عليه وآله لا يلوون على شئ ، وكان العباس أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي يا معشر الأنصار إلى أين المفر؟ ألا أنا رسول الله ، فلم يلو أحد عليه !

وكانت نسيبة بنت كعب المازنية تحثو التراب في وجوه المنهزمين وتقول: أين تفرون عن الله وعن رسوله؟ ومر بها عمر فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر الله ! فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة ركض يحوم على بغلته

قد شهر سيفه ، فقال يا عباس إصعد هذا الظرب وناد يا أصحاب البقرة ! ويا أصحاب الشجرة ! إلى أين تفرون هذا رسول الله !

ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده فقال: اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان ، فنزل جبرئيل عليه السلام عليه فقال له: يا رسول الله دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر ونجاه من فرعون !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفاً من حصى فناوله فرماه في وجوه المشركين ، ثم قال: شاهت الوجوه ! ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد ، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد !

فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون لبيك ، ومروا برسول الله صلى الله عليه وآله واستحيوا أن يرجعوا إليه ولحقوا بالراية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقال يا رسول الله هؤلاء الأنصار ، فقال رسول الله: الآن حمي الوطيس.

ونزل النصر من السماء وانهزمت هوازن ، فكانوا يسمعون قعقعة السلاح في الجو وانهزموا في كل وجه ، وغنَّم الله رسوله صلى الله عليه وآله أموالهم ونساءهم وذراريهم...

وقال رجل من بني نضر بن معاوية يقال له شجرة بن ربيعة للمؤمنين وهو أسير في أيديهم: أين الخيل البلق والرجال عليهم الثياب البيض ، فإنما كان قتلنا بأيديهم ، وما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة ! قالوا: تلك الملائكة ».

وسيأتي أن علياً عليه السلام وحده الذي قاتل في حنين ، وقتل قادة هوازن فانهزمت !

أما تآمر قريش مع هوازن على النبي صلى الله عليه وآله فليس من الضروري أن يكون اتفاقاً مكتوباً ، بل تناغماً في هدفهما في قتل النبي صلى الله عليه وآله أو هزيمته .

وقد يقال هنا إن سهيل بن عمرو كان يفضل أن ينتصر النبي صلى الله عليه وآله على هوازن فقد « صاح كلدة بن حنبل وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وصفوان يومئذ مشرك: ألا بطل السحر اليوم ! فقال صفوان: أسكت فضَّ الله فاك فوالله لأن يَرُبَّني (يحكمني) رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن ». (إعلام الورى: ٢٢٩/١).

فإن تفضيله حكم النبي صلى الله عليه وآله ، لاينفي عملهم لقتله وأخذ الحكم بعده !

وتدل الحوادث التالية على ضلوع قريش في الهزيمة:

١- استقسم أبو سفيان بالأزلام وهو نوع من التبصير بالمستقبل ! « أخرج أزلاماً من كنانته فضرب بها وقال: إني أرى أنها هزيمة لايردها إلا البحر ».

٢- وقعت محاولتان على الأقل لقتل النبي صلى الله عليه وآله ! فقد قال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: « اليوم أدرك ثأر أبي» ! وكان أبوه قتل ببدر ، وجاء ليقتل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره رسول الله بما نواه وأحبط الله سعيه ! ثم النضير بن كلدة العبدري وقد اعترف بأنه قصد قتل النبي صلى الله عليه وآله فأحبط الله تعالى سعيه ! (آيات الغدير/١٣٦).

٣- كشف النضير خطة الطلقاء بصراحة ، فقال كما رواه الواقدي: « خرجت مع قوم من قريش هم على دينهم بعدُ: أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ونحن نريد إن كانت دبرة على محمد أن نغير عليه فيمن يغير. فلما تراءت الفِئَتَان ونحن في حيز المشركين حملت هوازن حملة واحدة ظننا أن المسلمين لا يجبرونها أبداً ، ونحن معهم وأنا أريد بمحمد ما أريد ، وعمدت له فإذا هو في وجوه المشركين واقف على بغلة شهباء حولها رجال بيض الوجوه ، فأقبلت عامداً إليه

فصاحوا بي: إليك ! فأرعب فؤادي وأرعدت جوارحي ! قلت: هذا مثل يوم بدر ، إن الرجل لعلى حق وإنه لمعصوم ! وأدخل الله تعالى في قلبي الإسلام ، وغيَّره عما كنت أهم به ». (سبل الهدى: ٣٢١/٥).

٤- قال الطلقاء بعضهم لبعض عند الهزيمة:« أخذلوه فهذا وقته ، فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس » (الصحيح:١٢٠/٢٤).

٥- أسرع الطلقاء بخبر الهزيمة الى مكة فوصل رسلهم في يوم وليلة ، وبشروا أهل مكة بهزيمة رسول الله صلى الله عليه وآله فاغتم عتاب بن أسيد حاكم مكة من قبل النبي صلى الله عليه وآله ، وسُرَّ بذلك الطلقاء في مكة وأظهروا الشماتة ، وقالوا ترجع العرب إلى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه ! فما أمسوا من ذلك اليوم حتى جاء الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوقع بهوازن ، فسُرَّ عتَّاب وكبت الله تعالى أعداء النبي صلى الله عليه وآله.(سبل الهدى: ٢٣٠/٥).

ومما يؤيد وجود هذا التواطؤ بين قريش وهوازن قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما مرَّ بالنبي صلى الله عليه وآله يوم كان أشد عليه من يوم حنين! وذلك أن العرب تباغت عليه». (علل الشرائع: ٤٦٢/٢ ، والبحار: ١٨٠/٢١).

كما يؤيده تناقض روايتهم عن سبب الهزيمة ، فقد قالوا إن هوازن كمنت في الشعاب في مدخل وادي حنين ، فتفاجأت المقدمة بقيادة خالد بن الوليد بوابل سهامهم وأوقعت منهم قتلى ، فانهزم خالد ، وتبعه الطلقاء ، وتبعهم الباقون ، وتركوا النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم وحدهم مقابل هوازن !

وساعد قريش أن مقدمة جيش النبي صلى الله عليه وآله كانت بني سليم بقيادة خالد ! وقالوا إن الوقت كان فجراً فلم يرَ خالد الكمائن ! لكن رووا أن الوقت كان قريب الظهر! وقد ناقش مقولاتهم ومبرراتهم للهزيمة صاحب الصحيح (١٠٠/٢٤) .

٥- فرَّ الجميع وثبت النبي صلى الله عليه وآله وبنو هاشم فقط !

نص القرآن على فرار المسلمين في حنين فضلاً عن الطلقاء ، قال تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ .

فالفرار عام ، والسكينة بعده خاصة . وقد اعترف الجميع بالفرار ، ففي صحيح بخاري:٥٧/٤ ، قال أبو قتادة قال:« فلحقت عمر بن الخطاب فقلت ما بال الناس؟ قال: أمر الله» ! يريد عمر بذلك أن يخفف من معصية الفرار وينسبها الى الله تعالى !

وفي صحيح بخاري: ٩٨/٥: «يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين ! فقال: أما أنا فأشهد على النبي(ص) أنه لم يولِّ». وفي: ٢٨/٤: «فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول: أنا النبي لاكذب . أنا ابن عبد المطلب . فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه » !

وقال جابر بن عبد الله:« فشدوا علينا شدة رجل واحد ، فانهزم الناس راجعين لايلوي أحد على أحد ! وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين ، وأحدق ببغلته تسعة من بني عبد المطلب». (إعلام الورى: ٢٢٩/١).

وفي الصحيح من السيرة:٢٤/ ٢٩٣، ملخصاً:« دلت النصوص على أن علياً عليه السلام وحده الذي ثبت ، وقد وردت نصوص كثيرة تضمنت نفي ثبات غيره ، واستثنى بعضها بضعة رجال من بني هاشم ، أحاطوا بالنبي صلى الله عليه وآله لحمايته . أما قول بعضهم إنه ثبت ثمانون أو مائة رجل فلعلهم كانوا من أوائل العائدين ، ويدل عليه:

١- حديث عثمان بن شيبة أنه بعد نداء العباس صار الناس يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما اجتمع عنده مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا هم والكفار.

٢- قال المفيد: « فرجعوا أولاً فأولاً حتى تلاحقوا وكانت لهم الكرة ».

٣ - لادليل على ثبات أحد سوى عليعليه السلام ، فإنه الوحيد المتسالم على ثباته دون غيره ، أما القتال فكان محصوراً بهعليه السلام ، ويدل عليه ما يلي:

٤- قال المفيد: ولم يبق منهم مع النبيصلى الله عليه وآله إلاعشرة أنفس: تسعة من بني هاشم خاصة، وعاشرهم أيمن بن أم أيمن ، فقتل أيمنرحمه الله وثبتت التسعة الهاشميون حتى ثاب إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله من كان انهزم ، فرجعوا أولاً فأولاً حتى تلاحقوا وكانت لهم الكرة على المشركين ، وفي ذلك أنزل الله تعالى وفي إعجاب أبي بكر بالكثرة: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ يعني: أمير المؤمنين علياًعليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم ، وهم يومئذ ثمانية».

٥- وفي المناقب: « كان العباس عن يمينه والفضل عن يساره وأبو سفيان ممسك بسرجه عند ثفر بغلته ، وسائرهم حوله ، وعليعليه السلام يضرب بالسيف بين يديه».

٦- قال مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني هاشم ... عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط ... فهم يهتفون بالناس: أين
ثم قاموا مع النبي على المو ... ت فآبوا زيناً لنا غير شين
وسوى أيمن الأمين من القوم ... شهيداً فاعتاض قرة عين

٧- قال العباس بن عبد المطلب:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه ... على القوم أخرى يابني ليرجعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع

٨- قال المأمون في مجلسه مع فقهاء عصره: «إن الناس انهزموا يوم حنين فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا سبعة من بني هاشم: علي عليه السلام يضرب بسيفه، والعباس آخذ بلجام بغلة النبي صلى الله عليه وآله، والخمسة محدقون بالنبي صلى الله عليه وآله خوفاً من أن يناله سلاح الكفار، حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله الظفر. عنى في هذا الموضع علياً ومن حضر من بني هاشم. فمن كان أفضل أمَن كان مع النبي صلى الله عليه وآله ونزلت السكينة على النبي صلى الله عليه وآله وعليه؟ أم من كان في الغار مع النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن أهلاً لنزولها عليه؟!».

٩- قال ابن قتيبة: «كان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين، بعد هزيمة الناس: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب آخذ بحكمة بغلته، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وحاضنته، وقتل يومئذٍ هو وابن أبي سفيان، ولا عقب لابن أبي سفيان، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأسامة بن زيد بن حارثة..». فلم يذكر أبا بكر وعمر في جملة من ثبت.

١٠- كانت نسيبة بنت تحثو التراب في وجوه المنهزمين وتقول: أين تفرون عن الله وعن رسوله؟ ومر بها عمر فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟! فقال: هذا أمر الله!

١١ - قال نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: «فر الناس جميعاً، وأعْرَوْا رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبقَ معه إلا سبعة نفر من بني عبد المطلب: العباس، وابنه الفضل، وعلي وأخوه عقيل، وأبو سفيان، وربيعة، ونوفل بنو الحارث بن عبد المطلب. ورسول الله صلى الله عليه وآله مصلت سيفه في المجتلد، وهو على بغلته الدلدل، وهو يقول:

أنا النبيُّ لا كذبْ أنا ابن عبد المطلبْ».

إلى أن قال:«التفت العباس يومئذٍ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم ، فلم يـر علياً فيمن ثبت فقال: شوهة بوهة ، أفي مثل هذا الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله وهو صاحب ما هو صاحبه ، يعني المواطن المشهورة له؟!

فقلت: نقِّص قولك لابن أخيك يا أبهْ ! قال: ما ذاك يا فضل؟

قلت: أما تراه في الرعيل الأول ، أما تراه في الرهج؟ قال: أشعره لي يا بنيَّ.

قلت: ذو كذا ، ذو البردة. قال: فما تلك البرقة؟ قلت: سيفه يزيّل به بين الأقران !

قال: برٌّ ، ابن برّ ، فداه عمٌّ وخال !

قال: فضرب علي يومئذٍ أربعين مبارزاً كلهم يقدُّه حتى أنفه ، قال: وكانت ضرباته مبتكرة » . أي واحدة لاتحتاج الى ثانية !

١٢- قال اليعقوبي: « فانهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ حتى بقي في عشرة من بني هاشم ، وقيل تسعة وهم: علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، والفضل بن العباس ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب. وقيل: أيمن ابن أم أيمن ».

١٣- «وفي رواية: لما فرّ الناس يوم حنين عن النبي ﷺ لم يبق معه إلا أربعة ، ثلاثة من بني هاشم ، ورجل من غيرهم: علي بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان ، وابن مسعود من جانبه الأيسر. ولا يقبل أحد من المشركين جهته إلا قتل ».

١٤- وقال الطبرسي: الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ علي ، والعباس ، في نفر من بني هاشم. عن الضحاك بن مزاحم.

١٥- عن أنس ، قال:« ولى المسلمون مدبرين ، وبقي رسول الله ﷺ وحده ».

٦- نزلت الملائكة والسكينة على الثابتين خاصة !

قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ.ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

فالمخاطب بالآية المسلمون الذين نصرهم الله في مواطن كثيرة ، وقد وبخهم على فرارهم ، وأخبرهم أنه بعد فرارهم أنزل سكينته على رسوله صلى الله عليه وآله ، والمؤمنين الذين ثبتوا معه ، وهم بنو هاشم ومولاهم أيمن ، ومعهم نسيبة ، وقيل معهم ابن أم مسعود . وعذب الذين كفروا حتى انهزموا ، وكان عذابهم بيد الملائكة وعلي عليه السلام !

٧- لم يقاتل في حنين إلا علي والملائكة !

«فانكشفت أول الخيول خيل بنى سليم مولية ثم تبعهم أهل مكة ، وتبعهم الناس مدبرين لايلوي أحد على أحد».(سير السرخسي: ١/١١٧).

« وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد ، وانحاز رسول الله ذات اليمين ثم قال: أين الناس هلموا إليَّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله ! قال: فلا شئ».(ابن هشام: ٤/٨٩٣). «فولى المسلمون لا يلوي أحد على أحد وناداهم (ص) فلم يرجعوا». (ابن خلدون:٢ق٢/٤٦).

وقَصَدَ قائد هوازن مالك بن عوف النبي صلى الله عليه وآله ليقتله وهو يقول أروني محمداً ! فأروه إياه فحمل عليه ، فتلقاه قبل أن يصل اليه أيمن بن أم أيمن واشتبك معه ، فقتل مالك أيمن رضي الله عنه ، ولكنه لم يصل الى النبي صلى الله عليه وآله ورجع. (إعلام الورى:١/٢٣٠)

وتقدم أحد فرسان الطلقاء وهو عثمان بن شيبة بن أبي طلحة نحو النبي صلى الله عليه وآله ناوياً أن يقتله ، فكشف النبي صلى الله عليه وآله قصده ، فارتبك وقال:« أشهد أنك رسول الله وأن الله أطلعك على ما في نفسي». (مجمع البيان:٥/٣٢).

وكذلك أراد النضير بن الحارث العبدري قتل النبي صلى الله عليه وآله ففشل ، وأحاط بنو هاشم بالنبي صلى الله عليه وآله ، فكان لايقترب منه أحد لايعرفونه ، إلا قتلوه !

أما علي عليه السلام فبمجرد أن رأى هزيمة الناس واطمأن الى أن بني هاشم يحيطون بالنبي صلى الله عليه وآله، قصد قادة حملة هوازن فغاص في أوساطهم على عادته فكان يقصد القائد حامل الراية فيجندله ، ثم يقصد الآخر !

وقد يكون في رجوعه اعترض مالك بن عوف لما قصد النبي صلى الله عليه وآله فهرب مالك.

وبذلك أبعد علي عليه السلام المعركة عن النبي صلى الله عليه وآله . فعندما سأل العباس ابنه الفضل عن علي عليه السلام أين هو؟ فدله على مكانه هناك في المعركة فرأى العباس لمعان سيفه وقال: « برٌّ، ابنُ برّ ، فداه عمٌّ وخال» ! فضرب علي يومئذٍ أربعين مبارزاً كلهم يقدُّه حتى أنفه ، قال: وكانت ضرباته مبتكرة ». (أمالي الطوسي/٥٧٥).

«ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة القوم عنه ، قال للعباس وكان رجلاً جهورياً صيتاً: ناد في القوم وذكرهم العهد». (الإرشاد: ١/١٤١). لكنهم لم يستجيبوا رأساً .

عندها رفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده ودعا: « اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان ، فنزل جبرئيل عليه السلام عليه فقال له: يا رسول الله دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر ونجاه من فرعون ! ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفاً من حصى ، فناوله فرماه في وجوه المشركين ، ثم قال: شاهت الوجوه ! ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد ، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد ! (تفسير القمي:٢/٢٨٦) .

فنزلت السكينة على النبي صلى الله عليه وآله والثابتين معه ، ونزلت جنود الملائكة على الجبهة ، حيث كان علي صلى الله عليه وآله يقاتل فرسان هوازن .

وفي مجمع البيان:٥/٣٢: « قال سعيد بن المسيب: حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله لم يقفوا لنا حلب شاة ، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم ، حتى إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، يعني رسول الله ، فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا: شاهت الوجوه إرجعوا ! فرجعنا ، وركبوا أكتافنا ، فكانوا إياها يعني الملائكة !

كان علي عليه السلام يحصد قادة هوازن ، ويرجع بين فترة وأخرى ليطمئن على سلامة النبي صلى الله عليه وآله. وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله أركض بغلته نحو علي عليه السلام (الصحيح: ٢٤/٢٢٣) فلا بد أنه رآه مشغولاً في وسطهم ، فذهب اليه ليخبره بنزول الملائكة ويعطيه برنامج القتال ، ويطمئنه بأن جبرئيل والملائكة يقاتلون معه !

وروى القمي في تفسيره (٢/٢٨٨): « قال رجل من بني نضر بن معاوية يقال له شجرة بن ربيعة للمؤمنين ، وهو أسير في أيديهم: أين الخيل البلق والرجال عليهم

الثياب البيض؟ فإنما كان قتلنا بأيديهم ، وما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة ! قالوا: تلك الملائكة ». وروت شبيهاً به بقية المصادر ، وروت مشاهدة جنود هوازن لكتائب على خيل بلق ، وسماعهم قعقعة سلاح في الجو !

وقد بخلت مصادر السلطة على عادتها في ذكر بطولات علي عليه السلام وكيف قطف النصر للمسلمين بعد فرارهم ! فذكروا بإجمال أنه قتل قائد هوازن (ذا الخمار) وقتل فارسهم أبا جرول ! وقتل عليه السلام أربعين من فرسانهم ، فوقع فيهم الرعب والهزيمة ! وقد اشتبهت هذه المصادر فذكرت حقيقة تنفي ما ادعته من بطولة لغيره !

ففي سيرة ابن هشام:٨٩٦/٤« فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتَّفين عند رسول الله (ص)»! والدرر لابن عبد البر/٢٢٧.

فمن أسرهم وكتَّفهم قبل رجوع الفارِّين والكل فارُّون ما عدا بني هاشم وهم محيطون بالنبي صلى الله عليه وآله يحرسونه ، وعلي عليه السلام وحده في المعركة ؟! ومتى رجع الفارُّون ، وإنما بدأ الأسر في هوازن بعد قتل قادتهم وسقوط رايتهم؟!

وقد ادعوا أن ثمانين من الفارين أو مئة رجعوا قبل غيرهم ، ونسبوا بطولات علي عليه السلام أو قسماً منها اليهم ! لكنهم لم يسموا منهم أحداً إلا عبد الله بن مسعود ، وهو ضعيف البنية صغير الجثة ، غير مقاتل ! ثم نسبوا النصر الى دعاء النبي صلى الله عليه وآله وإلقائه حفنة الحصى والتراب على جيش هوازن وهو صحيح ، لكنه لا يلغي دور علي عليه السلام !

وقد نسب أمير المؤمنين عليه السلام النصر الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال فيه قصيدته:

ألم تر أن الله أبلى رسوله … بلاء عزيزاً ذا اقتدار وذا فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة … فذاقوا هواناً من إسار ومن قتل

(مناقب آل أبي طالب:٣٣١/٢).

وجعل ابن عبد البر في الدرر/٢٢٦، النصر بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وبطولة مئة مجهولين ! قال:« حتى إذا اجتمع حواليه (ص) مائة رجل أو نحوهم استقبلوا هوازن بالضرب واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلاد ، فقام رسول الله (ص) في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال: الآن حمي الوطيس . وضرب علي بن أبي طالب عرقوب جمل صاحب الراية أو فرسه فصرعه ، ولحق به رجل من الأنصار فاشتركا في قتله ، وأخذ علي الراية وقذف الله عز وجل في قلوب هوازن الرعب ، حين وصلوا إلى رسول الله (ص) ، وذلك أن رسول الله إذا واجههم وواجهوه صاح بهم صيحة ، ورمى في وجوههم بالحصا فلم يملكوا أنفسهم ! وفي ذلك يقول الله عز وجل: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى .

وروينا من وجوه عن بعض من أسلم من المشركين ممن شهد حنيناً ، قال وقد سئل عن يوم حنين: لقينا المسلمين فما لبثنا أن هزمناهم ، وأتبعناهم حتى وصلنا إلى رجل راكب على بغلة بيضاء ، فلما رآنا زجرنا زجرة وانتهرنا ، وأخذ بكفه حصاً أو تراباً فرمانا به ، وقال: شاهت الوجوه ، شاهت الوجوه ! فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك ، فما ملكنا أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا ! وما استوفى رجوع المسلمين إلى رسول الله (ص) إلا وأسرى هوازن بين يديه».

أقول: لا شك أن النصر كان بفعل النبي صلى الله عليه وآله، وكانت بطولة علي عليه السلام أحد أفعاله وآياته صلى الله عليه وآله. لكنهم لم يسموا حتى شخصاً واحداً من الأبطال الذين رجعوا ، وجعل ابن عبد البر لعلي عليه السلام شريكاً مجهولاً في قتل أبي جرول حامل رايتهم فقال:« فاشتركا في قتله وأخذ علي الراية» ! ولم يذكر ماذا صنع بها علي عليه السلام؟ فهل رفعها ليأتي اليها

فرسان هوازن ويصيدهم ، أم رمى بها ، أم نصبها على شجرة كما فعل حامل راية ثقيف حيث نصبها على شجرة وهرب من علي عليه السلام ؟! فقد رووا:

«وكان على راية الأحلاف من ثقيف يوم حنين قارب بن الأسود، فلما رأى الهزيمة أسند رايته إلى شجرة وهرب» ! ابن حبان في الثقات: ٧٣/٢، وابن خلدون: ٢ق٤٧/٢.

وقال في الإرشاد: ١٤٢/١:«وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم ، إذا أدرك نفراً من المسلمين أكب عليهم وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه ، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرولٍ لا براح ... حتى نبيحَ القومَ أو نباح

فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره، ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح ... أني في الهيجاء ذو نصاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله ».

وفي المناقب:٣٥٥/١:« وقتل يوم حنين أربعين رجلاً وفارسهم أبو جرول ، قدَّه بنصفين بضربة في الخوذة والعمامة والجوشن والبدن إلى القربوس ! وقد اختلفوا في اسمه . ووقف عليه السلام يوم حنين في وسط أربعة وعشرين ألف ضارب سيف إلى أن ظهر المدد من السماء».

وفي أعيان الشيعة:٣٣١/١:« وقتل علي عليه السلام أبا جرول وأربعين من المشركين غيره ، وانهزم المشركون بقتله وقتلهم ، ورجع المسلمون من هزيمتهم بثباته وثبات من معه ، الذين إنما ثبتوا بثباته ، لأنه لم يؤثر عنهم شجاعة كما أثر عنه ».

ومما يدلك على أنه لم يقاتل أحدٌ في حنين إلا علي عليه السلام عدم وجود شهداء للمسلمين ! وعدم وجود قتلى من المشركين إلا من قتلهم علي عليه السلام !

فلا شهداء إلا أيمن بن أم أيمن رحمه الله الذي استشهد دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله عندما قصده مالك بن عوف فاعترضه أيمن ! وقالوا استشهد غيره ثلاثة أو أربعة ، لكن ذكروا أن أحدهم أبا عامر الأشعري (جد الأشعريين القميين) وقد قتل بعد المعركة وفي أوطاس في تعقب الفارين، ويزيد بن زمعة بن الأسود جمح به فرسه فمات ! (الصحيح من السيرة: ٣٣٨/٢٤) ولعل الآخرَيْن مثله !

ولا ننس أن إسم علي عليه السلام كان قد طبق الجزيرة وهابته الفرسان ، بعد أن قتل عمرو بن ود في الخندق ومرحباً في خيبر ، وأمثالهما ! فكان قتله لعدد من فرسان هوازن كافياً لإيقاع الرعب فيهم ، وفي ثقيف !

٨- هزيمة هوازن وغنائم المسلمين منها

كانت هزيمة المسلمين سريعة ، وكان بعدها مباشرة محاولات القرشيين وحملات هوازن وفرسانها لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله ، فكانت حماية بني هاشم ، وحملات علي عليه السلام المضادة ، حيث انتقى أربعين من فرسانهم حملة الرايات فقتلهم واحداً بعد الآخر ، فانهزموا ! ويحتاج ذلك الى أربع ساعات أو نحوها ، ومعناه أنه لم يحن الظهر حتى تم النصر للنبي صلى الله عليه وآله وانهزم أعداؤه شذر مذر !

أما قائدهم مالك بن عوف الذي كان يهدر ويصيح: أروني محمداً حتى أقتله ! وجاء بالفعل الى قرب مكان النبي صلى الله عليه وآله فتصدى له أيمن رحمه الله فقتله مالك ، وكان

النبي صلى الله عليه وآله ينتظره لكنه تراجع ولم يتقدم ! ولعل علياً عليه السلام قصده فهرب ، أو أحس بالملائكة فارتعب ، ثم سمع دوي تكبيرات علي عليه السلام وهو يجندل حامل رايتهم ذا الخمار بن عبدالله ، وأخاه عثمان ، وأبا جرول ، فهرب الى الطائف !

في إعلام الورى:٢٣٢/١:« فر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومهم ، وأسلم عند ذلك كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله وإعزاز دينه». والإرشاد: ١٥١/١ ، والدرر/٢٢٧.

وفي سيرة ابن هشام:٩٠٢/٤:«وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس» !

وتركوا أموالهم وأولادهم غنيمة هنيئة للمسلمين كما وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله ، وكانت أكبر غنيمة ، فقد بلغت ستة آلاف سبي بين امرأة وغلام ، وأربعةً وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة من الغنم ، وأربعة آلاف أوقية فضة» (الصحيح من السيرة: ١٧٣/٢٥ ، وأقل منه في مناقب آل أبي طالب: ١٨١/١).

وأصدر النبي صلى الله عليه وآله أمره الى الراجعين من فرارهم أن يجمعوا الغنائم ويرسلوها الى «الجعرانة» ، وجعل بديل بن ورقاء رئيس خزاعة ، مسؤولاً عليها .

وأصدر أمره أن يتهيؤوا للسير الى الطائف لمحاصرة ثقيف ، التي تحالفت مع هوازن ، وخرجت معها لحرب النبي صلى الله عليه وآله !

ويفهم من رواية الإمام الصادق عليه السلام (مكارم الأخلاق/١١٩) أن النبي صلى الله عليه وآله ذهب بنفسه لتعقب الفارين في أوطاس قبل الطائف ، قال:« دخل رسول الله صلى الله عليه وآله الحرم يوم دخل مكة وعليه عمامة سوداء وعليه السلاح ، ثم خرج إلى حنين ، فلما فرغ منهم انتهى إلى أوطاس، بقيت منهم بقية ففرغ منهم». وكان له فيها عين هو أنيس بن مرثد الغنوي ، وكان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب. (مذيل الطبري/٥١).

٩- النبي صلى الله عليه وآله يحاصر قبيلة ثقيف في الطائف

كانت قبيلة ثقيف في الطائف وحولها حلفاء قريش ، وكان أثرياء قريش يملكون كثيراً من بساتين الطائف وأرضها . وقد جاءها النبي صلى الله عليه وآله قبل هجرته يدعوها الى الإسلام وحمايته من قريش ، فرفضت دعوته وآذته !

وتحالفت مع هوازن وشاركت في حرب حنين ،وسرعان ما انهزمت ! فقد رأى قائدهم قارب بن الأسود علياً عليه السلام يحصد فرسان هوازن ، فخاف وأسند رايته الى شجرة ، وهرب راجعاً الى الطائف! ثم انهزمت هوازن ، فذهب بعضم الى أوطاس وبعضهم الى الطائف مع رئيسهم مالك بن عوف ، وأكثرهم رجعوا الى بواديهم.

قال المفيد في الإرشاد:١٤٨/١:« فبعث النبي صلى الله عليه وآله أبا عامر الأشعري إلى أوطاس في جماعة فيهم أبو موسى الأشعري ، وبعث أبا سفيان صخر بن حرب إلى الطائف . فأما أبو عامر فإنه تقدم بالراية وقاتل حتى قتل فقال المسلمون لأبي موسى: أنت ابن عم الأمير وقد قتل ، فخذ الراية حتى نقاتل دونها ، فأخذها أبو

موسى ، فقاتل المسلمون حتى فتح الله عليهم . وأما أبو سفيان فإنه لقيته ثقيف فضربوه على وجهه ، فانهزم ورجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: بعثتني مع قوم لا يرقع بهم الدلاء من هذيل والأعراب ، فما أغنوا عني شيئاً ، فسكت النبي صلى الله عليه وآله عنه» !

قال الطبري: ٣٥٢/٢:« لما قدم فلُّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال . ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدباب والضبور والمجانيق».

وجرش قرية باليمن تصنع فيها المجانيق ، والضبور صندوق مدرع للمقاتلين لينقبوا سور الحصن أو ليردوا المتسلقين ، وتسمى الدباب أيضاً ، كما تطلق الدباب على الأحجار التي تلقى من المنجنيق ، أو تدحرج من الجبل .

وفي إعلام الورى:٢٣٣/١:« سار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطائف في شوال سنة ثمان فحاصرهم بضعة عشر يوماً ، وخرج نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف فلقيه علي عليه السلام في خيله ، فالتقوا ببطن وَجّ ، فقتله علي عليه السلام وانهزم المشركون .

ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من أرقائهم ، منهم أبو بكرة وكان عبداً للحارث بن كلدة المنبعث وكان اسمه المضطجع ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله المنبعث. ووردان ، وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة ، فأسلموا .

فلما قدم وفد الطائف على رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلموا قالوا: يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك فقال: لا ، أولئك عتقاء الله ».

وفي فتوح البلدان للبلاذري:٦٥/١:«سار رسول الله (ص) بالمسلمين حتى نزل الطائف فرمتهم ثقيف بالحجارة والنبل ، ونصب رسول الله (ص) منجنيقاً على حصنهم ،

وكانت مع المسلمين دبابة من جلود البقر ، فألقت عليها ثقيف سكك الحديد المحماة فأحرقتها ، فأصيب من تحتها من المسلمين . وكان حصار رسول الله (ص) الطائف خمس عشرة ليلة».

وفي الخرائج:١١٨/١:«لما حاصر النبي صلى الله عليه وآله أهل الطائف قال عيينة بن حصن: إئذن لي حتى آتي حصن الطائف فأكلمهم ، فأذن رسول الله صلى الله عليه وآله فجاءهم فقال: أدنو منكم وأنا آمن؟ قالوا: نعم . وعرفه أبو محجن فقال: أدنُ فدخل عليهم ، فقال: فداكم أبي وأمي والله لقد سرني ما رأيت منكم ، وما في العرب أحد غيركم ، ووالله ما في محمد مثلكم ، ولقد قل المقام وطعامكم كثير ، وماؤكم وافر لا تخافون قطعه ! فلما خرج قالت ثقيف لأبي محجن: فإنا قد كرهنا دخوله وخشينا أن يخبر محمداً بخلل إن رآه فينا أو في حصننا ! فقال أبو محجن: أنا كنت أعرف به ، ليس منا أحد أشد على محمد منه وإن كان معه !

فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قلت لهم أدخلوا في الإسلام ، فوالله لا يبرح محمد عقر داركم حتى تنزلوا فخذوا لأنفسكم أماناً ، فخذلتهم ما استطعت !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذبت لقد قلت لهم كذا وكذا ! وعاتبه جماعة من الصحابة قال: أستغفر الله وأتوب إليه ، ولا أعود أبداً».

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله الى عبيد أهل الطائف أن من يخرج اليه منهم ويسلم يعتقه ، فخرج اليه بعضهم ومنهم أبو بكَرَة بن سمية وأبي عبيد ، وهو أخ زياد بن أبي عبْيد الذي ادعاه أبو سفيان وألحقه معاوية به ، وسمي أبا بكرة لأنه استعمل حبلاً وبكرة ونزل من حصن الطائف ، فقبل النبي صلى الله عليه وآله إسلامه وأعتقه.

١٠ - النبي ﷺ يفك الحصار عن الطائف

يلفتنا في عمل النبي ﷺ في حصار الطائف أمران:

الأول: أنه لم يأخذ معه علياً عليه السلام الى حصارها ، بل بعثه لإخضاع ضواحيها خاصة قبيلة خثعم ، وتحطيم الأصنام الكثيرة التي كانت لأهل الطائف وقريش !

قال المفيد في الإرشاد:١٤٨/١:«وأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام في خيل وأمره أن يطأ ما وجد ويكسر كل صنم وجده . فخرج حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير ، فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب في غبش الصبح فقال: هل من مبارز ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من له؟ فلم يقم أحد فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام ، فوثب أبو العاص بن الربيع زوج بنت رسول الله ﷺ فقال: تكفاه أيها الأمير .

فقال: لا، ولكن إن قتلت فأنت على الناس . فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: إن على كل رئيس حقا.. أن يرويَ الصعدة أو تُدقّا. ثم ضربه فقتله ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام ، وعاد إلى رسول الله ﷺ وهو محاصر لأهل الطائف». ومعنى يروي الصعدة: يروي الرمح المستقيم من دم العدو.

وقد استغرقت مهمة علي عليه السلام بضع عشرة يوماً ، وعندما وصل الى النبي ﷺ وأخبره بأنه أنجز المهمة بنجاح ، فرح النبي ﷺ ومدحه ، وأمضى معه ساعات منفردين وهو يناجيه ، حتى اعترض عمر على مناجاته دونهم فقال له النبي ﷺ: « ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه» ، ومعناه أن جبرئيل كان يختلف اليهما بالنزول ، وكان النبي ﷺ يدبر الأمور مع علي عليه السلام ، أو يشرح له ما أوحي اليه ويوصيه بما

يجب. وما أن أكمل مناجاته مع علي حتى أمر بفك الحصار والرحيل ، ولم يرسل علياً عليه السلام في هجوم على الحصن ، ولو أرسله لفتح الله على يديه !

ففي أمالي الطوسي/٥٧٩، عن أبي ذر ، و/٥٠٤:« عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما أوقع رسول الله صلى الله عليه وآله من هوازن سار حتى نزل بالطائف ، فحصر أهل وجّ أياماً فسأله القوم أن ينتزح عنهم ليقدم عليه وفدهم ، فيشترط له ويشترطون لأنفسهم. فسار صلى الله عليه وآله حتى نزل مكة ، فقدم عليه نفر منهم بإسلام قومهم ، ولم يبخع (يخضع) القوم له بالصلاة ولا الزكاة ، فقال صلى الله عليه وآله: إنه لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود ، أما والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة وليؤتن الزكاة أو لأبعثن إليهم رجلاً هو مني كنفسي ، فليضربن أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم ، هو هذا ، وأخذ بيد علي عليه السلام فأشالها ! فلما صار القوم إلى قومهم بالطائف أخبروهم بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله فأقروا له بالصلاة وأقروا له بما شرط عليهم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما استعصى علي أهل مملكة ولا أمة إلا رميتهم بسهم الله عز وجل !

قالوا: يا رسول الله وما سهم الله ؟ قال: علي بن أبي طالب ، ما بعثته في سرية إلا رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وملكاً أمامه وسحابة تظله ، حتى يعطي الله حبيبي النصر والظفر».

وقال المفيد في الإرشاد:١٤٨/١:«وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محاصر لأهل الطائف ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله كبر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً .

فروى عبد الرحمن بن سيابة والأجلح جميعاً ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خلا بعلي بن أبي طالب عليه السلام يوم الطائف ، أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟ فقال: يا عمر ، ما أنا انتجيته بل الله انتجاه ! قال: فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ، فلم ندخله وصددنا عنه ! فناداه النبي صلى الله عليه وآله: لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام» ! ونحوه المناقب:١/١٨١.

والأمر الثاني: أنه صلى الله عليه وآله فك الحصار عن الطائف ولم يصرّ على فتحها ، وروي أنه لم يُؤذن له في فتحها ، وفي إعلام الورى:١/٢٣٤:«ذكر الواقدي عن شيوخه قال: شاور رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه في حصن الطائف ، فقال له سلمان الفارسي: يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فعمل منجنيق ، ويقال: قدم بالمنجنيق يزيد بن زمعة ودبابتين ، ويقال خالد بن سعيد ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فأحرقت الدبابة . فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقطع أعنابهم وتحريقها ، فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي: لم تقطع أموالنا ، إما أن تأخذها إن ظهرت علينا ، وإما أن تدعها لله والرحم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أدعها لله والرحم ، فتركها . وأنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في خيل عند محاصرته أهل الطائف وأمره أن يكسر كل صنم وجده ، فخرج فلقيه جمع كثير من خثعم...الى آخر ما تقدم. فلما قدم علي عليه السلام فكأنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله على

وجل فارتحل ، فنادى سعيد بن عبيدة: ألا إن الحي مقيم ، فقال عليه السلام: لا أقمت ولاظعنت ! فسقط فانكسر فخذه» !

ومعنى كلام سعيد أن الذي يظعن هو الغريب الضعيف ، وقصده الطعن بالنبي صلى الله عليه وآله بفك الحصار عن الطائف وأنه عن عجز ، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله فقتله الله !

فإن كان سبب فكه الحصار عن الطائف عجز الصحابة عن اقتحامه ، فقد جاء علي عليه السلام ! أم أن السبب مطالبة قسم من ثقيف (أهل وجّ) بأن يفك عنهم الحصار ليأتيه وفدهم ويتفاوضوا معه ؟ أم السبب قرب دخول شهر ذي القعدة ، وهو من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال. (تفسير الثعلبي: ٥/٢٢).

والأمر المؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله مسدد بوحي ربه عز وجل في قوله وفعله . فقد قبل وعد أهل الطائف بمجيئهم لمفاوضته ، وفك حصارهم مع عدم ثقته بهم ، وذهب الى مكة معتمراً ، ثم عاد المدينة .

١١- سياسة الإسلام العجيبة مع قريش وثقيف

لم يعرف التاريخ قبائل أفرطت في عدائها وأمعنت ، كما فعلت بطون قريش مع النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته بني هاشم ! وقد وثقنا ذلك بسلسة مواقفهم وأعمالهم الكيدية ضد النبي صلى الله عليه وآله في بحث: (صراع قريش مع النبي صلى الله عليه وآله).

لكن العجيب أن النبي صلى الله عليه وآله قاوم قريشاً حتى فتح مكة ، فأخضعهم وعفا عنهم وقبل إسلامهم تحت السيف وسماهم (الطلقاء). ثم فتح أبواب دولته أمامهم ! وفي نفس الوقت أعلن أنهم وأولادهم طلقاء وأخرجهم من أمته الى يوم الدين !

ثم حكم ﷺ على ثقيف شبيهاً بحكمه على قريش ، وثقيف من قبائل هوازن النجدية ، سكنت الطائف فصارت حضرية ، وكانت بحكم مجاورتها مكة حليفة لقريش وشريكتها في عدائها للنبي ﷺ ، وقد تحالفت مع هوازن في حربها للنبي وانهزمت معها في حنين ، ثم انهزمت بيد علي عليه السلام في وجّ ، وبعد هزيمتهم طلبوا أن يعفيهم من الصلاة لأنها (دناءة) معيبة ! فلم يقبل منهم وهددهم بعلي عليه السلام !

وقد تأخر وفد ثقيف وظلوا على شركهم (ابن هشام: ٩٣٦/٤) فحرك عليهم النبي ﷺ القبائل المحيطة بهم التي أسلمت ، ومنها بعض قبائل هوازن ليضغطوا عليهم ! وأخيراً جاءه وفد ثقيف الى النبي ﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك ، فقبل إسلامهم وسماهم (العتقاء) في مقابل تسمية قريش (الطلقاء).

وأصدر حكمه عليهم وعلى من ولد منهم الى يوم الدين ، بأنهم كالطلقاء ليسوا من أمته الإسلامية ! ونص الحكم النبوي: « **المهاجرون والأنصار أولياءٌ بعضهم لبعض ، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة** ».

وقد روته بلفظه أو بنحوه مصادر السنيين بأسانيد عديدة فيها الصحيح على شرط الشيخين كمسند أحمد: ٣٦٣/٤ ، بروايتين ، ومجمع الزوائد: ١٥/١٠ ، بروايات ، وقال في بعضها: رواه أحمد والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح ، وقد جوده فإنه رواه عن الأعمش. وأبو يعلى: ٤٤٦/٨ ، وابن حبان: ٢٥٠/١٦ ، والطبراني الكبير: ٣٠٩/٢ ، و٣١٣ ، و ٢١٤ ، و ٣١٦ ، و ٣٤٣ ، و٣٤٧ ، و: ١٨٧/١٠ ، وموارد الظمآن: ٢٧١/٧ ، والدر المنثور: ٢٠٦/٣ ، وفتح القدير: ٣٣٠/٢ ، وعلل الدارقطني: ١٠٢/٥ ، والسمعاني: ١٥٢/٤ ، وتاريخ بغداد: ٤٦/١٣ ، وتعجيل المنفعة/٤١٤ ، وأمالي الطوسي/٢٦٨.

وهو حكمٌ شديد ، وضربة قاصمة لطلقاء قريش وعتقاء ثقيف ! حيث أخرجهم من أمته ، وألحقهم بها إلحاقاً ، والعجيب الذي لانعرف حكمته أنه حكم شامل لمن وجد منهم في ذلك العصر ، ومن يولد من ذرياتهم إلى يوم القيامة !

فكيف يدعي لهم محبوهم الصحبة والفضائل والخلافة ، وهم لايستطيعون إدخالهم في متن أمة الإسلام ، أو يردون على رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه الثابت ؟!

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية:« وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان ، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله ، وإن نقص لم تلحقك ثلمته ! وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها !

ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك ؟ وتتأخر حيث أخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر ! وإنك لذهّاب في التيه روّاغ عن القصد». (نهج البلاغة: ٣٠/٣ والإحتجاج: ٢٥٩/١ ، وابن الأعثم: ٥٦٠/٢).

وقال صعصعة لمعاوية:« أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ، ودانهم كبراً ، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً ؟! وإنما أنت طليق ابن طليق ، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله ! فأنى تصلح الخلافة لطليق» ! (مروج الذهب/٦٩٤).

وقال ابن عباس لأبي موسى الأشعري:« ليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة ! واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة ». (شرح النهج: ٢/٢٤٦).

وكتب ابن عباس إلى معاوية: « وإن الخلافة لا تصلح إلا لمن كان في الشورى ، فما أنت والخلافة ؟ وأنت طليق الإسلام ، وابن رأس الأحزاب ، وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر». (الإمامة والسياسة: ١/١٠٠ ، وراجع جواهر التاريخ: ٢/٩٤).

وقد اتفق المسلمون على هذا الحكم ، فقد أفتى عمر بأن حكم الأمة محرم على الطلقاء ! وقال كما في الطبقات: ٣/٣٤٢: « هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ». ورواه في تاريخ دمشق: ٥٩/١٤٥ ، وأسد الغابة: ٤/٣٨٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي/١١٣ ، والغدير: ٧/١٤٤ ، و١٠/٣٠ ، ونفحات الأزهار: ٥/٣٥٠.

فاعجب لهذا الأمر ! واعجب من أن أكثر حكام أمة النبي صلى الله عليه وآله ليسوا من أمته !

١٢- النبي صلى الله عليه وآله في الجعرانة يقسم الغنائم ويُحرم للعمرة

الجعرانة:« ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي(ص) لما قسم غنائم هوازن ، مرجعه من غزاة حنين ، وأحرم منها ، وله فيها مسجد ، وبها بئار متقاربة ». (معجم البلدان: ٢/١٤٢). وهي من مواقيت الحج ، فعن عبد الرحمن بن الحجاج ، أن الإمام الصادق عليه السلام قال له: «إن سفيان فقيهكم أتاني فقال: ما يحملك على أن تأمر أصحابك يأتون الجعرانة فيحرمون منها ؟ فقلت له: هو وقت

من مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: وأي وقت من مواقيت رسول الله هو ؟ فقلت له: أحرم منها حين قسم غنائم حنين ومرجعه من الطائف». (الكافي: ٣٠٠/٤).

وفي مجمع البيان: ٣٢/٥ ، في تفسير: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ:« وأغنم الله المسلمين أموالهم ونساءهم ، وأمر رسول الله بالذراري والأموال أن تُحدر إلى الجعرانة ، وولى على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ، ومضى صلى الله عليه وآله في أثر القوم فوافى الطائف في طلب مالك بن عوف ، فحاصر أهل الطائف بقية الشهر ، فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة ، وقسم بها غنائم حنين وأوطاس».

وفي إعلام الورى: ٢٣٦/١:« ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الجعرانة بمن معه من الناس وقسم بها ما أصاب من الغنائم يوم حنين في المؤلفة قلوبهم من قريش ومن سائر العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شئ قليل ولا كثير . قيل: إنه جعل للأنصار شيئاً يسيراً وأعطى الجمهور للمتألفين .

قال محمد بن إسحاق: فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، ومعاوية ابنه مائة بعير ، وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزى بني قصي مائة بعير ، وأعطى النضير بن الحارث بن كلدة مائة بعير وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي حليف بين زهرة مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام من بني مخزوم مائة ، وجبير بن مطعم من بني نوفل بن عبد مناف مائة ، ومالك بن عوف النصري مائة ، فهؤلاء أصحاب المائة. وقيل: إنه أعطى علقمة بن علاثة مائة ، والأقرع بن حابس مائة ، وعيينة بن حصن مائة ، وأعطى العباس بن مرداس أربعاً فتسخطها وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذا تدرأ فلم أعط شيئا ولم أمنع

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي لست بشاعر، قال صلى الله عليه وآله: كيف قال؟ فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي قم فاقطع لسانه! قال عباس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشد علي من يوم خثعم، فأخذ علي عليه السلام بيدي فانطلق بي فقلت: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: إني ممض فيك ما أمرت، حتى أدخلني الحظائر فقال: أعقل ما بين أربعة إلى مائة.

قال: قلت بأبي أنتم وأمي، ما أكرمكم وأحلمكم وأجملكم وأعلمكم.

فقال لي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة. قال: فقلت لم لعلي عليه السلام: أشر أنت علي. قال: فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى. قال: فإني أفعل».

وفي سيرة ابن هشام:٩٠٦/٤:« ثم جمعت إلى رسول الله (ص) سبايا حنين وأموالها وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري، وأمر رسول الله (ص) بالسبايا والأموال إلى الجعرانة، فحبست بها ».

قال في الصحيح من السيرة: ١٧٨/٢٥: «تقدم أن المسلمين انهزموا جميعاً عن النبي صلى الله عليه وآله وأن راجعَتَهم حين رجعت وجدت الأسارى مكتفين عند رسول الله، وأن المسلمين المهزومين لم يضربوا بسيف ولم يطعنوا برمح... والمهاجم الوحيد لجيوش المشركين كان علي بن أبي طالب عليه السلام فهزم الله المشركين على يديه شر هزيمة. فالنصر إنما تحقق بجهاد علي عليه السلام وبالتأييد الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله بإنزال الملائكة. وهذا يبين السبب في أن الله سبحانه رد أمر الغنائم والسبي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليعطيها لمن يشاء، فأعطاها لمن أراد أن يتألفهم، ولم يعط منها حتى أقرب الناس إليه وهم الأنصار.. لأنهم لم يكن لهم ولا للمهاجرين ولا لغيرهم حق فيها، ولكنه صلى الله عليه وآله قد طيب نفوس الأنصار، بعدما نفَّذ ما أمره الله تعالى».

١٣- وفد هوازن والشيماء حاضنة النبي صلى الله عليه وآله

في إعلام الورى: ٢٣٩/١: « كان فيما سبي أخته بنت حليمة فلما قامت على رأسه قالت: يا محمد أختك شيماء بنت حليمة! قال فنزع رسول الله صلى الله عليه وآله برده فبسطه لها فأجلسها عليه ثم أكب عليها يسائلها وهي التي كانت تحضنه إذ كانت أمها ترضعه... أدرك وفد هوازن رسول الله صلى الله عليه وآله بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله لنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنا لو ملَّحنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر، ثم ولي منا مثل الذي وليت، لعاد علينا بفضله وعطفه وأنت خير المكفولين، وإنما في الحظائر خالاتك وبنات خالاتك

وحواضنك وبنات حواضنك اللاتي أرضعنك ، ولسنا نسألك مالاً ، إنما نسألكهن. أي الحارث ملك الغساسنة والنعمان ملك المناذرة . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قسم منهن ما شاء الله ، فلما كلمته أخته قال: أما نصيبي ونصيب بني عبد المطلب فهو لك ، وأما ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم .

فلما صلوا الظهر قامت فتكلمت وتكلموا ، فوهب لها الناس أجمعون إلا الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، فإنهما أبيا أن يهبا وقالوا: يا رسول الله إن هؤلاء قوم قد أصابوا من نسائنا ، فنحن نصيب من نسائهم مثل ما أصابوا .

فأقرع رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم ثم قال: اللهم أتْوهْ سهميهما ، فأصاب أحدهما خادماً لبني عقل ، وأصاب الآخر خادماً لبني نمير ، فلما رأيا ذلك وهبا ما منعا.

قال: ولولا أن النساء وقعن في القسمة لوهبهن لها كما وهب ما لم يقع في القسمة ، ولكنهن وقعن في أنصباء الناس ، فلم يأخذ منهم إلا بطيبة النفس. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فئ نصيبه ، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم .

قال: وكلمته أخته (الشيماء) في مالك بن عوف فقال: إن جاءني فهو آمن ، فأتاه فرد عليه ماله وأعطاه مائة من الإبل».

وفي الطبقات:١٥٣/٢:«وقدم وفد هوازن على النبي (ص) وهو أربعة عشر رجلاً ورأسهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله (ص) من الرضاعة ، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي فقال: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا: ما

كنا نعدل بالأحساب شيئاً . فقال: أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وسأسأل لكم الناس ، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ...الخ. وكان رسول الله (ص) قد كسا السبي قبطيةً قبطية».

١٤- مالك بن عوف مسلماً !

في شرح الأخبار: ٣١٧/١: « وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن مالك بن عوف سيد هوازن يومئذ ما فعل؟ فقالوا: لحق بالطائف وتحصن بها مع ثقيف يا رسول الله . قال: فأخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل. فأخبر بذلك فخرج من الطائف متسللاً عن ثقيف لئلا يعلموا به فيحبسوه. وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فرد عليه أهله وماله وزاده مائة من الإبل ، وأسلم وحسن إسلامه».

وفي تفسير القمي: ٢٩٩/١:« وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: المؤلفة قلوبهم: أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وسهيل بن عمرو وهو من بني عامر بن لوي وهمام بن عمرو وأخوه ، وصفوان بن أمية بن خلف القرشي ثم الجشمي الجمحي ، والأقرع بن حابس التميمي ، ثم عمر أحد بني حازم ، وعيينة بن حصين الفزاري ، ومالك بن عوف ، وعلقمة بن علاقة . بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطي الرجل منهم مائة من الإبل ورعاتها ، وأكثر من ذلك وأقل ».

وفي سيرة ابن هشام: ٩٢٧/٤ ، أن مالك بن عوف قال بعد مجيئه الى النبي صلى الله عليه وآله:

«ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة عردت أنيابها بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد

فاستعمله رسول الله (ص) على من أسلم من قومه وتلك القبائل: ثمالة ، وسلمة ، وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لايخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم».

١٥- الأنصار يسقطون في امتحان المال

في مجمع البيان:٣٢/٥:«وقسم رسول الله الغنائم بالجعرانة ، وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاء ما لا يدرى عدته .

قال أبو سعيد الخدري: قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شئ قليل ولا كثير ، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شئ !

فقال ﷺ: فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ فقال: ما أنا إلا امرؤ من قومي ! فقال رسول الله: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، فجمعهم فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار ، أو لم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف بين قلوبكم ؟

قالوا: بلى يا رسول الله . ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ فقالوا: وما نقول؟ وبماذا نجيبك ؟ المنُّ لله ولرسوله .

فقال رسول الله: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم: جئتنا طريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، وخائفاً فآمناك، ومخذولاً فنصرناك. فقالوا: المنُّ لله ولرسوله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا بالله ورسوله قسماً. ثم تفرقوا» !

وفي إعلام الورى:١/٢٣٨:« وغضب قوم من الأنصار لذلك وظهر منهم كلام قبيح حتى قال قائلهم: لقي الرجل أهله وبني عمه ونحن أصحاب كل كريهة !

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما دخل على الأنصار من ذلك، أمرهم أن يقعدوا ولا يقعد معهم غيرهم، ثم أتاهم شبه المغضب يتبعه علي عليه السلام حتى جلس وسطهم، فقال: ألم آتكم وأنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله منها بي؟ قالوا: بلى، ولله ولرسوله المن والطول والفضل علينا. قال: ألم آتكم وأنتم أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: أجل... الى آخر ما تقدم».

وفي الكافي: ٢/٤١١، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال زرارة:« سألته عن قول الله عز وجل: وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ. قال: هم قوم وحدوا الله عز وجل وخلعوا عبادة من

يعبد من دون الله وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهم في ذلك شكاك في بعض ما جاء به محمد ﷺ فأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يتألفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم ويثبتوا على دينهم الذي دخلوا فيه وأقروا به.

وإن رسول الله ﷺ يوم حنين تألف رؤساء العرب من قريش وسائر مضر ، منهم أبو سفيان بن حرب ، وعيينة بن حصن الفزاري ، وأشباههم من الناس ، فغضبت الأنصار واجتمعت إلى سعد بن عبادة فانطلق بهم إلى رسول الله ﷺ بالجعرانة فقال: يا رسول الله أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم ، فقال: إن كان هذا الأمر من هذه الأموال التي قسمت بين قومك شيئاً أنزله الله رضينا ، وإن كان غير ذلك لم نرض ! قال زرارة: وسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار أكُلُّكُمْ على قول سيدكم سعد؟ فقالوا: سيدنا الله ورسوله ، ثم قالوا في الثالثة: نحن على مثل قوله ورأيه ! قال: زرارة فسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فحط الله نورهم ».

أقول: من عجائب التاريخ موقف الأنصار عند غنائم حنين ، ورئيسهم سعد بن عبادة ! فقد عرفوا النبي ﷺ وشهدوا بصدقه ورأوا معجزاته ، وبذلوا في سبيله أموالهم وأرواحهم ، ولما أعطى غيرهم ولم يعطهم اتهموه بأنه يميل مع هواه الى قومه ! وتفسير ذلك أنهم عند الإمتحان غلبهم هواهم وفقدوا عقولهم ، فانخفض مستوى إيمانهم ، فحط الله نورهم !

وقد سأل النبي ﷺ سعداً عن موقفه في اتهام الأنصار لنبيهم ﷺ بأنه مال لقومه في تقسيم الغنائم ، فأجابه بأنه واحد من قومه ، رأيه رأيهم !!

لذلك ينبغي أن يقسم تاريخ الأنصار الى مرحلة ما قبل غنائم حنين وبعدها !
وهذا يفسر سوء توفيق سعد ونقضه لبيعتهم للنبي صلى الله عليه وآله بأن يحموه ويحموا أهل بيته بعده مما يحمون منه أنفسهم وذراريهم ، فعندما رأى قريشاً مجمعة على إبعاد عترة النبي صلى الله عليه وآله عن خلافته ، اتجه الى ذاته وأخذ يعمل لأن تكون الخلافة له ، لأنه أحق بالإسلام وخلافته ، من بطون قريش !

وقد عالج النبي صلى الله عليه وآله هذا الهبوط الذي حدث في حنين ، بتطييب خواطرهم والدعاء لهم ، وهي معالجة تهدؤهم ، لكنها لاترفع مستواهم فذلك بأيديهم .

١٦- ولادة الخوارج في الجعرانة

في إعلام الورى: ٢٤١/١: « عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقسم إذ أتاه ذو الخويصرة ، رجل من بني تميم ، فقال: يا رسول الله إعدل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويلك من يعدل إن أنا لم أعدل ، وقد خبت وخسرت إن أنا لم أعدل ! فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى رصافه (شد السهم) فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر في قذذه (ريش السهم) فلا يوجد فيه شئ ، قد سبق الفرث والدم !

آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر (ترجرج) يخرجون على خير فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتُمس فوُجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي نعت ». ومناقب الخوارزمي/٢٥٩ ، وبخاري: ١٧٩/٤ ، وغيره من رواتهم ورواتنا بتفاصيل أكثر ، ومديح عظيم لمن يقتلهم.

وقال الشريف الرضي في المجازات النبوية/٣٣: «ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله في ذكر الخوارج: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..الحديث.. إلى قوله: قد سبق الفرث والدم. وفي هذا القول مجاز ، لأنه صلى الله عليه وآله شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقدته أو يعيقوا بطينته ، بالسهم الذي أصاب الرمية ، وهي الطريدة المرمية ثم خرج مسرعاً من جسمها ولم يعلق بشئ من فرثها ودمها ، وذلك من صفات السهم الصائب ، لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوى النزعة». والمعنى أنهم منافقون يدخلون في الدين ويخرجون منه بسرعة ، كالسهم السريع الذي ينفذ في الصيد ويخرج منه ، وليس فيه أثر منه !

١٧- اعتمر النبي صلى الله عليه وآله من الجعرانة ، ثم رجع الى المدينة

في الخصال/٢٠٠: «عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله: اعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية وعمرة القضاء من قابل ، والثالثة من جعرانة ، والرابعة التي مع حجته».

وفي سيرة ابن هشام: ٩٣٦/٤: «ثم خرج رسول الله (ص) من الجعرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران ، فلما فرغ رسول الله (ص) من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة.. وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله (ص) إلى شهر رمضان من سنة تسع » .

استكمال فتح اليمن بعد حرب هوازن

١- ضعف الحكام الفرس في اليمن

عندما بُعث النبي ﷺ كانت اليمن تُحكم من قبل كسرى ، ولما كتب ﷺ الى كسرى يدعوه الى الإسلام ، مزق الرسالة وأهان الرسول ، وأرسل الى حاكم اليمن واسمه باذان أن يُحضر له النبي ﷺ ، فإن أبى أن يُرسل له برأسه !

فأرسل باذان وفداً الى النبي ﷺ وأبلغوه رسالة كسرى اليه ، فأجابهم في اليوم التالي إن الله قد أخبرني أنه قتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا !

فعاد الوفد مبهوتاً الى باذان ، وجاءه الخبر بتصديق ما قاله النبي ﷺ حرفياً فأسلم باذان وأرسل الى النبي ﷺ ، فقبل إسلامه ونصبه حاكماً على اليمن.

قال الأحمدي في مكاتيب الرسول:٢/٤٩٩ ، و٣٢٩ ، ملخصاً:«كانت اليمن كلها تحت حكم كسرى وكان عامله عليها وهرز (وهو الذي حرر اليمن من الحبشة مع سيف بن ذي يزن) ثم بعده المرزبان بن وهرز ، ثم بعده البينجان بن المرزبان بن وهرز ، ثم بعده خرخسرة بن البينجان ، ثم بعده باذان ، حتى هلك كسرى وأسلم باذان فنصبه رسول الله ﷺ على اليمن كلها... فلم يعزله عنها حتى مات أو قتله الأسود العنسي

واستصفى زوجته المرزبانة لنفسه ، ففرق رسول الله صلى الله عليه وآله عمله ما بين شهر بن باذان ، وعامر بن شهر الهمداني ، وأبي موسى الأشعري ، وخالد بن سعيد ، ويعلى بن أمية ، وعمرو بن حزم ، وزياد بن لبيد ، والطاهر بن أبي هالة ، وعكاشة بن ثور المهاجر أو عبد الله... والمراد بالأبناء أبناء الفرس الذين صاروا إلى اليمن من قبل كسرى أنوشيروان لما استنجده سيف بن ذي يزن ، وكانوا أربعة آلاف ، فاسترجعوا ملك سيف ، واستقروا في اليمن وتزوجوا في العرب ، وسميت أبناؤهم بالأبناء وغلب عليهم هذا الإسم». (وابن هشام: ٤٥/١).

٢- ضعف سلطة باذان وتفكك اليمن

كانت قبائل اليمن تخضع للحاكم الفارسي وأسرته (الأبناء) لأن وراءهم أمبراطورية إذا طلبوا منها مدداً عسكرياً أرسلت لهم ، لكن عندما قتل كسرى وضعفت فارس ونقل حكام اليمن ولاءهم من كسرى الى النبي صلى الله عليه وآله ، طمع زعماء القبائل وأخذوا يستقلون بمناطقهم فاحتاج النبي صلى الله عليه وآله لأن يرسل لكل منطقة حاكماً ، فتوزع حكم اليمن .

والحكام الذين عينهم النبي صلى الله عليه وآله كانوا مميزين عسكرياً لحاجة المنطقة الى ذلك ، أو أصحاب قبول ونفوذ في المناطق التي عينهم فيها .

ويظهر أن نفوذ باذان والأبناء ضعف كثيراً حتى احتاجوا الى التحالف مع القبائل:« فقالت الرسل من الفرس لرسول الله (ص): إلى من نحن يا رسول الله؟ قال: أنتم منا وإلينا أهل البيت. قال ابن هشام: فبلغني عن الزهري أنه قال: فمن ثم قال رسول الله (ص): سلمان منا أهل البيت ». (سيرة ابن هشام: ٤٥/١).

يقصد الراوي أن ولاء الفرس لبني هاشم ، ولذا صار سلمان من أهل البيت ، وهذا لايصح ، لكن شاهدنا أن حكام اليمن احتاجوا يومها الى ولاء .

بل يظهر أن نفوذ باذان اقتصر على صنعاء وبعض مناطق اليمن فقط ! فقد اتفق المؤرخون على أن قبائل همدان أسلمت على يد علي عليه السلام ، وسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله على إسلامها وقال: السلام على همدان ، وكان ذلك في السنة الثامنة بعد حنين ، وقيل في السنة العاشرة ، كما أن قبائل مذحج أسلمت بعدها .

وهمدان ومذحج هما الشطر الأعظم من اليمن . ويؤيد ذلك أن الأسود العنسي ادعى النبوة وسيطر على صنعاء ، وقتل باذان أو قتل ابنه الذي حكم بعده .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام الى اليمن ثلاث مرات ، في السنة الثامنة الى قبائل همدان ، وفي العاشرة الى قبائل مذحج ، وأرسله بينهما قاضياً على اليمن.

قال في أعيان الشيعة:١/٤١٠:« قال دحلان في سيرته... بَعْثُ عليٍّ إلى همدان لم يكن سنة عشر إنما كان سنة عشر بعثه إلى بني مذحج ، وأما بعثه إلى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة ، فيكون بعث علي إلى اليمن حصل مرتين .

وفي المستجاد من الإرشاد/١١١:« لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله تقليده قضاء اليمن وإنفاذه إليهم ليعلمهم الأحكام ، ويبين لهم الحلال من الحرام ، ويحكم فيهم بأحكام القرآن قال له: تندبني يا رسول الله للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء . فقال له: أدنُ مني فدنا منه ، فضرب على صدره وقال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه . قال أمير المؤمنين: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام ».

٣- فتح علي عليه السلام لليمن

صعدنا درج صنعاء ودخلنا سوقها ، فقالوا هذه الساحة إسمها (الحلقة) وسألنا عن معناها فقالوا: هنا وقف علي عليه السلام وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل اليمن فتحَلَّقُوا حوله ! وزرنا بعد الساحة مسجد علي عليه السلام ، وهو البيت الذي كان لامرأة فاستأجره علي عليه السلام وسكن فيه مدة عمله في اليمن ، فحولته صاحبته الى مسجد .

في الكافي:٥/٢٨، عن الإمام الصادق عليه السلام:«قال أمير المؤمنين عليه السلام: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن وقال لي: يا علي لاتقاتلن أحداً حتى تدعوه ، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ، ولك ولاؤه ».

وفي العدد القوية للحلي/٢٥١:«عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فكنت فيمن سار معه ، فأقام عليهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شئ ! فبعث النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وأمره أن يُقفل (يُرجع) خالداً ومن اتبعه إلا من أراد البقاء مع علي فيتركه ، فكنت ممن عقب مع علي ، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن وبلغ القوم الخبر فجمعوا له ، فصلى بنا علي صلاة الفجر ، فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب بذلك علي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال: السلام على همدان ، وتتابع أهل اليمن الإسلام ».

وروت ذلك مصادر السلطة وسماها ابن هشام (١٠٢٨/٤و ١٠٥٦): غزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرتين ، وتوغل في مناطقها .

وقال الصالحي في سبل الهدى:٢٣٥/٦:« روى البيهقي في السنن والدلائل والمعرفة عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا . ثم إن النبي(ص) بعث علي بن أبي طالب مكان خالد وأمره أن يُقفل خالداً ، وقال: مُرْ أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل...الى آخره، وفيه: «وقال: إذا كان قتال فعليٌّ الأمير ، قال: فافتتح عليٌّ حصناً فغنمت أواقي ذوات عدد وأخذ علي منه جارية ، قال: فكتب معي خالد إلى رسول الله يخبره ! قال الترمذي: يعني النميمة ! قال: فلما قدمت على رسول الله (ص) وقرأ الكتاب رأيته يتغير لونه فقال: ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله تعالى ورسوله؟ فقلت: أعوذ بالله من غضب الله تعالى وغضب رسوله ، إنما أنا رسول . فسكت .

وفي رواية: فكتب خالد إلى رسول الله فقلت إبعثني فبعثني ، فجعل يقرأ الكتاب وأقول صدق ، فإذا النبي (ص) قد احمر وجهه ، فقال: من كنت وليه فعلي وليه ! ثم قال: يا بريدة أتبغض علياً؟ فقلت: نعم. قال: لاتبغضه فإن له الخمس أكثر من ذلك. وفي رواية: والذي نفسي بيده لنصيب علي في الخمس أفضل من وصيفة ، وإن كنت تحبه فازدد له حباً. وفي رواية: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي . قال بريدة: فما كان في الناس أحد أحب إلي من علي !

قال الحافظ: كان بعث علي بعد رجوعهم من الطائف ، وقسمة الغنائم بالجعرانة... وهو وليكم بعدي: أي يلي أمركم.

الباب الثاني والسبعون في سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن المرة الثانية: قال محمد بن عمر (الواقدي) وابن سعد واللفظ للأول: قالوا بعث رسول الله (ص) علياً إلى اليمن في رمضان وأمره أن يعسكر بقناة ، فعسكر بها حتى تتامَّ أصحابه. فعقد له رسول الله (ص) لواء وأخذ عمامته فلفها مثنية مربعة ، فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه ، وعممه بيده عمامة ثلاثة أكوار ، وجعل له ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه وقال له: إمض ولا تلتفت. فقال علي: يا رسول الله ما أصنع؟ قال: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، وادعهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة ، فإن أجابوا فمرهم بالزكاة ، فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك. والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت .

فخرج علي في ثلاثمائة فارس فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد . فلما انتهى إلى أدنى الناحية التي يريد من مذحج ، فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وسبايا نساء وأطفالاً ونعماً وشاءً وغير ذلك ، فجعل علي على الغنائم بريدة بن الحصيب الأسلمي فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يلقى لهم جمعاً.

ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه بالنبل والحجارة ، فلما رأى أنهم لايريدون إلا القتال ، صف أصحابه ودفع اللواء إلى مسعود بن سنان

السلمي فتقدم به ، فبرز رجل من مذحج يدعو إلى البراز ، فبرز إليه الأسود بن خزاعي فقتله الأسود وأخذ سلبه . ثم حمل عليهم علي وأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً ، فتفرقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائماً ، وكف علي عن طلبهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا ، وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى. وجمع علي ما أصاب من تلك الغنائم ، فجزأها خمسة أجزاء ، فكتب في سهم منها لله ثم أقرع عليها ، فخرج أول السُّهمان سهم الخمس .

وقسم عليٌّ على أصحابه بقية المغنم ، ولم ينفل أحداً من الناس شيئاً ، وكان من كان قبله يعطون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخمس ، ثم يخبرون رسول الله بذلك فلا يرده عليهم ، فطلبوا ذلك من علي فأبى وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله (ص) يرى فيه رأيه .

وأقام فيهم يقرؤهم القرآن ويعلمهم الشرائع ، وكتب إلى رسول الله كتاباً مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزني يخبره الخبر ، فأتي رسول الله (ص) فأمر رسول الله (ص) أن يوافيه الموسم ، فانصرف عبد الله بن عمرو بن عوف إلى علي بذلك فانصرف علي راجعاً ، فلما كان بالفتق(مكان) تعجل إلى رسول الله (ص) يخبره الخبر ، وخلف على أصحابه والخمس أبا رافع ، فوافى رسول الله (ص) بمكة قد قدمها للحج ، وكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال معكومة ونعم وشاء مما غنموا ، ونعم من صدقة أموالهم ، فسأل أصحاب علي أبا رافع أن يكسوهم

ثياباً يحرمون فيها ، فكساهم منها ثوبين ثوبين. فلما كانوا بالسدرة داخلين خرج علي ليتلقاهم ليقدم بهم ، فرأى على أصحابه الثياب فقال لأبي رافع: ما هذا؟ فقال: كلموني ففرقت من شكايتهم وظننت أن هذا ليسهل عليك ، وقد كان من قبلك يفعل هذا بهم. فقال: قد رأيت امتناعي من ذلك ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفت فتعطيهم ! فنزع علي الحلل منهم !

فلما قدموا على رسول الله (ص) شكوه ، فدعا علياً فقال:ما لأصحابك يشكونك؟ قال: ما أشكيتهم ، قسمت عليهم ماغنموا وحبست الخمس حتى يقدم عليك فترى فيه رأيك . فسكت رسول الله (ص)». انتهى.

أقول: يظهر أن خالداً لم يطع أمر النبي صلى الله عليه وآله فقد أمره أن يرجع ، وخيَّر جنوده بين البقاء مع علي عليه السلام أو الرجوع ! لكنه بقي يتتبع عمل علي عليه السلام ويرسل الى النبي صلى الله عليه وآله يشكوه ! كما يتضح من روايتهم أن علياً عليه السلام أعطى جنوده أربعة أخماس الغنيمة فطمعوا في خمس النبي صلى الله عليه وآله واستغلوا مسارعة علي عليه السلام قبلهم الى النبي صلى الله عليه وآله فأصروا على أبي رافع وأخذوا من الخمس الذي للنبي صلى الله عليه وآله بغير حق ، فلما رجع علي عليه السلام نزعه منهم ! وقد ظلم رواة الحكومة علياً عليه السلام فصوروا أنه أخطأ مع جنوده !

ثم تابع الصالحي في سبل الهدى:« الباب الرابع والتسعون في وفود همدان إليه (ص): قالوا قدم وفد همدان على رسول الله (ص) وعليهم مقطعات الحبرات مكففة بالديباج ، وفيهم حمزة بن مالك من ذي مشعار ، فقال رسول الله (ص): نِعْمَ الحيُّ همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد ، ومنهم أبدال وأوتاد الإسلام.

فأسلموا و كتب لهم النبي (ص) كتاباً بمخلاف خارف ، ويام ، وشاكر ، وأهل الهضب ، وحقاف الرمل من همدان ، لمن أسلم منهم...

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح من حديث ابن إسحاق عن البراء: أن النبي (ص) بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم أن النبي (ص) بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يعقب خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه.. الى آخر ما تقدم.

وقال ابن إسحاق: فقام مالك بن نمط بين يديه فقال: يا رسول الله نصيَّةٌ من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواح ، متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر ، أهل السواد والقود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا الإلاهات والأنصاب ، عهدهم لا ينقض عن سِنَة ماحل ، ولا سوداء عنقفير ، ما أقام لعلع ، وما جرى اليعفور بصيلع .

فكتب لهم رسول الله (ص) كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف ، وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل ، مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ، ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون ظلافها ، ويرعون عفاءها ، ولنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح.

لكم بذلك عهد الله وذمام رسوله ، وشاهدكم المهاجرون والأنصار .

فقال في ذلك مالك بن نمط:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ونحن بأعلى رحرحان وصلدد

وهن بنا خوص طلائح تغتلي بركبانها في لأحب متمدد

على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا مر الهجف الخفيدد

حلفت برب الراقصات إلى منى صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد

وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه وأمضى بحد المشرفي المهند»

ومن رواياتها عن أبي رافع:« بعث رسول الله علياً أميراً على اليمن ، وبعث خالد بن الوليد على الجبل فقال: إن اجتمعتما فعليٌّ على الناس ، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله وأخذ علي جارية من الخمس ، فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبي ما صنع ! فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة ؟ فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين ، فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها علي من الخمس فجئت لأخبر النبي ! فقالوا: فأخبر النبي فإنه يسقط من عين النبي ! ورسول الله يسمع الكلام فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً ! من تَنَقَّصَ علياً فقد تنقصني ومن فارق عليا فقد فارقني! إن علياً مني وأنا منه خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم ، وأنا أفضل من إبراهيم ، ذرية بعضها من بعض

والله سميع عليم. يا بريدة: أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ وأنه وليكم بعدي ؟ فقلت: يا رسول الله بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً ! قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام» ! (أوسط الطبراني : ١٦٣/٦).

أقول: بحثنا شكاية خالد وجواب النبي صلى الله عليه وآله في كتاب العقائد الإسلامية (٩١/٤) ، وتحريف البخاري وغيره لها.

وأخيراً ، ادعى كعب الأحبار أنه لقي علياً عليه السلام باليمن وأسلم ! ففي مغازي الواقدي/٦٦٨: «لما قدم علي بن أبي طالب اليمن خطب به ، وبلغ كعب الأحبار قيامه بخطبته ، فأقبل على راحلته في حلة ، معه حبر من أحبار اليهود حتى استمعا له... قال كعب الأحبار: لما قدم علي اليمن لقيته فقلت: أخبرني عن صفة محمد ، فجعل يخبرني عنه وجعلت أتبسم ، فقال: مم تتبسم؟ فقلت: مما يوافق ما عندنا من صفته... قال: فأقمت باليمن على إسلامي حتى توفي رسول الله وتوفي أبو بكر فقدمت في خلافه عمر ويااليت أني كنت تقدمت في الهجرة » !

وكذب كعب في ادعائه ، لأنه إنما أعلن أنه مسلم في أواسط خلافة عمر !

٤- أهدى علي عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وآله أفراساً من اليمن

في الكافي: ٥٣٥/٦ ، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «أهدى أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة أفراس من اليمن فقال: سمها لي ، فقال: هي ألوان مختلفة قال: ففيها وضح ؟ فقال: نعم فيها أشقر به وضح ، قال: فأمسكه عليَّ ، قال: وفيها

كميتان أوضحان ، فقال: أعطهما ابنيك ، قال: والرابع أدهم بهيم قال: بعه واستخلف به نفقة لعيالك ، إنما يمن الخيل في ذوات الأوضاح».

٥- وأرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام قاضياً الى اليمن

في بصائر الدرجات/٤٧٢ ، عن عبد العزيز القراطيسي قال:« قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وجه علياً عليه السلام إلى اليمن ليقضى بينهم فقال علي عليه السلام: فما وردت على قضية إلا حكمت فيها بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله. فقال صدقوا. قلت: وكيف ذاك ولم يكن أنزل القرآن كله ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله غائباً عنه؟ فقال: يتلقاه به روح القدس».

وفي أمالي الصدوق/٤٢٨: «عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً إلى اليمن فانفلت فرس لرجل من أهل اليمن فنفح رجلاً برجله فقتله ، وأخذه أولياء المقتول فرفعوه إلى علي ، فأقام صاحب الفرس البينة أن الفرس انفلت من داره فنفح الرجل برجله ، فأبطل علي عليه السلام دم الرجل ، فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبي صلى الله عليه وآله يشكون علياً عليه السلام فيما حكم عليهم فقالوا: إن عليا ظلمنا وأبطل دم صاحبنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن علياً ليس بظلام ، ولم يخلق علي للظلم ، وإن الولاية من بعدي لعلي ، والحكم حكمه ، والقول قوله ، لا يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر ، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن. فلما سمع اليمانيون قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام قالوا: يا رسول الله ، رضينا بقول علي وحكمه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو توبتكم مما قلتم». والتهذيب:٢٢٨/١٠.

وفي مستدرك الحاكم: ١٣٥/٣، وصححه على شرط الشيخين: « قال علي رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال فقلت: يا رسول الله إني رجل شاب وإنه يرد علي من القضاء ما لا علم لي به ؟ قال: فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبت لسانه: واهد قلبه . فما شككت في القضاء أو في قضاء بعدُ».

٦- ثم أرسله النبي ﷺ الى اليمن ليصلح بينهم

في بصائر الدرجات/٥٢١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:«دعاني رسول الله ﷺ فوجهني إلى اليمن لأصلح بينهم ، فقلت له يا رسول الله عليه السلام إنهم قوم كثير وأنا شاب حدث. فقال لي: يا علي عليه السلام إذا صرت بأعلى عقبة فيق فناد بأعلى صوتك: يا شجر يا مدر يا ثرى ، محمد رسول الله ﷺ يقرؤكم السلام !

قال: فذهبت فلما صرت بأعلى عقبة فيق أشرفت على اليمن ، فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوي مشرعون أسنتهم ، متنكبون قسيهم شاهرون سلاحهم ، فناديت بأعلى صوتي: يا شجر يا مدر يا ثرى محمد ﷺ يقرؤكم السلام ، قال: فلم يبق شجرة ولا مدرة ولا ثرى الا ارتجت بصوت واحد: وعلى محمد رسول الله وعليك السلام ! فاضطربت قوايم القوم وارتعدت ركبهم ، ووقع السلاح من أيديهم ، وأقبلوا مسرعين فأصلحت بينهم وانصرفت » .

٧- ثم أرسله النبي ﷺ الى اليمن عندما ارتد ابن معديكرب

في البحار: ٣٥٦/٢١ ، والإرشاد:١٤٥/١:« لما عاد رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معدي كرب ، فقال له النبي ﷺ: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من

الفزع الأكبر ، قال: يا محمد وما الفزع الأكبر ، فإني لا أفزع ، فقال يا عمرو: إنه ليس كما تظن وتحسب ! إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة ، فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات ، إلا ما شاء الله ، ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات ، ويُصَفُّونَ جميعاً وتنشق السماء وتهد الأرض وتخر الجبال هداً ، وترمي النار بمثل الجبال شرراً ، فلا يبقي ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه إلا من شاء الله ! فأين أنت يا عمرو من هذا؟

قال: ألا إني أسمع أمراً عظيماً ، فآمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم . ثم إن عمرو بن معدي كرب نظر إلى أبيّ بن عثعث الخثعمي ، فأخذ برقبته ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أَعْدُني على هذا الفاجر الذي قتل والدي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية ، فانصرف عمرو مرتداً ، فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب ، ومضى إلى قومه ! فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وأمره على المهاجرين وأنفذه إلى بني زبيد ، وأرسل خالد بن الوليد في الأعراب وأمره أن يعمد لجعفى ، فإذا التقيا فأمير الناس أمير المؤمنين . فسار أمير المؤمنين عليه السلام واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص ، واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري ، فأما جعفى فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين: فذهبت فرقة إلى اليمن وانضمت الفرقة الأخرى إلى بني زبيد ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلى خالد بن الوليد: أن قف حيث أدركك رسولي ، فلم يقف ! فكتب إلى خالد بن سعيد بن

العاص: تعرض له حتى تحبسه ، فاعترض له خالد حتى حبسه ، وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فعنفه على خلافه ! ثم سار حتى لقي بني زبيد بواد يقال له كثير ، فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يا با ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإتاوة ؟ قال: سيعلم إن لقيني ! قال: وخرج عمرو فقال: من يبارز؟ فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت ترى أن لي عليك طاعة فقف مكانك ، فوقف ، ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحة فانهزم عمرو ! وقتل أخاه وابن أخيه . وأُخِذَت امرأته ركانة بنت سلامة ، وسبي منهم نسوان ، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم ، ويؤمِّن من عاد إليه من هرابهم مسلماً ، فرجع عمرو بن معدي كرب واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له ، فعاد إلى الإسلام ، فكلمه في امرأته وولده فوهبهم له ! وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزوراً قد نحرت فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً ، وكان يسمى سيفه الصمصامة ، فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده ، وهب له عمرو الصمصامة .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد اصطفى من السبي جارية ، فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: تقدم الجيش إليه فأعلمه بما فعل علي من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه ، وقَعْ فيه ! فسار بريدة حتى انتهى إلى باب

رسول الله صلى الله عليه وآله فلقيه عمر بن الخطاب فسأله عن حال غزوتهم وعن الذي أقدمه، فأخبره أنه إنما جاء ليقع في علي وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه فقال له عمر: إمض لما جئت له فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي!

فدخل بريدة على النبي صلى الله عليه وآله ومعه كتاب من خالد بما أرسل به بريدة، فجعل يقرأه ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغير فقال بريدة: يا رسول الله إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيئهم! فقال النبي صلى الله عليه وآله: ويحك يا بريدة أحدثت نفاقاً؟ إن علي بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحل لي، إن علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدي لكافة أمتي! يا بريدة إحذر أن تبغض علياً فيبغضك الله! قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت لي فسخت فيها وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسول الله. يا رسول الله، استغفر لي، فلن أبغضن علياً أبداً ولا أقول فيه إلا خيراً، فاستغفر له النبي صلى الله عليه وآله».

أقول: نلاحظ أن خالد بن الوليد كان مأموراً من النبي صلى الله عليه وآله بطاعة علي عليه السلام، ولكنه كان يتصرف كأنه مستقل، وقد تركه علي عليه السلام حتى إذا خشي الضرر من تصرفه أمر خالداً بن سعيد أن يمنعه بالقوة من مواصلة مسيره، فمنعه!

وهذا يثبت شجاعة خالد بن سعيد وخوف خالد بن الوليد منه ومن علي عليه السلام، لأنهما أشجع منه، ومكانتها في قريش ومكة أعلى من مكانته! وقد يكون علي عليه السلام منعه من التقدم الى زبيد لخوفه عليه من الهزيمة أمام ابن معديكرب وهو هزيمة للمسلمين، ثم ظهر أن علياً عليه السلام كان أعد خطة لهزيمة ابن معديكرب بدون أن يقتله! ولا بد أن ابن الوليد بهت لفزع عمرو من صرخة علي عليه السلام! ويبدو أن تلك الصرخة

الحيدرية بأمر النبي صلى الله عليه وآله وفيها سرٌّ من أسراره ! لأنه صلى الله عليه وآله لما أنذر عمرواً من فزع الآخرة قال له عمرو: « يا محمد وما الفزع الأكبر فإني لا أفزع » ! وعندما ارتد عمرو أراه الله الفزع في الدنيا ، وأبقاه حياً .

٨- الأسود العنسي يدعي النبوة في اليمن

في البحار:٤١١/٢١: « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجه طارت الأخبار بأنه قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة ، فأما الأسود العنسي فاسمه عهيلة بن كعب ، وكان كاهنا يشعبذ ويريهم الأعاجيب ويصمي منطقه قلب من يسمعه.

وكان أول خروجه بعد حجة رسول الله صلى الله عليه وآله فسار إلى صنعاء فأخذها ، فكتب فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بخبره وكان عامل رسول الله على مراد ، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى مر بأبي موسى الأشعري وهو بمارت ، فاقتحما حضر موت ، ورجع عمرو بن خالد إلى المدينة ، وقتل شهر بن باذام وتزوج امرأته ، وكانت ابنة عم فيروز ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفر من الأبناء رسولاً وكتب إليهم أن يحاولوا الأسود إما غيلة وإما مصادمة ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً سماهم لهم ممن حولهم من حمير وهمدان ، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم ، فدخلوا على زوجته فقالوا: هذا قد قتل أباك وزوجك فما عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إليَّ وهو مجرد والحرس محيطون بقصره إلا هذه البيت فانقبوا عليه فنقبوا ، ودخل فيروز الديلمي فخالطه فأخذ برأسه فقتله ، فخار خوار ثور فابتدر الحرس الباب فقالوا: ما هذا ؟ فقالت: النبي يوحى إليه ثم خمد !

وقد كان يجئ إليه شيطان فيوسوس له فيغط ويعمل بما قاله ، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم الذي بينهم ثم بالأذان وقالوا فيه: أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن

عهيلة كذاب ، وشنوها غارة وتراجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أعمالهم ، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالخبر فسبق خبر السماء إليه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله قبل موته بيوم أو بليلة فأخبر الناس بذلك ، فقال: قتل الأسود البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين ، قيل: ومن هو ؟ قال: فيروز ، فاز فيروز ، ووصل الكتاب ورسول الله صلى الله عليه وآله قد مات إلى أبي بكر . وكان من أول خروجه إلى أن قتل نحو أربعة أشهر. وفيروز قيل: إنه ابن أخت النجاشي وقيل هو من أبناء فارس .

وأما مسيلمة بن حبيب الكذاب فكان يقال له: رحمن اليمامة ، لأنه كان يقول: الذي يأتيني اسمه رحمن، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن أسلم ثم ارتد لما رجع إلى بلده، وكتب إلى رسول الله: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فإن الأرض لنا نصف ولقريش نصف ، ولكن قريش قوم يعتدون » !

وفي الينابيع الفقهية: ١٤٣/٩: «وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ، ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: بنو مدلج ، ورئيسهم ذو الخمار ، وهو الأسود العنسي وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده ، وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله، فبيته فيروز الديلمي فقتله. وأخبر رسولُ الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد. وبنو حنيفة قوم مسيلمة الذي تنبأ. وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ أيضاً ثم أسلم وحسن إسلامه . وبعد وفاة رسول صلى الله عليه وآله كفى الله أمرهم».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٩٤/١: «وأخبرَ صلى الله عليه وآله بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء وأخبر بمن قتله». راجع: مكاتيب الرسول:٢٧٨/١، و٢٧٠: كتبه صلى الله عليه وآله في الردة في قتل الأسود العنسي. والإستيعاب: ٦٩٨/٢ والإصابة: ٣٣٠/٢ ، والطبقات: ٥٣٤/٥ ، وتاريخ دمشق: ١٢٧/٦.

○ ○

الفصل السادس والخمسون

أزمة الخلافة تصل الى داخل بيت النبي صلى الله عليه وآله

١- نشاط زعماء قريش بعد هزيمتهم

كانت أكبر ضربة تلقاها زعماء قريش في كل حياتهم ، يوم فاجأهم النبي صلى الله عليه وآله بجنود الإسلام على أبواب مكة وأجبرهم على خلع سلاحهم وإعلان الإستسلام !

في تلك الأيام عاشوا أشد أيام حياتهم ذهولاً وحيرة !

فقد أسقط في أيديهم تماماً ، بعد معركة امتدت عشرين سنة مع محمد وبني هاشم ، وكانوا فيها قبل فتح مكة منتصرين أحياناً ، أو سجالاً متعادلين أحياناً !

وعندما دعاهم النبي صلى الله عليه وآله الى المسجد ، حضروا مجبرين خائفين ، وأعلنوا إسلامهم تحت سيوف النبي صلى الله عليه وآله ، وخطب فيهم ووبخهم ! ثم أعلنهم (طلقاء) ! فلا هم عبيد ولا عتقاء ، ثم أطمعهم في الدنيا ، ودعاهم الى حرب هوازن معه في حنين ! إنها سياسة الحزم والتطميع ، وهي لا ترفع حيرتهم بل تزيدها !

فهل يستسلمون لدولة محمد وبني هاشم ، أم يوجد طريقٌ للخروج من هذه الأزمة ؟! وهل تدور الأيام فيستطيعون جمع العرب من جديد لقتال محمد ؟

هكذا كان يفكر أبو سفيان وهو يطوف ، فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وآله وضرب بيده في صدره وقال: إذن يخزيك الله ياأبا سفيان ! (الصحيح: ٣٢١/٢٢).

أم هل يرون هوازن وقد انتصرت عليه فينتهي دينه:« وترجع العرب إلى دين آبائها ، وقد قتل محمد وتفرق أصحابه » ! كما قالوا عندما وقعت على المسلمين الهزيمة في أول جولة من معركة حنين؟! (سبل الهدى: ٢٣٠/٥).

أم هل يستطيعون تدبير قتله ، فيحلون مشكلتهم معه ، وقد حاولوا ذلك قبل فتح مكة ، فلم ينجحوا !

أم هل ينتظرون ،كما ينصحهم صحابته القرشيون ، حتى يموت فيرثوا دولته ؟! وكيف يمكن لهم ذلك وهو يرتب الأمر من بعده لابن عمه وصهره علي الذي هو في الثلاثينات من عمره ، ثم من بعده لأولاد ابنته فاطمة ، الحسن والحسين ، ومعهم لايبقى لقبائل قريش شئ !

واتخذ زعماء قريش قرارهم الذي كانوا اتخذوه سابقاً ، وهو العمل على هذه الجبهات جميعاً ! وظهرت نواياهم عند هزيمة المسلمين في الجولة الأولى في حنين ، واعترف اثنان من شخصياتهم بأنهما حاولا قتل النبي صلى الله عليه وآله فلم يستطيعا !
وكانت الخطوة التالية أن عزلوا أبا سفيان عن قيادتهم ، ولم يشفع له أنه ما زال يشاركهم في عداوة محمد صلى الله عليه وآله ، فقد اعتبروه ضَعُفَ أو داهن في فتح مكة ، فلم يأخذ لهم شروطاً تحفظ وجودهم ، كالتي أخذها سهيل بن عمرو في الحديبية !

واختاروا سهيلاً قائداً بدل أبي سفيان ، وضيقوا دائرة مشورتهم في العمل ضد محمد ، وأبعدوا منها أبا سفيان وبني أمية لأنهم من بني عبد مناف ، فاضطر أبو سفيان للذهاب الى المدينة ، لعله يجد مجالاً للعمل في دولة محمد !

وقد عمل سهيل بن عمرو لإعادة كيان قريش الذي انهار بفتح مكة ، وأخذ يتصرف في مكة متجاهلاً عتَّاب بن أسيد الذي عينه النبي ﷺ حاكماً ، وأخذ يراسل النبي ﷺ بطلبات قريش منه ، باعتبارهم ما زالوا كياناً مقابله كما كانوا !

ووجد سهيل عضدين قويين يساعدانه من الصحابة القرشيين هما أبو بكر وعمر فكان ينزل عندهما في المدينة ، ويذهبان معه الى النبي ﷺ ويؤيدان طلباته ، بصفتها طلبات لقريش الكيان الذي يمثله سهيل !

وكان من أهم الأعمال التي قاموا بها في السنة الثامنة ، أنهم شجعوا هجرة القرشيين المبغضين لبني هاشم الى المدينة . وقاموا في المدينة بحملات دعاية ضد بني هاشم ، حتى أنهم كانوا يقولون إن (محمداً) نشاز في هؤلاء السيئين ! فضجَّ منهم الأنصار واشتكوا الى النبي ﷺ فقالوا:« إنا نسمع من قومك ، حتى يقول القائل: إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كبا (مزبلة) !

فقال رسول الله: أيها الناس من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله ، فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. قال فما سمعناه انتمى قبلها قط ، ثم قال: إن الله تعالى خلق خلقه فجعلني في خير خلقه ، ففرقهم فريقين فجعلني في خير الفريقين ، ثم

جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة ، ثم فرقهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً ». (مسند أحمد: ٢١٠/١).

وتواصلت دعاية قريش ضد بني هاشم ، حتى كانوا يعبسون في وجوههم ! فشكى بنو هاشم ذلك الى النبي صلى الله عليه وآله ووصف هو ذلك بأن أحدهم إذا رأى هاشمياً فكأنما يفقأ في عينيه حب الرمان الحامض !

وجاء العباس يوماً مغضباً وقال: « يارسول الله ما لنا ولقريش ! إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة ، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك ! قال فغضب رسول الله (ص) حتى احمر وجهه ، ثم قال: والذي نفسي بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ». (الترمذي: ٣١٧/٥).

وقد اختصرت رواية مسند أحمد القصة ، وكذلك غيرها ، وقد جمعناها من مصادرهم في كتاب: ألف سؤال وإشكال: ١٧٩/١: عقدة بطون قريش من بني هاشم !

وركزت قريش دعايتها ضد علي عليه السلام خاصة لإسقاط شخصيته ، والإنتقام منه لقتله زعماءها وأبطالها ، وتهيئة الجو لعزله بعد النبي صلى الله عليه وآله ! وعملت لذلك أعمالاً عديدة في حرب النبي صلى الله عليه وآله وسلمه وسفره وحضره صلى الله عليه وآله !

وقد غضب النبي صلى الله عليه وآله من ذلك مراراً وشدد دفاعه عن علي عليه السلام ، وخطب أكثر من مرة مبيناً مكانته وفضله ، ونفاق من يؤذيه ويبغضه ، أو كفره !

ولو لم يكن من ذلك إلا قصة بريدة الأسلمي ، التي روتها مصادر السنيين بطرق عديدة وأسانيد صحيحة لكفى ، فقد كشفت عن وجود شبكة عمل منظم ترسل الرسائل من اليمن إلى المدينة ، وتضع الخطط ضد علي عليه السلام !

وروت إدانة النبي صلى الله عليه وآله وغضبه عليهم وتصريحه بأن علياً (وليكم من بعدي) كما رواه أحمد والنسائي ، وأن كل من ينتقد علياً عليه السلام ولا يحبه ولا يطيعه ، فهو منافق خارج عن الإسلام ! لكن القرشيين لم يسمعوا أوامر النبي صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله فكيف بهم بعد وفاته ؟!

ثم تزايدت فعالية القرشيين حتى وصلت في السنة التاسعة الى وضع خطة قوية لقتل النبي صلى الله عليه وآله في طريق رجوعه من تبوك ، ويأتي ذلك في مؤامرة ليلة العقبة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام: « إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله وحسدته على ما آتاه الله من فضله ، واستطالت أيامه ! حتى قذفت زوجته ! ونَفَّرت به ناقته ، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم مننه عندها ! وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته » ! (شرح النهج: ٢٠/٢٩٨).

ثم صارت عدواتهم للنبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام ميثاقاً سرياً مع اليهود ، قال الله عنها في سورة محمد صلى الله عليه وآله التي نزلت تلك السنة: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ . (محمد: ٢٥-٢٦).

٢- ولادة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله كان كارثة على قريش !

في السنة الثامنة للهجرة حدث أمرٌ زاد من صعوبة عمل القرشيين في تسقيط سمعة علي عليه السلام وبني هاشم ، فقد رزق النبي صلى الله عليه وآله بولد ، وصار برأي قريش وصيه ووريثه حسب العرف القبلي، وكذا بقانون الأسرة الربانية المختارة: إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. لذا نشطت عناصر حزب قريش من نساء النبي صلى الله عليه وآله في العمل لإبطال وراثة إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله لأبيه باتهام والدته مارية القبطية من أول حملها لنفيه عن النبي صلى الله عليه وآله ! فاضطر النبي صلى الله عليه وآله أن يُسكنها بعيداً عنهن عند بيت أبي رافع ، وأنزل الله براءتها قرآناً فجعلتها عائشة براءة لها ، وأنزل الله سورة التحريم ، وفيها كشف انحراف اثنتين من نساء النبي صلى الله عليه وآله وتهديد لهما !

لكنهما واصلتا العمل فتفاقم الأمر حتى غضب النبي صلى الله عليه وآله واعتزل نساءه شهراً في أوائل السنة التاسعة ، وشاع خبر أنه طلقهن !

قال ابن كثير:٧١٠/٣:«رجع رسول الله (ص) إلى المدينة لليال بقين من ذي الحجة في سفرته هذه (فتح مكة)...وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم بن رسول الله (ص) من مارية القبطية ، فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً».

وفي الطبقات:١٣٥/١، عن الإمام الباقر عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله حجب مارية ، وكانت قد ثقلت على نساء النبي صلى الله عليه وآله وغرن عليها ، ولا مثل عائشة».

٣- سورة التحريم كشفت الحزب القرشي في بيت النبي صلى الله عليه وآله

عاد النبي صلى الله عليه وآله من فتح مكة وحرب حنين في ذي القعدة من السنة الثامنة، وحدثت أحداث تتعلق ببيته وأزواجه، منها ما استوجب أن يهجر عائشة ثلاثة أشهر! « ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ». (طبقات الشافعية: ٣١٩/٦، والصحيح: ٦٨/٢٦).

وقالوا إن ذلك بسبب حديث الإفك واتهام بعضهم لعائشة، لكن تهمة عائشة كانت في غزوة المريسيع، في شعبان في السنة الخامسة (إعلام الورى: ١٩٦/١). وكان هجر النبي صلى الله عليه وآله لعائشة في آخر السنة الثامنة وأول التاسعة، وقد رووا أنه صلى الله عليه وآله هجرها شهراً وليس ثلاثة أشهر! (فتح الباري: ٣٦٣/٨).

لكن اتهامهم لعائشة لاتستوجب هجرها من النبي صلى الله عليه وآله! وقالوا إنه هجرها ثلاثة أشهر بسبب أنها لم تعط بعيرها الى صفية! وهو كعادتهم في تبسيط أسباب غضب النبي صلى الله عليه وآله على زوجاته وجعلها أموراً عادية، لإبعادها عن عملهن ضده لمصلحة قريش! لكن سورة التحريم في أواخر السنة الثامنة أو أوائل التاسعة، كشفت أن اثنتين من نسائه هما حفصة وعائشة تفشيان سره صلى الله عليه وآله وتتآمران عليه! وهددهن الله بجيش جرار لايستنفر إلا في حالات الخطر على الرسالة والرسول!

وهذا نص السورة:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ

فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ(٣)إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَمَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨).

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٩). ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ(١٠) وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١) وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢).

فقد نصت على أن النبي صلى الله عليه وآله أسرَّ بحديث خطير إلى بعض أزواجه ، وأكد عليها أن لا تقوله إلى أحد ، ولا بد أن الله أمره بذلك لحكمة يعلمها .

فما كان من (أم المؤمنين) إلا أن عصت ربها وأفشت سر الرسول ﷺ وعملت مع صاحبتها ضده لمصلحة قريش ، فأطلعه الله على مؤامرتهما ، وكشف سرهما ومَن وراءهما وهددهما ، وضرب لهما مثلاً بامرأتي نوح ولوط ، اللتين خانتا زوجيهما النبيين عليهما السلام وكفرتا ، فدخلتا النار !

قال العلامة في نهج الحق/٣٧٠: « وأفشت سر رسول الله ﷺ، وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين أن عمر خليفة أبيها شهد عليها بذلك. ونقل الغزالي سوء صحبتها لرسول الله ﷺ فقال: إن أباها أبا بكر دخل يوماً على النبي ﷺ وقد وقع منها في حق النبي أمر مكروه ، فكلفه النبي ﷺ أن يسمع ما جرى ويدخل بينهما فقال لها رسول الله ﷺ: تتكلمين أو أتكلم ؟ فقالت: بل تكلم ولا تقل إلا حقاً ! فلينظر العاقل إلى هذا الجواب وهل كان عنده إلا الحق؟ وينظر في الفرق بين خديجة وعائشة. وقد أنكر الجاحظ من أهل السنة في كتاب الإنصاف غاية الإنكار على من يساوي عائشة بخديجة ، أو يفضلها عليها ».

وفي تأويل الآيات: ٦٩٧/٢: « سبب نزول هذه الآيات أن النبي ﷺ أسرَّ إلى عائشة وحفصة حديثاً وهو أن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده بالقهر والغلبة ، فلما أسر إليهما ذلك عرفت كل واحدة أباها ، وأفشت سر رسول الله ﷺ ! فأنزل الله على رسوله ﷺ يخبره بما فعلتا...

وصالح المؤمنين: أمير المؤمنين عليه السلام على ما رواه محمد بن العباس رحمه الله من طريق العام والخاص ، أورد في تفسيره هذا المنقول اثنين وخمسين حديثاً ، اخترنا منها

بعضها ، قال.. عن عون بن عبد الله بن أبي رافع قال: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله غشي عليه ثم أفاق وأنا أبكي وأقبل يديه وأقول: من لي ولولدي بعدك يا رسول الله؟ قال: لك الله بعدي ووصيي صالح المؤمنين علي بن أبي طالب... عن عمار بن ياسر قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ألا أبشرك ؟ قلت: بلى يا رسول الله وما زلت مبشراً بالخير. قال: لقد أنزل الله فيك قرآناً. قال قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: قرنت بجبرئيل ثم قرأ: وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. فأنت والمؤمنون من بنيك الصالحون... عن أبي صالح ، عن ابن عباس... وإنما أفرد جبرئيل من بين الملائكة وأمير المؤمنين من بين الناس ، لعلو شأنهما ، فأما جبرئيل فعطف الملائكة عليه ، وأما أمير المؤمنين فلم يشرك معه أحداً من الناس فتلك فضيلة لم يسبق إليها ، ولا قدر أحد من البشر عليها ». انتهى.

وروى القمي في تفسيره:٣٧٥/٢: « فاجتمع أربعة على أن يَسُمُّوا رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه السورة» !

أما رواة الخلافة القرشية فزعموا أن المسألة عائلية تتعلق بغيرة نساء النبي صلى الله عليه وآله من بعضهن أو بنفقتهن ! وأغمضوا عن الخطر العظيم على الرسول والإسلام ، الذي تتحدث عن السورة فتقول: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَمَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ ! فلمن صغت قلوبهما؟ ولمصلحة من تعاونتا ضد الرسول ؟ وما

هي القضية الشخصية التي تحتاج إلى هذا الجيش ، الذي لا يستنفره الله تعالى إلا في حالات الطوارئ القصوى ؟!

يبقى السؤال: لماذا أخبر النبيﷺعائشة أو حفصة بأن أبويهما سوف يتسلطان على الأمة من بعده ؟! وجوابه: أنه لا تفسير لذلك إلا أن قريشاً كانت تخطط لإعلان الردة ، بحجة أن محمداًﷺيريد أن يؤسس ملكاً لعترته من بني هاشم ، فهو ليس بنبي ! فأخبر الله تعالى نبيهﷺبذلك ، وأمره أن يطمئنهم من خلال أبي بكر وعمر ، ليحفظوا نبوته ، وإن أخذوا الحكم بعده وأبعدوا عترتهعليهم السلام !

٤- اتهامهم لمارية وتبرئة الله لها

قال في الطبقات: ٢١٢/٨:« بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله (ص) في سنة سبع من الهجرة بمارية وبأختها سيرين ، وألف مثقال ذهباً ، وعشرين ثوباً ليناً ، وبغلته الدلدل وحماره عفير ويقال يعفور ، ومعهم خِصْيٌّ يقال له مابور شيخ كبير، كان أخا مارية... فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله بإبراهيم فوهب له عبداً ، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان».

وقالت عائشة كما في الطبقات: ٢١٢/٨: «ما غرتُ على امرأة إلا دون ما غرتُ على مارية ! وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة ، وأعجب بها رسول الله ، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا ، فكان رسول الله

عامة النهار والليل عندها ، حتى فرغنا لها فجزعت ! فحولها إلى العالية ، فكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزق الله منها الولد وحرمنا منه ».

وعبَّرت عائشة بقولها: فرغنا لها فجزعت ! عن سنتين من صراعها مع مارية ، وتفرغها هي وحفصة لأذية مارية المؤمنة الغافلة الغريبة ! وروي من أذيتهن الكلام والأفعال والضرب والشد بالشعر ! فخشي النبي صلى الله عليه وآله عليها وعلى حملها منهن ! وكان له بستان في العوالي يسكن فيه غلامه أبو رافع رحمه الله وزوجته سلمى وكانت مؤمنة عاقلة ، فبنى لأم إبراهيم غرفة وأسكنها هناك وكان يذهب اليها.

فزاد عداء عائشة وحزبها لمارية ، وتضاعف حسدهن عندما رزقت بإبراهيم !

بل دخل العنصر القرشي بصراحة لأنه صار للنبي صلى الله عليه وآله وارث من صلبه !

وقد بلغت وقاحتهم أن قالوا: إن ابنه إبراهيم لا يشبه النبي صلى الله عليه وآله ! واتهموا مارية فغضب على نسائه واعتزلهن وسكن في بيت مارية عليها السلام ، فنزلت آيات الإفك وبراءة مارية ، وآيات تخيير النبي صلى الله عليه وآله لأزواجه بين الزوجية والطلاق.

وتدل أحاديث ولادة إبراهيم عليه السلام على خوف قريش أن يجعله النبي صلى الله عليه وآله خليفته بدل علي والحسنين عليهم السلام ! فأشاعوا أن إبراهيم لايشبهه !

قال علي عليه السلام: «إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله وحسدته على ما آتاه الله من فضله ، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته ، ونَفَّرت به ناقته ، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم منِّه عندها ، وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته » ! (شرح النهج: ٢٠/٢٩٨).

وروى في المنتظم: ٣٤٦/٣ ، عن عائشة: «لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله إلي فقال: أنظري إلى شبهه بي ، فقلت: ما أرى شبهاً » !

وروى الحاكم: ٣٩/٤ ، عن عائشة أن الذي اتهم مارية غيرها فقالت: « أهديت مارية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعها ابن عم لها ، قالت: فوقع رسول الله صلى الله عليه وآله عليها وقعة فاستمرت حاملاً ، قالت فعزلها عند ابن عمها ، قالت فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره ! وكانت أمةً قليلة اللبن، فابتاعت له ضائنة لبون فكان يغذى بلبنها فحسن عليه لحمه ، قالت عائشة: فدُخل به على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم فقال: كيف ترين؟ فقلت من غُذّيَ بلحم الضأن يحسن لحمه. قال: ولا الشبه؟ قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة أن قلت ما أرى شبهاً ! قالت: وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقول الناس ! فقال لعلي: خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته ! قالت: فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخترف رطباً ، قال فلما نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة ، قال فسقطت الخرقة فإذا هو لم يخلق الله له ما للرجال ، شئ ممسوح ».

وفي شرح النهج: ١٩٠/٩: «وكانت لها عليه جرأة وإدلال لم يزل ينمى ويستشري ، حتى كان منها في أمره في قصة مارية ما كان ».

وقد صرحت مصادرنا بأن عائشة هي التي اتهمت مارية فقالت للنبي صلى الله عليه وآله بعد موت إبراهيم: « ما الذي يحزنك عليه إنه ابن جريح القبطي ! فبعث النبي علياً عليه السلام ليقتله فخاف منه جريح فتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فإذا ليس له ما

للرجال ، فرجع علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بما رأى فقال صلى الله عليه وآله: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت ، ثم نزلت هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالأفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاتَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الأثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ». (تفسير القمي: ٣١٨/٢).

قال في الصحيح من السيرة: ٢٣/٢٦: «إن أقوالها لرسول الله صلى الله عليه وآله حول ولده إبراهيم بعيدة كل البعد عن أبسط قواعد الأدب والإلتزام والإحترام.. فلماذا هذا الطعن المتوالي الممعن في القسوة لقلب الإنسانية الطافح بالرحمة والمودة والحنان والغيرة، والشعور بالكرامة والعزة؟! وهل يجرؤ إنسان يدَّعي أنه قريب وحبيب على التصريح لمن يحبه ويتقرب منه بأن ولده الذي يبكي عليه ، وقد مات قبل ساعة أو ساعات ليس ولده الشرعي» ؟!

بل افتروا على النبي صلى الله عليه وآله وزعموا أنه اتهم مارية ، وأنه شكى الى عمر بن الخطاب !

فقد روى في مجمع الزوائد: ١٦١/٩ ، أن النبي صلى الله عليه وآله ذهب الى مارية:« فوجد قريبها عندها فوقع في نفسه من ذلك شئ ، كما يقع في أنفس الناس، فرجع متغير اللون فلقي عمر فأخبره بما وقع في نفسه من قريب أم إبراهيم ، فأخذ السيف فوجده ممسوحاً. فرجع الى النبي وطمأنه !

وفي رواية أنس:« لما ولد إبراهيم من مارية جاريته كان يقع في نفس النبي حتى أتاه جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم ». (الإصابة: ٢١٨/١).

إن مجرد وجود روايات من هذا النوع يدلك على أن عرض النبي صلى الله عليه وآله وكرامته كانت تلوكها ألسنتهم ، وأن الغرض منها الطعن بعرضه لترثه قريش دون عترته !

ويسهل عليك أن تجد أصابع قريش في قول عائشة: « **قالت: فعزلها عند ابن عمها قالت فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره** » !

ومعناه أن المنافقين القرشيين كانوا يفكرون أن النبي صلى الله عليه وآله الذي يرأس دولة كبيرة ، بحاجة الى ابن ليرثه ، ويجعله في وصاية أحد حتى يكبر !

والحل عندهم أن يتهموا النبي صلى الله عليه وآله في عرضه لينفوا عنه ابنه ، ويرثوا ملكه !

وعندما لم ينفع ذلك وأنزل الله براءة مارية ، فالحل عندهم بقتل هذا الطفل المرشح لخلافة أبيه ، ومن يدري فقد يكون إبراهيم عليه السلام قتل بالسم !

وعاش إبراهيم سنة ونصفاً ، وقال النبي صلى الله عليه وآله عند موته: «لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه ، فأتاه فانكب عليه وبكى. وقال: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا مايرضي الله تعالى، والله إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». (الصحيح: ٢٨/٢٦).

وفي كشف اليقين/٣٢١ ، عن ابن عباس: « كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي ، وهو يقبل هذا تارة وذلك أخرى ، إذ هبط جبريل فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك: لست أجمعهما لك فافد أحدهما بصاحبه !

فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى إبراهيم وبكى ، ونظر إلى الحسين وبكى ، وقال: إن إبراهيم متى مات لم يحزن عليه غيري ، وأما الحسين متى مات حزنت عليه ابنتي وحزن

ابن عمي وحزنت أنا ، وأنا أؤثر حزني على حزنهما. يا جبرئيل يقبض إبراهيم فقد فديت الحسين به. قال: فقبض بعد ثلاثة ، فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الحسين مقبلاً، قبّله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم».

وتاريخ بغداد: ٢٠٠/٢ ، وتاريخ دمشق: ٣٢٤/٥٢ ، والطرائف/٢٠٢.

هذا ، وقد بحث صاحب الصحيح من السيرة قصة الإفك في مجلد كامل ، وخلاصة ما قاله في ختامه: ٣٨٦/١٣: «إن الإفتراء على مارية واتهامها بمابور مما أجمعت الأمة على حصوله. ذكر ذلك كل من ترجم لمارية وإبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله، فقصة الإفك عليها أمر لا ريب فيه ، وفيها نزلت آيات سورة النور ، ولا يصح ذلك في عائشة ! والأدلة والشواهد عليه كثيرة. ومنها أن مارية لم يكن لها أحد يدافع عنها فحرفت عائشة اتهامها وبراءتها لتنطبق عليها» !

راجع: رسالة حول خبر مارية للمفيد ، وأمالي المرتضى: ٥٤/١ ، وسيرة ابن إسحاق: ٢٥٢/٥، وأنساب الأشراف/٣٦٢، والطبقات: ١٣٧/١ ، واليعقوبي: ٨٧/٢ ، وحلية الأولياء: ١٧٧/٣، وصفة الصفوة: ٧٨/٢، والأحاديث المختارة: ٣٥٣/٢، ومسند البزار: ٢٣٧/٢، وغوامض الأسماء: ٤٩٨/١ ، ومجمع الزوائد: ٣٢٩/٤ ، والآحاد والمثاني: ٤٥٠/٥ ، والفائق: ٢٨٧/١، وتاريخ دمشق: ٢٣٦/٣، والنهاية: ٣٢٥/٥ ، وسيرة ابن كثير: ٦٠٠/٤، وسبل الهدى: ٢١٩/١١، وكنز العمال: ٤٥٤/٥.

٥- ساءت علاقة النبي ﷺ بزوجاته فهجرهن شهراً !

تضمنت سورة التحريم تهديداً لزوجات النبي ﷺ بالطلاق ! لكن لا نعرف ماذا حدث في أوائل السنة التاسعة ، فازداد الوضع سوءً حتى هجرهن واعتزل منزله ، وسكن على بعد كيلو مترات عنهن وعن المسجد ، في بيت مارية القبطية في ضاحية المدينة ، وبقي هناك شهراً ، وشاع خبر غضبه وطلاقه لهن !

وقد اتفق المفسرون على أنها كانت في السنة التاسعة للهجرة(مغني المحتاج: ٣٤٣/٣).

وادعت الروايات القرشية أنها حادثة شخصية، سببها طلبات نساء النبي المعيشية منه ﷺ ! وأنها لا ربط لها بالقضية التي كانت تشغل الساحة آنذاك ، وهي وضع قريش بعد فتح مكة ، وخلافة النبي ﷺ !

لكن أي حادثة شخصية هذه التي نزلت فيها سورة وشغلت النبي ﷺ والوحي والمسلمين شهراً بل شهوراً ؟! فأمر الله نبيه ﷺ أن يهجر نساءه وبيته ومسجده ! وغضب عليهن حتى شاع أنه طلقهن !

وكيف تكون حادثة عائلية وقد اعتبرها عمر أخطر من غزو الروم للمدينة ؟!

فقد روى البخاري (١٠٣/٣) عن ابن عباس قال:« لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي (ص) اللتين قال الله لهما: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ، فحججت معه فعدل وعدلت معه بالإداوة ، فتبرز حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ ، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي اللتان قال إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ؟ فقال: واعجبي لك يا ابن عباس: عائشة وحفصة!

ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي(ص) فينزل هو يوماً وأنزل يوماً ، فإذ نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثله ، وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني ، فقالت: ولمَ تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي(ص) ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ! فأفزعني ذلك فقلت: خابت من فعلت منهن بعظيم. ثم جمعت عليَّ ثيابي فدخلت على حفصة فقلت: أتغاضب إحداكن رسول الله (ص) اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم ! فقلت: خابت وخسرت ، أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله (ص) فتهلكين ! لا تستكثري على رسول الله ولا تراجعيه في شئ ولا تهجريه ، واسأليني ما بدا لك ، ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله (ص) يريد عائشة.

وكنا تحدثنا أن غسان (قبائل غسان الشامية) تنعل النعال لغزونا ، فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً ، وقال: أنائم هو؟ ففزعت فخرجت إليه وقال: حدث أمر عظيم ! قلت: ما هو أجاءت غسان ؟ قال: لا بل أعظم منه وأطول ! طلق رسول الله (ص) نساءه ! قال: قد خابت حفصة وخسرت ! كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون ! فجمعت عليَّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي (ص) فدخل مشربة له فاعتزل فيها ، فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي ، قلت: ما

يبكيك أولم أكن حذرتك ! أطلقكن رسول الله؟ قالت: لا أدري هو ذا في المشربة فخرجت فجئت المنبر ، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم ، فجلست معهم قليلاً. ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي هو فيها فقلت لغلام له أسود: إستأذن لعمر ، فدخل فكلم النبي (ص) ثم خرج فقال: ذكرتك له ، فصمت !

فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فذكر مثله ، فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر ، فذكر مثله فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني قال: أذن لك رسول الله (ص) فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش ، قد أثر الرمل بجنبه متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف ، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: طلقت نساءك ؟ فرفع بصره إليَّ فقال: لا ، ثم قلت وأنا قائم أستأنس: يارسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فذكره ، فتبسم النبي(ص). ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى النبي (ص) يريد عائشة ، فتبسم أخرى ، فجلست حين رأيته تبسم ، ثم رفعت بصري في بيته ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة(جمع إهاب وهو الجلد) ، فقلت: أدع الله فليوسع على أمتك ، فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله ، وكان متكئاً فقال: أوَفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ، فقلت: يا رسول الله إستغفر لي.

فاعتزل النبي(ص) من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة ، وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله ، فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً ، وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداً ، فقال النبي(ص): الشهر تسع وعشرون ، وكان ذلك الشهر تسع وعشرون ».

٦- ملاحظات حول سورة التحريم وهجر النبي صلى الله عليه وآله أزواجه

١- لابد لك أولاً أن تُمَيِّزَ بين خَمْسِ مسائل تعمَّد الصحابة القرشيون ورواتهم أن يخلطوها ببعضها خلطاً سيئاً لأغراض لهم ، مع أنها مختلفة موضوعاً وزماناً !

فآيات الإيلاء نزلت في سورة البقرة في أول الهجرة .

وتهمة عائشة كانت في السنة الخامسة في غزوة المريسيع أو بني المصطلق !

وتهمة مارية كانت في أوائل السنة الثامنة ، بعد حملها بإبراهيم عليه السلام !

ونزول سورة التحريم كان بعد فتح مكة ، واتجاه قريش لإعلان الردة !

وهجْر النبي صلى الله عليه وآله لزوجاته كان في السنة التاسعة ، قبيل غزوة تبوك.

قال الصدوق رحمه الله في الفقيه:٥١٧/٣:« قال أبي رضي الله عنه في رسالته إليَّ: إعلم يا بنيَّ أن أصل التخيير(تخيير أزواج النبي صلى الله عليه وآله بين الطلاق والبقاء) هو أن الله تبارك وتعالى أنفَ لنبيه صلى الله عليه وآله من مقالة قالتها بعض نسائه: أيَرى محمد أنه لو طلقنا لا نجد أكفاءنا من قريش يتزوجونا ؟! فأمر الله نبيه أن يعتزل نساءه تسعاً وعشرين ليلة ، فاعتزلهن النبي صلى الله عليه وآله في مشربة أم إبراهيم ، ثم نزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً. وَإِنْ كُنْتُنَّ

تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ، فاخترن الله ورسوله فلم يقع الطلاق ، ولو اخترن أنفسهن لَبِنَّ» .

لكن رواة قريش قالوا إنه صلى الله عليه وآله آلاهن، أي حلف أن يهجرهن في المضجع شهراً فعاتبه ربه وأمره بالرجوع !

قال الترمذي: ٩٥/٥: «وكان أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً ، فعاتبه الله في ذلك فجعل له كفارة اليمين » !

وقال بخاري:١/١٠٠:«وآلى من نسائه شهراً ، فجلس في مشربة له درجتها من جذوع... ونزل لتسع وعشرين فقالوا: يا رسول الله إنك آليت شهراً ، فقال: إن الشهر تسع وعشرون ». انتهى.

فزعموا أن سبب إيلائه وأن غضبه كثرة طلباتهن ! وليس السبب قريشاً ، ولا الخلافة ولا اتهامهن لمارية !« قال المفسرون: حين غار بعض نساء النبي وآذينه بالغيرة وطلبن زيادة النفقة ، فهجرهن رسول الله شهراً حتى نزلت آية التخيير». (أسباب النزول/٢٤٠) .

هكذا قال رواة السلطة ! طلبنَ كثيراً من النفقة فغضب النبي صلى الله عليه وآله عليهن، وترك منزله ومسجده وذهب مغاضباً الى ضاحية المدينة ، وسكن مع زوجته أم إبراهيم وطفله ، ثم أقسم أن لايقاربهن ! فوبخه الله على يمينه وأنزل عليه الآيات: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . لكن لا التصرف الذي نسبوه الى النبي صلى الله عليه وآله مفهوم ! ولا آلى النبي صلى الله عليه وآله من نسائه ولا حلف ، بل غضب على بعضهن وأمره ربه بهجرهن مدة ، لأسباب لانعرفها ، فنزلت آية تخييرهن !

ولا آيات الإيلاء نزلت يومها ، بل قبل سنوات في سورة البقرة (البقرة: ٢٢٥-٢٢٧) !
وعملُ النبي صلى الله عليه وآله ليس إيلاء ، لأن الإيلاء نوع من الطلاق كان في الجاهلية ، فكان الزوج يؤلي أي يحلف أن يهجر زوجته فتطلق ، فجعل الله مدته بنص القرآن أربعة أشهر ولايكون الإيلاء شهراً بإجماع كل المذاهب !
لكن جعلوه إيلاء ليغطوا غضب النبي صلى الله عليه وآله على حفصة وعائشة ، ويخفوا سبب هجره لهن ، وهو عملهن لمصلحة قريش ! كما أخفوا اتهامهن لمارية !

٢- سورة التحريم دليل قاطع على معصية حفصة وعائشة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله معصية كبيرة تستحق التشهير بهما وتخليدها في القرآن ، وتوبيخهما ودعوتهما الى تجديد إسلامهما. وهي تدل على أنهما غير مطهرتين من الذنب ، ولا من أهل البيت المطهرين من الرجس ، ولذلك لم تدع أي منهما أن آية التطهير تشملها ، وإنما ادعيت لهما بعد وفاتهما !

قال في بشارة المصطفى/٣٩٠:« ليس يجوز لمن له أدنى علم أن يخلط ذكر فاطمة عليها السلام بذكر غيرها ! وكيف يجوز أن يقاس من شهد الله بطهارتها بقوله تعالى: إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً . على من قال الله في حقها: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ! لكن العمى في القلب والعصبية وبغض أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل بعض الناس على ما لا يليق بالعقل».

٣- كان النبي صلى الله عليه وآله طلق حفصة فغضب عليها عمر ووضع التراب على رأسه وقال:« ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعدها» فأرجعها النبي صلى الله عليه وآله ، وقالوا أمره

جبرئيل بإرجاعها من أجل عمر ! وقال لها عمر مرة: «طلقك مرة ثم راجعك من أجلي ، والله إن كان طلقك مر أخرى لا كلمتك أبداً» ! (مجمع الزوائد: ٣٣٣/٤).
ويحتمل أن يكون ذلك عند إفشائها لسره ، أو عند تفاقم الأمر بعد ذلك .

٤- استدل أتباع الخلافة على أن عائشة وحفصة مبرأتان من كل عيب ، لقوله تعالى: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ. (النور: ٢٦).

وشددوا على من اتهم عائشة أخلاقياً وأفتوا بقتله لأن الله تعالى برأها فيكون اتهامها تكذيباً للقرآن .

أما فقهاؤنا فحرموا تهمة نساء النبي صلى الله عليه وآله أخلاقياً ، لكنهم جوزوا عليهن خيانة رسالته والعمل مع أعدائه ضده ، واستحقاق النار ، بدليل سورة التحريم .

أما آية الطيبين للطيبات فهي تقصد الآخرة ، أما في الدنيا فإن امرأة نوح ولوط خبيثتان كافرتان بنص القرآن ، وقد ضربهما الله مثلاً لعائشة وحفصة.

٥- ومما يرد قولهم إن أسباب هجر النبي صلى الله عليه وآله لأزواجه أنهن أردن زيادة النفقة ، أن الوضع المالي للنبي صلى الله عليه وآله كان جيداً في السنة التاسعة ، بعد فتح خيبر وحنين وكثرة الغنائم التي أحلها الله لنبيه صلى الله عليه وآله.

وقد ورد عندنا أن السبب أن الله أنفَ لنبيه قول بعضهن أن النبي لو طلقهن سيجدن خيراً منه في أقوامهن ! لكن يبقى السؤال عن السبب وراء ذلك !

وورد أن سبب ذلك:« غيرة كانت غارتها عائشة» على حد تعبير قتادة وعكرمة لكن غيرة عائشة قديمة ، فلا بد أن تكون دفعتها الى عمل كبير أوجب هذا التصرف من النبي صلى الله عليه وآله ضد الجميع !

قال صاحب الصحيح:٢٦/٦٠:«يريدون التعمية على الأسباب الحقيقية التي دعت النبي إلى اتخاذ هذا الإجراء الذي خلده الله تعالى في كتابه الكريم ، إكراماً لنبيه صلى الله عليه وآله، وإزراء على من اجترأ على مقام النبوة والرسالة ، وأساء إليها».

راجع الملحق رقم (١٩و٢٠) وفيهما نقاط عن عائشة وحفصة .

أحداث قبل غزوة تبوك

١- توبة كعب بن زهير ومدحه للنبي صلى الله عليه وآله

كان الشاعر كعب بن زهير يهجو النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين ، فأهدر النبي صلى الله عليه وآله دمه. وبعد عودة النبي صلى الله عليه وآله من حنين قدم عليه كعب تائباً ، فأناخ بباب المسجد ، قال: فعرفت رسول الله صلى الله عليه وآله بالصفة فتخطيت حتى جلست إليه فأسلمت ، ثم قلت: الأمان يا رسول الله، أنا كعب بن زهير. وأنشده قصيدته المعروفة بقصيدة البردة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ	مُتَيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبولُ
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغنُّ غضيض الطرف مكحول
ومنها: وقال كل صديق كنت آمله	لا ألهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أباً لكم	فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته	يوماً على آلة حدباء محمول
نبئتُ أن رسول الله أوعدني	والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة	القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم	أذنب ولو كثرت فيَّ الأقاويل
ما زلت أقتطع البيداء مدرعاً	جنح الظلام وثوب الليل مسدول

إن الرسـول لنـور يستضـاء بـه مهنـد مـن سـيوف الله مسـلول

في عصبة من قريش قـال قـائلهم ببطن مكـة لمـا أسـلموا: زولـوا

شـم العـرانين أبطـال لبوسـهم من نسج داود في الهيجا سـرابيل

فكساه رسول الله صلى الله عليه وآله بردة له. (الصحيح من السيرة: ٢٦/٨٧، وابن هشام: ٤/ ٩٣٩).

٢- انضمام البحرين وعُمَان الى دولة النبيﷺ

في مكاتيب الرسولﷺ: ٣٦١/٢: «كتابهﷺ إلى جيفر وعبد ابني جلندي: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي: سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما ، إني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام ، فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما ».

وفي فتوح البلدان: ٨٨ وفي ط: ١٠٣ و١٠٤، قالوا: كان الغالب على عمان الأزد ، وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي ، فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله (ص) أبا زيد الأنصاري أحد الخزرج... بكتابه إلى عبد وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة٦ ، وقالﷺ لأبي زيد: خذ الصدقة من المسلمين والجزية من المجوس..

ووجه عمرو بن العاص في سنة ٨ بعد إسلامه بقليل وكان إسلامه في صفر سنة٨

وعمان.. على ساحل بحر اليمن في شرقي هجر تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل...قال ياقوت: وأكثر أهلها في أيامنا خوارج أباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب وهم لا يخفون ذلك ، وأهل البحرين بالقرب منهم بضدهم ، كلهم روافض سبائيون لا يكتمونه ولا يتحاشون ، وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً ».

وفي فتوح البلدان للبلاذري: ٩٢/١: « فلما قدم أبو زيد وعمرو عمان وجدا عبداً وجيفراً بصحار على ساحل البحر. فأوصلا كتاب النبي إليهما فأسلما، ودعوا العرب هناك إلى الإسلام، فأجابوا إليه ورغبوا فيه. فلم يزل عمرو وأبو زيد بعمان حتى قبض النبي(ص) ».

وذكر الطبري(٣٦٢/٢) أن سكان عمان كانوا مجوساً وكان العرب خارج البلد حولها .

وفي فتوح البلدان(٩٥/١):« فلما كانت سنة ثمان وجه رسول الله العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي حليف بني عبد شمس، إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى والى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية. فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم. فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء...
عن قتادة قال: لم يكن بالبحرين في أيام رسول الله قتال، ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر ».

٣- سرية علي عليه السلام لمنع تحويل طئ الى قاعدة للروم

بعد انتصار الروم على الفرس وقتل كسرى بيد ابنه ، دخل النظام الفارسي في صراع داخلي على منصب (الشاهنشاه) فارتفع خطرهم الفعلي عن النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين. لكن زاد خطر الروم ، وأخذ قيصر يحضِّر لغزو المدينة والجزيرة كما تقدم في غزوة مؤتة، وكان اعتماده على ملك الغساسنة في الشام ، وعلى الأكيدر الكندي ملك دومة الجندل في مدخل الجزيرة ، كما عمل على تحويل قبيلة طئ الى قاعدة مساندة لحملتهم ، وقد استجاب لدعوتهم عدي بن حاتم واعتنق المسيحية وكان يقضي وقتاً من سنته في الشام. « قدم على النبي صلى الله عليه وآله من الشام ودعاه إلى الإسلام فقال: إني نصراني ركوسي. فقال إنك لا دين لك، إنك تصنع ما لايصلح لك في ركوسيتك ، فأبصر وأسلم ». (تاريخ دمشق: ٧٨/٤٠).

وفي فايق الزمخشري:٦/٢:«إنك تأكل المرباع وهو لا يحل لك.. المرباع الربع ومثله المعشار ، وكان يأخذه الرئيس مع المغنم في الجاهلية. الركوسية قوم بين النصارى والصابئين».« والرِّكس بالكسر: الجسر ». (لسان العرب: ١٠١/٦).

فقد اختار عدي بن حاتم المسيحية الشرقية التي فيها أفكار من الصابئة ، ولا بد أن مذهبه أخذ ينتشر في قبيلته ، الذين كانوا وثنيين يعبدون صنمهم الفُلْس ، وله معبد مشهور ، وقد أهدى الحارث بن شمر ملك الغساسنة هدية لصنم طيء ، فيها سيوف ، مع أنه مسيحي على دين قيصر ! لذلك رأى النبي صلى الله عليه وآله أن يقلم أظافر قيصر من الجزيرة ، قبل غزوة تبوك ! فأرسل علياً عليه السلام في سرية الى قبيلة طئ.

قال في الصحيح من السيرة: ٣٣٥/٢٦ ، ملخصاً:« في شهر ربيع الآخر من سنة تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام في خمسين ومائة رجل أو مائتين من الأنصار كما ذكره ابن سعد ، على مائة بعير وخمسين فرساً ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفُلْس وهو صنم لطئ ليهدمه ، فوجدوا عيناً لطئ على بعد ليلة ، فأخذوه معهم وشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه ووجد في خزانته ثلاثة أسياف: رسوب والمخذم وكان الحارث بن أبي شمر ملك الشام قلده إياهما ، وسيف يقال له: اليماني ، وثلاثة أدرع .

وأخذوا من نعمهم وسبوا منهم ، وكان في السبي سفانة أخت عدي بن حاتم ، وهرب عدي إلى الشام ، فلما نزلوا رَكَك اقتسموا الغنائم ، وعزلوا للنبي صلى الله عليه وآله السيوف والخُمس ، ولم يقسم آل حاتم حتى قدم بهم المدينة.

وكانت أخت عدي إذا مرَّ النبي صلى الله عليه وآله تقول: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن علينا منّ الله عليك ، فسألها: من وافدك؟ فتقول: عدي بن حاتم. فيقول: الفار من الله ورسوله؟ فلما كان يوم الرابع مرّ النبي ، فلم تتكلم فأشار إليها رجل قومي فكلميه فكلمته أن يمن عليها فمن عليها فأسلمت. وسألت عن الرجل الذي أشار إليها، فقيل: علي وهو الذي سباكم أما تعرفينه؟ فقالت: لا والله ما زلت مُدْنِيَةً طرف ثوبي على وجهي ، وطرف ردائي على بُرقعي من يوم أُسرت حتى دخلتُ هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا وجه أحد من أصحابه.

وفي نص آخر قالت: يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولاتشمت بنا أحياء العرب؟ فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط! أنا ابنة حاتم طئ. فقال لها النبي ﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق. قالت: وكساني رسول الله ﷺ، وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت على أخي.

وخرجت سفانة بنت حاتم إلى الشام، قال عدي: «فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلي تؤمنا. قال: فقلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي! فلما وقفت عليَّ قالت: أنت القاطع الظالم، ارتحلت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك: أختك وعورتك؟! قال قلت: يا خية، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، ولقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي.

قال: فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن نلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن نذل في عز اليمن، وأنت أنت. قال قلت: والله إن هذا الرأي. قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده وعنده امرأة وصبيان فعرفت أنه ليس بمُلك كسرى ولا قيصر، فسلمت عليه فقال: مَن الرجل؟! قال قلتُ: عدي بن حاتم. فرحب به النبي ﷺ وقربه وأخذه الى بيته

فلقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. قال عدي: قلت في نفسي والله ما هذا بمَلِك. قال: ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إلي ، فقال: أجلس على هذه. قلت: بل أنت فاجلس . فقال: بل أنت فاجلس عليها. فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله على الأرض. فقلت في نفسي:ما هذا بأمر ملك! فدخل الإسلام في قلبي وأحببت رسول الله صلى الله عليه وآله حباً لم أحبه شيئاً قط !

قال: ثم أقبل عليَّ فقال: هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن توحد الله وهل من أحدٌ غير الله؟ هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن تكبر الله ومن أكبر من الله ؟ هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن تعظم الله ومن أعظم من الله؟ هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن لا إله إلا الله وهل من إله غير الله؟ هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن محمداً رسول الله؟! قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول نحو هذا وأنا أبكي . قال: ثم أسلمت .

قال: فلعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم والله لتفتحن عليهم كنوز كسرى بن هرمز. قلت: كنوز كسرى بن هرمز؟! قال: كنوز كسرى بن هرمز. قال عدي: فأسلمت ، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله قد استبشر ! قال عدي: وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وآله.

غزوة تبوك لمواجهة الروم

١- ملك دومة الجندل أكيدر بن عبد الملك

دُومة الجندل بضم الدال وفتحها: مدينة الجَوْف وضواحيها ، وهي الآن محافظة في شمال المملكة السعودية. « والدَّوْم شجر يشبه النخل إلا أنه يثمر المُقْل (ليف أو مسد تصنع منه الحبال) وله ليف وخوص مثل ليف النخل. ودومة الجندل.. خمسة فراسخ ومن قبل مغربه عين تَثِجّ فتسقي ما به من النخل والزرع.. واسم حصنها مارد ، وسميت دومة الجندل ، لأن حصنها مبني بالجندل ». (لسان العرب: ٢١٨/١٢).

« دومة الجندل: حصن منيع ومعقل حصين وبه عمارة ، وتتصل به عين التمر وبَرِّية خساف من بادية السماوة ». (نزهة المشتاق للإدريسي: ٣٥٢/١).

وفي قاموس الكتاب المقدس/٣٨١:« آدوم: إسم مكان ذكر في إشعياء٢١: ١١، مع سعير أو أدوم. ويعتقد بعضهم أن هذا المكان هو الواحة التي تسمى دومة الجندل وتدعى الآن الجوف وهي في الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية على نحو مسافة مائة ميل من حدود الأردن. وربما سكن نسل دومة بن إسماعيل هذه

البلاد». وفي الصحيح من السيرة: ١٢٦/١٠: «مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وتبعد عن المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة، وهي بقرب تبوك».

«أكيدر: صاحب دومة الجندل..وكودر: ملك من ملوك حمير».(لسان العرب: ١٣٥/٥).

وفي مكاتيب الرسول: ٣٣١/٣:« ذكر بعض الأخباريين أن كلباً كانت تحكم دومة الجندل، وأن أول من حكمها منهم دجاجة بن قنانة بن عدي.. بن جناب. وذكروا أيضاً أن الملك على دومة الجندل وتبوك كان لهم إلى أن ظهر الإسلام، وأنهم كانوا يتداولون الحكومة مع السكون من كندة، فلما ظهر الإسلام كان على دومة الجندل الأكيدر بن عبد الملك، وكان سوق دومة الجندل يعشرها كلب تارة وأكيدر أخرى. ويؤيد سلطة كلب وقوتها أن النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية إلى دومة مع عبد الرحمن بن عوف في السنة السادسة في شعبان فتزوج ابنة الأصبغ، وهو رأسهم وملكهم . راجع الطبري:٦٤٢/٢».

أقول: كانت دومة الجندل (دولة) تابعة لهرقل، وهي حدود بلاد الشام مع جزيرة العرب، ومع دولة المناذرة في العراق التي يحكمها الفرس. وقد انتشرت فيها المسيحية الى جانب الوثنية العربية، ومثلها تيماء ووادي القرى وتبوك. وعندما ضعف نفوذ الفرس بعد هزيمتهم على يد الروم، زاد نشاط الغساسنة والروم في هذه المناطق وتعاظم خطر الروم على النبي صلى الله عليه وآله.

وكان الأكيدر ملك الدومة على صلة وثيقة بمَلك الشام الحارث بن أبي شمر، الذي كان يعتبره ذراعه داخل الجزيرة، وكانا يُحَضِّرَان لغزو المدينة بأمر هرقل من قديم، ففي السنة الخامسة بلغ النبي صلى الله عليه وآله أن الأكيدر يجمع لغزو المدينة فغزاه بنفسه

في وقت سوق دومة الجندل السنوي ، فهرب الأكيدر الى صاحبه الحارث ملك الشام فقرر النبي ﷺ أن لا يهاجم السوق ، ورجع الى المدينة.

وتقدم في غزوة مؤتة أن ملك الشام الحارث بن أبي شمر قتل رسـول النبـي ﷺ الى حاكم عمّان ، واستخف برسوله اليه ، وعزم على غزو النبـي ﷺ فنهـاه قيصـر ، ولما بلغ النبي ﷺ ما كان منه قال: « بادَ ملكه ». (السيرة الحلبية: ٣/٣٠٤).

٢- غزوة النبي ﷺ لدومة الجندل في السنة الخامسة

قال الطبري: ٢/٢٣٢: « وفيها (السنة الخامسة) غزا دومـة الجنـدل فـي شـهر ربيـع الأول وكان سببها أن رسول الله (ص) بلغه أن جمعاً تجمعوا بها ودنوا من أطرافه ، فغزاهم رسول الله (ص) حتى بلغ دومة الجندل ، ولم يلق كيداً ».

وفي المحبـر/٥٨: «وكـان تجـار العـرب شـكوا إليـه ظلـم أكيـدر بـن عبـد الملـك السكوني فخرج (ص) مستهل المحرم يوم الإثنين ، فبلغ أكيدر إقباله فهرب وخلّى السوق ! ورجع (ص) من الطريق في صدر صفر ، ولم يلق كيداً ».

وفي الصحيح من السيرة: ١٠/١٢٦: «سمع ﷺ أن جمعاً من قضاعة وغسـان تجمعـوا بكثرة في دومة الجندل.. وأنهم يريدون أن يـدنوا مـن المدينـة... وخـرج لخمـس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف مـن أصـحابه ، فكـان يسـير الليـل ويكمـن النهار ، ومعه دليل من بني عُذْرة يقال له مذكور ، وقد نكب عـن طـريقهم ، فلمـا كان بينه وبين دومة يـوم قـال الـدليل: يـا رسـول الله إن سـوائمهم ترعـى عنـدك.. وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا ، ونزل ﷺ بساحتهم فلم يلق بها أحـداً ، فأقـام بهـا

أياماً ، وبث السرايا وفرقها ، فرجعوا ولم يصادفوا منهم أحداً ، ورجعت السرية بالقطعة من الإبل. فرجع صلى الله عليه وآله ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر ، فكانت غيبته خمساً وعشرين ليلة ».

وفي البدء والتاريخ/٢٣٢: «وأحسَّ بذلك أكيدر فهرب ، واحتمل الرحل وخلى السوق ، وتفرق أهلها ، فلم يجد رسول الله(ص)أحداً ، فرجع ».

٣- الوضع السياسي للروم عند غزوة تبوك

ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف/١٣٤، وهو مؤرخ خبير بالروم: أن أمبراطور الروم هرقل بدأ حكمه في سنة هجرة النبي صلى الله عليه وآله ، وحَكَم الى السنة الثانية من خلافة عثمان ، فكان قائد الروم في حروبهم مع الفرس وانتصارهم عليهم ، وفي حروبهم مع النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين ، وانتصار المسلمين عليهم.

وفي المقابل كان أمبراطور الفرس كسرى أبرويز عند هجرة النبي صلى الله عليه وآله في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه.

ولما ملك هرقل جَدَّ في حرب الفرس فكانت بينهم حروب منها في حوران وانتصر فيها الفرس وقال الله تعالى عنها: أَلَم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأرض.

أما انتصار الروم على الفرس فكان في السنة السادسة لهجرة النبي صلى الله عليه وآله عندما أرسل كسرى جيشاً الى القسطنطينية وحاصرها ، وأثناء حصارها ساءت العلاقة بينه وبين قائد جيشه شهر براز ، فاتفق مع هرقل ضد كسرى وانسحب من حصار

قسطنطينية ، فنشط هرقل في حرب جيوش كسرى في مصر وسوريا فهزمها ، وجمع جيشه في الجزيرة وسار بنفسه الى الموصل ، وخرج كسرى اليه في جيشه الخاص فاقتتلوا فانهزم الفرس ! ولما رأى ذلك كسرى غضب على كبار قادته ووعماله وحبسهم ليقتلهم ، وكان عددهم ثلاثين ألفاً ! فاتفق عليه شخصيات مملكته وخلعوه وملَّكوا ابنه شيرويه. (راجع الأخبار الطوال/١٠٦).

وعاد هرقل منتصراً من الموصل ، وقد اطمأن الى أن النظام الفارسي في حالة تفكك ، وكان له تأثير على ابن كسرى ، وقادة الجيش الفارسي المتصارعين.

وقد صح تقدير هرقل ، فبعد حكم كسرى لمدة ثمانية وثلاثين عاماً حكم ابنه شيرويه ستة أشهر ، وأصابته الكآبة والأمراض بعد قتله أباه وإخوته الخمسة عشر ! ثم حكم ابنه أردشير سنة ونصفاً. ثم حكم شهر براز أربعين يوماً. ثم حكم كسرى بن قباذ ثلاثة أشهر.

ثم حكمت بوران ابنة كسرى سنة ونصفاً ، وفي عهدها قال النبي صلى الله عليه وآله عن الفرس: لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. ثم حكم فيروز جشنس بنده ستة أشهر. ثم حكمت آزر ميدخت بنت كسرى ستة أشهر.

ثم حكم فرخزاد خسرو بن أبرويز سنة. ثم حكم يزجرد بن شهريار بن كسرى عشرين سنة ، وكان متخفياً هارباً من المسلمين حتى قتل في خلافة عثمان سنة ٣٢. (التنبيه والإشراف/٨٩ ، والمحبر/٣٦٢ ، واليعقوبي: ١/١٥٦، و١٧٢، والطبري: ١/٥٨٧).

وبعد انتصاره على الفرس ، بقي هرقل في بلاد الشام يرتب أمورها ، وصار واضحاً أن معركته المقبلة ستكون مع النبي صلى الله عليه وآله ، وأنه يُعِدُّ العُدة لذلك.

كان هرقل يهاب النبي صلى الله عليه وآله ويحسب لقوته حساباً أكثر مما يهاب كسرى، ولذلك أجاب على رسالة النبي صلى الله عليه وآله بجواب ليّن، وأنه يؤمن بأنه الرسول الأخير الذي بشر به عيسى عليه السلام، وأنه دعا بطارقة الروم ليؤمنوا به، لكنهم لم يطيعوه!

أراد بذلك أن يكسب الوقت للإعداد لحرب النبي صلى الله عليه وآله، وكان نهيه للحارث بن أبي شمر ملك الشام أن يغزو المدينة، إشفاقاً من هزيمته على يد النبي صلى الله عليه وآله.

وقد اتضحت سياسة هرقل وعداؤه للنبي صلى الله عليه وآله عندما أمر الحارث ملك الشام أن يقتل حاكم عَمَّان، لأنه بعث الى النبي صلى الله عليه وآله بإسلامه، ثم جاء الى تبوك بعد عودة النبي صلى الله عليه وآله منها، وأمر بقتل يوحنا حاكم أيلة وصلبه، لأنه كتب مع النبي صلى الله عليه وآله عهد صلح! كما كان أمر بقتل رسول النبي صلى الله عليه وآله الى حاكم بصرى من قبله، بينما أكرم هو رسوله وأجاب جواباً ليناً!

كان هرقل يحشد جيش غسان عند الحارث بن أبي شمر في الشام، وجيش كندة عند الأكيدر ملك دومة الجندل، ويهيء (طابوره الخامس) من متنصرة المدينة، ومنافقيها، ومنافقي قريش، وبقايا اليهود.

لكن كل ذلك عنده تمهيدات، فاعتماده الأساسي في كل معاركه على فرسان الروم المحترفين، الذي سيزحف بهم الى المدينة خلف هذا الجيش العربي!

وينبغي أن نشير الى دولتي العرب في الشام والعراق، اللتين كانتا تحت نفوذ الروم والفرس، فقد ذكروا أن أول ملوك الشام التابعين للروم جفنة بن عمرو بن ماء السماء.. وآخرهم جبلة بن الأيهم الذي لحق بالروم بعد فتح الشام.

أما في العراق فقد ملَّك الفرس على الحيرة: النعامنة والمناذرة وآخرين من تميم وكندة وغسان ، وآخرهم النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى وملَّك بعده أياس بن قبيصة الطائي وغيره ، ثم جاء الله بالإسلام. (التنبيه والإشراف/١٥٨٩).

٤- النبي ﷺ يعمل لنقل المعركة الى الشام وحصرها بالروم

في مقابل ذلك كان النبي ﷺ يرى أن هزيمة كسرى والصراع الداخلي على السلطة بعده ، تسهل على المسلمين فتح فارس.

أما هرقل فيجب توجيه رسالة قوية اليه والمبادرة الى الإشتباك معه في بلاد الشام ، لصرفه عن التفكير في غزو الجزيرة.

وكان ﷺ حريصاً على أن يتجنب المعركة مع الحكام المحليين التابعين لهرقل ويحصر المعركة مع جيشه الرومي ليضغط عليه أن ينسحب من الشام ومصر ، ويضغط على الحكام المحليين ليكونوا على الحياد، ويعقدوا معه معاهدات صلح.

وبهذه الرؤية أرسل النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن يتوغل بجيشه الى قريب القدس حيث الجيش الرومي المحترف ، ولم يأمره أن يثأر لرسوله من قاتله حاكم بصرى ، أو الحارث حاكم الشام ! وبذلك وجه رسالة الى هرقل أن موضع الإشتباك معه في عقره بالشام ومع جيشه الخاص ، وليس في الجزيرة !

وبهذه الرؤية قصد النبي ﷺ بنفسه مركزاً آخر لتجمع الجيش الرومي هو تبوك وكان يحث المسلمين على المعركة فيقول: «أغزوا الروم تنالوا بنات الأصفر» !

(تفسير القمي: ٢٩٣/١، والإستيعاب: ٢٦٦/١) فهو يوجههم الى المعركة المقبلة الطويلة مع الروم ، ويطمعهم بناتهم البيض ، وليس ببنات المنطقة السمر !

وكان قيصر أيامها في حمص وقيل في دمشق ، وكانت قواته الرومية فضلاً عن العربية في حالة استنفار ضد النبي صلى الله عليه وآله منذ أن راسله في السنة السادسة ودعاه الى الدخول في الإسلام ، أي قبل ثلاث سنوات من تبوك ، وكانت تبوك وحمص وأجنادين ومؤتة ، أهم نقاط تجمع الجيش الرومي .

وتبعد تبوك عن المدينة سبع مئة كيلو متر ، وهي الآن مدينة قرب الحدود السعودية الأردنية ، وتبعد عن عَمَّان أربع مئة وخمسين كيلو متراً ، وعن الشام نحو ذلك. وهي الأيكة التي ورد ذكرها في القرآن ، وبقربها مَدْيَن التي بعث فيها شعيب عليه السلام. (معجم البلدان: ٢٩١/١).

وقد علم هرقل بحركة النبي صلى الله عليه وآله بجيش من ثلاثين ألفاً ، فقد أخبره جواسيسه في المدينة والجزيرة بحركته ، وأنه أعلن مقصده ودعا الناس الى حرب الروم ! فأمر هرقل بسحب جميع قواته والقوات العربية من تبوك وأخلاها من أي قوة ، لأنه لا يريد أن يخوض معركة مع النبي صلى الله عليه وآله ! وبلغه ما فعل النبي صلى الله عليه وآله بالأكيدر ملك دومة الجندل ، وكتب معه معاهدة صلح ، فلم يحرك هرقل ساكناً .

وقد أقام النبي صلى الله عليه وآله في تبوك نحو عشرين يوماً وأرسل الى هرقل رسالة أو أكثر وتلقى جوابها ، وقد خلطها الرواة برسالة النبي صلى الله عليه وآله الأولى.

وقال المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٣٦:« وقد أتينا على ما كان بينه وبين هرقل ملك الروم من المراسلات في هذه الغزاة في حال مقامه بتبوك ، وهرقل يومئذ بحمص وقيل بدمشق ، فيما سلف من كتبنا».

٥- تبوك والثأر لجعفر بن أبي طالب رحمه الله

قال اليعقوبي في تاريخه:٢/٦٧:« سار رسول الله صلى الله عليه وآله في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشأم يطلب بدم جعفر بن أبي طالب رحمه الله ، ووجه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد ، وحض رسول الله صلى الله عليه وآله أهل الغنى على النفقة ، فأنفقوا نفقات كثيرة وقووا الضعفاء ».

وفي تاريخ ابن خلدون:٢ ق٢٢٤/١:« وَجَد النبي (حَزن) على من قتل من المسلمين ، ولا كوجده على جعفر بن أبي طالب لأنه كان تلاده ، ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يتهيؤا لغزو الروم ، فكانت غزوة تبوك ».

والمعنى أن حزنه صلى الله عليه وآله على جعفر رحمه الله كان عميقاً ، لأنه من ذخائره القديمة العزيزة.

٦- هرقل يحرك المنافقين والأكيدر لحرب النبي صلى الله عليه وآله

كان مسجد الضرار عملاً من جماعة أبي عامر الراهب ، الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله أبا عامر الفاسق ، وكانوا على صلة بقيصر الروم ، وقد بنوا (مسجدهم) في السنة التاسعة للهجرة ليكون مقراً لهم ، فكشفهم الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وآله فهدمه

وجعله المسلمون موضع كناسة ! وقد رأيت موضعه قبل نحو أربعين سنة الى يسار الداخل الى مسجد قباء ، وكان محل قمامة ، لكن الوهابيين أزالوه.

قال القمي في تفسيره:٣٠٥/١: « قوله: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ، فإنه كان سبب نزولها أنه جاء قوم من المنافقين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله أتأذن لنا أن نبني مسجداً في بني سالم للعليل والليلة المطيرة والشيخ الفاني؟ فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على الخروج إلى تبوك ، فقالوا: يا رسول الله لو أتيتنا فصليت فيه؟ قال صلى الله عليه وآله: أنا على جناح سفر فإذا وافيت إن شاء الله أتيته فصليت فيه فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك نزلت عليه هذه الآية في شأن المسجد وأبي عامر الراهب... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ، يعني أبا عامر الراهب كان يأتيهم في ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه. وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ: يعني مسجد قبا ، أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. قال كانوا يتطهرون بالماء.

وقوله: أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: مسجد ضرار الذي أسس عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله مالك بن الدخشم الخزاعي وعامر بن عدي على أن يهدموه ويحرقوه ، فجاء مالك فقال لعامر: إنتظرني حتى أخرج ناراً

من منزلي ، فدخل فجاء بنار وأشعل في سعف النخل ثم أشعله في المسجد فتفرقوا ، وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البلية ، ثم أمر بهدم حائطه ».

أما أبو عامر الفاسق فكان هرب الى القسطنطينية ، على أمل أن يعود بعد احتلال الأكيدر وأنصاره المدينة ، لكنه خاب وبقي هناك حتى مات ! (الإستيعاب: ٣٨١/١).

راجع في قصة أبي عامر الراهب: شرح النهج: ٢١٩/١٤ ، و٢٤٤، وسيرة ابن هشام: ٩٥٦/٤، ونظرية عدالة الصحابة/٤٥ ، وقصص الأنبياء/٣٤٩ ، وقصص الأنبياء للراوندي/٣٥٠ ، وتفسير الطبري: ٣٨/١١ ، والفخر الرازي: ١٩٤/١٦، والدر المنثور: ٢٧٧/٣، وتاريخ المدينة: ٥٤/١ ، والصحيح من السيرة: ١٣٠/٤.

٧- أكبر جيش في تاريخ الجزيرة

كان النبي صلى الله عليه وآله يعرف خصمه هرقل جيداً ويتعامل معه بلغة يفهمها ، ولذا أعد جيشاً كبيراً ، فأرسل الى القبائل والنواحي يدعوهم للسير معه الى غزو الروم ، وأراد بهذا الإعلان أن يجرئ العرب عليهم ولم تكن لهم جرأة قبل ذلك ، وأن يثبت لهرقل قوة المسلمين الذين رأى نموذجاً من بسالتهم في مؤتة !

قال المفيد في الإرشاد:١٥٤/١:«ثم كانت غزاة تبوك ، فأوحى الله تبارك وتعالى اسمه إلى نبيه صلى الله عليه وآله أن يسير إليها بنفسه ويستنفر الناس للخروج معه ، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يُمْنَى بقتال عدو ، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف ، وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم ، ليتميزوا بذلك وتظهر سرائرهم فاستنفرهم النبي صلى الله عليه وآله إلى بلاد الروم وقد أينعت ثمارهم واشتد القيظ عليهم ، فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبة في العاجل ، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها ،

وخوفاً من شدة القيظ وبعد المسافة ولقاء العدو ، ثم نهض بعضهم على استثقال للنهوض ، وتخلف آخرون».

وفي إعلام الورى:٢٤٣/١:«ثم كانت غزوة تبوك تهيأ رسول الله صلى الله عليه وآله في رجب لغزو الروم ، وكتب إلى قبائل العرب ممن قد دخل في الإسلام وبعث إليهم الرسل يرغبهم في الجهاد والغزو ، فكتب إلى تميم ، وغطفان ، وطئ ، وبعث إلى عتاب بن أسيد عامله على مكة ، يستنفرهم لغزو الروم». «وكتب كتباً إلى جميع القبائل التي أسلمت وقتئذ ، يدعوهم إلى غزو الروم ». (مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله: ٢١٦/١).

وفي الصحيح من السيرة:١٤٤/٢٩:«عن زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً.. عن أبي زرعة قال: كانوا بتبوك سبعين ألفاً...وكانت الخيل عشرة آلاف فرس...وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية. وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه بالإستكثار من النعال ، وقال: إن الرجل لا يزال راكباً ما دام منتعلاً ».

وفي تفسير القمي:٢٩٥/١:«وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله بتبوك رجل يقال له المضرب من كثرة ضرباته التي أصابته ببدر وأحُد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عُدَّ لي أهل العسكر ، فعدهم فقال: هم خمسة وعشرون ألف رجل ، سوى العبيد والتُّبَّاع. فقال: عُدَّ المؤمنين ، فعدهم فقال: هم خمسة وعشرون رجلاً ».

أقول: يبدو أن النبي صلى الله عليه وآله قصد بالمؤمنين أصحاب الدرجات العالية في الإيمان ولا بد أن يكون هذا الصحابي رحمه الله من هؤلاء الأصحاب الخاصين للنبي صلى الله عليه وآله ، وقد بحثت

عن (المضرب) فلم أجد له ترجمة في المصادر ، وله أمثال في الصحابة الخاصين ، كأبي ذر ، وعمرو بن الحمق الخزاعي .

٨- أخبر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين بمدة الغزوة ونتيجتها

من أساليب الإعجاز النبوي أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر المسلمين عن نتيجة معاركه مسبقاً ، كما حصل في بدر وخيبر وحنين وتبوك .

وقد كشف الإمام الكاظم عليه السلام قصة مسجد الضرار وعلاقته بهرقل وغزوة تبوك ، فقال كما في تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٤٨١:« ولقد اتخذ المنافقون من أمة محمد صلى الله عليه وآله بعد موت سعد بن معاذ ، وبعد انطلاق محمد صلى الله عليه وآله إلى تبوك ، أبا عامر الراهب ، اتخذوه أميراً ورئيساً وبايعوا له وتواطؤوا على إنهاب المدينة ، وسبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر أهله وصحابته ودبروا التبييت على محمد صلى الله عليه وآله ليقتلوه في طريقه إلى تبوك ، فأحسن الله الدفاع عنه وفضح المنافقين وأخزاهم. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لتسلكن سبيل من كان قبلكم ، حَذْوَ النعل بالنعل والقُذَّة بالقذة حتى أن أحدهم لو دخل جُحْرَ ضب لدخلتموه !

قالوا: يا ابن رسول الله ، وما كان هذا العجل ؟ وما كان هذا التدبير؟ فقال: إعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان تأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل ، وكانت تلك النواحي مملكة عظيمة مما يلي الشام، وكان يهدد رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يقصده ويقتل أصحابه ويبيد خضراءهم ! وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خائفين وجلين

من قبله حتى كانوا يتناوبون على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم عشرون منهم ، كلما صاح صائح ظنوا أن قد طلع أوائل رجاله وأصحابه !

وأكثرَ المنافقون الأراجيف والأكاذيب وجعلوا يتخللون أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ويقولون: إن أكيدر قد أعد لكم من الرجال كذا ، ومن الكراع كذا ، ومن المال كذا ، وقد نادى فيما يليه من ولايته: ألا قد أبحتكم النهب والغارة في المدينة !

ثم يوسوسون إلى ضعفاء المسلمين يقولون لهم: وأين يقع أصحاب محمد من أصحاب أكيدر؟ يوشك أن يقصد المدينة فيقتل رجالها ويسبي ذراريها ونساءها ! حتى آذى ذلك قلوب المؤمنين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما هم عليه من الجزع !

ثم إن المنافقين اتفقوا وبايعوا لأبي عامر الراهب الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله (الفاسق) وجعلوه أميراً عليهم وبخعوا له بالطاعة فقال لهم: الرأي أن أغيب عن المدينة لئلا أتهم إلى أن يتم تدبيركم.

وكاتبوا أكيدر في دومة الجندل ليقصد المدينة ليكونوا هم عليه وهو يقصدهم فيصطلموه. فأوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وعرفه ما أجمعوا عليه من أمره، وأمره بالمسير إلى تبوك. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله كلما أراد غزواً وَرَّى بغيره إلا غزاة تبوك فإنه أظهر ما كان يريده ، وأمرهم أن يتزودوا لها ، وهي الغزاة التي افتضح فيها المنافقون وذمهم الله في تثبيطهم عنها ، وأظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ما أوحى الله تعالى إليه أن الله سيظهره بأكيدر حتى يأخذه ويصالحه على ألف أوقية ذهب في

صفر ، وألف أوقية ذهب في رجب ، ومائتي حلة في رجب ومائتي حلة في صفر وينصرف سالماً إلى ثمانين يوماً !

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن موسى وعد قومه أربعين ليلة وإني أعدكم ثمانين ليلة ، أرجع سالماً غانماً ظافراً بلا حرب تكون ، ولا أحد يستأسر من المؤمنين ! فقال المنافقون: لا والله ولكنها آخر كرَّاته التي لا ينجبر بعدها ، وإن أصحابه ليموت بعضهم في هذا الحر ورياح البوادي ومياه المواضع المؤذية الفاسدة ، ومن سلم من ذلك فبين أسير في يد أكيدر وقتيل وجريح !

واستأذنه المنافقون بعلل ذكروها: بعضهم يعتل بالحر ، وبعضهم بمرض جسده ، وبعضهم بمرض عياله ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأذن لهم.

فلما صح عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على الرحلة إلى تبوك ، عمد هؤلاء المنافقون فبنوا خارج المدينة مسجداً وهو مسجد ضرار ، يريدون الإجتماع فيه ويوهمون أنه للصلاة ، وإنما كان ليجتمعوا فيه فيتم تدبيرهم ، ويقع هناك ما يسهل لهم به ما يريدون. ثم جاء جماعة منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: يا رسول الله إن بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنا نكره الصلاة في غير جماعة ويصعب علينا الحضور وقد بنينا مسجداً ، فإن رأيت أن تقصده وتصلي فيه لنتيمن ونتبرك بالصلاة في موضع مصلاك ، فلم يُعَرِّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما عرفه الله تعالى من أمرهم ونفاقهم فقال صلى الله عليه وآله: إئتوني بحماري فأتي باليعفور فركبه يريد نحو مسجدهم ، فكلما بعثه هو وأصحابه لم ينبعث ولم يمش ، وإذا صرف رأسه عنه إلى غيره سار أحسن

سير وأطيبه ! قالوا: لعل هذا الحمار قد رأى في هذا الطريق شيئاً كرهه ولذلك لا ينبعث نحوه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إئتوني بفرس ، فأتي بفرس فركبه فكلما بعثه نحو مسجدهم لم ينبعث ، وكلما حركوه نحوه لم يتحرك ، حتى إذا ولوا رأسه إلى غيره سار أحسن سير! فقالوا: ولعل هذا الفرس قد كره شيئاً في هذا الطريق ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعالوا نمشي إليه ، فلما تعاطى هو ومن معه المشي نحو المسجد جثوا في مواضعهم ولم يقدروا على الحركة ، وإذا هموا بغيره من المواضع خفت حركاتهم وخفت أبدانهم ونشطت قلوبهم !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذا أمر قد كرهه الله فليس يريده الآن، وأنا على جناح سفر فأمهلوا حتى أرجع إن شاء الله ، ثم أنظر في هذا نظراً يرضاه الله تعالى .

وجدَّ في العزم على الخروج إلى تبوك وعزم المنافقون على اصطلام مخلفيهم إذا خرجوا ! فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وشيَّعه علي عليه السلام خاض المنافقون فقالوا: إنما خلفه محمد بالمدينة لبغضه له ولملالته منه ، وما أراد بذلك إلا أن يُبَيِّته المنافقون فيقتلوه أويحاربوه فيهلكوه، فاتصل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي عليه السلام: تسمع ما يقولون يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما يكفيك أنك جلدة ما بين عيني ونور بصري وكالروح في بدني .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه وأقام علي عليه السلام بالمدينة فكان كلما دبر المنافقون أن يوقعوا بالمسلمين فزعوا من علي عليه السلام وخافوا أن يقوم معه عليهم من يدفعهم عن ذلك ! وجعلوا يقولون فيما بينهم: هي كرَّة محمد التي لا يؤوب منها !

فلما صار بين رسول الله ﷺ وبين أكيدر مرحلة ، قال تلك العشية: يا زبير بن العوام ويا سماك بن خرشة ، إمضيا في عشرين من المسلمين إلى باب قصر أكيدر فخذاه وأتياني به ! فقال الزبير: يا رسول الله وكيف نأتيك به ، ومعه من الجيوش الذي قد علمت ، ومعه في قصره سوى حشمه ألف ومائتان عبد وأمة وخادم؟!

فقال رسول الله ﷺ: تحتالان عليه فتأخذانه . قال: يا رسول الله وكيف نأخذه وهذه ليلة قمراء وطريقنا أرض ملساء ، ونحن في الصحراء لا نخفى؟!

فقال رسول الله ﷺ: أتحبان أن يستركما الله عن عيونهم ، ولا يجعل لكما ظلاً إذا سرتما ، ويجعل لكما نوراً كنور القمر لاتتبينان منه ؟ قالا: بلى. قال: عليكما بالصلاة على محمد وآله الطيبين معتقدين أن أفضل آله علي بن أبي طالب ، وتعتقد أنت يا زبير خاصة أنه لا يكون علي في قوم إلا كان هو أحق بالولاية عليهم ، ليس لأحد أن يتقدمه . فإذا أنتما فعلتما ذلك وبلغتما الظل الذي بين يدي قصره من حائط قصره ، فإن الله تعالى سيبعث الغزلان والأوعال إلى بابه فتحتك قرونها به فيقول: من لمحمد في مثل هذا ؟ ويركب فرسه لينزل فيصطاد ، فتقول امرأته: إياك والخروج فإن محمداً قد أناخ بفنائك ، ولست تأمن أن يكون قد احتال ودس عليك من يقع بك ! فيقول لها: إليك عني فلو كان أحد انفصل عنه في هذه الليلة لتلقته في هذا القمر عيون أصحابنا في الطريق ، وهذه الدنيا بيضاء لا أحد فيها ، ولو كان في ظل قصرنا هذا إنسيٌّ لنفرت منه الوحوش !

فينزل ليصطاد الغزلان والأوعال فتهرب من بين يديه ويتبعها ، فتحيطان به وأصحابكما فتأخذانه ! فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذوه ! فقال: لي إليكم حاجة . قالوا: وما هي فإنا نقضيها إلا أن تسألنا أن نخليك .

فقال: تنزعون عني ثوبي هذا وسيفي ومنطقتي وتحملونها إليه ، وتحملونني إليه في قميصي لئلا يراني في هذا الزي ، بل يراني في زي التواضع فلعله يرحمني ، ففعلوا ذلك.. فلما أتي به رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: يا محمد أقلني وخلني على أن أدفع عنك من ورائي من أعدائك .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فإن لم تف بذلك؟ قال: يا محمد إن لم أف بذلك فإن كنت رسول الله فسيظفرك بي من منع ظلال أصحابك أن تقع على الأرض حتى أخذوني ، ومن ساق الغزلان إلى بابي حتى استخرجني من قصري وأوقعني في أيدي أصحابك ! وإن كنت غير نبي فإن دولتك التي أوقعتني في يدك بهذه الخصلة العجيبة والسبب اللطيف ، ستوقعني في يدك بمثلها .

قال: فصالحه رسول الله صلى الله عليه وآله على ألف أوقية ذهب في رجب ومائتي حلة ، وألف أوقية في صفر ومائتي حلة ، وعلى أنهم يضيفون من مرَّ بهم من المسلمين ثلاثة أيام ، ويزودونه إلى المرحلة التي تليها ، على أنهم إن نقضوا شيئاً من ذلك فقد برئت منهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله...

وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله غانماً ظافراً ، وأبطل الله تعالى كيد المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بإحراق مسجد الضرار ، وأنزل الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ... الآيات ». (والبحار: ٢١/٢٥٨).

أقول: بعد معركة مؤتة ، رأى الروم أن جيش النبي صلى الله عليه وآله يتحفز ضدهم بجرأة وشجاعة وأنه سيعاود الكرة لأخذ ثأره ، فدبروا خطة أكيدر والمنافقين من قريش وأهل المدينة لاستئصال النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين بزعمهم ، ولهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يبقي علياً عليه السلام في المدينة ، بينما أراد المنافقون أن يغادرها لتخلو لهم !

وبهذا تعرف أن محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله في رجوعه من تبوك ، ومحاولة قتل علي عليه السلام في المدينة في تلك الفترة ، كانت خطة بديلة بعد فشل خطة هرقل في الأكيدر ملك دومة الجندل . وقد أنجى الله علياً عليه السلام في المدينة ، وأنجى نبيه صلى الله عليه وآله منها وأمره أن يخفي أسماء المشاركين فيها ، لئلا تعلن قريش الردة ، كما سيأتي !

٩- عَسْكرَ النبي صلى الله عليه وآله في ثنية الوداع

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٣٥: «ثم غزوة رسول الله(ص) في رجب تبوك مما يلي دمشق من أرض الشام ، وبين تبوك والمدينة تسعون فرسخاً ، وذلك مسيرة اثنتي عشرة ليلة ، وكان معه في هذه الغزاة ثلاثون ألفاً ، الخيل عشرة آلاف والإبل اثنا عشر ألف بعير ، ويسمي جيش العسرة لأنهم أمروا بالخروج لما طابت الثمار واشتد الحر وطاب لهم الظلال ، وشق عليهم الخروج لبعد المسافة وعسرة من الماء وعسرة من النفقة والظهر. وحث رسول الله (ص) الأغنياء على

النفقة والحملان ، فصار إلى تبوك فأقام بها بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ، يصلي ركعتين ركعتين ، وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها علي بن أبي طالب ».

وفي الإختصاص/٣٤٢ ، وتفسير القمي:٢٩٠/١، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «خطب النبي صلى الله عليه وآله لما أراد الخروج إلى تبوك بثنية الوداع فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس إن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص القرآن ، وخير الأمور عزائمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف القتل قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما ألقى في القلب اليقين ، والإرتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جمر جهنم ، والسكر جمر النار ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الآثام ، والنساء حبالات إبليس ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ،

والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواتيمه ، وأربى الربا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه معصية ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يبالي على الله يكذبه ، ومن يعفو يعف الله عنه ، ومن كظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يبتغ السمعة يسمع الله به ، ومن يصم بصره ومن يعصى الله يعذبه الله. اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي. أستغفر الله لي ولكم .

قال: فرغب الناس في الجهاد ، لما سمعوا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقدمت القبائل من العرب ممن استنفرهم. وقعد عنه قوم من المنافقين ، ولقي رسول الله الجد بن قيس فقال له: يا أبا وهب ألا تنفر معنا في هذه الغزاة لعلك أن تستحفد من بنات الأصفر ! فقال: يا رسول الله والله إن قومي ليعلمون أنه ليس فيهم أحد أشد عجباً بالنساء مني ، وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر ، فلا تفتنِّي وائذن لي أن أقيم !

وقال لجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحر، فقال ابنه: تردُّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول له ما تقول ، ثم تقول لقومك لا تنفروا في الحر ! والله لينزلن في هذا قرآناً تقرأه الناس إلى يوم القيامة ! فأنزل الله على رسوله في ذلك: **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاتَفْتِنِّي ، أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** .

ثم قال الجد بن القيس: أيطمع محمد أن حرب الروم مثل حرب غيرهم ، لا يرجع من هؤلاء أحد أبداً » !

١٠- استخلف علياً عليه السلام وودعه وناجاه

في المسترشد لمحمد بن جرير الطبري الشيعي/٤٤٣:« وكان سبب تخلف علي عليه السلام عنه أن تبوك بعيدة عن المدينة فلم يأمن الرسول صلى الله عليه وآله العرب أن يصيروا إليها ، إذ كان قد وترهم وسفك دماءهم... وأخرى أنه علم صلى الله عليه وآله أنه لا يكون هناك قتال. وخرج في جيش يُروى أنهم كانوا أكثر من أربعين ألف رجل ، وخلَّف بالمدينة جيشاً وهو علي عليه السلام وحده... فحصن الله عز وجل به المدينة وعفف به حرمهم ، فتكلم فيه المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استثقالاً له ! فلحق علي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله زعم المنافقون أنك خلفتني استثقالاً لي؟ فتضاحك رسول الله ، ثم أمر فنودي في الناس كلهم فاعصوصبوا وتجمعوا ، فقال صلى الله عليه وآله: يا أيها الناس ما فيكم من أحد إلا وله خاصة من أهله ، ألا إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ! فصار علي من النبي عليه السلام بذلك المكان الذي أردوا أن يضعوا منه ، بمنزلة هارون من موسى في أسبابه كلها ، إلا ما استثناه من النبوة. ولا أحسبهم يأتون بمثلها في أحد من العالمين ».

وفي المناقب لمحمد بن سليمان:٥٢٣/١:« عن الحارث بن ثعلبة قال: قلت لسعد بن أبي وقاص: هل شهدت لعلي منقبة؟ قال: شهدت لعلي أربع مناقب لأن يكون لي إحداهن أحب إلي من الدنيا وما فيها ! والخامسة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك فخلف علياً في أهله فقالت قريش استثقله ! فجاء علي فأخذ بغرز الناقة

وقال: يا رسول الله إني لخارج معك وتابعك ، زعمت قريش أنك استثقلتني! فقال: هل منكم إلا وله خاصة من أهله؟أنت مني بمنزلة هارون من موسى ».

وقال المفيد رحمه الله في الإرشاد:١/١٥٤:« فاستخلفه ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً وذلك فيما تظافرت به الرواية أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك ، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه ، وعلموا أنها تنحرس به ولا يكون للعدو فيها مطمع ، فساءهم ذلك !

وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والإختلاط عند نأي النبي صلى الله عليه وآله عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها ! وغبطوه عليه السلام على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله ، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر. فأرجفوا به وقالوا: لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله إكراماً له وإجلالاً ومودة ، وإنما خلفه استثقالاً له... فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به ، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقالاً ومقتاً !

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إرجع يا أخي إلى مكانك ، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي... وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الأخوة واستثناه هو من النبوة .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله جعل له كافة منازل هارون من موسى ، إلا المستثنى منها لفظاً أو عقلاً... وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته ، وأنه كان أحب قومه إليه وأفضلهم لديه. قال الله عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. فأجاب الله تعالى مسألته وأعطاه سؤله في ذلك وأمنيته حيث يقول: قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى...

ولو علم الله تعالى أن نبيه صلى الله عليه وآله في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عليه السلام».

وفي خصائص الأئمة/٦٦:« وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أجمع على المضي إلى تبوك ناجى أمير المؤمنين عليه السلام فأطال ، فقال أبو بكر لعمر: لقد أطال مناجاته لابن عمه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله ما أنا ناجيته ولكن الله ناجاه ، وفي ذلك يقول حسان:

ويوم الثنية عند الوداع وأجمع نحو تبوك المضيا

تنحى يودعه خالياً وقد وقف المسلمون المطيا

فقالوا يناجيه دون الأنام بل الله أدناه منه نجيا

علي فم أحمد يوحي إليه كلاماً بليغاً ووحياً خفيا ».

وفي مناقب ابن سليمان:٣٣٣/١ ، عن أبي رافع قال:« لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزوة تبوك خلف علياً وكثرت فيه الأقاويل من الناس فقالوا: لم يخلقه إلا بغضاً له وكراهية أن يتبعه ! فبلغ ذلك علياً فلحقه على مرحلة أو مرحلتين فسار محادثه وهما على بعيرين لهما والناس ينظرون إليهما وأنا قريب منهما ، فجاءت عائشة

لما رأت حالهما ومناجاة كل واحد منهما لصاحبه فأدخلت بعيرها بينهما ، فالتفت إليها رسول الله ﷺ ثم قال: أما والله ما يومه منك بواحد! ثم قال: أما ترضى يا علي أنك أخي في الدنيا والآخرة وأنك خير أمتي في الدنيا والآخرة ، وأن امرأتك خير نساء أمتي في الدنيا والآخرة ، وأن ابنيك سيدا شباب أهل الجنة في الدنيا والآخرة وأنك أخي ووزيري ووارثي. انصرف فلايصلح ما هناك إلا أنا أوأنت ».

١١- أبو ذر تأخر به بعيره

في تفسير القمي:٢٩٤/١:« وتخلف عن رسول الله ﷺ قوم من أهل ثبات وبصائر لم يكن يلحقهم شك ولا ارتياب ، ولكنهم قالوا نلحق برسول الله ﷺ.

منهم أبو خثيمة ، وكان قوياً وكانت له زوجتان وعريشتان ، فكانت زوجتاه قد رشتا عريشتيه وبردتا له الماء وهيئتا له طعاماً ، فأشرف على عريشته ، فلما نظر اليهما قال: والله ، ما هذا بإنصاف ! رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قد خرج في الصخ والريح وقد حمل السلاح مجاهداً في سبيل الله ، وأبو خثيمة قوي قاعد في عريشته وامرأتين حسناوتين ! لا والله ما هذا بإنصاف !

ثم أخذ ناقته فشد عليها رحله فلحق برسول الله ﷺ فنظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك فقال رسول الله ﷺ كن أبا خثيمة ، فأقبل وأخبر النبي ﷺ بما كان منه فجزَّاه خيراً ودعا له .

وكان أبو ذر رحمه الله تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام ، وذلك أن جمله كان أعجف ، فلحق بعد ثلاثة أيام به ، ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه وحمل ثيابه على ظهره ، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كن أبا ذر، فقالوا: هو أبو ذر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أدركوه بالماء فإنه عطشان ! فأدركوه بالماء ، ووافى أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه إداوة فيها ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا ذر معك ماء وعطشت ؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد ، فقلت لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال رسول الله: يا أبا ذر رحمك الله تعيش وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك ، وتدخل الجنة وحدك ، يسعد بك قوم من أهل العراق ، يتولون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك » !

ونحوه ابن هشام: ٩٥٠/٤، والطبري: ٣٧١/٢، وفي الكشاف: ٢١٩/٢: فقال رسول الله(ص) لما رأى سوادة..

أقول: فسر بعضهم قول النبي صلى الله عليه وآله (كن أبا ذر) بأنه على نحو المعجزة ، فهو إعمال للولاية التكوينية التي أعطاها الله لرسوله صلى الله عليه وآله.

قال الشعراني الصوفي في الجواهر والدرر: ٣/ ١٢٣: « هل يعطى أحد من الأولياء التصرف بكن في هذه الدار؟ فقال: نعم بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وآله فإنه تصرف بها في عدة مواطن منها قوله في غزوة تبوك: كن أبا ذر ، فكان أبا ذر ».

وقال ابن عربي الصوفي في الفتوحات المكية: ١٢٦/٢: « جاء عن رسول الله(ص) في غزوة تبوك أنهم رأوا شخصاً فلم يعرفوه فقال رسول الله: كن أبا ذر ، فإذا هو أبو ذر ، ولم يقل بسم الله فكانت كن منه كن الإلهية ، فإنه قال الله تعالى فيمن أحبه

حب النوافل كنت سمعه وبصره ولسانه الذي يتكلم به. وقد شهد الله لمحمد (ص) بأن له نافلة بقوله تعالى: ومن الليل فتهجد به نافلة لك. فلا بد أن يكون سمعه الحق وبصره الحق وكلامه الحق، ولم يشهد بها لأحد من الخلق على التعيين. فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله، وفضلت له نوافل أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة، وجعل علامتها أن يكون الحق سمعهم وبصرهم ويدهم وجميع قواهم. ولهذا دعا رسول الله (ص) أن يكون كله نوراً فإن الله نور السماوات والأرض. ولهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالإله وتقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء، فاختلفت العبارات وتوحد المعنى، ونحن نرغب إلى الله ونضرع أن لا يحجبنا في تخلقنا بالأسماء الإلهية عن عبوديتنا».

وقال صدر المتألهين الشيرازي في الأسفار:٩/٨:« وإنا قد قدمنا إليكم يا إخواني في الطريق من أنوار الحكم ولطائف الكلم مبادئ عقليات وضوابط كليات وقوانين ميزانية وأحكاما ذهنية، هي مقدمات ذوات فضائل جمة ودرجات للمسير إلى الله بقدم الفكر والهمة، وهي معارج للإرتقاء إلى معرفة الإلهية والإعتلاء إلى شهود جمال الأحدية وصفاته الواجبية، ومجاورة المقدسين ومنادمة أهل الملكوت والعليين، من مقاصد أصحاب الوحي والتنزيل ومحكمات أسرار أهل التأويل، الآخذين علومهم عن الملائكة المقربين والحفظة الكرام الكاتبين... فهذا العلم يجعل الإنسان ذا ملك كبير، لأنه الأكسير الأعظم الموجب للغنى الكلي والسعادة الكبرى، والبقاء على أفضل الأحوال،

والتشبه بالخير الأقصى والتخلق بأخلاق الله تعالى ، ولذلك ورد في بعض الصحف المنزلة من الكتب السماوية أنه قال سبحانه: يا ابن آدم خلقتك للبقاء وأنا حي لا أموت ، أطعني فيما أمرتك وانته عما نهيتك أجعلك مثلي حياً لا تموت... فهذا مقام من المقامات التي يصل إليها الإنسان بالحكمة والعرفان ! وهو يسمى عند أهل التصوف بمقام كن ، كما ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك أنه قال: كن أبا ذر ، فكان أبا ذر . وله مقام فوق هذا يسمى بمقام الفناء في التوحيد ، المشار إليه بقوله تعالى في الحديث القدسي: فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر.. الحديث. وسينكشف لك في هذا السفر بيان هذا المطلب بالبرهان ويلقى إليك معرفه العلم الذي من أجله يستوجب من علمه وعمل بموجبه تلك البهجة الكبرى والمنزلة العظمى ، فافهم واغتنم به وكن به سعيداً ، ولا تلقه الا إلى أهله العامل بمقتضاه وموجبه».

أقول: لا كلام في إمكان أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قال للسوادة: كن أبا ذر ، فكان على نحو الإعجاز. لكن الإشكال في زعمهم أن ذلك مقامٌ يمكنهم أن يبلغوه هم، ودعوتهم الناس أن يتبعوهم لكي يبلغوه !

ولم يكتفوا بذلك حتى اخترعوا مقاماً أعلى منه هو الفناء في التوحيد !

قال صدر المتألهين في الأسفار(١٨/٢): « فإن المنازل اللائقة بالأولياء هذه ، وكذا يترقون من الواحدية إلى الفناء في الأحدية ، ويسافرون من الحق إلى الخلق ».

وقال في (١٨٣/٣):« فالعشق الأكبر عشق الإله جل ذكره وهو لا يكون إلا للمتألهين الكاملين الذين حصل لهم الفناء الكلي. وهؤلاء هم المشار اليه في قوله تعالى: يُحِبُّهُمْ

ويُحِبُّونه ، فإنه في الحقيقة ما يُحب إلا نفسه لا غيره ، فالمحب والمحبوب في الطرفين شئ واحد .

والأوسط عشق العلماء الناظرين في حقائق الموجودات المتفكرين دائماً في خلق السماوات والأرض كما في قوله تعالى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. وهو عذاب الفرقة والإحتجاب عن رؤية الآثار وجنه الأفعال.

والأصغر عشق الإنسان الصغير ، لكونه أيضاً أنموذجاً مما في عالم الكبير كله والعالم كله كتاب الحق الجامع ، وتصنيف الله الذي أبرز فيه كمالاته الذاتية ومعانيه الإلهية ، وكتاب الإنسان مجموعة مختصرة ، فيه آيات الكتاب المبين ، فمن تأمل فيه وتدبر في آياته ومعانيه بنظر الإعتبار يسهل عليه مطالعة الكتاب الكبير وآياته ومعانيه وأسراره ! وإذا اتفق وأحكم معاني الكتاب الكبير يسهل معها العروج إلى مطالعة جمال الله وجلال أحديته ، فيرى الكل منطوياً في كبريائه مضمحلاً تحت أشعة نوره وضيائه».

فهذا المذهب يدعي أولاً: أن مقامات الأنبياء والأئمة عليهم السلام ثمرة لسلوكية معينة .

ويدعي ثانياً: أن باستطاعة الإنسان أن يصل الى تلك المقامات !

ويدعي ثالثاً: لأئمته وأساتيذه مقامات شبيهة بمقامات المعصومين عليهم السلام.

ونلاحظ أنهم جعلوا عشق الإنسان من عشق الله تعالى أو مقدمة له لأن الله:« أبرز فيه كمالاته الذاتية ومعانيه الإلهية» ! ولم يبينوا من هو ذلك الإنسان ، فإن قصدوا غير المعصوم فهو كلام باطل. ولايتسع المجال لتفصيل هذه المطالب.

١٢- في ذهابه الى تبوك أسَرَ الأكيدر وأطلقه

تقدمت الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله عندما وصل الى دومة الجندل أرسل الزبير وأبا دجانة الأنصاري ليلاً في سرية من عشرين شخصاً ، فأسروا الأكيدر بآية ربانية ، وأتوه به فكتب معه معاهدة وأطلقه.

لكن رواة السلطة أعطوا هذه السرية الى خالد بن الوليد ، وأطلقوا خيالهم في جيشها وكيفيتها ، فقالوا إن النبي صلى الله عليه وآله أرسله من تبوك الى الدومة فأسر الأكيدر !

ويكفي لرد ذلك أن راية المهاجرين كانت بيد الزبير وليست بيد خالد ، وأن يوحنَّه حاكم إيلات ومن جاورها جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله في تبوك ، لمَّا سمعوا بما حدث للأكيدر ، وأن دومة الجندل أقرب الى المدينة من تبوك ، فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله ليجتازها قاصداً تبوك ويتركها خطراً خلفه أو الى جنبه !

وقد نص اليعقوبي(٦٧/٢) على أن النبي صلى الله عليه وآله تحرك في غرة رجب ، ووصل الى تبوك في شعبان أي بعد شهر أو أكثر ، والمسافة الى تبوك على أكثر تقدير عشرون يوماً ، فالباقي كان في فرق الطريق الى دومة الجندل وتنفيذ الخطة النبوية في الأكيدر .

وفي مغازي الواقدي/٦١٥: « وكانت دومة وأيلة وتيماء قد خافوا النبي (ص) لما رأوا العرب قد أسلمت . وقدم يُحنة بن رؤبة على النبي(ص) وكان ملك أيلة وأشفقوا أن يبعث إليهم رسول الله (ص) كما بعث إلى أكيدر ، وأقبل معه أهل جرباء وأذرح فأتوه فصالحهم ، فقطع عليهم الجزية جزية معلومة وكتب لهم كتاباً ».

١٣- راسل النبي ﷺ هرقل من تبوك

أقام النبي ﷺ في تبوك نحو عشرين يوماً ، لأنه راسل هرقل وانتظر جوابه ، ففي الخرائج: ١٦٩/١: « واختلفت الرسل بين رسول الله ﷺ وملك الروم ، فطالت في ذلك الأيام حتى نفد الزاد فشكوا إليه نفاده فقال ﷺ: من كان معه شئ من دقيق أو تمر أو سويق فليأتني به ، فجاءه رجل بكف تمر والآخر بكف سويق فبسط رداءه وجعل ذلك عليه ووضع يده على كل واحد منها ، ثم قال: نادوا في الناس: من أراد الزاد فليأت ، فأقبل الناس يأخذون الدقيق والتمر والسويق حتى ملؤوا جميع ما كان معهم من الأوعية ، وذلك الدقيق والتمر والسويق على حاله ، ما نقص من واحد منها شئ ولا زاد على ما كان ».

ويشعر قوله«واختلفت الرسل» وكذا تعبير غيره من المصادر أنهما تبادلا أكثر من رسالة ، لكن لم تذكر المصادر إلا رسالة واحدة ، شبيهة برسالة النبي ﷺ الى هرقل في السنة السادسة .

ففي مكاتيب الرسول ﷺ:٤١٠/٢:« من محمد رسول الله إلى صاحب الروم: إني أدعوك إلى الإسلام ، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، فإن لم تدخل في الإسلام ، فأعط الجزية ، فإن الله تبارك وتعالى يقول: قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وإلا فلا تَحُل بين الفلاحين وبين الإسلام ، أن يدخلوا فيه ، أو يعطوا الجزية ».

لكن هذا النص للرسالة ناقص، فجواب هرقل يدل على أنه كان فيها آية: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. فقد رووا عن رجل تنوخي إسمه سعيد بن أبي راشد أنه قال: لما جاء كتاب رسول الله (ص) دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم غلق عليه وعليهم الدار ، فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني إلى أن أتبعه على دينه أو على أن نعطيه ما لنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب ، والله لقد عرفتم فيما تقرؤن من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي ، فهلم نتبعه على دينه أو نعطيه مالنا وأرضنا ! فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية ، أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز ! فقال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم !

ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب فقال: أدع لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاء بي ، فدفع إليَّ هرقل كتاباً وقال: إذهب بكتابي إلى هذا الرجل فما ضيعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال: أنظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشئ ، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل وانظر في ظهره هل به شئ يريبك ، فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء فقلت: أين صاحبكم؟ قيل ها هوذا فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: ممن أنت؟ فقلت: أنا أحد تنوخ. قال: هل لك في الإسلام

الحنيفية ملة أبيك إبراهيم؟ قلت إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم ، فضحك وقال: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين. يا أخا تنوخ إني كتبت بكتابي إلى كسرى فمزقه والله ممزقه وممزق ملكه ، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مُخرقه ومخرق ملكه ، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزل الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير. قلت: هذه إحدى الثلاثة التي أوصاني بها صاحبي ، وأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره.. فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنة عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فأين النار؟ فقال رسول الله: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار ؟ قال فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي ». (سبل الهدى: ٣٥٦/١١).

وقد أجاب النبي ﷺ على ادعاء هرقل أنه مسلم مؤمن بنبوته فقال:« كذب بل هو على نصرانيته». (مكاتيب الرسول ﷺ:٤١٠/٢ ، وفتح الباري:٣٥/١ ، والروض الأنف:٣٠٢/٤).

وفي مغازي الواقدي/٦٠٨:«وكان هرقل قد بعث رجلاً من غسان إلى النبي (ص) فينظر إلى صفته وإلى علاماته إلى حمرة في عينيه ، وإلى خاتم النبوة بين كتفيه ، وسأل فإذا هو لا يقبل الصدقة ، فوعى أشياء من حال النبي(ص) ثم انصرف إلى هرقل فذكر له ذلك ، فدعا قومه إلى التصديق به فأبوا حتى خافهم على ملكه ، وهو في موضعه لم يتحرك ولم يزحف». أي لم يحرك جيشه الى تبوك !

١٤- انتقم هرقل من يوحنا فقتله ولم ينتقم من الأكيدر !

كان سحب هرقل قواته من تبوك حتى لايشتبك مع النبي صلى الله عليه وآله تخاذلاً واضحاً ، وحتى لو لم تكن له قوات هناك ، فالواجب على أمبراطور أن يبادر الى قتال جيش معادٍ من ثلاثين ألفاً دخل في عمق بلاده وعسكر في مكان قريب منه ، وأسر أحد الملوك التابعين له وهو الأكيدر ، وكتب معه معاهدة صلح يدفع بموجبها جزية كبيرة مرتين في السنة ، وخاف منه حكام محليون فجاؤوه طائعين أو مكرهين وكتبوا معه معاهدات ، يدفعون بموجبها الجزية.

لكن هرقل لم يفعل ، وواصل استعمال أسلوب الدهاء الغربي لكسب الوقت ، وأجاب النبي صلى الله عليه وآله بأنه مؤمن به ، لكن وزراءه وبطارقته لا يقبلون !

فقال النبي صلى الله عليه وآله عن هرقل:«كذب عدو الله إنه على نصرانيته» وصدق رسول الله فقد قتل هرقل حاكم عَمَّان لأنه أسلم ، وقتل رسول النبي صلى الله عليه وآله الى حاكم بصرى ، وقتل يوحنا حاكم إيلات ، لأنه وقع مع النبي صلى الله عليه وآله معاهدة صلح !

قال الواقدي في المغازي/٦١٥:«وكانت دومة وأيلة وتيماء قد خافوا النبي (ص) لما رأوا العرب قد أسلمت ، وقدم يُحَنَّه بن رؤبة على النبي (ص) وكان ملك أيلة ، وأشفقوا أن يبعث إليهم رسول الله (ص) كما بعث إلى أكيدر. وأقبل معه أهل جرباء وأذرح فأتوه فصالحهم ، فقطع عليهم الجزية جزية معلومة وكتب لهم كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم هذا أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله ، ليُحَنَّهْ بن رؤبة وأهل أيلة لسفنهم وسائرهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول

الله ، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. ومن أحدث حدثاً فإنه لايحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر ». ومكاتيب الرسول: ١١٦/٣، ومعجم البلدان: ٢٩٢/١ والطبري: ٣٧٢/٢ ، وابن هشام: ٩٥٢/٤ ، والتبيان: ١٧٢/٥.

وجاء يوحنا بعد ذلك الى المدينة فروي عن جابر رضي الله عنه أنه قال:« رأيت يحنة بن رؤبة يوم أتى به إلى النبي (ص) عليه صليب من ذهب وهو معقود الناصية ، فلما رأى النبي(ص) كفَّرَ وأومأ برأسه ، (وضع يديه على بعضهما لأن ذلك من فعل الفرس والروم في الخضوع لملكهم) فأومأ إليه النبي(ص): إرفع رأسك ! وصالحه يومئذ وكساه رسول الله (ص) برداً يمنية ، وأمر له بمنزل عند بلال .

وكتب رسول الله(ص) لأهل جر باء وأذرح هذا الكتاب: من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجبٍ وافية طيبة والله كفيل عليهم.. وكتب لأهل مقنا». (مغازي الواقدي/٦١٥).

وبلغ خبر يوحنا الى هرقل فأمر بقتله ، وصلبه عند قريته ! (ابن خلدون: ٢/ق١/٢٢٤).

بل انتظر هرقل حتى انسحب النبي صلى الله عليه وآله من تبوك وجاء وقتل يوحنا ! قال الشيخ الغزالي في التسامح/١٤٠: « ما إن عاد المسلمون من تبوك حتى جاء هرقل ! فأمر بقتل يوحنا بن رؤبة أمير أيلة ، ثم صلبه إمام قريته لأنه رضي بعقد صلح مع المسلمين».

لكن هرقل سكت عن معاهدة الأكيدر مع النبي صلى الله عليه وآله ، لأن لقتله إياه مضاعفات !

١٥- الصحابة يتآمرون لقتل النبي صلى الله عليه وآله في عقبة تبوك !

١. اعترفت مصادر الجميع بحصول هذه المؤامرة ، وتُعرف بليلة العقبة ، ويُعرف

منفذوها بأصحاب العقبة ! لكنهم اتفقوا على إخفاء إسماء (أبطالها) !

روى مسلم في صحيحه: ١٢٣/٨، عن أبي الطفيل قال:«كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذْ سألك ! قال: كنا نُخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ! وعَذَرَ ثلاثة قالوا: ما سمعناه منادي رسول الله (ص) ولا علمنا بما أراد القوم ! وقد كان في حَرَّة فمشى ، فقال: إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ ».

وتدل هذه الرواية الرسمية على أن المتآمرين كانوا بعد النبي صلى الله عليه وآله بين المسلمين وكان حذيفة يعرفهم ، وكذا عمار ، وكذا أهل البيت عليهم السلام. وقد أبهمت الرواية الموضوع ، وذكرت أن النبي صلى الله عليه وآله عَذَر ثلاثة منهم غير الأربعة عشر ، لأنهم قالوا إنهم كانوا في محل الجريمة صدفةً ، ولم يكونوا مع المتآمرين ، حيث لم يسمعوا منادي النبي صلى الله عليه وآله يطلب من المسلمين أن يمروا من الوادي ، ولا يصعدوا العقبة !

أما قصة الماء ونهي النبي صلى الله عليه وآله أن يشربوا منه إذا وصلوا اليه قبله ، فهي منفصلة عن مؤامرة العقبة ، فقد كان ذلك الماء قليلاً وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يباركه ويجريه بما يكفي الجيش والمنطقة ، فوصل اليه جماعة قبله وعصوا وشربوا منه ، وهم من أصحاب العقبة وغيرهم ! فلعنهم النبي صلى الله عليه وآله ثانية بعد لعنة العقبة !

٢. روى المفسرون مؤامرة العقبة في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. ((٧٣-٧٤).

قال البيضاوي في تفسيره:١٥٨/٣:« وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، من الفتك بالرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذ تسنم العقبة بالليل ! فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها ، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله ، فهربوا».

وفي الخصال/٤٩٩ ، عن حذيفة أنهم أربعة عشر ، ثم عدَّد أسماءهم كما يأتي ، وقال: «وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ».

٣. اتفقت روايتهم على أن المؤامرة كانت لقتل النبي صلى الله عليه وآله في نقطة معينة من العقبة ،

قال الصحابي عامر بن واثلة كما في روايتهم الصحيحة: « أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه ». (مسند أحمد: ٤٥٣/٥). كما اتفقوا على أن غزوة تبوك كانت في الصيف وكانوا يسيرون ليلاً اتقاء الحر ، وكان أمامهم طريق مختصر من العقبة لا يناسب جيشاً من ثلاثين ألفاً ، فسلك الجيش طريق الوادي ، وقرر النبي صلى الله عليه وآله أن يسلك طريق العقبة ، وأحس بأن بعضهم يأتمر عليه فنادى مناديه أن لايسلك أحد العقبة ، فبادر المتآمرون وصعدوا الجبل ليدحرجوا صخوراً كبيرة عليه فتقتله ، أو

تنفر ناقته صلى الله عليه وآله فتسقط في الوادي ، وكان مسلكاً ضيقاً يتسع في نقطة منه لجمل واحد ، وكان واديه عميقاً ، روي أنه مقدار ألف رمح ! (البحار: ٢٦٧/٨٢).

كما ورد ذكر الدِّبَاب ، وهي كراتٌ كبيرة من جلود أو خشب ، يلقونها فتصدر منها أصوات تنفر الناقة: « فسبق بعضهم إلى تلك العقبة وكانوا قد أخذوا دباباً كانوا هيأوها من جلد حمار ، وضعوا فيها حصى وطرحوها بين يدي الناقة». (الصحيح من السيرة: ١٤٣/٣٠).

وفي الإحتجاج: ٦٤/١: «ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالرحيل في أول نصف الليل الأخير ، وأمر مناديه فنادى: ألا لا يسبقن رسول الله صلى الله عليه وآله أحد إلى العقبة ولا يطؤها حتى يجاوزها رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمر بها ويخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان رسول الله أمره أن يتشبه بحجر فقال حذيفة: يا رسول الله إني أتبين الشر في وجوه القوم من رؤساء عسكرك ، وإني أخاف إن قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدمك إلى هناك للتدبير عليك يحس بي ويكشف عني فيعرفني ويعرف موضعي من نصيحتك ، فيتهمني ويخافني فيقتلني. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنك إذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرة هناك إلى جانب أصل العقبة وقل لها: إن رسول الله يأمرك أن تنفرجي لي حتى أدخل جوفك ، ثم يأمرك أن تثقبي فيك ثقبة أبصر منها المارين وتدخل علي منها الروح لئلا أكون من الهالكين ، فإنها تصير إلى ما تقول لها بإذن الله رب العالمين. فأدى حذيفة الرسالة ودخل جوف الصخرة وجاء الأربعة والعشرون على جمالهم وبين أيديهم رجالتهم يقول بعضهم لبعض:

من رأيتموه هنا كائناً من كان فاقتلوه لئلا يخبروا محمداً أنهم قد رأونا هاهنا ، فينكص محمد ولا يصعد هذه العقبة إلا نهاراً ، فيبطل تدبيرنا عليه !

وسمعها حذيفة ، واستقصوا فلم يجدوا أحداً ، وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم ، فتفرقوا فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلوك ، وبعضهم وقف على سفح الجبل عن يمين وشمال...

فأخبر رسول الله ﷺ بما رأى وسمع فقال رسول الله ﷺ: أوَعرفتهم بوجوههم؟ فقال: يا رسول الله كانوا متلثمين وكنت أعرف أكثرهم بجمالهم ، فلما فتشوا المواضع فلم يجدوا أحداً أحدروا اللثام ، فرأيت وجوههم وعرفتهم بأعيانهم وأسمائهم: فلان وفلان وفلان حتى عد أربعة وعشرين .

فقال رسول الله ﷺ: يا حذيفة إذا كان الله يثبِّت محمداً ، لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيلوه ، إن الله تعالى بالغ في محمد أمره ولو كره الكافرون.

ثم قال: يا حذيفة فانهض بنا أنت وسلمان وعمار وتوكلوا على الله ، فإذا جزنا الثنية الصعبة فأذنوا للناس أن يتبعونا ، فصعد رسول الله ﷺ وهو على ناقته وحذيفة وسلمان أحدهما آخذ بخطام ناقته يقودها والآخر خلفها يسوقها ، وعمار إلى جانبها ، والقوم على جمالهم ورجالتهم منبثون حوالي الثنية على تلك العقبات ، وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفروا الناقة برسول الله ﷺ ويقع به في المهوى الذي يهول الناظر إليه من بعده ، فلما قربت الدباب من ناقة رسول الله ﷺ أذن الله لها فارتفعت ارتفاعاً عظيماً

فجاوزت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم سقطت في جانب المهوى ، ولم يبق منها شئ إلا صار كذلك ، وناقة رسول الله كأنها لا تحس بشئ من تلك القعقعات التي كانت للدباب . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار: إصعد إلى الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها ، ففعل ذلك عمار فنفرت بهم رواحلهم وسقط بعضهم فانكسر عضده».

٤. وأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن لا يعاقبهم ، بل أمره أن يكتم أسماءهم حتى لاترتد قريش !

ففي الصحيح من السيرة (١٤١/٣٠) ما حاصله:« فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله تلك العقبة نادى مناديه للناس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، واسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادي إلا النفر الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وآله لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا.. فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله يسير من العقبة إذ سمع حسّ القوم قد غشوه ، فنفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى سقط بعض متاعه.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة إليهم ، وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه محجن يضرب وجوه رواحلهم وقال: إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى. فعلم القوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد اطلع على مكرهم ، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس !

قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه ».

أقول: هذا يدل على أن أولئك المجرمين كانوا صحابة ، وكانت خطتهم أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وآله سراً ثم يبكون عليه، ويقدموا أحدهم لخلافته ويصفقوا على يده! فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يكتم عليهم ! لأن إعلان أسمائهم وفضحهم يؤدي الى إعلان قريش الردة ومعها بعض قبائل العرب ، وهذا أضر على الإسلام من الصبر عليهم !

٥- تراوح عدد المتآمرين في الروايات المختلفة بين اثني عشر وأربع وعشرين ،

فكان فيهم أساسيون ومساعدون . وروي أنهم ثمانية من قريش وأربعة من غيرهم وروي أنهم اثنا عشر من بني أمية وخمسة من غيرهم . وذكرت رواياتنا أن حذيفة رحمه الله كشف أسماءهم في خطبته في مرض وفاته في المدائن ، لما تحدث عن مؤامرة قريش على النبي صلى الله عليه وآله وعترته ، وقال في حديثه عن ليلة العقبة: «فبرقت برقة فأضاءت جميع ما حولنا وثبتت البرقة حتى خلتها شمساً طالعة ، فنظرت والله إلى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً ، وإذا هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعدد القوم أربعة عشر رجلاً ، تسعة من قريش ، وخمسة من سائر الناس ، فقال له: سمهم لنا يرحمك الله ، فقال حذيفة: هم والله...

قال حذيفة: ثم انحدرنا من العقبة وقد طلع الفجر ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله فتوضأ وانتظر أصحابه حتى انحدروا من العقبة واجتمعوا ، فرأيت القوم بأجمعهم وقد دخلوا مع الناس وصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله! فلما انصرف من صلاته صلى الله عليه وآله التفت فنظر إلي أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يتناجون فأمر منادياً فنادى في الناس: لايجتمع ثلاثة نفر من الناس يتناجون فيما بينهم بسر ». (البحار: ٢٨/١٠٠).

وفي تاريخ دمشق: ٩٣/٣٢: «عن أبي تحيى حكيم قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك ألست أخاك؟ قال: ما أدري ، إلا أني سمعت رسول الله (ص) يلعنك ليلة الجبل ! قال: إنه قد استغفر لي ! قال عمار: قد شهدت اللعن ولم أشهد الإستغفار ! ».

وقال عنه ابن حجر في لسان الميزان: ٢٩٠/٥: « قال ابن عدي عند محمد بن علي هذا ، من هذا الضرب عجائب وهو منكر الحديث ، والبلاء فيه عندي منه لا من حسين.. وقال الخطيب قال محمد بن منصور: كان ثقة مأموناً حسن النقل » !

أقول: تعجبَ ابن حجر من كون أبي موسى الأشعري من أهل العقبة ، ولا قيمة لتعجبه واستنكاره ، لأن الراوي ثقة ! وقد وصفه أهل البيت عليهم السلام بأنه كسامري اليهود !

٦. استبدل رواة السلطة أسماء أصحاب العقبة بآخرين ، لاهم في العير ولا النفير ،

ولا مصلحة لهم أو لمن وراءهم بقتل النبي صلى الله عليه وآله ! فذكروا لائحتين بأسمائهم:

١- معتب بن قشير بن مليل، من بني عمرو بن عوف.٢- وديعة بن ثابت بن عمرو بن عوف.٣- جدّ بن عبد الله بن نبتل من بني عمرو بن عوف.٤- الحارث بن يزيد الطائي.٥- أوس بن قيظي، من بني حارثة. ٦- الحارث بن سويد.٧- سعد بن زرارة من بني مالك. ٨- قيس بن قهد من بني مالك بن ماتت. ٩- سويد من بني بلحبلى.١٠- داعس من بني بلحبلى.١١- قيس بن عمرو بن سهل.١٢- زيد بن اللصيت.١٣- سلامة بن الحمام. وهما من بني قينقاع .

والثانية ذكرها ابن القيّم والسيوطي والصالحي:

١- عبد الله بن أبي (سعد). ٢- سعد بن أبي سرح. ٣- أبو خاطر (حاضر) الأعرابي. ٤- عامر.٥- أبو عامر (أبو عمر). ٦- الجلاس بن سويد بن الصامت. ٧- مجمع بن حارثة (جارية). ٨- فليح (مليح) التيمي. ٩- طعمة بن أبيرق. ١٠- عبد الله بن عيينة. ١١- مرة بن الربيع. ١٢-حصين بن النمير.

وذكرت لائحة أخرى بأسمائهم في مصادر لاتهتم برضا رموز السلطة ، وهم:

١- أبو بكر. ٢- عمر. ٣- عثمان. ٤- طلحة. ٥- الزبير. ٦- أبو سفيان. ٧- معاوية. ٨- عتبة بن أبي سفيان. ٩- أبو الأعور السلمي. ١٠- المغيرة بن شعبة. ١١- أبو موسى الأشعري.١٢- أبو قتادة. ١٣- عمرو بن العاص. ١٤- سعد بن أبي وقاص.

وفي نص آخر: الثمانية من قريش هم: سعد بن أبي وقاص، معاوية، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة. بالإضافة إلى: ١٥- عبد الرحمن بن عوف. ١٦- أبو عبيد بن الجراح. والذين هم من غير قريش: ١٧- أوس بن الحدثان. ١٨- أبو هريرة. ١٩- أبو طلحة الأنصاري. ٢٠- أبو موسى الأشعري. وزاد في نص آخر: ٢١- سالم مولى أبي حذيفة.٢٢- خالد بن الوليد. وأبا المعازف. ٢٣- وأباه. ٢٤- وأبا مسعود. ويلاحظ أن العدد انتهى إلى أربعة وعشرين ، وقد جمعناه من الروايات المختلفة وهو ما صرحت به بعض الروايات. (خلاصة من الصحيح من السيرة: ١٢٣/٣٠).

١٦- في تلك الفترة حاول المنافقون قتل علي عليه السلام في المدينة !

في الإحتجاج: ٥٩/١: «قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: لقد رامت الفجرة ليلة العقبة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة ، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل

علي بن أبي طالب عليه السلام ، فما قدروا على مغالبة ربهم ! حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام لما فخَّمَ من أمره وعظَّمَ من شأنه .

من ذلك أنه لما خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة وقد كان خلفه عليها وقال له: إن جبرئيل أتاني وقال لي: يا محمد إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد إما أن تخرج أنت ويقيم علي أو تقيم أنت ويخرج علي ، لا بد من ذلك ، فإن علياً قد ندبته لإحدى اثنتين لايعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري. فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا: ملَّه وسئمه وكره صحبته فتبعه علي عليه السلام حتى لحقه وقد وجد غماً شديداً مما قالوا فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أشخصك يا علي عن مركزك ؟ فقال: بلغني عن الناس كذا وكذا. فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فانصرف علي عليه السلام إلى موضعه فدبروا عليه أن يقتلوه ، وتقدموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعاً ثم غطوها بخص رقاق ، ونثروا فوقها يسيراً من التراب بقدر ما غطوا به وجوه الخص ، وكان ذلك على طريق علي عليه السلام الذي لا بد له من سلوكه ، ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمقوها ، وكان ما حوالي المحفور أرض ذات حجارة ، ودبروا على أنه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه ! فلما بلغ علي عليه السلام قُرب المكان لوى فرسه عنقه.. فقال علي عليه السلام: سر بإذن الله سالماً سوياً ، عجيباً شأنك ، بديعاً أمرك ، فتبادرت الدابة فإذ الله عز وجل قد متن الأرض وصلبها ولأم حفرها كأنها لم تكن محفورة وجعلها كسائر الأرض ، فلما جاوزها علي عليه السلام لوى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال: ما أكرمك على رب العالمين أجازك على هذا المكان الخاوي... فلما قرب رسول الله صلى الله عليه وآله من العقبة

التي بإزائها فضائح المنافقين والكافرين ، نزل دون العقبة ثم جمعهم فقال لهم: هذا جبرئيل الروح الأمين يخبرني أن علياً دُبِّرَ عليه كذا وكذا ، فدفع الله عز وجل عنه من ألطافه وعجائب معجزاته بكذا وكذا ».

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٥٦٠: « فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ! تقيم يا علي فإن لك في مقامك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولك مثل أجور كل من خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله موقناً طائعاً ، وإن لك عليَّ يا علي أن أسأل الله بمحبتك أن تشاهد من محمد سمته في سائر أحواله ، إن الله يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض التي نسير عليها والأرض التي تكون أنت عليها ويقوي بصرك حتى تشاهد محمداً وأصحابه في سائر أحوالك وأحوالهم ، فلا يفوتك الأنس من رؤيته ورؤية أصحابه ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة.

فقام رجل من مجلس زين العابدين عليه السلام لما ذكر هذا وقال له: يا ابن رسول الله كيف يكون هذا لعلي ، إنما يكون هذا للأنبياء لا لغيرهم ! فقال زين العابدين: هذا هو معجزة لمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله لا لغيره ، لأن الله تعالى لما رفعه بدعاء محمد زاد في نوره أيضاً بدعاء محمد حتى شاهد ما شاهد ، وأدرك ما أدرك.

ثم قال الباقر عليه السلام: ما أكثر ظلم هذه الأمة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وأقل إنصافهم له !؟ يمنعون علياً ما يعطونه سائر الصحابة وعلي عليه السلام أفضلهم ! فكيف يمنعون منزلة يعطونها غيره ؟! قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله ؟

قال: لأنكم تتولون محبي أبي بكر بن أبي قحافة وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان ، وكذلك تتولون عمر بن الخطاب وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان ، وتتولون عثمان بن عفان وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان ، حتى إذا صار إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام قالوا: نتولى محبيه ولا نتبرأ من أعدائه بل نحبهم !

وكيف يجوز هذا لهم ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول في علي: اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ! فتراهم لا يعادون من عاداه وخذله ، ليس هذا بإنصاف !

ثم أخرى: أنهم إذا ذكر لهم ما اختص الله به علياً عليه السلام بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وكرامته على ربه تعالى جحدوه ، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة ! فما الذي منع علياً عليه السلام ما جعله لسائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

هذا عمر بن الخطاب إذا قيل لهم: انه كان على المنبر بالمدينة يخطب إذ نادى في خلال خطبته: يا سارية الجبل ، وعجبت الصحابة وقالوا: ما هذا من الكلام الذي في هذه الخطبة ! فلما قضى الخطبة والصلاة قالوا: ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل؟ فقال: إعلموا أني وأنا أخطب رميت ببصري نحو الناحية التي خرج فيها اخوانكم إلى غزو الكافرين بنهاوند وعليهم سعد بن أبي وقاص ، ففتح الله لي الأستار والحجب ، وقوى بصري حتى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك ، وقد جاء بعض الكفار ليدوروا خلف سارية وسائر من معه من المسلمين

فيحيطوا بهم فيقتلوهم ، فقلت يا سارية الجبل ليلتجئ إليه فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به ثم يقاتلوا...

قال الباقر عليه السلام: فإذا كان هذا لعمر ! فكيف لا يكون مثل هذا لعلي بن أبي طالب عليه السلام؟ ولكنهم قوم لا ينصفون بل يكابرون ! ثم عاد الباقر عليه السلام إلى حديثه. عن علي بن الحسين صلى الله عليه وآله قال: فكان الله تعالى يرفع البقاع التي عليها محمد صلى الله عليه وآله ويسير فيها لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، حتى يشاهدهم على أحوالهم ».

هذا ، وسيأتي أن النبي صلى الله عليه وآله أمر في تلك الأيام في طريق عودته من تبوك أن يعمل له منبر ، وبيَّن للمسلمين مقام علي والعترة الطاهرة عليهم السلام.

١٧- *نهاهم النبي صلى الله عليه وآله عن الشرب قبله فخالفوه فلعنهم*

في معجم البلدان:١٣٥/٥:«المشقَّق: قال ابن إسحاق في غزوة تبوك: وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل ، ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له المشقق ، فقال رسول الله: من سبقنا إلى هذا الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه ، قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان ، فقال: أوَلم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيهم؟! ثم لعنهم رسول الله ودعا عليهم ! ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسول الله بما شاء أن يدعو به فانخرق من الماء

كما يقول من سمعه أما إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم ، فقال رسول الله: لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه ». وسيرة ابن هشام: ٩٥٤/٤، والطبري: ٢/ ٣٧٣.

وفي إمتاع الأسماع: ٧١/٢: « وأقبل قافلاً حتى كان بين تبوك وواد يقال له وادي الناقة ، وهو وادي المشقق...فسبق إليه أربعة من المنافقين: معتب بن قشير والحارث بن يزيد الطائي حليف بني عمرو بن عوف ، ووديعة بن ثابت ، وزيد بن اللصيت فقال: ألم أنهكم؟! ولعنهم ودعا عليهم ثم نزل.». ونحوه قرب الإسناد للحميري/٣٢٧ ، والخرائج: ١٠٩/١، وجعله في طريق عودته صلى الله عليه وآله من الحديبية.

وفي الإمتاع: ١١٢/٥، عن عامر بن واثلة: « فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبض بشئ من ماء ، قال: فسألها رسول الله (ص) هل لمستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم ، فسبهما النبي (ص) وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، قال: فغرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع شئ ، قال: وغسل رسول الله (ص) فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء منهمر » !

أقول: أراد النبي صلى الله عليه وآله بالنهي عن الشرب قبل وصوله أن يمتحن المؤمنين بالطاعة كما امتحنهم طالوت عليه السلام بعدم شرب الماء في قوله تعالى: « فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إلا قَلِيلاً مِنْهُمْ ». وقد أخفت الحكومات أسماء الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وآله ودعا عليهم ، وكانوا اثنين في رواية ، وقوماً في رواية ، وأقواماً في رواية ، ولا بد أنهم كانوا من كبارهم فأخفوهم !

وقد وقعت هذه الحادثة بعد محاولتهم قتل النبي ﷺ ، فأخفوا أسماء المجرمين فيها ومنهم أهل العقبة ! ولا اعتبار بمن سموهم ممن لاوزن لهم.

قال السيد شرف الدين في كتابه أبو هريرة/٩٧: « وما كان للأمة أن تحتفظ بكرامة من لعنهم نبيها ﷺ لنفاقهم ونفاهم لإفسادهم ، فتضيع على أنفسها المصلحة التي توخاها ﷺ لها في لعنهم وإقصائهم ، وهم الذين دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله فيطرحوه ، وكان إذ ذاك قافلاً من غزوة تبوك في حديث ثابت مستفيض وهو طويل ، وقد جاء في آخر فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ.

والعجب من المسلم ينتصر لهم وقد جرعوا النبي ﷺ كل غصة ، وقعدوا له في كل مرصد ، ووثبوا عليه وعلى أهل بيته عليهم السلام من بعده كل وثبة ! وما لعنهم إلا ليطردهم الله من رحمته ويجتنبهم المؤمنون من أمته ، جزاء وفاقاً ، لا ليقربهم إلى الله زلفى ، كما يخرِّفون ».

١٨- نزول سورة التوبة في طريق العودة من تبوك

من المؤكد أن قسماً منها نزل في طريق العودة من تبوك ، وروي أنها نزلت كلها: « روى البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة ». (التبيان: ٣/٤٠٧).

وسميت «براءة» لأن أولها: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وهي السورة الوحيدة التي لاتبدأ بالبسملة ، لأنها غضب على المشركين.

قال الشافعي في الأم: ٤/٢٠١: « لما قوي أهل الإسلام أنزل الله عز وجل على رسوله (ص) مرجعه من تبوك: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، فأرسل بهذه الآيات مع علي بن أبي

طالب رضي الله تعالى عنه فقرأها على الناس في الموسم ، وكان فرضاً أن لا يعطى لأحد مدة بعد هذه الآيات ، إلا أربعة أشهر ». والإتقان: ٨٠/١

كما سميت الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وخاصة محاولتهم قتل النبي صلى الله عليه وآله « قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال: تلك الفاضحة ! ما زال ينزل: ومنهم.. ومنهم.. حتى خفنا ألا تدع أحداً » ! (معاني القرآن: ١٧٩/٣).

وفي تفسير القرطبي:٦١/٨:« وفي السورة كشف أسرار المنافقين. وتسمى الفاضحة والبَحُوث ، لأنها تبحث عن أسرار المنافقين ! وتسمى المبعثرة والبعثرة: البحث».

وهي مئة وتسع وعشرون آية ، وفيها بحوث عديدة وعميقة ، نكتفي ببعضها:

فقد بينت الآيات الأربع وعشرون الأولى ، تحريم دخول المشركين الى مكة بعد تلك السنة .

ثم تعرضت الآيات ٢٥-٢٧ الى معركة حنين وفرار المسلمين وثبات النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ونصر الله تعالى لهم. ثم أكدت الآية ٢٨ تحريم مكة على المشركين.

ثم بينت الآيات ٢٩-٣٥، الموقف من اليهود والنصارى وبعض صفاتهم.

ثم بينت الآيتان ٣٦-٣٧، تحريم القتال في الأشهر الحرم ، وبطلان النسئ فيها.

أما بقية الآيات من آية ٣٨ ، الى ١٢٩، فقد عالجت مواضيع عن الجهاد ، والمنافقين ، وغزوة تبوك. ونشير منها الى ست مسائل تتعلق بالسيرة:

الأولى: قوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. (التوبة: ٤٣) فقد استأذن بعض المؤمنين وبعض المنافقين من النبي صلى الله عليه وآله ،

مدعين أعذاراً ، فقبل منهم وأذن لهم. « والمستأذنون ثمانون رجلاً من قبائل شتى». (تفسير القمي:٢٩٣/١). وزعم مفسروا الحكومات أن إذن النبي صلى الله عليه وآله للمنافقين معصية لربه ! وخففها بعضهم فجعلها ذنباً صغيراً ! وأطلقوا العنان لخيالهم في ذنوب النبي صلى الله عليه وآله وأخطائه التي عاتبه الله عليها فعفا عن بعضها ، وعاقبه على بعضها كذنبه في أسر قرشيين في بدر ! الذي عاقبه الله عليه بجرحه وهزيمته في أحُد !

وقد بحثنا ذلك في كتاب (ألف سؤال وإشكال: ٤٢٢/٢).

والمسألة الثانية: قوله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. (التوبة: ١١٧).

فقد سموا جيش تبوك جيش العسرة وفسروها بالضائقة المالية ، وجعلوا التوبة في الآية بسبب الإنفاق ، وجعلوا المنفقين أبا بكر وعمر وعثمان ، وزادوا من حصة عثمان في الإنفاق وسهمه في التوبة عليه ، وناقش ذلك صاحب الصحيح.

والمسألة الثالثة: قصة الذين تخلفوا عن تبوك في قوله تعالى: وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ (التوبة: ١١٨). وستأتي.

والمسألة الرابعة: مسجد الضرار ، وتقدم شئ من تفسير آياته عن الإمامين الحسن العسكري والكاظم عليهما السلام.

والمسألة الخامسة: الآيتان في مؤامرتهم لقتل النبي صلى الله عليه وآله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ

وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. (التوبة: ٧٣-٧٤).

وتقدم شئ في تفسيرهما ، ونشير هنا الى أن مرتكبي الجريمة هم الذين كانوا فقراء وأغناهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله من فضله ، فهم قريبون من النبي صلى الله عليه وآله وقد شاركوه في حروبه لكن في الصف الخلفي ، ووصلت اليهم الغنائم وعطايا النبي صلى الله عليه وآله ، فأغناهم الله ورسوله من فضله !

والمسألة السادسة: قتال أهل الكتاب حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية ، وهذا بحث فقهي وحقوقي مهم ، لكنه خارج عن غرضنا هنا.

١٩- عودة النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة

اتفقت المصادر على أن النبي صلى الله عليه وآله خرج من المدينة الى تبوك في رجب في يوم الخميس سنة تسع ، وعند اليعقوبي في أول رجب ، ورجع في شهر رمضان. ونصت رواية الإمام الكاظم عليه السلام على أنه واعد أمته ثمانين ليلة ، فيكون رجوعه في نحو العشرين من شهر رمضان.

وفي سبل الهدى: ٤٨١/٥:« خرج في رجب على ما قاله ابن إسحاق ، وقدم في رمضان ». والدرر/٢٣٨، والطبقات: ١٦٥/٢.

وقال اليعقوبي: ٦٧/٢: «خرج رسول الله غرة رجب سنة٩ ، واستخلف علياً على المدينة واستعمل الزبير على راية المهاجرين... وقدم رسول الله تبوك في شعبان فأتاه يُحَنَّة بن رؤبة أسقف أيلة فصالحه ».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢٧/١: « أنشد العباس في النبي ﷺ:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودعٍ حيث يخصف الورقُ
ثم هبطت البلاد لا بشرٌ أنت	ولا مضغةٌ ولا علقُ
بل نطفةٌ تركب السفير وقد	ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عام بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء نحلتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض	وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشاد نحترق

فقال رسول الله ﷺ: لايفضض الله فاك ».

وروى الحاكم (٣٢٦/٣) أن ذلك كان منصرف النبي ﷺ من تبوك.

ومن مكذوباتهم في رجوع النبي ﷺ من تبوك أنه لم يدخل بيت فاطمة عليها السلام على عادته ، لأنها اشترت ستراً ملوناً وسوارين من فضة للحسن والحسين ﷺ! ففي مسند أحمد: ٢٧٥/٥، عن ثوبان قال:«كان رسول الله (ص) إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة ، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام فقدم من غزاة له فأتاها فإذا هو يمسح على بابها ورأى على الحسن والحسين قُلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها ! فلما رأت ذلك فاطمة ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين فقطعتهما فبكى الصبيَّان فقسمته بينهما ، فانطلقا إلى رسول الله (ص) وهما يبكيان فأخذه رسول الله (ص) منهما فقال: يا ثوبان إذهب بهذا إلى بني فلان أهل بيت بالمدينة ، واشتر لفاطمة قلادة من

عصب وسوارين من عاج ، فإن هؤلاء أهل بيتي ، ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ».

ورواه بلفظ آخر في فضائل سيدة النساء لعمر بن شاهين/١٥: «عن ابن عمر أن النبي (ص)كان إذا خرج كان آخر عهده فاطمة وإذا رجع كان أول عهده فاطمة عليها السلام ، فلما رجع من غزوة تبوك وقد اشترت مقينعة وصبغتها بزعفران وعلقت على بابها ستراً ، وألقت في بيتها بساطاً ، فلما رأى ذلك النبي (ص) رجع فأتى المنزل فقعد فيه ، فأرسلت إلى بلال فقالت: إذهب فانظره ما رده عن بابي؟ فأتاه فأخبره فقال: إني رأيتها صنعت كذا وكذا ! فأتاها فأخبرها فهتكت الستر وكل شئ أحدثته وألقت ما عليها ولبست أطمارها فأخبره ، فجاء حتى دخل عليها فقال: كذا كوني فداك أبي وأمي». ورواه أبو داود: ٢٩١/٢ ، والبيهقي: ٢٦/١، وابن حبان: ٤٧٠/٢، وحماد بن زيد في تركة النبي صلى الله عليه وآله/٥٦. وأخذته بعض مصادرنا كذخائر العقبى/٥١ ، والبحار: ٨٩/٤٣ ، وكشف الغمة: ٧٩/٢.

وسبب تكذيبنا لهذا الحديث: أن أهل البيت عليهم السلام لم يرووه ، وأن ما نسبه الى الزهراء عليها السلام ليس حراماً ولا خلاف الأولى . وما نسبه اليها من أنها انتزعت السوارين بعنف حتى قطعتهما ، مما أبكى الحسن والحسين صلى الله عليه وآله !

ثم استكثاره صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام أن يكون لها ستر لباب دارها ، وسواران من فضة لولديها ، وقوله عن ذلك:« ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا » !

هو من نوع التبرير لما فعلته السلطة من مصادرة فدك وكل أموالهم ، لتجويعهم وإخضاعهم، فبرروا ذلك بأن أهل البيت يجب أن يكون نصيبهم في الآخرة فقط!

وكأن القصة كانت مع إحدى زوجاته ، فجعلوها للزهراء عليها السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف النبي صلى الله عليه وآله (نهج البلاغة/ ٨٨ح ، ٥٨٠):«ويكون السِّتر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة لإحدى أزواجه غيّبيه عني ، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها» .

وينبغي الإلتفات الى أن حسد قريش تصاعد ضد علي والعترة عليهم السلام في تلك الفترة ، فهم يريدون أن يقولوا إن النبي صلى الله عليه وآله غيَّرَ عادته عند عودته من تبوك وذهب الى المسجد ولم يذهب الى بيت فاطمة عليها السلام ، لأنها أرادت زينة الدنيا !

٢٠- المتخلفون الثلاثة الذين تاب الله علهيم

قال الله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لامَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَالتَّوَابُ الرَّحِيمُ (سورة التوبة: ١١٧-١١٨).

في تفسير القمي:٢٩٦/١:« وقد كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوم من المنافقين وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق ، منهم كعب بن مالك الشاعر ، ومرادة بن الربيع ، وهلال بن أمية الواقفي ، فلما تاب الله عليهم قال كعب: ما كنت قط أقوى مني في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تبوك ، وما اجتمعت لي راحلتان قط إلا في ذلك اليوم ، وكنت أقول أخرج غداً

أخرج بعد غد ! فإني قوي وتوانيت ، وبقيت بعد خروج النبي صلى الله عليه وآله أياماً أدخل السوق فلا أقضي حاجة ! فلقيت هلال بن أمية ومرادة بن الربيع ، وقد كانا تخلفا أيضاً ، فتوافقنا أن نبكر إلى السوق ولم نقض حاجة ، فما زلنا نقول نخرج غداً وبعد غد ، حتى بلغنا إقبال رسول الله صلى الله عليه وآله فندمنا !

فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلناه نهنؤه بالسلامة فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام وأعرض عنا ، وسلمنا على إخواننا فلم يردوا علينا السلام ! فبلغ ذلك أهلونا فقطعوا كلامنا ! وكنا نحضر المسجد فلا يسلم علينا أحد ، ولا يكلمنا ! فجئن نساؤنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلن: قد بلغنا سخطك على أزواجنا فنعتزلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تعتزلنهم ولكن لا يقربوكن !

فلما رأى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حل بهم قالوا: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا إخواننا ولا أهلونا ! فهلموا نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت !

فخرجوا إلى ذناب جبل بالمدينة فكانوا يصومون وكان أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولون عنهم فلا يكلمونهم ، فبقوا على هذا أياماً كثيرة يبكون بالليل والنهار ويدعون الله أن يغفر لهم.

فلما طال عليهم الأمر قال لهم كعب: يا قوم قد سخط الله علينا ورسوله ، قد سخط علينا وأهلونا وإخواننا قد سخطوا علينا ، فلا يكلمنا أحد ، فلم لا يسخط بعضنا على بعض؟! فتفرقوا في الليل وحلفوا أن لا يكلم أحد منهم صاحبه حتى

يموت أو يتوب الله عليه ، فبقوا على هذه ثلاثة أيام ،كل واحد منهم في ناحية من الجبل لا يرى أحد منهم صاحبه ولا يكلمه ! فلما كان في الليلة الثالثة ورسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة نزلت توبتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقوله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ». وابن هشام: ٩٥٧/٤.

أقول: استثنى النبي صلى الله عليه وآله الذين تخلفوا عن تبوك لعذر فقال حين رجع الى المدينة ، كما في الغارات للثقفي: ٢٣٠/١ ، وغيره:« لقد كان بالمدينة أقوام ما سرتم من مسير، ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم ! ما حبسهم إلا المرض. يقول: كانت لهم نية».

وكان كبير المتخلفين كعب بن مالك الشاعر الأنصاري ، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام قراءة تفسيرية: لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين (الإحتجاج: ٩٨/١).

وفي مجمع البيان:١٣٨/٥:« وإنما ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله مفتاحاً للكلام ، وتحسيناً له ولأنه سبب توبتهم ، وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة ».

وفي تفسير أبي حمزة الثمالي/١٤٦، أن المتخلفين: كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية من بني واقف ، تخلفوا عن رسول الله يوم تبوك وعذر الله أولي الضرر وهو عبد الله بن أم مكتوم.

وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ... قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر ، وثعلبة بن وديعة ، وأوس بن حزام ، تخلفوا عن رسول الله عند مخرجه إلى تبوك ، فلما بلغهم ما أنزل الله فيمن تخلف عن نبيه أيقنوا بالهلاك وأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد ، فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله

فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله يحلهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأنا أقسم لا أكون أول من حلهم إلا أن أؤمر فيهم بأمر. فلما نزل: عسى الله أن يتوب عليهم ، عمد رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فحلهم ، فانطلقوا فجاءوا بأموالهم إلى رسول الله فقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا. قال: ما أمرت فيها. فنزل: خذ من أموالهم صدقة..».

٢١- النبي صلى الله عليه وآله يرد على حُسَّاد علي عليه السلام في طريق تبوك

بعد معركة بدر خاصة ، ظهر حسدهم لعلي عليه السلام لأن إسمه سطع في المعارك بطلاً وعضداً للنبي صلى الله عليه وآله ، ووزيراً مقرباً منه .

وزاد حسدهم له فصار بغضاً ، ثم صار اتجاهاً ، ثم صار حزباً ، ثم صار ديناً !

قال بريدة: «لم أجد من الناس أبغض عليَّ من علي بن أبي طالب ، حتى أحببت رجلاً من قريش ولا أحبه إلا على بغض علي» ! (خصائص علي عليه السلام للنسائي/١٠٢).

ثم زاد بغضهم له عليه السلام حتى تركوا من أجله السنة ! قال ابن عباس: « اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي ». (سنن البيهقي: ١١٣/٥).

ثم زاد بغضهم لعلي عليه السلام ، حتى بنوا مساجد متخصصة في سبه ! «بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب والوقيعة فيه: مسجد بني عدي ، ومسجد بني مجاشع ، ومسجد كان في العلافين على فرضة البصرة ، ومسجد في الأزد » ! (شرح النهج: ٩٤/٤).

وكان النبي صلى الله عليه وآله يعلم نشاط المبغضين لعلي عليه السلام، وقد اتخذ موقفاً حاسماً لوقف هذا الإنحراف فقال:« لايبغض علياً مؤمن ولايحبه منافق ». (مصنف ابن شيبة: ٥٠٣/٧).

وتقدم أن النبي صلى الله عليه وآله واجه المنافقين الذين تكلموا على علي عليه السلام عندما استخلفه على المدينة ، وأرادوا أن تخلو المدينة منهما ، فأعلن أن الله جعله منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام ! وفي طريق عودة النبي صلى الله عليه وآله من تبوك ، وبعد فشل مؤامرتهم لقتله ، وفشل مؤامرتهم لقتل علي في المدينة ، بلغ النبي صلى الله عليه وآله أن جماعة يتكلمون على علي عليه السلام وعلى عترته عليهم السلام ، فأمر أن يعملوا له منبراً كمنبر غدير خم ، وخطب في المسلمين وأبلغ رسالة ربه ، وأتم عليهم الحجة !

قال أنس بن مالك:« رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلين من تبوك ، فقال لي في بعض الطريق: ألقوا لي الأحلاس والأقتاب ، ففعلوا فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: معاشر الناس ، مالي إذا ذكر آل إبراهيم تهللت وجوهكم ، وإذا ذكر آل محمد صلى الله عليه وآله كأنما يفقأ في وجوهكم حب الرمان ؟! فوالذي بعثني بالحق نبياً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب ، لأكبه الله في النار » ! (أمالي الطوسي/٣٠٨).

وفي نوادر المعجزات لمحمد بن جرير الطبري الشيعي/٩٨: « روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كنا في غزاة تبوك ونحن نسير معه فقال: يا بن مسعود إن الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي ففعلت. وقال لي جبرئيل: إن الله عز وجل قد بنى جنة من قصب اللؤلؤ ، بين كل قصة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوتة مشذرة بالذهب ، وجعل سقوفها زبرجداً أخضر ، فيها طاقات من اللؤلؤ مكللة

بالياقوت ، وجعل عليها غرفاً ، لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من در ، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد ، وقباباً من در قد شعبت بسلاسل الذهب ، وحفت بأنواع الشجر ، وبنى في كل قصر قبة ، وجعل في كل قبة أريكة من درة بيضاء ، فرشها السندس والإستبرق ، وفرش أرضها بالزعفران والمسك والعنبر ، وجعل في كل قبة مائة باب ، وفي كل باب جاريتان وشجرتان ، وفي كل قبة فرش وكتاب مكتوب حول القبة آية الكرسي. فقلت: يا جبرئيل لمن بنى الله عز وجل هذه الجنة؟ فقال: هذه جنة بناها الله تعالى لعلي بن أبي طالب وفاطمة ابنتك ، تحفة أتحفها الله بها وأقربها عينيك يا محمد ». ودلائل الإمامة/١٤٢.

وعندما رجع النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة رأى أن المنافقين ما زالوا ناشطين في معاداة علي عليه السلام فغضب وأوضح لهم مقامه عند الله تعالى ، وأتم الحجة عليهم:

ففي الروضة في فضائل أمير المؤمنين/١٦٩، عن أبي هريرة ، قال:«مر عليٌّ بنفر من قريش في المسجد فتغامزوا ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وشكا له ، فخرج وهو مغضب فقال: أيها الناس مالكم إذا ذكرت إبراهيم وآل إبراهيم أشرقت وجوهكم ، وإذا ذكر محمد وآل محمد قست قلوبكم وعبست وجوهكم ؟! والذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبياً ، لم يدخل عليَّ حتى يحب هذا أخي علياً وولده ! ثم قال صلى الله عليه وآله: لله حق لا يعلمه إلا أنا وعلي ، وإن لي حقاً لا يعلمه إلا الله وعلي ، ولعلي حق لا يعلمه إلا الله وأنا» !

وفي رواية المسترشد للطبري الشيعي/٦١٥: « ما بال أقوام إذا ذكر آل إبراهيم وآل موسى وآل عيسى استبشروا ، وإذا ذكر آل محمد اشمأزت قلوبهم ! والذي نفس بيده لو أن أحدهم وافى بعمل سبعين نبياً ، ما قبل الله منه حتى يوافي بولايتي وولاية أهل بيتي» .

٢٢- متفرقات من تبوك

١. *تقدم ذكر عدد من معجزات النبي صلى الله عليه وآله في تبوك ، وهي كثيرة ، وأولها أنه أخبر* بأن الغزوة ستكون ثمانين يوماً ، وأخبر بما يقع له فيها ، وبتفصيل معاهدته مع الأكيدر فوقعت الأحداث كما أخبر.

ومن معجزاته صلى الله عليه وآله: إرواء جيش المسلمين بالماء وهو نحو ثلاثين ألفاً ، بدعائه بالمطر حيناً ، وبإنباع الماء حيناً ، وتكثير الماء القليل حتى يكفيهم.

وقد حدث ذلك بضع مرات ، ومنها نبع تبوك ونبع وادي المشقق الذي ما زال جارياً ، كما تقدم. الخرائج: ١/٢٨، ومجمع البيان: ٥/١٣٨، والحاكم: ١/١٥٩.

ومنها: معجزته في الإخبار عن أبي ذر وإحضاره ، وقد تقدم.

ومنها: معجزته في كشف المؤامرة لقتله صلى الله عليه وآله. ومنها: مباركته الخيل والجمال التي أجهدها الطريق والحر ، فنشطت. (مجمع الزوائد: ٦/١٩٣).

ومنها: «أنه لما توجه إلى تبوك ضلت ناقته القصوى وعنده عمارة بن حزم قال كالمستهزئ: يخبرنا محمد بخبر السماء ولا يدري أين ناقته! فقال صلى الله عليه وآله: إني لا

أعلم إلا ما علمني الله، وقد أخبرني الآن أنها بشعب كذا وزمامها ملتف بشجرة. فكان كما قال صلى الله عليه وآله» ! (الخرائج: ١/١٢١).

٢. كان صلى الله عليه وآله يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويصلي النافلة على راحلته

ففي قرب الإسناد للحميري/١٦، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تبوك ، وكان يصلي على راحلته صلاة الليل حيثما توجهت به ويومئ إيماء».

٣. أجرى مسابقة لخيل ، ومسابقة للإبل ، ففي قرب الإسناد/١٣٤، عن علي عليه السلام: أن

النبي صلى الله عليه وآله أجرى الخيل وجعل فيها سبع أواق من فضة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله أجرى الإبل مقبلة من تبوك فسبقت العضباء وعليها أسامة ، فجعل الناس يقولون: سبق رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورسول الله يقول: سبق أسامة » .

«كان عبيد قد أهدى للنبي (ص) فرساً عتيقاً يقال له مراوح ، وقال: يا رسول الله سابق ! فأجرى رسول الله (ص) الخيل بتبوك فسبق الفرس ، فأخذه رسول الله منه ، فسأله المقداد بن عمرو الفرس، قال رسول الله (ص): أين سبحة؟ فرس للمقداد قد شهد عليها بدراً. قال: يا رسول الله عندي وقد كبرت ، وأنا أضن بها للمواطن التي شهدت عليها ، وقد خلفتها لبعد هذا السفر وشدة الحر عليها ، فأردت أحمل هذا الفرس المعرق عليها فتأتيني بمهر. قال النبي(ص): فذاك إذاً ! فقبضه المقداد فخبر منه صدقاً ، ثم حمله على سبحة فنتجت له مهراً كان سابقاً يقال له الذيال سبق في عهد عمر وعثمان فابتاعه منه عثمان بثلاثين ألفاً ». (الواقدي/٦١٧).

٤. ومر على أصحاب الحجر قوم ثمود في مدائن صالح، فعن جابر بن عبد الله قال:

« لما مر النبي ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم الذي أصابهم ». (مستدرك الوسائل: ٣٦/١٧).

٥. ورأى في طريق تبوك أعرابياً يسوق أبعرة سماناً وهو يرتجز ، فقال له أصحابه:

«يا رسول الله لو كانت قوة هذا وجَلَدُهُ وسمَّن أبعرته في سبيل الله لكان أحسن ، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: أرأيت أبعرتك هذه أي شئ تعالج عليها ؟ فقال يا رسول الله لي زوجة وعيال ، فأنا أكسب عليها ما أنفقه على عيالي وأكفُّهم عن مسألة الناس ، وأقضي ديناً عليَّ. قال: لعل غير ذلك ، قال: لا. فلما انصرف قال رسول الله ﷺ: لئن كان صادقاً إن له لأجراً مثل أجر الغازي وأجر الحاج ، وأجر المعتمر ». (دعائم الإسلام: ١٤/٢ ، ونحوه ابن راهويه: ٣٥١/١).

٦- أرسل النبي ﷺ قبل أن يصل الى المدينة رجلين ليهدما مسجد الضرار فهدماه

قال الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لايَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. (سورة التوبة: ١٠٧-١١٠).

ففي التبيان:٥/٢٩٧و٥٩٨:« قيل إنهم كانوا خمسة عشر رجلاً منهم عبد الله بن نفيـل... وجه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل قدومه من تبـوك عاصـم بـن عـون العجلانـي ومالـك بـن الدخشم وكان مالك من بني عوف ، فقال لهما: إنطلقا إلى هـذا المسـجد الظـالم أهله فاهدماه ثم حرقاه ، فخرجا يشتدان سريعين على أقدامها ففعلا ما أمرهما به ، فثبت قوم من جملتهم زيد بن حارثة بن عامر حتى احترقت البتة ».

وفي تفسير القمي:١/٣٠٥: «فجاء مالك فقال لعامر: إنتظرني حتى أخـرج نـاراً مـن منزلي فدخل فجاء بنار وأشعل في سعف النخل ثـم أشـعله فـي المسـجد فتفرقـوا وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البلية ، ثم أمر بهدم حايطه».

وفي فقه القرآن للقطب الراوندي:١/١٥٩: « وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ: هـو أبـو عامر الراهب لحق بقيصر متنصراً ، وكان يبعث إليهم: سآتيكم بجند فأخرج محمـداً ، فبنوه يترقبونه ! وهو الذي حزب الأحزاب مع المشركين. فلما فتحت مكة هرب إلـى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الروم. وابنه عبدالله أسلم وقتل يوم أحـد وهو غسيل الملائكة. ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله عند قدومه من تبـوك عاصـم بـن عـوف العجلاني ومالك بن الدخشم ، وكان مالك من بني عوف الذين بنوا مسجد الضـرار ، فقال لهما: إنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم احرقاه ، ففعلا ما أمر به».

وفي سيرة ابن هشام:٤/٩٥٦ ، أنه بعثهما من أوان ، وهي قبل المدينة بساعة من نهار .

٢٣- تذكير ببعض مكذوبات الحكومات عن تبوك

كتب صاحب الصحيح من السيرة في غزوة تبوك أكثر من خمس مئة صفحة في المجلد التاسع والعشرين والثلاثين ، وفنَّد أكثر مكذوبات رواة السلطة فيها !

وتبدأ المكذوبات في أسباب الغزوة ، الى ادعاء إنفاق عثمان وأبي بكر على جيش العسرة ، الى تنقيصهم من أهمية حديث منزلة علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله ، الى زعمهم أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل بدل الزبير خالداً الى الأكيدر ، الى ادعائهم فضائل لعمر ، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان يخطئ وكان عمر يصيب ، ويوجه النبي صلى الله عليه وآله! فقد أمرهم النبي صلى الله عليه وآله أن يذبحوا جمالهم فنهاه عمر !

ومنها مكذوباتهم في التغطية على المشاركين في مؤامرة قتل النبي صلى الله عليه وآله ..الخ.

٢٤- بعد تبوك مات ابن سلول كبير المنافقين المدنيين

بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من تبوك ، وقيل بعد رجوعه من فتح مكة ، مات عبد الله بن أبي سلول رئيس المنافقين المدنيين. ففي تفسير القمي: ١/٣٠٢: «وكان ابنه عبد الله بن عبد الله مؤمناً ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه يجود بنفسه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا ! فدخل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافقون عنده ، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله إستغفر له فاستغفر له فقال عمر: ألم ينهك الله يا رسول الله أن تصلي عليهم أو تستغفر لهم؟!

فأعرض عنه رسول الله ، فأعاد عليه فقال له: ويلك إني خُيِّرْتُ فاخترت ! إن الله يقول: إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ.

فلما مات عبد الله جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن رأيت أن تحضر جنازته ، فحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وقام على قبره ، فقال له الثاني: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تصلي على أحد منهم مات أبداً ، وأن تقوم على قبره ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ويلك وهل تدري ما قلت؟ إنما قلت: اللهم احش قبره ناراً وجوفه ناراً وأصله النار، فبدا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكن يحب»!

وسبب خطأ عمر وأتباعه الذين زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أخطأ ، أنهم تخيلوا أن قبوله حضور جنازة ابن سلول وصلاته عليه ، يعني الإستغفار له ، مع أن لا ملازمة بينهما ، فقد زاره وصلى على جنازته ولم يستغفر له ! فقد قال أهل البيت عليهم السلام إن الصلاة المنهي عنها في قوله تعالى: وَلاتُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاتَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ.. هي الدعاء والإستغفار ، أما الصلاة عليهم بدون استغفار فليس منهياً عنها.

ففي الكافي: ١٨٨/٣، عن الإمام الصادق عليه السلام: « لما مات عبد الله بن أبي بن سلول حضر النبي صلى الله عليه وآله جنازته فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فسكت ، فقال: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فقال له: ويلك وما يدريك ما قلت ! إني قلت: اللهم احش جوفه ناراً ، واملأ قبره ناراً ، وأصله ناراً ! قال أبو عبد الله عليه السلام: فأبدى من رسول الله ما كان يكره ».

ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله كان يستعمل التقية مع أتباع ابن سلول ليجذبهم إلى الإسلام ، ولكن فضول عمر أجبره على إظهار أنه دعا عليه لا له !

وفي الكافي: ١٨١/٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلى على ميت كبر وتشهد ، ثم كبر ، ثم صلى على الأنبياء عليهم السلام ودعا ، ثم كبر ودعا للمؤمنين ، ثم كبر الرابعة ودعا للميت ، ثم كبر وانصرف. فلما نهاه الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين كبر وتشهد ، ثم كبر وصلى على النبيين صلى الله عليهم ، ثم كبر ودعا للمؤمنين ، ثم كبر الرابعة وانصرف ، ولم يدع للميت ».

وفي تفسير العياشي: ١٠٢/٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «توفي رجل من المنافقين فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ابنه: إذا أردتم أن تخرجوا فأعلموني ، فلما حضر أمره أرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله فأقبل نحوهم حتى أخذ بيد ابنه في الجنازة فمضى ، قال: فتصدى له عمر ثم قال: يا رسول الله أما نهاك ربك عن هذا أن تصلي على أحد منهم مات أبداً أو تقوم على قبره ! فلم يجبه النبي صلى الله عليه وآله ، قال: فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر قال عمر أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله: أما نهاك الله عن أن تصلي على أحد منهم مات أبداً أو تقوم على قبره ذلك بأنهم كفروا بالله وبرسوله وماتوا وهم كافرون ؟! فقال النبي صلى الله عليه وآله لعمر عند ذلك: ما رأيتنا صلينا له على جنازة ، ولا قمنا له على قبر! ثم قال: إن ابنه رجل من المؤمنين وكان يحق علينا أداء حقه. وقال له عمر: أعوذ بالله من سخط الله وسخطك يا رسول الله ».

وفي الإستبصار:١/٤٧٦:« عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فدخل رجل فسأله عن التكبير على الجنائز ، فقال: خمس تكبيرات ، ثم دخل آخر فسأله عن الصلاة على الجنائز؟ فقال: له أربع صلوات ، فقال الأول: جعلت فداك سألتك فقلت خمساً ، وسألك هذا فقلت أربعاً ، فقال: إنك سألتني عن التكبير وسألني هذا عن الصلاة ، ثم قال: إنها خمس تكبيرات بينهن أربع صلوات ثم بسط كفه فقال: إنهن خمس تكبيرات ، بينهن أربع صلوات ». انتهى.

فقد عبَّر الإمام الأدعية التي بين التكبيرات بالصلوات ليبين أن تحريم الصلاة على المنافق يخص الدعاء له ، الذي يقع بعد التكبيرة الرابعة ، فالصلاة هنا بمعناها اللغوي وليس الإصطلاحي. والحدائق: ١٠/٤١٧ ، والجواهر: ١٧/٣٥٩ ومصباح الفقيه: ٢ق٢/٥٠٢.

وقد بيَّنا مكذوباتهم وطعنهم بالنبي صلى الله عليه وآله بأنه أخطأ وأصاب عمر ! في كتاب ألف سؤال وإشكال(٢/٣٢٩) .

٢٥- وفد ثقيف بعد تبوك

في إعلام الورى:١/٢٣٣: «سار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطائف في شوال سنة ثمان فحاصرهم بضعة عشر يوماً ، وخرج نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف فلقيه علي عليه السلام في خيله ، فالتقوا ببطن وج فقتله علي عليه السلام وانهزم المشركون.

ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من أرقائهم ، منهم أبو بكَرَة وكان عبداً للحارث بن كلدة المنبعث ، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله المنبعث ، ووردان وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة ، فأسلموا.

فلما قدم وفد الطائف على رسول الله ﷺ فأسلموا قالوا: يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك ، فقال: لا ، أولئك عتقاء الله.

وفي إعلام الورى: ٢٤٩/١: «ثم قدم على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي مسلماً ، واستأذن رسول الله ﷺ في الرجوع إلى قومه فقال: إني أخاف أن يقتلوك فقال: إن وجدوني نائماً ما أيقظوني ! فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه الأذى ، حتى إذا طلع الفجر نام في غرفة من داره فأذن وتشهد ، فرماه رجل بسهم فقتله !

وأقبل بعد قتله وفد ثقيف بضعة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فأسلموا فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم ، وأمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص بن بشر ، وقد كان تعلم سوراً من القرآن. وقد ورد في الخبر عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بين صلاتي وقراءتي. قال: ذاك شيطان يقال له: خنزب ، فإذا خشيت فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً. قال: ففعلت فأذهب الله عني ».

وقال الشيخ الأحمدي في مكاتيب الرسول ﷺ: ٧٠/٣ ملخصاً: « خلال تلك المدة رأت ثقيف ممن حولها من الأعراب ما يسوؤها في الأموال والأنفس ، إذ أسلم من حولهم وكانوا يستحلون أموال ثقيف لأنهم كفار ، فكانوا يسلبون أموالهم ويرعون زروعهم ولا يؤدون دَيْنهم ، فاضطرت ثقيف للدخول في الإسلام ، وقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ! فأتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا

عروة ، فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود فأبى لأنه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة ، فكلموا شرحبيل بن غيلان وغيره من أشراف ثقيف فوفدوا في تسعة عشر رجلاً أو أقل ، فلما وصلوا إلى المدينة لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله فحيوه بتحية الجاهلية: أنعم صباحاً ، فضربت لهم قبة في المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا ، فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي كتب الكتاب بيده.(راجع الطبقات: ٩٦/٤). فشرطوا أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لايهدمها ثلاث سنين ، فأبى عليهم ذلك ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن يرسل أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها.

وفيما شرطوا لأنفسهم أن يعفيهم عن الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال صلى الله عليه وآله: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم عنه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لاصلاة فيه ! فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها وإن كانت دناءة ! وسألوا أن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر ، فأبى عليهم ذلك كله ».

أقول: وصفوا الصلاة بأنها دناءة لأن فيها سجوداً ! وكان عوام عرب الجزيرة يرون السجود كأنه انحناء لمن يفعل به الفاحشة ، فكان الذي يدعى الى الإسلام يقول: لا أريد أن تعلوني إستي ! وقد أشاعت قريش هذه السخرية لتنفير الناس من الإسلام ، وافتروا على أبي طالب عليه السلام أنها قالها !

٢٦- خضوع العرب للنبي صلى الله عليه وآله بعد فتح مكة وتبوك

جاءت غزوة تبوك لتؤكد للعرب بأن محمداً صلى الله عليه وآله صار قوة تهابه الروم فها هو يقصدهم في تبوك بثلاثين ألفاً ، فيسحب هرقل جيشه خوفاً من مواجهته ويرسل اليه بأنه مؤمن به ، لكن بطارقته لايقبلون !

كما ذكر ابن إسحاق وغيره بأن العرب كانت تتربص بالإسلام قريشاً ثم ثقيفاً فلما رأت أنهما أسلما وخضعا للنبي صلى الله عليه وآله توافدت قبائل العرب من أقصى الجزيرة الى أقصاها الى المدينة ، لإعلان إسلامها ومبايعة النبي صلى الله عليه وآله.

قال الطبرسي في إعلام الورى:١/٢٥٠:« فلما أسلمت ثقيف ضربت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وفود العرب ، فدخلوا في دين الله أفواجاً ».

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه المواجهة مع رسول الله صلى الله عليه وآله/٣١٠: «سقطت عاصمة الشرك رسمياً ، وتلقت عقيدة الشرك ضربة قصمت ظهرها تماماً وهدمت أركانها... لقد احترقت راية الشرك والمعارضة التي كانت تلجأ إليها العرب ، فإذا سلَّم قادة البطون وأسلموا ، وأعطوا القيادة لمحمد وهم ألد أعدائه ، فما هي مصلحة الآخرين بمعارضة محمد صلى الله عليه وآله ! ومن الذي يقف بوجه محمد الذي قضى على الحركة اليهودية بكل قوتها ومكرها ، ودوَّخَ القبائل العربية وأذهب ريحها مع كثرتها ، ثم ركَّع قادة بطون قريش بكل فخرها وشرفها.

لقد كان فتح مكة إعلاناً وبخط عريض بأن محمداً سيد الجزيرة بغير منازع ، والمالك الحقيقي لخيراتها ، والمخول بتوزيع الأدوار كلها على سكانها ، وأن

الدين الذي جاء به محمد هو الدين الرسمي للسكان ، فمن لم يوالِ محمداً أو يتظاهر بموالاته ، ومن لم يعتنق دين محمد أو يتظاهر باعتناقه ، فقد أسقط ضمنياً حقه بالرزق والملك والجاه والنفوذ وبالمستقبل له ، ورضي أن يعيش خائفاً في مجتمع موعود بالأمن والإستقرار.

وبفتح مكة وباستسلام هوازن والطائف سقطت آخر حصون المقاومة للنبوة والدين ، وأخذت قبائل العرب تتوافد على النبي صلى الله عليه وآله لتعلن قبولها بولايته واعتناقها لدينه ، حتى سمي عام الفتح بعام الوفود.

كان محمدٌ يبحث عن الناس والناس الآن يبحثون عن محمد ! كان محمد يركض خلفهم وصار العرب يركضون لمحمد ! وأخذ جباته يتحركون بين القبائل ويجبون الأموال ، ليوزعها محمد على الوجه الشرعي.

وباختصار فإنك لاتجد إلا مسلماً أو متظاهراً بالإسلام ، وموالياً للنبي صلى الله عليه وآله أو متظاهراً بالولاء ! لقد أصبحت الجزيرة دولة إسلامية واحدة قامت لأول مرة في التاريخ ، وحَّدها النبي صلى الله عليه وآله خلال مدة لاتتجاوز العشر سنين ، ونالت شرف رئاسة النبي لهذه الدولة ، فأعظم مظاهر وحدتها كانت رئاسة النبي المباركة فقد والته كل العرب أو تظاهرت بموالاته بدون إكراه ، ودخلت في دينه أو تظاهرت بالدخول في دينه ، وبدون إكراه أيضاً.

لقد أصبح محمد نظام وحدة العرب ونظام وحدة الدولة ونظام وحدة القانون. لقد اختلط محمد بالدين واختلط الدين بمحمد ، فهما وجهان لعملة واحدة ، فلو

قمت بكل واجباتك الدينية من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن وصدقة وقيام ليل ولكنك لا توالي محمداً ﷺ، فأنت كافر بلا خلاف.. لقد صار الرئيس بمثابة خيط سبحة إذا قطع الخيط تبعثرت حبات السبحة ».

٢٧- بعث النبي ﷺ أبا بكر بسورة براءة ثم سحبها منه

في تفسير القمي:٢٨١/١:« بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. عن الصادق عليه السلام قال: نزلت هذه الآية بعد ما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة، قال: وكان رسول الله ﷺ لما فتح مكة لم يمنع المشركين الحج في تلك السنة، وكان سنة في العرب في الحج أنه من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحل له إمساكها وكانوا يتصدقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف، وكان من وافى مكة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثم يرده، ومن لم يجد عارية اكترى ثياباً ومن لم يجد عارية ولا كراءً ولم يكن له إلا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً! فجاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة فطلبت ثوباً عارية أو كراءً فلم تجده، فقالوا لها إن طفت في ثيابك احتجت أن تتصدقي بها! فقالت وكيف أتصدق بها وليس لي غيرها؟ فطافت بالبيت عريانة! وأشرف عليها الناس... فلما فرغت من الطواف خطبها جماعة فقالت إن لي زوجاً!

وكانت سيرة رسول الله ﷺ قبل نزول سورة البراءة أن لا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه وأراده، وقد كان نزل عليه في ذلك من الله عز وجل: فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً. فكان

رسول الله صلى الله عليه وآله لايقاتل أحداً قد تنحى عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة البراءة ، وأمره الله بقتل المشتركين من اعتزله ومن لم يعتزله ، إلا الذين قد كان عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة إلى مدة ، منهم صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، فقال الله عز وجل: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الأرض أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، ثم يقتلون حيثما وجدوا.

فهذه أشهر السياحة: عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرة من شهر ربيع الآخر ، فلما نزلت الآيات من أول براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة ويقرأها على الناس بمنى يوم النحر ، فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه فلحقه بالروحاء فأخذ منه الآيات ، فرجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أأنزل الله فيَّ شئ؟ قال لا ، إن الله أمرني أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني... قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أبلغ عن الله أن لا يطوف بالبيت عريان ، ولايقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام ، وأقرأ عليهم: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الأرض أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، فأحل الله للمشركين الذين حجوا تلك السنة أربعة أشهر ، حتى يرجعوا إلى مأمنهم ، ثم يقتلون حيث وجدوا » !

وفي الإرشاد: ٦٥/١« دفعها النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر لينبذ بها عهد المشركين ، فلما سار غير بعيد نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال له: إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك. فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له: إركب ناقتي العضباء والحق أبا بكر فخذ براءة من يده وامض بها إلى مكة ، فانبذ عهد

المشركين إليهم ، وخيِّرْ أبا بكر بين أن يسير مع ركابك أو يرجع إلـي. فركـب أميـر المؤمنين ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء وسار حتى لحق أبا بكـر ، فلمـا رآه فـزع مـن لحوقه به واستقبله وقال: فيم جئت يا أبا الحسن أسائر معي أنت أم لغير ذلك؟ فقـال له أمير المؤمنين: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن ألحقك فاقبض منك الآيات مـن بـراءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم ، وأمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجـع إليـه. فقال: بل أرجع إليه . وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما دخل عليه قـال يـا رسـول الله إنـك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليَّ ، فلما توجهت له رددتني عنه ، ما لـي أنـزل فـي قرآن ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ، ولكن الأمين هبط إليَّ عن الله جل جلاله بأنه لا يـؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، وعلي مني ».

وفي الأصول الستة عشر/١٨: « فلحقه علي عليه السلام وكان معه عمر وأبو عبيدة بـن الجـراح وسالم مولى حذيفة ، قالوا له: لا تدفعها إليه ، فأبى أبو بكر فدفعها إليه».

وفي الخصال/٣٦٩: « فكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه وينذرهم عـذاب الله ، ويعـدهم الصفح ويمنيهم مغفرة ربهم ، ونسخ لهم في آخره سورة براءة ليقرأها عليهم... فأتيت مكة وأهلها من قد عرفتم ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع على كل جبل مني إرباً لفعـل ، ولـو أن يبـذل فـي ذلـك نفســه وأهلـه وولـده ومالـه ، فبلغـتهم رسـالة النبي صلى الله عليه وآله وقرأت عليهم كتابه ، فكلهم يلقاني بالتهدد والوعيد ويبـدي لـي البغضـاء ويظهر الشحناء ، من رجالهم ونسائهم فكان مني في ذلك ما قد رأيتم ».

وفي تفسير العياشي: ٧٤/٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « فوافى الموسم فبلغ عن الله وعن رسوله بعرفة والمزدلفة ويوم النحر عند الجمار وفي أيام التشريق كلها ، ينادي: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ... لايطوفن بالبيت عريان..الخ.

خطب علي بالناس واخترط سيفه وقال: لايطوفن بالبيت عريان ، ولا يحجن بالبيت مشرك ولا مشركة..». راجع أيضاً: تفسير العياشي:٧٣/٢.

وفي الإقبال: ٣٩/٢:« وصعد على الجبل المشرف المعروف بالشعب ، فأذن ثلاث مرات: ألا تسمعون يا أيها الناس أني رسول رسول الله إليكم ثم قال: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...تسع آيات من أولها ، ثم لمع بسيفه فأسمع الناس وكررها ، فقال الناس: من هذا الذي ينادى في الناس؟ فقالوا: علي بن أبي طالب ، وقال من عرفه من الناس: هذا ابن عم محمد ، وما كان ليجترئ على هذا غير عشيرة محمد. فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادي بذلك ، ويقرأ على الناس غدوةً وعشية ، فناداه الناس من المشركين: أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعناً بالرماح » !

وفي المناقب: ٣٩٢/١ ، والإقبال: ٤١/٢: عن الإمام الباقر عليه السلام أنه عندما تلا عليهم: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.. « قام خداش وسعيد أخوا عمرو بن ود فقال: وما يسرُّنا على أربعة أشهر ، بل برئنا منك ومن ابن عمك ، فليس بيننا وبين ابن عمك إلا السيف والرمح وإن شئت بدأنا بك ! فقال علي عليه السلام: أجل أجل إن شئت هلموا ! ثم قال: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ».

وفي الخصال/٥٧٨:« فوجهني على ناقته العضباء فلحقته بذي الحليفة فأخذتها منه فخصني الله عز وجل بذلك ».

أقول: كبر على جماعة أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وآله سحب منه سورة براءة ، فقالوا إنه بعثه أميراً على الحج وذهب علي بالسورة معه ! فقد روى ابن كثير في سيرته: ٧٢/٤ ، عن أحمد بن حنبل: « لما أردف أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة رجع أبو

بكر فقال: يا رسول الله نزل في شئ؟ قال: لا ولكن جبريل جاءني فقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك. وهذا ضعيف الإسناد ومتنه فيه نكارة والله أعلم ! ثم روى ابن كثير عن أحمد عن رجل مجهول: « سألنا علياً بأي شئ بعثت يوم بعثه رسول الله (ص) مع أبي بكر في الحجة؟ قال: بأربع: لايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته ، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا ».

وعدَّد صاحب الغدير رحمه الله (٣٣٨/٦) أكثر من ستين من علمائهم ، أوردوا الحديث ولم يطعن فيه كبارهم كما فعل ابن كثير !

وينبغي التذكير بأن المشركين حجوا في السنة الثامنة وحدهم وحج بالمسلمين أمير مكة من قبل النبي صلى الله عليه وآله عتاب بن أسيد ، وفي السنة التاسعة لم يُرو أي توثيق لحج أبي بكر بالمسلمين ، ولكنهم جعلوه أميراً على الحج وعلى علي عليه السلام !

ومن الطبيعي عندما ذهب علي عليه السلام أن يكون أميراً للحج، لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يؤمِّر عليه أحداً طول عمره ، بينما أمَّر على أبي بكر وعمر ، عمرو بن العاص.

ويظهر أن كذبتهم ظهرت في زمن الإمام الباقر عليه السلام فقال:

« إنكم لتجعلون لآل أبي بكر شيئاً ما كان ! تقولون: إن أبا بكر أمَّ الناس عام براءة وما أمَّهم إلا علي». (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان: ٤٧٤/١).

هذا ، وقد روينا بسند صحيح (أمالي الطوسي/٣٤٣):« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء ، ثم من سماء إلى سماء ثم إلى سدرة المنتهى ، أوقفت بين يدي ربي عز وجل فقال لي: يا محمد. فقلت: لبيك ربي وسعديك. قال: قد بلوتَ خلقي فأيهم وجدت أطوع لك؟ قال قلت: رب علياً. قال: صدقت يا محمد فهل اتخذت لنفسك

خليفة يؤدي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لايعلمون؟ قال قلت: إختر لي فإن خيرتك خير لي. قال: قد اخترت لك علياً فاتخذه لنفسك خليفةً ووصياً فإني قد نحلته علمي وحلمي وهو أمير المؤمنين حقاً ، لم يقلها أحد قبله ولا أحد بعده. يا محمد علي راية الهدى وإمام من أطاعني ونور أوليائي وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين. من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني ، فبشره بذلك يا محمد. فقال النبي صلى الله عليه وآله: رب فقد بشرته فقال علي: أنا عبد الله وفي قبضته إن يعذبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً، وإن يتم لي ما وعدني فالله أولى بي. فقال صلى الله عليه وآله: اللهم اجْلُ قلبه واجعل ربيعه الإيمان بك. قال: قد فعلت ذلك به يا محمد غير أني مختصه بشئ من البلاء لم أختص به أحد من أوليائي ! قال قلت: رب أخي وصاحبي. قال: إنه قد سبق في علمي أنه مبتلى ومبتلى به ، لولا علي لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي».

وكشف اليقين/٢٧٨ ، عن مناقب الخوارزمي .

الفصل التاسع والخمسون

السنة التاسعة للهجرة: عام الوفود

١- وفادة قبائل العرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله

قال اليعقوبي: ٧٩/٢: «وقدمت عليه وفود العرب ولكل قبيلة رئيس يتقدمهم. فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعي بن عبد نهم ، وأشجع ورئيسهم عبد الله بن مالك ، وأسلم ورئيسهم بريدة ، وسليم ورئيسهم وقاص بن قمامة ، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة ، وفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن ، وبنو بكر ورئيسهم عدي بن شراحيل ، وطئ ورئيسهم عدي بن حاتم ، وبجيلة ورئيسهم قيس بن غربة ، والأزد ورئيسهم صرد بن عبد الله ، وخثعم ورئيسهم عميس بن عمرو ، ووفد نفر من طئ ورئيسهم زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل ، وبنو شيبان. وعبد القيس ورئيسهم الأشج العصري ، ثم وفد الجارود بن المعلى فولاه رسول الله على قومه، وأوفدت ملوك حمير بإسلامهم وفوداً وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وكتبوا إليه بإسلامهم فبعث إليهم معاذ بن جبل ، وعكل ورئيسها خزيمة بن عاصم ، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو ، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمي ، والضباب ورئيسها ذو الجوشن ، وبنو أسد

ورئيسها ضرار بن الأزور وقيل نقادة بن العايف ، وعامر بن الطفيل في بني عامر فرجع ولم يسلم ، وأربد ابن قيس رجع ولم يسلم ، وبنو الحارث بن كعب ورئيسهم يزيد بن عبد المدان ، وبنو تميم وعليهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن نويرة ، وبنو نهد وعليهم أبو ليلى خالد بن الصقعب ، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس ابنا حارثة من بني عليم ، وهمدان ورئيسهم ضمام بن مالك ، وثمالة والحدان فخذ من الأزد ورئيسهم مسلمة بن هزان الحداني ، وباهلة ورئيسهم مطرف بن كاهن الباهلي ، وبنو حنيفة ومعهم مسيلمة بن حبيب الحنفي ، ومراد ورئيسهم فروة بن مسيك ، ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض ».

وقال ابن هشام: ٩٨٥/٤: «قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله (ص) مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه. قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع وأنها كانت تسمى سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تربَّص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله (ص) وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وقادة العرب لا ينكرون ذلك. وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله (ص) وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله (ص) ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله كما قال عز وجل أفواجاً ، يضربون إليه

من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا. أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا ».

وقال ابن سعد في الطبقات: ٢٩١/١-٣٥٩: « ذكر وفادات العرب على رسول الله (ص): وفد مزينة. وفد أسد. وفد تميم. وفد عبس. وفد فزارة. وفد مرة. وفد ثعلبة. وفد محارب. وفد سعد بن بكر. وفد كلاب.وفد رؤاس بن كلاب. وفد عقيل بن كعب. وفد جعدة. وفد قشير بن كعب. وفد بني البكاء. وفد كنانة. وفد بني عبد بن عدي. وفد أشجع. وفد باهلة. وفد سليم. وفد هلال بن عامر. وفد عامر بن صعصعة. وفد ثقيف. وفود ربيعة عبد القيس. وفد بكر بن وائل. وفد تغلب. وفد حنيفة. وفد شيبان. وفادات أهل اليمن وفد طيئ.وفد تجيب. وفد خولان. وفد جعفي. وفد صداء.وفد مراد. وفد زبيد. وفد كندة. وفد الصدف. وفد خشين. وفد سعد هذيم. وفد بلي. وفد بهراء.وفد عذرة. وفد سلامان. وفد كلب. وفد جرم. وفد الأزد. وفد غسان. وفد الحارث بن كعب. وفد همدان. وفد سعد العشيرة. وفد عنس. وفد الداريين.وفد الرهاويين حي من مذحج. وفد غامد. وفد النخع. وفد بجيلة. وفد خثعم. وفد الأشعرين. وفد حضرموت. وفد أزد عمان. وفد غافق. وفد بارق. وفد دوس. وفد ثمالة والحدان. وفد أسلم. وفد جذام.وفد مهرة. وفد حمير. وفد نجران. وفد جيشان. وفد أسباع».

٢- ملاحظات حول الوفود الى النبي صلى الله عليه وآله

١. لا شك في أن حركة الوفود الى النبي صلى الله عليه وآله كانت واسعة من أنحاء الجزيرة واليمن والشام ، وكانت رسالة قوية الى كل المعارضين والمنافقين داخل الدولة الإسلامية ، والى هرقل وقادة الفرس ، بأن الإسلام أمر واقع فرض نفسه في دولة قوية مهابة ، وخضعت له كل القوى التي حاربته ، بل كان ذلك رسالة لهم بأن المد الإسلامي قادم الى بلاد الفرس والروم ، لامحالة.

٢. كانت جمهرة الوفود في السنة التاسعة بعد تبوك ، وتأخر عدد منها الى السنة العاشرة والحادية عشرة ، كما كانت أوائلها قبل السنة التاسعة.

قال في الصحيح من السيرة: ١٣٥/٧: « وهذه الوفود وإن كانت قد ظهرت على نطاق واسع سنة تسع من الهجرة ، أي بعد فتح مكة وكسر شوكة قريش والقضاء على جبروتها. ولكن بدء هذه الوفود ولو بصورة محدودة في السنة الخامسة ، يدلل على وجود تحول حقيقي في ميزان القوى في المنطقة ، ثم في نظرة الناس للإسلام والمسلمين ، وحساباتهم الدقيقة وتصوراتهم فيما يختص بالتعامل معه كقوةٍ جديدة في المنطقة ، وكدينٍ جديد أيضاً » .

٣. كانت الوفود تأتي بحرية تامة ، فلم يَفِدْ أحدٌ الى النبي صلى الله عليه وآله مجبراً ، ولا تعتبر قوة الإسلام والجو العام الذي فرضها على القبائل إجباراً ، بل هو أمر واقع ، وفرق بينهما. ولذا ترى في الوفود من جاء لإبرام الصلح ، أو لحل مشكلة كانت له مع النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يتخلص من تبعاتها وينال عفوه ، وبعضهم جاء ليناظر

النبيﷺويثبت له خطأه ! وبعضهم كان يناقش النبيﷺبشدة وسوء أدب ! وبعضهم جاء يطلب منه أن يجعله خليفته ويجعل له الأمر بعده لكي يسلم. وبعضهم كان مسلماً سابقاً وجاء ليؤكد إسلامه ، أو ليتبرك بزيارة النبيﷺ.

قال في الإرشاد: ١٦٦/١: « لما انتشر الإسلام بعد الفتح وما وليه من الغزوات المذكورة ، وقوي سلطانه ، وفد إلى النبيﷺالوفود ، فمنهم من أسلم ، ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيهﷺفيهم ».

٤. صارت الوفادة على النبيﷺومجرد مشاهدته والسلام عليه ، تاريخاً وفخراً للقبائل وأفرادها ، لذلك انفتح باب الإدعاء والكذب والتضخيم ، في أصل الوفد وفيما قالوه ، وقاله لهم النبيﷺ، وفيما أعطاهم وكتب لهم !

وأطلق بعضهم خياله في الكذب ،مثل في تميم الذي زعم أنه وفد مع بعض الداريين فكتب لهم النبيﷺقرى من الشام قبل فتحها ، ومثل أبي رزين العقيلي الذي زعم أنه وفد الى النبيﷺعن قبيلة المنتفق ، وروى أحاديث التجسيم.

٥. اهتم رواة السيرة وكتابها بالوفود فأطالوا فيها ، واعتبر ابن حجر أن ابن سعد خير من كتب فيها ، قال: « وقد عقد محمد بن سعد في الترجمة النبوية من الطبقات للوفود باباً وذكر فيه القبائل من مضر ثم من ربيعة ثم من اليمن، وكاد يستوعب ذلك بتلخيص حسن، وكلامه أجمع ما يوجد في ذلك ».(فتح الباري: ٧٦/٨).

وكتب فيها صاحب الصحيح من السيرة نحو مجلدين (٧٥/٢٧، و:٢٨).

وقد اخترنا منها نماذج ، لأهميتها أو أهمية ما تضمنته من دلالات في السيرة.

٣- عدي بن حاتم الطائي

في الصحيح من السيرة (٦٩/٢٨) ملخصاً: « في سنة تسع جاء وفد طيء ، وقالوا: كانوا خمسة عشر رجلاً ، رأسهم وسيدهم زيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان ، وفيهم وزر بن جابر بن سدوس ، وقبيصة بن الأسود بن عامر ، من جرم طيء ، ومالك بن عبد الله بن خيبري من بني معن ، وقعين بن خليف من جديلة ، ورجل من بني بولان. فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ثم دخلوا فدنوا من رسول الله صلى الله عليه وآله فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم ، وأجازهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونشاً.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما ذكر رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه. وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله زيد الخير وقطع له فيد وأرضين وكتب له بذلك كتاباً ، ورجع مع قومه. وفي لفظ: فخرج به من عند رسول الله صلى الله عليه وآله راجعاً إلى قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ينجُ زيد من حمى المدينة فإنه ، أي فإنه قد نال مراده أو نحو ذلك. فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى بها فمات هناك ، وعمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها إلى ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله كتب له به فحرقته بالنار !

وعن أبي سعيد الخدري: أن علياًعليه‌السلام بعث إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها ، فقسمها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بين أربعة نفر: عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، وعلقمة بن غيلان.

ثم انتقد صاحب الصحيح روايات مدحهم لزيد الخيل بن المهلهل ، وقال:

«لا ندري ما الذي لفت نظر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله في شخصية زيد حتى قال: ما ذكر رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه ! هل رآه متميزاً بعلمه أم بأخلاقه أم بشجاعته أم بعقله ، أم بضخامة جثته !

إنا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى امتيازه في شئ من ذلك ، فكيف إذا رأيناه لايرضى بالإسلام ديناً حتى اعتبره النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله في المؤلفة قلوبهم كما روته صحاحهم ، مما يعني أن هذا الثناء مكذوب على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ! وهو أصح عندهم من حديث مدحه فلماذا تركوا الحديث الصحيح وأخذوا بالضعيف » !

وفي إعلام الورى: ٢٥١/١: « ذكر محمد بن إسحاق: أن عدي بن حاتم فرَّ ، وأن خيل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قد أخذوا أخته فقدموا بها على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وأنه من عليها وكساها وأعطاها نفقة فخرجت مع ركب حتى قدمت الشام وأشارت على أخيها بالقدوم فقدم وأسلم وأكرمه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وأجلسه على وسادة رمى بها إليه بيده ». وقد تقدم ذلك في غزوة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله لبلاد طئ.

٤- وفد عبد القيس من هَجَر

في الخصال/٤١٦ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « قال أمير المؤمنين عليه السلام: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ورد عليه وفد عبد القيس فسلموا ، ثم وضعوا بين يديه جلَّة تمر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أصدقةٌ أم هدية ؟ قالوا: بل هديةٌ يا رسول الله ، قال: أي تمراتكم هذه ؟ قالوا: البَرْني. فقال: إن هذا جبرئيل يخبرني أن فيه تسع خصال: يطيب النكهة ، ويطيب المعدة ، ويهضم الطعام ، ويزيد في السمع والبصر ويقوي الظهر ، ويخبل الشيطان ، ويقرب من الله عز وجل ويباعد من الشيطان ».

وفي الخرائج: ١٠٧/١: « قال: إئتوني بتمر أرضكم مما معكم. فأتاه كل واحد منهم بنوع منه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذا يسمى كذا ، وهذا يسمى كذا. قالوا: أنت أعلم بتمر أرضنا منا ! فوصف لهم أرضهم فقالوا: دخلتها ؟ قال: لا ولكن فسح لي فنظرت إليها ! فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله هذا خالي وبه خبل. فأخذ بردائه وقال: أخرج يا عدو الله ثلاثاً ثم أرسله ، فبرئ. فأتوه بشاة هرمة فأخذ إحدى أذنيها بين إصبعيه فصار لها ميسماً ، ثم قال: خذوها فإن هذا ميسم في آذان ما تلد إلى يوم القيامة ، فهي تتوالد كذلك » !

وفي الصحيح من السيرة: ٣٠٩/٢٧ ، ملخصاً: « قدم وفد عبد قيس وهي قبيلة تسكن البحرين وماوالاها من أطراف العراق سنة تسع ، ورووا أنه بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يحدث أصحابه إذ قال لهم: سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق.

وفي حديث البيهقي: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبِّل يد رسول الله ورجله ، وانتظر المنذر الأشج حتى أتيَ عيبته فلبس ثوبيه فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبَّلها وكان رجلاً دميماً ، فلما نظر ﷺ إلى دمامته ، قال: إنه لا يُسْتَقَى في مُسُوك الرجال ، إنما يُحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه. قال له رسول الله ﷺ: إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة. قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله تعالى جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتين يحبهما الله تعالى ورسوله.

وقال لهم النبي ﷺ: يا معشر عبد القيس ما لي أرى وجوهكم قد تغيرت؟ قالوا: يا نبي الله نحن بأرض وخمة ، وكنا نتخذ من هذه الأنبذة ما يقطع اللحمان في بطوننا ، فلما نهيتنا عن الظروف ، فذلك الذي ترى في وجوهنا. فقال رسول الله ﷺ: إن الظروف لا تُحلّ ولا تُحرم ولكن كل مسكر حرام ، وليس أن تجلسوا فتشربوا حتى إذا ثملت العروق تفاخرتم ، فوثب الرجل على ابن عمه بالسيف فتركه أعرج. قال: وهو يومئذ في القوم الأعرج الذي أصابه ذلك !

وعن أنس: أن وفد عبد القيس من أهل هجر قدموا على رسول الله ﷺ، فبينما هم عنده إذ أقبل عليهم فقال: لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا ، حتى عد ألوان تمرهم أجمع. فقال له رجل من القوم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لو كنت ولدت في هجر ما كنت بأعلم منك الساعة ، أشهد أنك رسول الله !

فقال صلى الله عليه وآله: إن أرضكم رفعت لي منذ قعدتم إليَّ فنظرت من أدناها إلى أقصاها ، فخير تمركم البرني الذي يذهبُ بالداء ولا داء معه.

وعن ابن عباس قال: إن أول جُمعة جُمعت بعد جُمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين. وعن نوح بن مخلد: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة فسأله ممن أنت؟ فقال: أنا من بني ضبيعة بن ربيعة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير ربيعة عبد القيس ، ثم الحي الذي أنت منهم.

وكانت لهم وفادتان الى النبي صلى الله عليه وآله إحداهما سنة ست أو خمس ، والثانية سنة تسع أو بعدها ، وكان عدد الوفد أربعين رجلاً. كتب النبي صلى الله عليه وآله إلى العلاء بن الحضرمي في البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم ، فقدموا عليه ورأسهم عبد الله بن عوف الأشج ، فشكى الوفد العلاء بن الحضرمي فعزله النبي صلى الله عليه وآله وولى أبان بن سعيد ، وأوصاه بعبد القيس خيراً.

وقد نصرت عبد القيس أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه ، لا سيما أبناء صوحان: صعصعة ، وزيد ، وسيحان ، وعمرو... وقد اشتهروا بالفصاحة والخطابة والشعر وقيل كان لصحار بن العباس العبدي كتاب: الأمثال ».

٥- الجارود بن المنذر من عبد القيس

قال ابن عياش الجوهري في مقتضب الأثر/٣١: « ومن أتقن الأخبار المأثورة وغريبها وعجيبها ، ومن المصون المكنون في أعداد الأئمة عليهم السلام وأسمائهم من طريق العامة مرفوعاً ، وهو خبر الجارود بن المنذر وإخباره عن قس بن ساعدة:

ما حدثنا به أبو جعفر محمد بن لاحق... حدثني الجارود بن المنذر العبدي وكان نصرانياً فأسلم عام الحديبية وحسن إسلامه ، وكان قارياً للكتب ، عالماً بتأويلها على وجه الدهر وسالف العصر ، بصيراً بالفلسفة والطب ، ذا رأي أصيل ووجه جميل ، أنشأ يحدثنا في أمارة عمر بن الخطاب ، قال: وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله في رجال من عبد القيس ، ذوي أحلام وأسنان وفصاحة وبيان ، وحجة وبرهان ، فلما بصروا به صلى الله عليه وآله راعهم منظره ومحضره ، وأفحموا عن بيانهم واعتراهم العرواء في أبدانهم ! فقال زعيم القوم لي: دونك من أقمت بنا أممه ، فما نستطيع أن نكلمه ! فاستقدمت دونهم إليه فوقفت بين يديه صلى الله عليه وآله وقلت: السلام عليك يا نبي الله ، بأبى أنت وأمي ثم أنشأت أقول:

يا نبي الهدى أتتك رجالٌ	قطعت قرددا وآلاً فآلا
جابت البيد والمهامهَ حتى	غالها من طوى السرى ما غالا
قطعت دونك الصحاصح تهوي	لا تعد الكلال فيك كلالا
كل دهناء تقصر الطرف عنها	أرقلتها قلاصنا إرقالا
خصك الله يا ابن آمنة الخير	إذا ما تلت سجال سجالا
أنبأ الأولون باسمك فينا	وبأسماء بعده تتلالا

قال: فأقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله بصفحة وجهه المبارك وشِمْتُ منه ضياء لامعاً ساطعاً كوميض البرق فقال: يا جارود لقد تأخر بك وبقومك الموعد ، وقد كنت وعدته قبل عامي ذلك أن أفد إليه بقومي فلم آته وأتيته في عام الحديبية ، فقلت: يا رسول الله ! بنفسي أنت ما كان إبطائي عنك إلا أن جلة قومي أبطأوا عن إجابتي ، حتى ساقها الله إليك لما أراد لها من الخير لديك.. وقد كنت على دين النصرانية قبل أن أتيتي إليك الأولى فها أنا تاركه بين يديك إذ ذلك مما يعظم الأجر ، ويمحو المآثم والحوب ، ويرضى الرب عن المربوب.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا ضامن لك يا جارود ! قلت: أعلم يا رسول الله أنك بذلك ضمين قمين. قال: فَدِنْ الآن بالوحدانية ودع عنك النصرانية ، قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ، ولقد أسلمت على علم بك وبناء فيك ، علمته من قبل.

فتبسم صلى الله عليه وآله كأنه علم ما أردته من الأنباء فيه فأقبل عليَّ وعلى قومي فقال: أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الأيادي؟ قلت: يا رسول الله كلنا نعرفه غير أني من بينهم عارف بخبره ، واقف على أثره: كان قس بن ساعدة يا رسول الله سبطاً من أسباط العرب ، عمَّر خمس مائة عام ، تقفَّر منها في البراري خمسة أعمار ، يضج بالتسبيح على منهاج المسيح ، لا يقره قرار ولا يكنه جدار ، ولا يستمتع منه جار ، لا يفتر من الرهبانية ، ويدين الله بالوحدانية ، يلبس المسموح ، ويتحسى في سياحته بيض النعام ، بالنور والظلام ، يبصر فيعتبر ، ويتفكر فيختبر ، تضرب

بحكمته الأمثال ، أدرك رأس الحواريين شمعون ، وأدرك لوقا ويوحنا وأمثالهم ، ففقه كلامهم ونقل منهم ، تحوَّبَ الدهر وجانَبَ الكفر ، وهو القائل بسوق عكاظ وذي المجاز: شرقٌ وغرب ، ويابسٌ ورطب ، وأجاجٌ وعذب ، وحبٌّ ونبات ، وجمعٌ وأشتات ، وذهابٌ وممات ، وآباءٌ وأمهات ، وسرورُ مولود ، ورزء مفقود.

تباً لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله قبل أن يفقد أجله ، كلا بل هو الله الواحد ليس بمولود ولا والد ، أمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، وهو رب الآخرة والأولى.. ثم صاح: يا معاشر أياد: أين ثمود ، وأين عاد ، وأين الآباء والأجداد ، وأين العليل والعواد ، وأين الطالبون والرواد ، وكل له معاد.

قلت: يا رسول الله لقد شهدت قساً خرج من ناد من أندية أيد ، إلى صحصح ذي قتاد ، وصمرة وعتاد ، وهو مشتمل بنجاد، فوقف في أضحيان ليل كالشمس، رافعاً إلى السماء وجهه وإصبعه ، فدنوت منه وسمعته يقول:

اللهم رب هذه السبعة الأرقعة والأرضين الممرعة ، وبمحمد والثلاثة المحامدة معه ، والعليين الأربعة، وسبطيه النبعة ، والأرفعة الفرعة ، والسري اللامعة ، وسمي الكليم الضرعة ، والحسن ذي الرفعة ، أولئك النقباء الشفعة ، والطريق المهيعة ، درسة الإنجيل ، وحفظة التنزيل ، على عدد النقباء من بني إسرائيل ، محاة الأضاليل ونفاة الأباطيل ، الصادقوا القيل ، عليهم تقوم الساعة ، وبهم تنال الشفاعة ولهم من الله تعالى فرض الطاعة. اللهم ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي. ثم آب يكفكف دمعه ويرن رنين البكرة وقد بريت ببراة وهو يقول:

أقسمَ قِسٌّ قسما	ليس به مكتتما
لو عاش ألفي عمر	لم يلق منها سأما
حتى يلاقي أحمداً	والنقباء الحكما
هم أوصياء أحمدٍ	أكرم من تحت السما
يعمى العباد عنهم	وهم جلاء للعمى
لست بناس ذكرهم	حتى أحُلَّ الرجما

ثم قلت: يا رسول الله أنبئني أنبأك الله بخير عن هذه الأسماء التي لم نشهدها وأشهدنا قس ذكرها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جارود ليلة أسرى بي إلى السماء أوحى الله عز وجل إلى أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ فقلت: على ما بعثتم؟ فقالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما. ثم أوحي إلي أن التفت عن يمين العرش ، فالتفت فإذا علي والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والمهدي في ضحضاح من نور يصلون ، فقال لي الرب تعالى: هؤلاء الحجج لأوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي. قال الجارود: فانصرفت بقومي وقلت في وجهتي إلى قومي:

أتيتك يا ابن آمنة الرسولا	لكي بك أهتدى النهج السبيلا
فقلت وكان قولك قول حق	وصدق ما بدالك أن تقولا
وبصرت العمى من عبد قيس	وكل كان من عمه ضليلا
وأنبأناك عن قس الأيادي	مقالاً فيك ظلت به جديلا
وأسماء عمت عنا فآلت	إلى علم وكنت به جهولا».

ورواه أبو الفتح في الإستنصار/٣٤، وكنز الفوائد/٢٥٦، والمناقب: ٢٤٥/١، والصراط المستقيم: ٢٣٩/٢.

٦- أشهر وفود اليمن

في الغيبة للنعماني/٤٦ ، عن جابر الأنصاري قال: «وفد على رسول الله ﷺ أهل اليمن فقال النبي ﷺ: جاءكم أهل اليمن يبسون بسيساً (يسوقون إبلهم سوقاً سريعاً) فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: قوم رقيقة قلوبهم ، راسخ إيمانهم ، منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيي ، حمائل سيوفهم المسك ! فقالوا: يا رسول الله ومن وصيك؟ فقال: هو الذي أمركم الله بالإعتصام به فقال عز وجل: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. فقالوا: يا رسول الله ، بين لنا ما هذا الحبل ؟ فقال: هو قول الله: إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيي.

فقالوا: يا رسول الله ، من وصيك؟ فقال: هو الذي أنزل الله فيه: أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ! فقالوا: يا رسول الله وما جنب الله هذا؟ فقال: هو الذي يقول الله فيه: ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. هو وصيي ، والسبيل إلي من بعدي !

فقالوا: يا رسول الله بالذي بعثك بالحق نبياً أرناه فقد اشتقنا إليه. فقال: هو الذي جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين ، فإن نظرتم إليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، عرفتم أنه وصيي كما عرفتم أني نبيكم ، فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه ، فمن أهوت إليه قلوبكم فإنه هو ، لأن الله عز وجل يقول في كتابه: فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، أي: إليه وإلى ذريته.

ثم قال: فقام أبو عامر الأشعري في الأشعريين ، وأبو غرة الخولاني في الخولانيين ، وظبيان وعثمان بن قيس في بني قيس ، وعرنة الدوسي في الدوسيين ولاحق بن علاقة ، فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه وأخذوا بيد الأصلع البطين وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أنتم نجبة الله حين عرفتم وصي رسول الله ، قبل أن تعرفوه فبم عرفتم أنه هو ؟ فرفعوا أصواتهم يبكون ويقولون: يا رسول الله نظرنا إلى القوم فلم تحن لهم قلوبنا ، ولما رأيناه رجفت قلوبنا ، ثم اطمأنت نفوسنا وانجاشت أكبادنا وهملت أعيننا ، وانثلجت صدورنا ، حتى كأنه لنا أب ونحن له بنون.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ! أنتم منهم بالمنزلة التي سبقت لكم بها الحسنى ، وأنتم عن النار مبعدون.

قال: فبقي هؤلاء القوم المسمون حتى شهدوا مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين فقتلوا في صفين رحمهم الله. وكان النبي صلى الله عليه وآله بشرهم بالجنة وأخبرهم أنهم يستشهدون مع علي بن أبي طالب عليه السلام ».

وفي الكافي: ٤١٧/٦ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله من اليمن قوم فسألوه عن معالم دينهم فأجابهم ، فخرج القوم بأجمعهم فلما ساروا مرحلة قال: بعضهم لبعض: نسينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عما هو أهم إلينا.

ثم نزل القوم ثم بعثوا وفداً لهم فأتى الوفد رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله إن القوم بعثوا بنا إليك يسألونك عن النبيذ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما النبيذ ،

صِفُوُه لي ؟ فقالوا: يؤخذ من التمر فينبذ في إناء ثم يصب عليه الماء حتى يمتلى ويوقد تحته حتى ينطبخ ، فإذا انطبخ أخذوه فالقوه في إناء آخر ، ثم صبوا عليه ماء ،ثم يمرس ، ثم صَفَّوْه بثوب ، ثم يلقى في إناء ، ثم يصب عليه من عكر ما كان قبله ، ثم يهدر ويغلي ، ثم يسكن على عكرة.

فقال رسول الله ﷺ: يا هذا قد أكثرت أفيسكر ؟ قال: نعم ، قال: فكل مسكر حرام قال: فخرج الوفد حتى انتهوا إلى أصحابهم فأخبروهم بما قال رسول الله ﷺ فقال القوم: إرجعوا بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله عنها شفاهاً ولا يكون بيننا وبينه سفير ، فرجع القوم جميعاً فقالوا: يا رسول الله إن أرضنا أرض دوية ونحن قوم نعمل الزرع ولا نقوي على العمل إلا بالنبيذ، فقال لهم رسول الله ﷺ: صفوه لي فوصفوه له كما وصف أصحابهم فقال لهم رسول الله ﷺ: أفيسكر ؟ فقالوا: نعم. فقال: كل مسكر حرام ، وحق على الله أن يسقي شارب كل مسكر من طينة خبال ، أفتدرون ما طينة خبال ؟ قالوا: لا ، قال: صديد أهل النار ».

٧- السائب الأشعري جد الأشعريين القميين

في رجال النجاشي/٨١: «أحمد بن محمد بن عيسى...بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص بن السائب بن مالك بن عامر الأشعري.. يكنى أبا جعفر ، وأول من سكن قم من آبائه سعد بن مالك بن الأحوص ، وكان السائب بن مالك وفد إلى النبي ﷺ وهاجر إلى الكوفة وأقام بها.

وذكر بعض أصحاب النسب: أن في أنساب الأشاعرة أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك بن هانئ بن عامر بن أبي عامر الأشعري ، واسمه عبيد ، وأبو عامر له صحبة. وقد روي أنه لما هزم هوازن يوم حنين عقد رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي عامر الأشعري على خيل فقتل ، فدعا له فقال: اللهم أعط عبيدك عبيداً أبا عامر ، واجعله في الأكبرين يوم القيامة ». وفهرست الطوسي/٦٨.

٨- الرجل المجادل السخيّ

في الكافي: ٣٩/٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً ، وأشدهم استقصاء في محاجة النبي صلى الله عليه وآله فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتى التوى عرق الغضب بين عينيه ، وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض ، فأتاه جبرئيل فقال: ربك يقرؤك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي صلى الله عليه وآله الغضب ورفع رأسه ، وقال له: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخي تطعم الطعام ، لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك ! فقال له الرجل: وإن ربك ليحب السخاء؟ فقال: نعم. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا رددتُ من مالي أحداً »!

٩- عمرو بن معدي كرب الفارس المشهور

في إعلام الورى: ٢٥١/١: «قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن معدي كرب وأسلم، ثم نظر إلى أبي بن عثعث الخثعمي فأخذ برقبته وأدناه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أعْدُني على هذا الفاجر الذي قتل والدي! فقال صلى الله عليه وآله: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية! فانصرف عمرو مرتداً وأغار على قوم من بني الحارث بن كعب، فأنفذ رسول الله علياً عليه السلام إلى بني زبيد..».

أقول: تقدم في فتح اليمن أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل علياً الى زبيد، فجعل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص، وبارز علي عليه السلام عمرو بن معديكرب وصرخ به صرخة فهرب! وأخضع قبيلة زبيد وولى على المنطقة خالد بن سعيد ورجع.

ولما كانت السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت زبيد على النبي صلى الله عليه وآله مقرين بالإسلام. قالوا لخالد: والله لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وآله وخلينا بينك وبين صدقات أموالنا، وكنا لك عوناً على من خالفك من قومنا. قال خالد: قد فعلتم؟ قالوا: فأوفد منا نفراً يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وآله ويخبرونه بإسلامنا ويقبسونا منه خيراً.

فقال خالد: ما أحسن ما عدتم إليه وأنا أجيبكم، ولم يمنعني أن أقول لكم هذا إلا أني رأيت وفود العرب تمر بكم فلا يهيجنكم ذلك على الخروج، فساءني ذلك منكم حتى ساء ظني فيكم، وكنتم على ما كنتم عليه من حداثة عهدكم بالشرك، فحسبت أن لايكون الإسلام راسخاً في قلوبكم. (الصحيح من السيرة: ١٥٨/٢٨).

١٠- قبلية النخع آخر من وفد الى النبي صلى الله عليه وآله

رووا أنه قبيلة النخع بعثت إلى النبي صلى الله عليه وآله وافديْن عنها بإسلامها وهما: أرطأة بن شراحيل بن كعب ، والجهيش ، واسمه الأرقم من بني بكر بن عوف بن النخع ، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبايعاه على قومهما ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وآله شأنهما وحسن هيئتهما فقال: هل خلفتما وراء كما قومكما مثلكما؟ فقالا: يا ر سول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كلهم أفضل منا ، وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء ، ما يشاركوننا في الأمر إذا كان. فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وآله ولقومهما بخير وقال: اللهم بارك في النخع. وعقد لأرطأة لواء على قومه وكتب له كتاباً ، فكان في يده يوم الفتح.

وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة وهم مائتا رجل ، فنزلوا دار رملة بنت الحدث ، ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله مقرين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن ، فكان فيهم زرارة بن عمرو ، فقال: يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا رؤيا هالتني ! قال: وما رأيت؟ قال: رأيت أتاناً تركتها في الحي كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى !

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هل لك من أمة تركتها مصرة حملاً ؟ قال: نعم تركت أمة لي أظنها قد حملت. قال: فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك ! فقال: يا رسول الله ما باله أسفع أحوى؟ قال: أدن مني فدنا منه فقال: هل بك برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك ! قال: فهو ذلك.

١١- كان النبي صلى الله عليه وآله يهدد من يخاف عصيانهم بعلي عليه السلام

في أمالي الطوسي/٥٧٩: «عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قدم عليه وفد أهل الطائف: يا أهل الطائف، والله لتقيمن الصلاة، ولتؤتن الزكاة، أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يقصعكم بالسيف! فتطاول لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخذ بيد علي فأشالها ثم قال: هو هذا. فقال أبو بكر وعمر: ما رأينا كاليوم في الفضل قط».

«عن عبد الله بن شداد قال: قدم على النبي صلى الله عليه وآله وفد آل تنوخ من اليمن قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولتسمعن ولتطيعن أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يقاتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم، اللهم أنا أو كنفسي، ثم أخذ بيد علي عليه السلام». (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان: ٤٦٨/١).

«وفي حديث جابر أنه قال لوفد هوازن: أما والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة وليؤتن الزكاة أو لأبعثن إليهم رجلاً وهو مني كنفسي فليضربن أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم، هو هذا وأخذ بيد علي عليه السلام. فلما أقروا بما شرط عليهم قال: ما استعصى عليَّ أهل مملكة ولا أمةٌ إلا رميتهم بسهم الله علي بن أبي طالب! ما بعثته في سرية إلا رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملكاً أمامه وسحابة تظله حتى يعطي الله حبيبي النصر والظفر!

وروى الخطيب في الأربعين نحواً من ذلك عن مصعب بن عبد الرحمن أنه قال النبي صلى الله عليه وآله لوفد ثقيف.. الخبر ، وفي رواية أنه قال مثل ذلك لبني وليعة ». (المناقب: ٦٧/٢). وحديث تهديد النبي صلى الله عليه وآله قريشاً بعلي عليه السلام ، متواتر مشهور.

١٢- مالك بن نويرة رحمه الله من وفود بني تميم

في الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي/٧٥: « قال البراء بن عازب بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في أصحابه إذا أتاه وافد من بني تميم مالك بن نويرة ، فقال: يا رسول الله علمني الإيمان. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وتصلي الخمس ، وتصوم رمضان ، وتؤدي الزكاة وتحج البيت، وتوالي وصيي هذا من بعدي وأشار إلى علي عليه السلام بيده ، ولا تسفك دماً ولا تسرق ولا تخون ولا تأكل مال اليتيم ولا تشرب الخمر ، وتوفى بشرائعي ، وتحلل حلالي ، وتحرم حرامي ، وتعطي الحق من نفسك للضعيف والقوي ، والكبير والصغير ، حتى عد عليه شرائع الإسلام.

فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله أعد علي فإني رجل نَسَّاء ، فأعاد عليه ، فعقدها بيده وقام وهو يجر إزاره وهو يقول: تعلمت الإيمان ورب الكعبة ، فلما بعد من رسول الله قال صلى الله عليه وآله: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل ! فقال أبو بكر وعمر: إلى من تشير يا رسول الله ؟ فأطرق إلى الأرض ، فجدَّا في السير فلحقاه فقالا: لك البشارة من الله ورسوله بالجنة. فقال: أحسن الله تعالى

بشارتكما إن كنتما ممن يشهد بما شهدت به فقد علمتما ما علمني النبي محمد ﷺ، وإن لم تكونا كذلك فلا أحسن الله بشارتكما.

فقال أبو بكر: لا تقل فأنا أبو عائشة زوجة النبي ﷺ! قال: قلت ذلك، فما حاجتكما؟ قالا: إنك من أصحاب الجنة فاستغفر لنا، فقال: لا غفر الله لكما تتركان رسول الله صاحب الشفاعة، وتسألاني أستغفر لكما، فرجعا والكآبة لائحة في وجهيهما، فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسم وقال: أفي الحق مغضبة؟!

فلما توفى رسول الله ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بنو نويرة فخرج لينظر من قام مقام رسول الله ﷺ فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالناس فنظر إليه وقال: أخو تيم؟! قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله ﷺ الذي أمرني بموالاته؟ قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر! قال: بالله ما حدث شئ، وإنكم قد خنتم الله ورسوله ﷺ!

ثم تقدم إلى أبى بكر وقال: من أرقاك هذ المنبر ووصي رسول الله ﷺ جالس؟ فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبيه من مسجد رسول الله ﷺ!

فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكزان عنقه حتى أخرجاه، فركب راحلته وأنشأ يقول:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

إذا مات بكر قام عمرٌو ومقامه ... فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

يدب ويغشاه العشار كأنما ... يجاهد جماً أو يقوم على قبر

فلو قام فينا من قريش عصابة ... أقمنا ولكن القيام على جمر

قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما قاله مالك على رؤس الأشهاد، ولست آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتئم، فاقتله.

فحين أتاه خالد، ركب جواده وكان فارساً يعد بألف، فخاف خالد منه فآمنه وأعطاه المواثيق، ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه، فقتله وأعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه وبات ينزو عليها نزو الحمار»!

١٣- صعصعة بن ناجية جد الفرزدق

في أمالي المرتضى: ١٩٢/٤: « وفَدَ صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني تميم، وكان صعصعة منع الوأد في الجاهلية، فلم يدع تميماً تئد وهو يقدر على ذلك. وقد فدى في بعض الروايات أربعمائة موؤدة، وفي أخرى ثلاثمائة، فقال للنبي صلى الله عليه وآله: بأبي أنت وأمي أوصني. فقال: أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك. فقال: زدني، فقال صلى الله عليه وآله: إحفظ ما بين لحييك ورجليك. ثم قال صلى الله عليه وآله: ما شئ بلغني عنك فعلته؟ فقال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه، فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك، فلم أتركهم ففديت ما قدرت عليه.

وفي رواية أخرى إن صعصعة لما وفد على النبي صلى الله عليه وآله فسمع قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. قال: حسبي، ما أبالي أن لا

أسمع من القرآن غير هذا. ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا ، فقال الفرزدق: أنا ابن محيي الموتى ! فقال له سليمان: أنت ابن محيي الموتى؟! فقال إن جدي أحيا الموؤودة ، وقد قال الله تعالى: وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ، وقد أحيا جدي اثنتين وتسعين موؤدة ، فتبسم سليمان وقال: إنك مع شعرك لفقيه » .

١٤- النابغة الجعدي الشاعر المتأله

في مالي المفيد/٢٢٤: «كان نابغة الجعدي ممن يتأله في الجاهلية ، وأنكر الخمر والسكر ، وهجَر الأوثان والأزلام ، وقال في الجاهلية كلمته التي قال فيها:

الحمد لله لا شريك له   من لم يقلها لنفسه ظلما

وكان يذكر دين إبراهيم عليه السلام والحنيفية ويصوم ويستغفر ، ويتوقى أشياء لغوا فيها ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى   ويتلو كتاباً كالمجرة نُشَّرَا

وجاهدت حتى ما أحس ومن معي   سهيلاً إذا ما لاح ثم تغورا

وصرت إلى التقوى ولم أخش كافراً   وكنت من النار المخوفة أزجرا

وقال: وكان النابغة علوي الرأي ، وخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين ، فنزل ليلة فطاف به وهو يقول:

قد علم المصران والعراقُ   إن علياً فحلها العتاقُ

أبيض جحجاحٌ له رواقُ   وأمه غالى بها الصداق

أكـرم مـن شـد بـه نطـاق إن الأولـى جـاروك لا أفـاقوا
لكـم سـباق ولهـم سـباق قـد علمـت ذلكـم الرفـاق
سقتم إلى نهج الهـدى وسـاقوا إلـى التـي لـيس لهـا عـراق
في ملة عادتها النفاق ».

١٥- وفد نجران وقصة المباهلة

كانت نجران ولاية يحكمها أسقف تحت نفوذ هرقل وحمايته ، وقد بعث لهم بصليب كبير من ذهب . وعندما كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ملوك العرب والعجم ، أرسل عتبة بن غزوان وعبد الله بن أبي أمية ، والهدير بن عبد الله ، وصهيب بن سنان ،إلى نجران وحواشيها ، وكتب معهم إلى أساقفة نجران يدعوهم إلى رفض الأقانيم والأنداد والإلتزام بالتوحيد وعبادة الله تعالى .

ورووا نص كتابه صلى الله عليه وآله إلى أسقف نجران:«باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب . من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران: أسلمٌ أنتم، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، وإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم آذنتكم بحرب ، والسلام .

وقيل: إنه تضمن قوله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. (آل عمران:٦٤) .

والأسقف كلمة معربة من "أبيسكوبوس" اليونانية ومعناها الناظر ، وكان الأسقف الشخص الأول والباقون دون رتبته ، وهو أبو حارثة بن علقمة . فلما قرأ الأسقف الكتاب فزع وارتاع وقام وقعد ، وشاور أهل الحجى والرأي منهم ، فقال شرحبيل وكان ذا لب ورأي بنجران: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل وليس لي في النبوة رأي ، ولو كان أمر من أمور الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك .

فبعث الأسقف إلى كل واحد واحد من أهل نجران ، فتشاوروا وكثر اللغط وطال الحوار والجدال ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا وفداً يأتي رسول الله ﷺ فيرجع بخبره . فوفدوا إليه في ستين راكباً وفيهم ثلاثة عشر رجلاً من أشرافهم وذوي الرأي والحجى منهم ، وثلاثة يتولون أمرهم: العاقب واسمه عبد المسيح أمير الوفد وصاحب مشورتهم الذي لايصدرون إلا عن رأيه ، والسيد واسمه الأيهم ، وهو ثمالهم وصاحب رحلهم ، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم الأول وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم ، وهو الأسقف الأعظم ، قد شرفه ملك الروم ومولوه وبنوا له الكنائس وبسطوا له الكرامات ، لما بلغهم من علمه واجتهاده في دينه.

فلما توجهوا إلى رسول الله ﷺ جلس أبو حارثة على بغلة وإلى جنبه أخ له يقال له كرز إذ عثرت بغلته ، قال: تعس الأبعد يريد محمداً ﷺ ! فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست ! فقال له: ولم يا أخ؟ فقال: والله إنه النبي الذي كنا ننتظره !

فقال كرز: فما يمنعك وأنت تعلم هذا أن تتبعه؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعلت نزعوا كل ما ترى !

فأضمر عليه منه أخوه كرز حتى أسلم بعد ذلك ، وكان كرز يرتجز ويقول:

إليك يغدو قلقاً وضينها   معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

فجاءوا حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقت العصر فدخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير ، مختمين بخواتيم الذهب ، وأظهروا الصليب ، وأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسلموا عليه ، فلم يرد عليهم السلام ولم يكلمهم ، فانطلقوا يبتغون عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف وكانا لهم معرفة بهم ، فوجدوهما في مجلس من المهاجرين فقالوا: إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه وسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ولم يكلمنا ، فما الرأي ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ثم يعودون ، ففعلوا ذلك فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم ، ثم قال: والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم .

وكانوا قد أتوا بهدية معهم وهي بُسط فيها تماثيل ومسوح ، فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وآله: أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها ، وأما هذه المسوح فإن تعطونيها آخذها ، فقالوا: نعم نعطيكها ، ولما رأى فقراء المسلمين ما عليه هؤلاء من الزينة والزي الحسن تشوقت نفوسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ..﴾

ثم أرادوا أن يصلوا بالمسجد بعد أن حان وقت صلاتهم وذلك بعد العصر ، فأراد الناس منعهم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعوهم ، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فلما قضوا صلاتهم ناظروه فعرض رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم الإسلام فامتنعوا ، فكثر الكلام وطال الحوار والجدال وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يتلو عليهم الآيات ، إلى أن نزل قوله تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. فرضوا بالمباهلة». (مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله:٤٨٩/٢، و٤٩٤ ملخصاً).

وفي تفسير القمي:١٠٤/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد ، وحضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا في مسجدك؟! فقال: دعوهم ».

وفي الإختصاص/١١٢:« فلما قدموا المدينة قال من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأينا وفداً من وفود العرب كانوا أجمل منهم ، لهم شعور وعليهم ثياب الحبر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله متناء عن المسجد فحضرت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تلقاء المشرق فهم بهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بمنعهم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال دعوهم.

فلما قضوا صلاتهم جلسوا إليه وناظروه ، فقالوا: يا أبا القاسم حاجنا في عيسى ، قال: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فقال أحدهما: بل هو ولده وثاني اثنين ، وقال آخر: بل هو ثالث ثلاثة: أب وابن وروح القدس ، وقد سمعناه في قرآن نزل عليك يقول: فعلنا وجعلنا وخلقنا ، ولو كان واحداً لقال: خلقت وجعلت وفعلت ، فتغشى النبي صلى الله عليه وآله الوحي فنزل عليه صدر سورة آل عمران إلى قوله

رأس الستين منها: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...إلى آخر الآية. فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله القصة، وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض: قد والله أتاكم بالفصل من خبر صاحبكم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل قد أمرني بمباهلتكم، فقالوا: إذا كان غداً باهلناك. فقال القوم بعضهم لبعض: حتى ننظر بما يباهلنا غداً بكثرة أتباعه من أوباش الناس أم بأهله من أهل الصفوة والطهارة؟ فإنهم وشيج الأنبياء وموضع نهلهم.

فلما كان من غد، غدا النبي صلى الله عليه وآله بيمينه علي وبيساره الحسن والحسين عليهما السلام ومن ورائهم فاطمة صلى الله عليها، عليهم النمار النجرانية، وعلى كتف رسول الله صلى الله عليه وآله كساء قطواني رقيق خشن ليس بكثيف ولا لين، فأمر بشجرتين فكسح ما بينهما ونشر الكساء عليهما، وأدخلهم تحت الكساء، وأدخل منكبه الأيسر معهم تحت الكساء معتمداً على قوسه النبع، ورفع يده اليمنى إلى السماء للمباهلة واشرأب الناس ينظرون، واصفر لون السيد والعاقب، وكرّا حتى كاد أن يطيش عقولهما، فقال أحدهما لصاحبه: أنباهله؟ قال: أوما علمت أنه ما باهل قوم قط نبياً فنشأ صغيرهم أو بقي كبيرهم؟! ولكن أره أنك غير مكترث، وأعطه من المال والسلاح ما أراد، فإن الرجل محارب، وقل له: أبهؤلاء تباهلنا لئلا يرى أنه قد تقدمت معرفتنا بفضله وفضل أهل بيته، فلما رفع النبي صلى الله عليه وآله يده إلى السماء للمباهلة قال: أحدهما لصاحبه: وأي رهبانية؟! داركِ الرجلَ فإنه إن فاه ببهلة لم نرجع إلى أهل ولا مال!

فقالا: يا أبا القاسم أبهؤلاء تباهلنا؟ قال: نعم، هؤلاء أوجه من على وجه الأرض بعدي إلى الله عز وجل وجهة، وأقربهم إليه وسيلة!

قال: فبصبصا ، يعني ارتعدا وكرًا وقالا له: يا أبا القاسم نعطيك ألف سيف وألف درع ، وألف حجفة ، وألف دينار كل عام ، على أن الدرع والسيف والحجفة عندك إعارة ، حتى يأتي من وراءنا من قومنا فنعلمهم بالذي رأينا وشاهدنا ، فيكون الأمر على ملأ منهم ، فإما الإسلام وإما الجزية وإما المقاطعة في كل عام. فقال النبي ﷺ: قد قبلت ذلك منكما. أما والذي بعثني بالكرامة لو باهلتموني بمن تحت الكساء لأضرم الله عز وجل عليكم الوادي ناراً تأجج ، حتى يساقها إلى من وراءكم في أسرع من طرفة العين فأحرقتم تأججاً .

فهبط عليه جبرئيل الروح الأمين عليه السلام فقال: يا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو باهلت بمن تحت الكساء أهل السماوات وأهل الأرض لتساقطت السماء كسفاً متهافتة ، ولتقطعت الأرضون زبراً سائحة ، فلم تستقر عليها بعد ذلك !

فرفع النبي ﷺ يديه حتى رئي بياض إبطيه ثم قال: وعلى من ظلمكم حقكم وبخسني الأجر الذي افترضه الله فيكم عليهم بهلة الله ، تتابع إلى يوم القيامة ».

وفي الإرشاد: ١٦٨/١: فقال الأسقف: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكنا نصالحك ، فصالحنا على ما ننهض به . فصالحهم النبي ﷺ على ألفي حلة من حلل الأواقي ، قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً ، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً بما صالحهم عليه وكان الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لنجران وحاشيتها في كل صفراء وبيضاء وثمرة ورقيق ، لا يؤخذ منهم شئ غير ألفي حلة من حلل الأواقي ثمن كل حلة أربعون درهماً ، فما زاد أو نقص فبحساب ذلك ، يؤدون ألفاً منها في صفر وألفاً منها في رجب ، وعليهم

أربعون ديناراً مثواة رسولي فما فوق ذلك وعليهم في كل حدث يكون باليمن من كل ذي عدن عارية مضمونة ثلاثون درعاً وثلاثون فرساً وثلاثون جملاً مضمونة ، لهم بذلك جوار الله وذمة محمد بن عبد الله ، فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة». راجع ابن هشام:٣٩٠/٢ .

وفي مكاتيب الرسول:١٥٢/٣:« كتابه صلى الله عليه وآله لأهل نجران: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي رسول الله محمد لنجران إذ كان له عليهم حكمه في كل ثمرة وصفراء ، وبيضاء ، وسوداء ، ورقيق ، فأفضل عليهم وترك ذلك: ألفي حلة حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة ، كل حلة أوقية وما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب ، وما قصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب . وعلى نجران مثواة رسلي شهراً فدونه ، ولا يحبس رسلي فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين فرساً ، وثلاثين بعيراً إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة ، وما هلك مما أعاروا رسلي من خيل أو ركاب فهم ضمن يردوه إليهم ، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم ، وأموالهم ، وبيعهم ، ورهبانيتهم وأساقفتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وكلما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وعيرهم وبعثهم ، وأمثلتهم ، لا يغير ما كانوا عليه ، ولا يغير حق من حقوقهم وأمثلتهم».

ثم أورد نصوصه بفروقاتها ، ومنها نص المفيد المتقدم . راجع: تفسير العياشي:١٧٥/١، وابن هشام:٤١٢/٢ ، والملحق رقم (٢١)

١٦- من الوفود المكذوبة وفد تميم الداري

تميم الداري من نصارى بلاد الشام يظهر أنه من داريا قرب دمشق، كان يعمل مع أقاربه في تجارة الخمر من الشام إلى الجزيرة، وكان يُحدث بقصص أهل الكتاب اليهود والنصارى، وقد أعلن إسلامه قبيل وفاة النبي ﷺ وسكن المدينة.

وكانت ثقافته يهودية وكان يهتم بالأمور الخارقة للعادة والأساطير ، وكان مقرباً من اليهود ومن عمر وكعب الأحبار ، ونشط هو وتلامذته في إشاعة التجسيم والإسرائيليات في عقائد المسلمين !

وكتب له عمر مرسوماً خلافياً أن يقص عن أهل الكتاب يوم السبت في مسجد النبي ﷺ ! وحضر مجلسه احتراماً له وتأييداً ! ثم زاده يوماً آخر في الأسبوع !

فقام تميم بنشر الإسرائيليات والأكاذيب ، كما ترى في حديث الجساسة والدجال في مسلم وغيره من أنه أخبر النبي ﷺ أن الدجال المحبوس في جزيرة وأنه رآه! ففرح النبي ﷺ وصعد المنبر وحدث ببشارة أخيهم تميم عن الدجال ! راجع تدوين القرآن/٤٤٤ ، وجواهر التاريخ: ١٣٥/١، وألف سؤال وإشكال: ١١٢/٢).

وجعل رواة الخلافة تميماً شخصية صاحب كرامات ! فقال إمامهم الذهبي في سيره: ٤٤٥/٢):« نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع» !

وفي دلائل البيهقي:٨٠/٦:« خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم فقال: قم إلى هذه النار ، فقال يا أمير المؤمنين ! ومن أنا وما أنا ! قال: فلم يزل به حتى قام معه قال

وتبعتهما فانطلقا إلى النار فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها ! قال: فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير» !

ومن أكاذيب تميم ادعاؤه أنه كان يهدي الى النبي صلى الله عليه وآله كل عام زق خمر، فلما حُرمت الخمر لم يأخذها فقال له: خذه وبعه وانتفع بثمنه ! (فتح الباري: ٢٠٩/٨). مع أن تميماً جاء في السنة التاسعة ، وحُرِّمت الخمر في السنة الثانية ! (الدر المنثور: ٣١٧/٢).

وزعم تميم أنه وفد هو وأقاربه على النبي صلى الله عليه وآله فكتب لهم إقطاعاً بقرى سيفتحها المسلمون من أرض الشام ! قالوا: قدموا بعد تبوك وهم عشرة نفر منهم: تميم ونُعيم ابنا أوس ، ويزيد بن قيس بن خارجة ، والفاكه بن النعمان بن جَبَلَة، وأبو هند والطيب ابنا ذر ، وهو عبد الله بن رزين، وهانئ بن حبيب ، وعزيز ومرة ابنا مالك بن سواد بن جَذِيْمَة ، فأسلموا وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وآله أفراساً وقباء مخوصاً بالذهب ، فقبل الأفراس والقباء. وقال تميم: لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لإحداهما: حِبْرَى والأخرى بيت عينون ، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال: فهما لك وكتب له به كتاباً.

فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك ، وأقام وفد الداريين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى لهم بمائة وسق من تمر خيبر !

ونقد صاحب الصحيح(٥٩/٢٨) هذه الروايات ، لأن الإقطاع إنما كان للأرض الموات ونحوها مما هجره أهله ، ولأن بعض نصوص الكتاب الذي زعموه فيه أخطاء نحوية لا تصدر عنه صلى الله عليه وآله كقوله: إني أنطيكم بيت عينون وجيرون

والمرطوم وبيت إبراهيم برمتهم ، وجميع ما فيهم! وبعض نصوص الكتاب ذكرت أن من آذى الداريين فقد آذى الله ، وهذا معناه أنهم معصومون لأن غير المعصوم قد يؤذي لمنعه من ارتكاب المعصية أو لأخذ الحق منه فإن كان يحرم إيذاؤه مطلقاً لزم أن يرضى الله بالمعصية والباطل !

١٧- من الوفود المكذوبة وفد أبي رزين

أبو رزين العقيلي: إسمه لقيط بن عامر أو ابن صبرة . زعم أنه وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله عن قبيلة المنتفق قال:«كنت وافد بني المنتفق إلى رسول الله(ص) فلم نجده فأطعمتنا عائشة تمراً وعصدت لنا عصيدة ، إذ جاء رسول الله فقال: هل طعمتم من شئ ؟ قلنا نعم ، فبينا نحن على ذلك ، دفع الراعي الغنم إلى المراح وعلى يده سخلة فقال هل ولدت؟ قال نعم ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: لاتحسبن أنا ذبحنا الشاة لأجلكم، لنا غنم مائة لانريد أن تزيد عليها إذا ولدت بهمة ذبحنا شاة» ! (أسد الغابة:٢٦٦/٤).

وفي أسد الغابة:٤٤/٥:«ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال: فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب ، فأتينا رسول الله (ص) حين انصرف من صلاة الغداة ». وفي كنز العمال: ١٤٦/٧ ، أن النبي صلى الله عليه وآله كان يكره المسائل ويعيبها فإذا سأله أبو رزين أجابه وأعجبه » !

وأكثر ما اشتهر به أبو رزين أحاديث التجسيم ، وأنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: لَعَمْرُ إلهك ! ويقول: إن الله تعالى يضحك ويظل يضحك ! قلت: يا رسول الله ! أويضحك الرب ؟ قال: نعم ، قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً ! وفي رواية: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء. ما تحته هواء وما فوقه هواء. ثم خلق عرشه على الماء». (مسند أحمد:١١/٤). وقد نقدنا أحاديثه في الإنتصار: ٢٣٤/٢ ، وغيره ، ونقدها صاحب الصحيح:٢٢٣/٢٧.

الفصل الستون

النبي ﷺ يدعو المسلمين الى حجة الوداع

١ - نقاط عن حجة الوداع

أ. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان الفتح في سنة ثمان ، و براءة في سنة تسع ، وحجة الوداع في سنة عشر» . (تفسير العياشي:٢/٧٣).

ب. أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالحج ونزل عليه قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. قال الإمام الصادق عليه السلام: «فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله يحج في عامه هذا ، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب ، واجتمعوا لحج رسول الله ﷺ.. فكتب إلى من بلغه كتابه ممن دخل في الإسلام: أن رسول الله ﷺ يريد الحج ، يؤذنهم بذلك ليحج من أطاق الحج». (الكافي: ٤/٢٤٤).

وأرسل النبي ﷺ رسُلَهُ يدعون الناس الى الحج ، وبلغت دعوته أقاصي بلاد الإسلام ، فتجهز الناس للخروج معه ، وحضر الى المدينة خلق كثير ، ووافاه في الطريق خلائق ، وكانوا مد البصر ، كلهم يريد أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله. (البحار: ٢١/٣٨٤، والصحيح من السيرة: ٣٠/٢٨٨).

ج. تفاوتت الرواية في عدد المسلمين في حجة الوداع بين سبعين ألفاً، ومئة وأربع وعشرين ألفاً. (الصحيح من السيرة: ٢٩٢/٣٠).

د. خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة يوم الخميس السادس والعشرين من ذي القعدة (لأربع بقين منه) وبات في ذي الحليفة (مسجد الشجرة). وفي اليوم التالي أحرم وتحرك بالمسلمين نحو مكة، فوصلها لأربع مضين من ذي الحجة. أما رجوعه الى المدينة فكان في العشر الأخير من ذي الحجة، ولم أجد من حدده.

هـ في ذي الحليفة ولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر. وكان حاكم مصر من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقتله معاوية في سنة ثمان وثلاثين.

و. روى المسلمون عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديث عديدة من حجة الوداع، وخطب فيها ست خطب: عندما وصل الى مكة، ثم في عرفات، ثم في منى عند جمرة العقبة يوم العيد، ثم في اليوم الثاني، ثم في اليوم الثالث في مسجد الخيف، ثم في عودته في غدير خم عند الجحفة.

وقد تضمنت خطبه توجيهاته ووصاياه لأمته، وأخفى رواة الحكومات منها أكثر ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام، وهو بضع عشرة مادة، ورووا الخطب نتفاً مجزأة وسيأتي ذكر مضامينها.

ز. عن جابر قال: «طاف رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة، ليراه الناس وليشرف عليهم ليسألوه، فإن الناس غَشَوْهُ».

أي أحاطوا به وزاحموه. (تذكرة الفقهاء: ١١١/٨).

٢- أهداف حجة الوداع

يتصور البعض أن هدف حجة الوداع أن يعلم النبي صلى الله عليه وآله المسلمين مناسك الحج فقد قال لهم:«خذوا عني مناسك حجكم ». لكن هدفه أوسع من ذلك:

فهدفه في حاضر الأمة: إتمام تبليغها الإسلام وترسيخه فيها ، خاصة ولاية علي والأئمة من عترة النبي صلى الله عليه وآله ، باعتبارهم عليهم السلام شرطاً لبقاء الأمة على الهدى .

وهدفه في مستقبل الأمة: ترسيم مسيرتها بعده صلى الله عليه وآله والتأكيد على أسسها .

وهدفه في أعداء الأمة الخارجيين: أن يفهم هرقل والفرس رسالةً بأن العرب قد اختاروا دينهم واتحدوا حوله ، وصاروا قوة مهابة .

وهدفه في أعداء الداخل: أن يطمئنهم النبي صلى الله عليه وآله بأنه مغادر وتارك لهم هذه الأمة التي أنشأها ، وهذه الدولة التي أسسها ، فعليهم أن يكفُّوا عن محاولة اغتياله وإعلان الردة وإعادة العرب الى وثنيتهم ، بحجة أن محمداً يريد بناء ملك لعترته عليهم السلام ، وإخضاع الناس لعشيرته ، وبأنه مَلِكٌ وليس نبياً !

ولا ننس أن حجة الوداع كانت بعد محاولة اغتياله صلى الله عليه وآله في عودته من تبوك بنحو شهرين ، وأن خطتهم كانت في غاية الإتقان ، ولو لم ينزل جبرئيل ويكشفها لقتل النبي صلى الله عليه وآله ، ونجحوا في خطتهم في سرقة خلافته ودولته !

لكن قريشاً لم تقنع بتطمينه صلى الله عليه وآله ، فحاولت اغتياله في عودته من حجة الوداع !

وسترى أن نشاطه صلى الله عليه وآله انصبَّ في حجة الوداع على هذه الأهداف الربانية .

٣- صفة حج النبي صلى الله عليه وآله عند أهل البيت عليهم السلام

في الكافي: ٤/٢٤٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« لم يحج النبي صلى الله عليه وآله بعد قدومه المدينة إلا واحدة ، وقد حج بمكة مع قومه حجات مستسراً في كلها...فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع بقين من ذي القعدة ، فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل ، ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلى فيه الظهر وعزم بالحج مفرداً (سألته: أليلاً أحرم رسول الله أم نهاراً ؟ فقال: نهاراً. قلت: أية ساعة؟ قال: صلاة الظهر) وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول ، فصُفَّ له سماطان فلبى بالحج مفرداً ، وساق الهدي ستاً وستين [أربعاً وستين] حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة ، فطاف بالبيت سبعة أشواط ، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه ، وقد كان استلمه في أول طوافه .

ثم قال: إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله . فأبدأ بما بدأ الله تعالى به . وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شئ صنعه المشركون ، فأنزل الله عز وجل: إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا . ثم أتى الصفا فصعد عليه ، واستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة مترسلاً ، ثم انحدر إلى المروة فوقف عليها كما وقف على الصفا ، ثم انحدر وعاد إلى الصفا فوقف عليها ، ثم انحدر إلى المروة حتى فرغ من سعيه .

فلما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا جبرئيل وأومأ بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ، ولكني سقت الهدي ، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحل حتى يبلغ الهدي محله .

قال: فقال له رجل من القوم (عمر): لنخرجن حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً !

فقال له سراقة بن مالك بن جعشم الكناني: يا رسول الله علمنا ديننا كأنا خلقنا اليوم ، فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بل هو للأبد إلى يوم القيامة ، ثم شبك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة.

قال: وقدم علي عليه السلام من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة ، فدخل على فاطمة سلام الله عليها وهي قد أحلت فوجد ريحاً طيبة ووجد عليها ثياباً مصبوغة فقال: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت أمرنا بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله.

فخرج علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مستفتياً فقال: يا رسول الله إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أمرت الناس بذلك فأنت يا علي بمَ أهللت؟ قال: يا رسول الله إهلالاً كإهلال النبي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قُرَّ على إحرامك مثلي ، وأنت شريكي في هديي .

قال: ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة بالبطحاء هو وأصحابه، ولم ينزل الدور، فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلوا بالحج، وهو قول الله عز وجل الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله: فاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبْرَاهيم.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه مُهِلّين بالحج حتى أتى منى فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر، ثم غدا والناس معه، وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جُمع ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وقريش ترجو أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون، فأنزل الله تعالى عليه: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ، يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم، فما رأت قريش أن قبة رسول الله صلى الله عليه وآله قد مضت، كأنه دخل في أنفسهم شئ للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم، حتى انتهى إلى نمرة، وهي بطن عرنة بحيال الأراك، فضربت قبته، وضرب الناس أخبيتهم عندها.

فلما زالت الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه قريش، وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم، ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم مضى إلى الموقف فوقف به، فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحاها، ففعلوا مثل ذلك، فقال: أيها الناس ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف، ولكن هذا كله وأومأ بيده إلى الموقف، فتفرق الناس.

وفعل مثل ذلك بالمزدلفة ، فوقف الناس حتى وقع القرص قرص الشمس ، ثم أفاض وأمر الناس بالدعة ، حتى انتهى إلى المزدلفة ، وهو المشعر الحرام فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ، ثم أقام حتى صلى فيها الفجر ، وعجل ضعفاء بني هاشم بليل وأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس ، فلما أضاء له النهار أفاض ، حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة .

وكان الهدي الذي جاء به رسول الله ﷺ أربعة وستين [أو ستة وستين] وجاء علي بأربعة وثلاثين [أو ستة وثلاثين] ، فنحر رسول الله ﷺ ستة وستين ونحر علي عليه السلام أربعة وثلاثين بدنة ، وأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ، ثم تطرح في برمة ثم تطبخ ، فأكل رسول الله ﷺ وعلي وحَسَيَا من مرقها ، ولم يعطيا الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلائدها وتصدق به ، وحلق ، وزار البيت ورجع إلى منى ، وأقام بها حتى كان اليوم الثالث من آخر أيام التشريق . ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الأبطح ، فقالت له عايشة: يا رسول الله ترجع نساؤك بحجة وعمرة معاً وأرجع بحجة ؟ فأقام بالأبطح وبعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم ، فأهلت بعمرة ثم جاءت وطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام وسعت بين الصفا والمروة ، ثم أتت النبي ﷺ فارتحل من يومه ، ولم يدخل المسجد الحرام ولم يطف بالبيت . ودخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين ، وخرج من أسفل مكة من ذي طوى...

وذكر أنه حيث لبى قال: لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر من ذي المعارج ، وكان يلبي كلما لقي راكباً ، أو علا أكمةً ، أو هبط وادياً ، ومن آخر الليل ، وفي إدبار الصلوات . فلما دخل مكة دخل من أعلاها من العقبة وخرج حين خرج من ذي طوى ، فلما انتهى إلى باب المسجد استقبل الكعبة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم ، ثم أتى الحجر فاستلمه ، فلما طاف بالبيت صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ودخل زمزم فشرب منها ، ثم قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء وسقم . فجعل يقول ذلك وهو مستقبل الكعبة ثم قال لأصحابه: ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر ، فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا...

الذي كان على بُدْن رسول الله صلى الله عليه وآله ناجية بن جندب الخزاعي الأسلمي . والذي حلق رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجته معمر بن عبد الله بن حراثة.. قال: ولما كان في حجة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يحلقه قالت قريش: أي معمر ، أذن رسول الله صلى الله عليه وآله في يدك وفي يدك الموسى ! فقال معمر: والله إني لأعده من الله فضلاً عظيماً عليَّ ، قال: وكان معمر هو الذي يرحل لرسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معمر إن الرحل الليلة لمسترخٍ ، فقال معمر: بأبي أنت وأمي لقد شددته كما كنت أشده ، ولكن بعض من حسدني مكاني منك يا رسول الله أراد أن تستبدل بي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لأفعل» .

وفي الكافي: ٢٥٧/٤، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: « لما وقف صلى الله عليه وآله بعرفة وهمَّت الشمس أن تغيب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بلال قل للناس فلينصتوا ، فلما نصتوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ربكم تطوَّل عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم ، فأفيضوا مغفوراً لكم ، قال: وزاد غير الثمالي أنه قال: إلا أهل التبعات ، فإن الله عدل يأخذ للضعيف من القوي .

فلما كانت ليلة جمع لم يزل يناجي ربه ويسأله لأهل التبعات ، فلما وقف بجمع قال لبلال: قل للناس فلينصتوا ، فلما نصتوا قال: إن ربكم تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم ، فأفيضوا مغفوراً لكم ، وضمن لأهل التبعات من عنده الرضا» .

أقول: معناه أن الله تعالى ضمن لمن شملته المغفرة في عرفات أن يُرْضِيَ عنه من له عليه حق فيعطيه حتى يُسقط حقه عن ذلك المؤمن . ولا يمكن أن يكون هذا الحكم عاماً لكل من حج ، لأن حج أناسٍ مشهود لهم من النبي وآله صلى الله عليه وآله بأنهم مجرمون من أهل النار .

٤- خطب النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع

مع أن المسلمين اهتموا بحجة الوداع ورووا منها أحاديث كثيرةً ، لكن رواة السلطة القرشية نَتَّفُوا الأحاديث وبتروها ، وخلطوا بين مضامينها !

وسبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله ركز فيها على مكانة عترته عليهم السلام ، وخصهم بكلام بليغ كثير ، فتعمدوا إهمال ذلك ، لأنه إدانة لنظام الخلافة القرشي الذي قام أساساً على إقصاء العترة عليهم السلام . فذنب أحاديث حجة الوداع أن النبي صلى الله عليه وآله أمر المسلمين فيها بطاعة أهل بيته عليهم السلام ، وحذر قريشاً والصحابة من معصيتهم !

وقد راجعت نصوص هذه الخطب في أكثر من مائة مصدر ، فوجدت كثيراً من نتفها ، وتشكل أجزاؤها منظومة كاملة من أحكام الإسلام في حقوق الإنسان عامة والمسلم خاصة ، وفي مستقبل الأمة ، ومكانة القرآن والعترة ! وفيها فقرات عديدة تؤكد على احترام دم الإنسان وملكيته وكرامته .

واليك أهم ما وصلنا من فقراتها ، وفهرساً للأسس التي تضمنتها ، وقد أفردنا بشارته صلى الله عليه وآله بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام بعنوان بعدها:

١- خطبة النبي صلى الله عليه وآله في عرفات:

قال ابن شعبة الحراني رحمه الله في تحف العقول/٣٠: خطبته صلى الله عليه وآله في حجة الوداع:

«الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد

أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على العمل بطاعته ، وأستفتح الله بالذي هو خير .

أما بعد: أيها الناس ! إسمعوا مني ما أبين لكم ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيها الناس: إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب. وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قَوَدٌ ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن ازداد فهو من الجاهلية .

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضي بأن يطاع فيما سوى ذلك ، فيما تحتقرون من أعمالكم .

أيها الناس: إنما النسئ زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاما ، ليواطؤوا عدة ماحرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقاً ، حقكم عليهن أن لايوطئن أحداً فرشكم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، وألا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكتاب الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيراً .

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فلا ترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي . ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد .

أيها الناس: إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** . وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس: إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا تجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر .

من ادعى إلى غير أبيه ، ومن تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . والسلام عليكم ورحمة الله».

٢- من خطب النبي صلى الله عليه وآله في منى:

في تفسير علي بن إبراهيم:١٧١/١« وحج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة ، فكان من قوله بمنى أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس: إسمعوا قولي واعقلوه عني ، فإني لا أدري ألقاكم بعد عامي هذا .

ثم قال: هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة ؟ قال الناس: هذا اليوم . قال: فأي شهر؟ قال الناس: هذا . قال: وأي بلد أعظم حرمة ؟ قالوا: بلدنا هذا . قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، إلى يوم تلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم .

ألا هل بلغت أيها الناس؟ قالوا: نعم . قال: اللهم اشهد .

ثم قال: ألا وكل مأثرة أو بدعة كانت في الجاهلية ، أو دم أو مال فهو تحت قدميَّ هاتين ، ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى .

ألا هل بلغت ؟ قالوا: نعم . قال: اللهم اشهد .

ثم قال: ألا وكل رباً كان في الجاهلية فهو موضوع ، وأول موضوع منه ربا العباس بن عبد المطلب . ألا وكل دم كان في الجاهلية فهو موضوع ، وأول موضوع دم ربيعة . ألا هل بلغت ؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد .

ثم قال: ألا وإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم ، ألا وإنه إذا أطيع فقد عبد !

ألا أيها الناس: إن المسلم أخو المسلم حقاً ، لايحل لامرئ مسلم دم امرئ مسلم وماله ، إلا ما أعطاه بطيبة نفس منه . وإني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله ، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله . ألا هل بلغت أيها الناس ؟ قالوا: نعم . قال: اللهم اشهد .

ثم قال: أيها الناس: إحفظوا قولي تنتفعوا به بعدي وافهموه تنعشوا ، ألا لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا ، فإن فعلتم ذلك ولتفعلن ! لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف ! ثم التفت عن يمينه فسكت ساعة ، ثم قال: إن شاء الله ، أو علي بن أبي طالب .

ثم قال: ألا وإني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ، ومن خالفهما فقد هلك .

ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم . قال: اللهم اشهد .

ثم قال: ألا وإنه سيرد عليَّ الحوض منكم رجال فيدفعون عني ، فأقول: رب أصحابي؟ فيقول: يا محمد إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك ! أقول: سحقاً سحقاً .

فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نُعِيَتْ إليَّ نفسي . ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخَيْف ، فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مقالتي فوعاها

وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ثلاث لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأئمة المسلمين ولزم جماعتهم ، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم . المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

أيها الناس: إني تارك فيكم الثقلين . قالوا: يا رسول الله وما الثقلان؟ قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض كإصبعيَّ هاتين وجمع بين سبابتيه ، ولا أقول كهاتين وجمع سبابته والوسطى ، فتفضل هذه على هذه ! فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته ! فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لايردُّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً ! فأنزل الله على نبيه في ذلك: أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ.أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ . (الزخرف: ٧٩-٨٠).

وفي بصائر الدرجات/٤٣٣: « عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام دعا رسول الله أصحابه بمنى وقال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين ، أمَا إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. ثم قال: أيها الناس ، إني تارك فيكم حرمات الله: كتاب الله ، وعترتي ، والكعبة البيت الحرام . ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما كتاب الله فحرفوا ، وأما الكعبة فهدموا ، وأما العترة فقتلوا ، وكل ودايع الله فقد تبَّروا» !

وفي الخصال/٤٨٦ ، بسنده عن عبد الله بن عمر قال:« نزلت هذه السورة: إذا جاء نصر الله والفتح ، على رسول الله صلى الله عليه وآله في أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع ، فركب راحلته العضباء فحمد الله وأثنى عليه.. ثم رواه بنحو تفسير القمي .

وفي الكافي:٤٠٣/١:« قال سفيان الثوري (لصاحبه): إذهب بنا إلى جعفر بن محمد ، قال فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابته ، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف . قال: دعني حتى أذهب في حاجتي فإني قد ركبت فإذا جئت حدثتك . فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله لما حدثتني . قال: فنزل فقال له سفيان: مر لي بدواة وقرطاس حتى أثبته ، فدعا به ثم قال أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم . خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نضَّرَ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم تبلغه. يا أيها الناس: ليبلغ الشاهد الغائب ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه: ثلاثٌ لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأئمة المسلمين ، واللزوم لجماعتهم ، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم. المؤمنون إخوةٌ تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم...

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه ، وركب أبو عبد الله وجئت أنا وسفيان ، فلما كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت ، حتى أنظر في هذا الحديث .

قلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله رقبتك شيئاً ، لايذهب من رقبتك أبداً !

فقال: وأي شئ ذلك ؟ فقلت له: ثلاث لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، قد عرفناه . والنصيحة لأئمة المسلمين ، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم ، وكل من لاتجوز الصلاة خلفهم ؟

وقوله: واللزوم لجماعتهم ، فأي الجماعة؟ مُرْجِئٌ يقول: من لم يُصلِّ ولم يَصُم ولم يغتسل من جنابة ، وهدم الكعبة ونكح أمه ، فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل؟! أو قدريٌّ يقول لايكون ما شاء الله عز وجل ويكون ما شاء إبليس ؟ أو حروري يتبرأ من علي بن أبي طالب ويشهد عليه بالكفر؟ أو جهميٌّ يقول إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شئ غيرها؟!

قال: ويحك وأي شئ يقولون؟! فقلت: يقولون: إن علي بن أبي طالب والله الإمام الذي وجب علينا نصيحته . ولزوم جماعتهم: أهل بيته !

قال: فأخذ الكتاب فخرقه ، ثم قال: لاتخبر بها أحداً !» .انتهى.

وفي الكافي:٧٤/٢، عن الإمام الباقرعليه السلام قال:«خطب رسول اللهﷺ في حجة الوداع فقال: يا أيها الناس والله ما من شئ يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار ، إلا وقد أمرتكم به، وما من شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه. ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحمل أحدكم استبطاء شئ من الرزق أن يطلبه بغير حله ، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته» .

ورواه في الحدائق: ١٨/ ٨ ، وقال: وروى في الكافي عن عمرو بن جميع قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه ويقضي به دينه ، ويصل به رحمه». راجع في تفسير القمي: ٣٠٣/٢ ، خطبته صلى الله عليه وآله في مكة ، وقد أخذ بحلقة الكعبة . وفي: ٤٤٧/٢ ، خطبته صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف .

٣- *ومن مصادر السنيين:*

في سنن الدارمي:٤٧/٢:«حتى إذا زاغت يعني الشمس (يوم عرفة) أمر بالقصواء فرُحِّلَتْ له ، فأتى بطن الوادي فخطب الناس ، وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا إن كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة... فاتقوا الله في النساء ، فإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله... وأنتم مسؤلون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة فرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد».

وفي صحيح بخاري: ١٢٦/٥: عن أبي بكرة عن النبي(ص) قال:« الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أي شهر هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فأي بلد هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال: أليس البلدة ؟قلنا: بلى. قال: فأي

يوم هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ! قال: أليس يوم النحر ؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم- قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم- عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم . ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه». وقد روته المصادر: (لاترجعوا بعدي كفاراً) ورواها بخاري وقليل غيره (ضلالاً) ! وروى أجزاء منها أيضاً في صحيحه: ١/٢٤.

وفي صحيح مسلم: ٤/٤١ ، قال:«حتى أتى عرفة... فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرُحِّلت له ، فأتى بطن الوادي فخطب الناس... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله ». فحذف وصية النبي صلى الله عليه وآله بعترته !

وفي ابن ماجة: ٢/١٠٢٤ ، والحاكم: ١/٧٧: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أيها الناس: إني فرط لكم على الحوض ، وإن سعته ما بين الكوفة إلى الحجر الأسود ، وآنيته كعدد النجوم ، وإني رأيت أناساً من أمتي (أصلها أصحابي) لما دنوا مني خرج عليهم رجل فمال بهم عني ، ثم أقبلت زمرة أخرى ففعل بهم كذلك فلم يفلت إلا كمثل همل النعم! فقال أبو بكر: لعلي منهم يا نبي الله ؟! قال: لا» !

وقصد الراوي أن يبعد أبا بكر عن الصحابة المطرودين !

وفي ابن ماجة:١٠١٦/٢، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص) وهو على ناقته المخضرمة بعرفات...« ألا وإني مستنقذ أناساً ، ومستنقَذٌ مني أناس ، فأقول: يا رب أصيحابي ! فيقول: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك » !

وفي سنن ابن ماجة: ١٣٠٠/٢ : عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال: ويحكم أو ويلكم ! لاترجعوا بعدي كفاراً..».

وفي سنن الترمذي: ٦٢/٢، عن أبي أمامة: «سمعت رسول الله(ص) يخطب في حجة الوداع فقال: إتقوا الله ربكم ، وصلُّوا خَمْسَكُم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم . قال: قلت لأبي أمامة: منذ كم سمعت هذا الحديث؟ قال: سمعت وأنا ابن ثلاثين سنة ».

وفي مسند أحمد:٤١٢/٥: « على ناقة حمراء مخضرمة فقال...ألا وإني فرطكم على الحوض أنظركم وإني مكاثرٌ بكم الأمم ، فلا تسوِّدُوا وجهي ! ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني وستسألون عني فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار. ألا وإني مستنقذٌ رجالاً أو أناساً ، ومستنقَذٌ مني آخرون فأقول: يا رب أصحابي..» !

وفي مجمع الزوائد: ٢٦٥/٣ ، عن الرقاشي قال:«كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله في وسط أيام التشريق أذود عنه الناس فقال... وفيه:« ألا لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض... أيها الناس: إن النساء عندكم عوان ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله... لايحل لامرئ من مال أخيه إلا ما طابت

به نفسه. أيها الناس: إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله فاعملوا به ». لاحظ أنهم لم يذكروا أهل بيته عليهم السلام !

٥- بشارة النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع بالأئمة الإثني عشر بعده

كان من الواضح للمسلمين أن ولاية الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله لعترته عليهم السلام فقد أمره الله تعالى أن يبلغ الأمة ولايتهم ، على سنته تعالى في أنبيائه السابقين الذين ورَّث عترتهم الكتاب والحكم ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . (آل عمران: ٣٤). ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ.(فاطر: ٣٢) .

والذين اصطفاهم الله علي وأبناؤه من فاطمة عليهم السلام ، والسابقون بالخيرات الأئمة المعصومون عليهم السلام منهم . والمقتصد: هو المؤمن بهم . والظالم لنفسه: من حسدهم وأنكرهم ! ولا يستقيم معنى الآية بتفسير آخر .

وقد بَلَّغَ النبي صلى الله عليه وآله طوال نبوته ولاية عترته بالتدريج والحكمة ، والتلويح والتصريح ، لعلمه بحسد قريش لهم ، وقد روت مصادرهم أنه صلى الله عليه وآله بشارته بالأئمة الإثني عشر في خطب حجة الوداع !

ففي صحيح بخاري: ١٢٧/٨،عن:«جابر بن سمرة قال: سمعت النبي(ص)يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش»!

وفي مسلم: ٣/٦:« لايزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ، ثم قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي: ما قال ؟ فقال: كلهم من قريش» !

ثم روى ثانية فيها:« ثم تكلم بشئ لم أفهمه» .

وثالثة فيها: « لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى إثني عشر خليفة ، فقال كلمة صَمَّنِيَها الناس ! فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش».

ولم يقل بخاري إن هذا الحديث من خطب حجة الوداع ! لكن عدداً من المصادر قالته ، كمسند أحمد:٩٣/٥ و٩٦ و٩٩: « عن جابر بن سمرة قال: خطبنا رسول الله(ص) بعرفات» . وفي/٨٧«يقول في حجة الوداع». وفي/٩٩: «سمعت رسول الله يخطب بمنى». وهذا يعني أنه صلى الله عليه وآله كرره في عرفات ومنى ، ثم أعلنه صريحاً في غدير خم !

وأصل الحديث: اثنا عشر إماماً كلهم من أهل بيتي ، ففي مسند أحمد: ١٠٠/٥ و١٠٧، لكن السلطة لا تريد أن تفهم الكلمة:« ثم قال كلمة لم أفهمها ، قلت لأبي: ما قال؟ قال: قال كلهم من قريش». وفي الحاكم:٦١٧/٣:« وقال كلمة خفيت عليَّ ، وكان أبي أدنى إليه مجلساً مني فقلت: ما قال ؟ فقال كلهم من قريش».

وفي أحمد:٩٠/٥ و٩٨، أن النبي صلى الله عليه وآله أخفاها وخفض بها صوته وهمس بها همساً !

وفي الحاكم:٦١٨/٣:« ثم قال كلمة وخفض بها صوته ، فقلت لعمي وكان أمامي: ما قال يا عم؟ قال: قال يا بني: كلهم من قريش».

وفي الطبراني الكبير: ٢١٣/٢و٢١٤:«قال (ص): يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً لايضرهم من خذلهم ، ثم همس رسول الله صلى الله عليه وآله بكلمة لم أسمعها ، فقلت لأبي: ما الكلمة التي همس بها النبي؟ قال أبي: كلهم من قريش».

وقالت روايات أخرى إن الذي ضيع الكلمة هم الناس ، وليس الراوي ولا النبي صلى الله عليه وآله ! فالناس المحرومون لربهم ، المنتظرون لكل كلمة تصدر من نبيهم ،

صاروا عند الكلمة الحساسة مشاغبين ! يلغطون ، ويضجون ، ويكبرون ، ويتكلمون ويقومون ويقعدون !

ففي سنن أبي داود: ٣٠٩/٢:« قال: فكبر الناس وضجوا ، ثم قال كلمة خفية ، قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: كلهم من قريش». ومثله أحمد: ٩٨/٥. وفيه:« ثم قال كلمة أصَمَّنِيها الناس ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش». وفي رواية مسلم المتقدمة: (صَمَّنيها الناس).

وفي أحمد:٩٣/٥:«وضج الناس..ثم لغط القوم وتكلموا فلم أفهم قوله بعد كلهم». وفي نفس الصفحة:«لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ، ينصرون على من ناواهم عليه إلى اثني عشر خليفة. قال فجعل الناس يقومون ويقعدون...» !

فهل سمعت بأمة يودعها نبيها ، ويبشرها بأن الله عز وجل حلَّ لها مشكلة القيادة وجعل فيها اثني عشر إماماً ربانياً ، ثم لم يحدد لها هؤلاء الأئمة ، لا بأسمائهم ولا بأسرتهم ! بل جعلهم ضائعين في عشرين قبيلة ! ولم يسأله أحد منها من هم ؟!

إنها فضيحة بقرون ! وراءها قريش بكيدها وخططها ضد النبي ﷺ وعترته !

وزعمهم أن النبي ﷺ ضيع الأئمة عليهم السلام وقال إنهم من قريش ، هو نفس كلام الذين دبروا السقيفة خلسة عن أهل البيت عليهم السلام وقالوا إن قريشاً تأبى أن تجمع لبني هاشم بين النبوة والخلافة ، فيجب أن تدور الخلافة بين بطون قريش العشرين !

وهم بطعنهم بالنبي ﷺ بأنه ضيع هوية الأئمة من بعده ، يطعنون بربهم سبحانه وتعالى وينسبون اليه أنه أنزل وعده لهذه الأمة باثني عشر إماماً مجهولين ، مشكوكين في عشرين قبيلة ! وأشعل الصراع بين هذه القبائل على الخلافة ورئاسة الدولة ، وهو يراهم يتحاربون سنين طويلة على فرس وبعير !

فالصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله حددهم بعترته عليهم السلام وسماهم: علياً والحسنين وتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام ، لكنهم تعمدوا تضييعهم !

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:« أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم !

بنا يُستعطى الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لاتصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم» (نهج البلاغة:٨٢/١،و: ٢٧/٢).

وقال أيضاً عليه السلام:« والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيِّزنا ، فكانوا كما قال الأول:

أدَمْتَ لعَمري شُرْبَك المحضَ صابحاً وأكلَك بالزُّبد المَقَشَّرة البُجْرَا

ونحن وهبناك العلاءَ ولم تكنْ علياً وحُطْنَا حولك الجُرْدَ والسُّمْرا ».

هذا ، وقد تحيَّر الشراح السنيون في حديث الأئمة الإثني ، وحاولوا تطبيقه على خلفائهم فلم يستطيعوا الى يومنا هذا ! واعترف ابن العربي المالكي المتوفى سنة٥٤٣ في عارضة الأحوذي ، بأن تطبيق الحديث على خلفائهم لايصح !

كما أخفوا أحاديث أن الأئمة من أهل البيت صلى الله عليه وآله وأحرقوها ! قال ابن مسعود: قال:«سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الأئمة بعدي اثنا عشر ، تسعة من صلب الحسين والتاسع مهديهم». وقد بحثناه في كتاب:(بشارة النبي صلى الله عليه وآله بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام).

٦- تحذير النبي ﷺ لقريش والصحابة أن يطغوا بعده

سبب التحذير النبوي أن قريشاً لها موقع القيادة في العرب ، فعامة قبائل العرب تَبَعٌ لها ، والخطر الذي يخشاه النبي ﷺ على أهل بيته إنما هو من قريش وحدها ، والتحريف الذي يخشاه على الإسلام ، والظلم الذي يخشاه على المسلمين ، إنما هو من قريش وحدها ! لذا قال لهم ﷺ: «يا معشر قريش لاتجيؤوا بالدنيا تحملونها على رقابكم ، وتجئ الناس بالآخرة ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً».

وهذا نفس تحذيره ﷺ للصحابة من الصراع على السلطة ، وقد رواه الجميع كقوله ﷺ: «ويحكم أو ويلكم لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».(ابن ماجة: ١٣٠٠/٢). وقوله ﷺ: « لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا فإن فعلتم ذلك وَلَتَفْعَلُنَّ ». (تفسير القمي: ١٧١٧/١).

فقد أخبرهم ﷺ أنهم سيفعلون ! واستعمل بلاغته ﷺ وكل موجبات الخوف والحذر ، ليقيم عليهم الحجة فلايقولون يوم القيامة: لماذا لم تحذرنا ؟!

فالذين حذرهم ليسوا إلا صحابته فقط لاغير ! لا اليهود ، ولا الروم ، ولا القبائل العربية ، ولا زعماء قريش بدون شركائهم من الصحابة !

ذلك أن الخوف من الإقتتال بعده ليس من القبائل التي خضعت للإسلام طوعاً أو كرهاً . فهي مهما كانت كبيرة وموحدة مثل هوازن وغطفان.. لاتطمح إلى قيادة هذه الدولة ، وإن طمحت فلا حظٌ لها في النجاح إلا بواسطة الصحابة !

واليهود انكسروا وأجلى النبي صلى الله عليه وآله قسماً منهم من الجزيرة ، ولم تبق لهم قوة عسكرية تذكر ، ومكائدهم لا حظَّ لها في النجاح إلا بواسطة الصحابة الذين تعاهدوا معهم سراً ! سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ! (محمد: ٢٦).

وزعماء قريش ، مع أنهم يملكون نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، لكنهم لا طريق لهم الى قيادة الدولة إلا بالصحابة القرشيين ! فلايستطيعون أن يدَّعوا حقاً في قيادة دولة النبي صلى الله عليه وآله التي كانوا أعداؤها ! لهذا كان تحذيره صلى الله عليه وآله من الصراع على السلطة بعده ، محصوراً بهؤلاء الصحابة المهاجرين ، ثم بالأنصار فقط !

لكنك تقرأ في مصادر السلطة عشرات الأحاديث في مدح قريش ، وأن القيادة يجب أن تكون لهم دون غيرهم ! ولا ترى من أحاديث تحذيره لهم إلا ما أفلت من الرقابة .

فقد حرفوها وجعلوها تحذيراً لبني هاشم بأن لا يطمعوا في الدنيا ، لأنه لايغني عنهم من الله شيئاً ! (صحيح بخاري:١٧/٦).

أو جعلوها تحذيراً لفاطمة عليها السلام بأنها لو سرقت لقطع يدها ! (صحيح بخاري: ١٥١/٤و: ٩٧/٥و: ١٦/٨). وتحذيراً لبني عبد المطلب بنحو هذا !

ومما أفلت وكان حجة دامغة وما زال ، تحذير النبي صلى الله عليه وآله لصحابته في حجة الوداع ، وهو تحذير رسمه ببلاغته النبوية لوحةً خالدة لاتنقصها إلا الأسماء ، وقد بينت المصير الجهنمي الذي يمشي إليه هؤلاء الصحابة الضالون !

فقد رسم النبي ﷺ مجيئهم الى حوض الكوثر يوم المحشر، فيأتي النداء الإلهي بمنعه من الشفاعة لهم ، ومنعهم من ورود الحوض ، ويؤمر بهم إلى جهنم !!

إنها صورة رهيبة نزل بها جبرئيل الأمين عليه السلام ليبلغها النبي ﷺ إلى الأمة في حجة الوداع ! تجسد الكارثة على صحابته ، جزاءً لهم على الكارثة التي سينزلونها في أمته بعده ! ولا ينجو من هؤلاء المجرمين إلا مثل (هَمَل النَّعم) كما في رواية بخاري ، أي الغنم المنفردة عن القطيع ! ومعناه أن قطيع الصحابة في النار ولا يفلت منهم إلا قلة ! وقد ذكر أنهم زمرتان لأنهم خطان !

وهذه حقيقةٌ مذهلةٌ ، صعبة التصديق على المسلم السني المسكين ، الذي رباه أبواه على حب كل الصحابة ، وخير القرون ، والجيل الفريد ، وحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.. وزرعوا في ذهنه من صغره الصور المثالية لزيد وعمرو ، فإذا به يفاجأ بصورة مخيفة عنهم !

ولو كان المتكلم غير رسول الله ﷺ لما تردد في الحكم عليه بأنه عدو الإسلام يريد أن يكيد له بالطعن في صحابة رسول الإسلام ﷺ !

ولو كان الراوي غير البخاري لما تردد في تضعيف حديثه واتهامه !

لكن المتحدث الرسول ﷺ نفسه ، وكلامه وحيٌ وليس رأياً رآه حتى يقول إنه بشر يغضب ويتكلم كما قالت قريش ، بل وحيٌ عن حدث سيحدث لامحالة !

وراويه هو البخاري الذي أعطوا كتابه درجة العصمة ، من الجلد الى الجلد !

إنها جرعةٌ مذهلة للسني المسكين ، لايكاد يتحمل مرارتها !

لأنه تعلم أن الحقيقة دائماً حلوة ، والحق دائماً مفصلٌ على مزاجه؟!

وتسأل: لماذا اختار الله تعالى هذا الأسلوب في التحذير ، ولم يهلك أولئك الصحابة المجرمين أو يأمر رسوله صلى الله عليه وآله بقتلهم، أو يكشفهم للمسلمين ليحذروهم !

والجواب: هذه سياسة الله سبحانه وتعالى وقوانينه في إقامة الحجة على عباده ، فهو يمتحنهم بتيسير الهدى والضلال ويترك لهم الحرية: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ . وقال: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا .

وتسأل: لماذا لم يهرعوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله ليحدد لهم الطريق أكثر ، عندما أخبرهم بهذه القارعة التي ستحل بأمته على أيدي صحابته ، ويعين لهم من يتبعونه بعده ، حتى لايضلهم هؤلاء الصحابة الخطرون ؟!

والجواب: أنه عيَّنَ لهم الثقلَيْن بعده: كتابَ الله وعترته ، وبشرهم باثني عشر إماماً ربانياً عليهم السلام ، وحدد عترته وأهل بيته مراراً قبل حجة الوداع وبعدها بأسمائهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأدار عليهم كساء يمانياً . فجعل أهل بيته مصطلحاً إسلامياً ، وأخرجهم عن المعنى اللغوي !

ولم يكتف بذلك حتى أوقف المسلمين في الجحفة ، وأخذ بيد علي عليه السلام وأعلنه إماماً بعده ، وجعل له الولاية على أمته ، ونصب له خيمة وأمرهم أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، ويباركوا له ولايته عليهم ، فهنؤوه وباركوا له وبخبخوا له ، وأمر نساءه أن يهنئنه فجئن إلى باب خيمته وهنأنه وباركن له !

ثم أراد ﷺ في مرض وفاته أن يؤكد الحجة بوثيقة مكتوبة ، فطلب منهم أن يأتوه بدواة وقرطاس ، ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً..

ولكنهم رفضوا ذلك بشدة ، ورفعوا في وجهه القرآن فقالوا له: حسبنا كتاب الله ! أيها الرسول لانريد أن تكتب لنا أطيعوا بعدي علياً ، ثم أولاد ابنتي فاطمة حسناً ثم حسيناً ، ثم تسعة من ذرية الحسين !

وغضبوا ولغطوا وصاحوا بالحاضرين: لاتقربوا له دواة ولا قرطاساً !

فغضب النبي ﷺ وطردهم وقال لهم: قوموا عني فما أنا فيه خير مما تدعونني اليه ! إنكم تدعوني لأن أصرَّ عليكم ، فتعلنوا الردة !

فماذا تريد من نبيك ﷺ أن يفعل أكثر من هذا ؟!

٧- عقوبة المخالفين لوصية النبي ﷺ في عترته عليهم السلام

من الأساليب النبوية في التأكيد في خطب حجة الوداع ، أنه ﷺ بعد حديثه عن أهل بيته عليهم السلام ، أعلن مبدأ: (لعن من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه » !

ففي مسند أحمد: ١٨٦/٤: «خطبنا رسول الله (ص) وهو على ناقته فقال: ألا إن الصدقة لاتحل لي ولا لأهل بيتي ، وأخذ وبرة من كاهل ناقته فقال: ولا ما يساوي هذه ، أو ما يزن هذه . لعن الله من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه» !

وسيأتي في فصل جيش أسامة تفسير النبي ﷺ لمقصوده بهذه اللعنة .

٨- قريش تكتب معاهدة لأخذ خلافة النبي صلى الله عليه وآله من بني هاشم

كانت قريش في حجة الوداع مستنفرة خوفاً من فرض النبي صلى الله عليه وآله خلافة عترته عليها ! وكان المتآمرون لقتل النبي صلى الله عليه وآله في طريق تبوك موجودين معه في حجة الوداع ! وقد فرحوا لأنه صلى الله عليه وآله لم يستطع أن يكشف أسماءهم ، ولا أن يعاقبهم على مؤامرة تبوك ! واعتبروا ذلك انتصاراً بالحد الأدنى عليه صلى الله عليه وآله !

وكانوا يرون أنه ماضٍ في تركيز خلافة علي ، فقد أشاد به في طريق تبوك ، وفي المدينة بعد عودته ، وسحب سورة براءة من أبي بكر وبعثه بدله بها ، لأن جبرئيل أمره بأنه لايبلغ عنه إلا هو أو رجل منه !

ثم أشركه في أضاحيه لأنهما من ولد عبد المطلب ، وجعلها مئة ناقة على عدد نذر عبد المطلب عن أبيه عبد الله . ثم خص ابنته فاطمة بأضحية وقال لها قومي فاشهدي أضحيتك (المغني:١/١٥٦) بينما ذبح لكل نسائه بقرة (المغني: ٣/٥٠١).

وتواصلت أحاديثه عن مكانة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فقال إن فاطمة سيدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وإنهما إمامان قاما أو قعدا ، وإن علياً أسد الله وأسد رسوله وولي المؤمنين بعده .

ثم كان يؤكد على ميزانية (الخمس) التي جعلها من يوم بدر جعل لبني هاشم لينزههم عن الزكوات التي هي أوساخ الناس ، وهذا أقصى الرفعة لهم !

ثم لم يرض بذلك حتى قرن عترته بالقرآن وأوصى بهما الأمة ، ثم بشر باثني عشر إماماً ربانيين من عترته ، أي أن إمامتهم من الله !

فماذا بقي لقبائل قريش ؟!

ثم تراه يتعمد الحديث عن ظلم قريش ومحاصرتهم له ولبني هاشم سنين في شعب أبي طالب ، فقد أعلن يوم التروية:«منزلنا غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».(صحيح بخاري:١٥٨/٢) ثم كرره بعد عرفات . (بخاري: ٢٤٧/٤). وكان أكد عليه يوم فتح مكة !

فلا حل عند قريش إلا بمواصلة العمل لقتل محمد ! وبالحيلولة فعلاً بينه وبين إعلانه علياً خليفة ، حتى بالتشويش على كلامه ، وبالقول للناس إنه لم يقل ، وبالتهديد بإعلان الردة عندما يلزم ذلك ! وهو الأمر الذي يخاف منه كثيراً !

إن قراءة نصوص خطب النبي صلى الله عليه وآله في عرفات حتى برواية السلطة ، يكفي لمعرفة الجو الذي أوجدته قريش حول النبي صلى الله عليه وآله ، وكيف كانت تترقب كلماته لتشوش على ما لايناسبها وترفضه ، وتأخذ ما يناسبها وتضخمه !

فقد كان يوم عرفات أهدأ مكان وأنسبه لأن يوصل النبي صلى الله عليه وآله ما يريده الى المسلمين المحرمين بحجهم الواقفين لربهم ، فركب ناقته ليشاهدوه ويسمعوه ، وكان صوته يصل الى أكثرهم ، ودعا برجل جهوري الصوت فكان يلقي الجملة ويقول له: أصرخ بها ، فيصرخ ويسمعها من لم يسمعها مباشرة .

لكن ما أن بشر أمته بالأئمة الإثني عشر من عترته ، حتى ارتفعت الضجة واللغط (فضجوا وقاموا وقعدو وكبروا ولغطوا) وقال راوي قريش إن النبي قال: اثنا عشر إماماً ثم قال كلمة لم أفهمها فسألت عمر فقال: كلهم من قريش من قريش !

قال أمير المؤمنين عليه السلام:« إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله وحسدته على ما آتاه الله من فضله واستطالت أيامه ! حتى قذفت زوجته ونفرت به ناقته ، مع عظيم إحسانه

إليها وجسيم مننه عندها ! وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته » ! (شرح النهج: ٢٠/٢٩٨).

ولم تكتف قريش بأعمالها تلك لمنع تسمية النبي صلى الله عليه وآله لعلي والأئمة من العترة بل أرادت أن تضمن نجاح إقصائهم فكتبت معاهدة بذلك في الكعبة !

ففي مختصر بصائر الدرجات/١٩:«عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنه بلغ رسول الله عن بطنين من قريش كلام تكلموا به فقالوا: يرى محمد أن لو قد قضى أن هذا الأمر يعود في أهل بيته من بعده ! فأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فباح في مجمع من قريش بما كان يكتمه فقال: كيف أنتم معاشر قريش وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف؟!

قال: فنزل جبرئيل فقال: يا محمد قل إن شاء الله أو يكون ذلك علي بن أبي طالب إن شاء الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو يكون ذلك علي بن أبي طالب إن شاء الله . فقال جبرئيل: واحدة لك ، واثنتان لعلي بن أبي طالب ، وموعدكم السلم ! قال أبان: جعلت فداك وأين السلم؟ فقال: يا أبان السلم من ظهر الكوفة». وأمالي المفيد/١١٢، وفي مختصر البصائر/١١٠: «وموعدكم السلام». ومعناه في رجعة النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام في دولة المهدي عليه السلام (تفسير الصافي: ٣/٤٠٩) . وتقدم من تفسير القمي: ١/١٧٣، أنه بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله في منى وتأكيده على كتاب الله وأهل بيته عليهم السلام: « فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته ! فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لايردُّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً...» .

وفي الكافي: ٤/٥٤٥:« عن الحارث بن الحصيرة الأسدي ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:«كنت دخلت مع أبي الكعبة فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا

الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً ! قال قلت: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم ابن الحبيبة»!

وفي الإستغاثة:٦٦/٢:«وأما أبو عبيدة الجراح فالرواية عن أهل البيت عليهم السلام أنه كان أمين القوم الذين تحالفوا في الكعبة الشريفة أنه إن مات محمد أو قتل لا يصيروا هذا الأمر إلى أهل بيته من بعده ، وكتبوا بينهم صحيفة بذلك ، ثم جعلوا أبا عبيدة بينهم أميناً على تلك الصحيفة ، وهي الصحيفة التي روت العامة أن أمير المؤمنين دخل على عمر وهو مسجى فقال: ما أبالي أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى ، وكان عمر كاتب الصحيفة فلما أودعوه الصحيفة خرجوا من الكعبة الشريفة ودخلوا المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله فيه جالساً فنظر إلى أبي عبيدة فقال: هذا أمين هذه الأمة على باطلها ! يعني أمين النفر الذين كتبوا الصحيفة ! فروت العامة أن رسول الله قال: أبو عبيدة أمين هذه الأمة » !

وفي تفسير القمي:١٥٦/١:«قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً . قال: نزلت في الذين آمنوا برسول الله إقراراً لا تصديقاً ، ثم كفروا لما كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردوا الأمر إلى أهل بيته أبداً ، فلما نزلت الولاية وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الميثاق عليهم لأمير المؤمنين آمنوا إقراراً لا تصديقاً، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وآله كفروا وازدادوا كفراً».

وعُرفت الصحيفة التي كتبوها في حجة الوداع بالصحيفة الملعونة الثانية والأولى صحيفة المقاطعة لبني هاشم حتى يسلموهم النبي صلى الله عليه وآله ليقتلوه !

وفي تفسير العياشي:١/٣٣٤: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: وَحَسِبُوا أَلا تَكُونَ فِتْنَةٌ: قال: حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرهم. فَعَمُوا وَصَمُّوا: حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ: حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام. قال: ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا.. إلى الساعة»!

وسيأتي أن أبيَّ بن كعب رحمه الله كان يسميهم أصحاب العقدة!

الفصل الحادي والستون

النبي ﷺ يعلن علياً عليه السلام خليفته في غدير خم

١ - نتيجة حجة الوداع عند قريش وعند النبي ﷺ

كان زعماء قريش يتكلمون عن خلافة النبي ﷺ وميله الى ابن عمه وعترته وكأنهم لم يشموا رائحة الإسلام ! وكأن محمداً ﷺ هو الذي يعطي الإمامة والخلافة فأعطاها لبني هاشم تعصباً لهم وظلماً لقبائل قريش !

واعتبر القرشيون أن حجة الوداع مرَّت بسلام ، فقد تحدث النبي ﷺ كثيراً عن عترته ، والأئمة منهم الى آخر الدهر.. الخ. لكن كانوا مرتاحين لأنه لم يطلب منهم أن يبايعوا علياً كبير أهل البيت بصفته الإمام الأول من أئمة العترة عليهم السلام.

أما النبي ﷺ فاعتبر أنه بلَّغَ رسالة ربه في عترته بأقصى ما يمكنه ، وأن قريشاً لا تتحمل أكثر من ذلك ! ولو طلب منها بيعة علي بعده ، لطعنت في نبوته وقالت إنه ينطق عن الهوى ، ويريد إقامة ملك لبني هاشم كملك كسرى وقيصر ، وقادت حركة ردة في العرب بتخويفهم من ملك بني هاشم بعد النبي ﷺ ، لأنه ملكٌ يبدأ بعلي وهو في الثلاثينات من عمره ، ثم يكون للحسن والحسين وهما دون

العاشرة ، ثم لايخرج من أبناء فاطمة إلى يوم القيامة ، وتكون بطون قريش محكومة لبني هاشم ولايكون لها شئ !

لذلك أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يؤخر بقية تفسيره للولاية وإعلانه علياً عليه السلام خليفته الى المدينة ، لكن جاءه الأمر الإلهي بأن يبلغ ذلك في طريق عودته من حجة الوداع عند غدير خم ، فصدع بأمر ربه .

ففي الكافي: ١/٢٨٩، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أمر الله عز وجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وفرض ولاية أولي الأمر فلم يدروا ما هي؟ فأمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولاية كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج.

فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه ! فضاق صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.. فصدع بأمر الله تعالى ذكره ، فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم ، فنادى الصلاة جامعة ، وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب .

وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض ، فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي. قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة ، قد أكملت لكم الفرائض» .

وفي تفسير العياشي:١/٣٣١ ، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: « أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن ينصب علياً عليه السلام علماً للناس ويخبرهم بولايته ، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه ، وأن يطعنوا في ذلك عليه ! فأوحى الله إليه: يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله بولايته يوم غدير خم» .

وفي إقبال الأعمال: ٢/٢٤١: « فخرجنا إلى مكة مع النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع ، فنزل جبرئيل فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: أنصب علياً علماً للناس ! فبكى النبي صلى الله عليه وآله حتى اخضلت لحيته وقال: يا جبرئيل إن قومي حديثوا عهد بالجاهلية ، ضربتهم على الدين طوعاً وكرهاً حتى انقادوا لي ، فكيف إذا حملت على رقابهم غيري ، قال: فصعد جبرئيل» .

أقول: نصَّ حديث الإمام الباقر عليه السلام على أن فريضة الولاية لأولي الأمر من أهل البيت عليهم السلام ، نزلت في المدينة قبل حجة الوداع ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بتفسيرها للمسلمين ، لأن آية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ.. في سورة النساء ، وقد نزلت قبل حجة الوداع.

ويظهر أن كل أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في حق علي والعترة عليهم السلام بعدها كانت تفسيراً لها ، ومنها أحاديثه في حجة الوداع وبشارته بالأئمة الإثني عشر من عترته .

ومعنى قوله عليه السلام: « وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ.. أنه قال لجبرئيل إن قومي حديثو عهد بالإسلام وأخشى أن يرتدوا ! فسكت

جبرئيل ولم يشدد على النبي صلى الله عليه وآله فواصل خطته النبوية في التفسير التدريجي ، حتى نزل جبرئيل عليه السلام في غدير خم بآية التبليغ وفيها تشديد على التبليغ ووعد بعصمته من ارتداد الناس عن نبوته! فأمر بإيقاف المسلمين وبلغهم أمر ربه .

٢- جبرئيل ينزل بآية التبليغ ويوقف قافلة النبي صلى الله عليه وآله

كان جبرئيل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وآله بأوامر ربه طوال حجة الوداع ، وقد يملي عليه عبارات من خطبه . وكان قال له في المدينة: يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك إنه قد دنا أجلك ، ويأمرك أن تدل أمتك على وليهم ، فاعهد عهدك واعمد الى ماعندك من العلم وميراث الأنبياء فورثه علياً وأقمه للناس علماً ، فإني لم أقبض نبياً من أنبيائي إلا بعد إكمال ديني ، ولم أترك أرضي بغير حجة على خلقي.. الخ.

ففي دعائم الإسلام: ١/١٤، أن رجلاً قال للإمام الباقر عليه السلام: «يا ابن رسول الله إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس ، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني ؟قال له أبو جعفر: فهل حدثكم بالرسالة؟ قال: لا ، قال: أما والله إنه ليعلم ما هي ولكنه كتمها متعمداً ! قال الرجل: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟

فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه ، فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون ، فأمر الله عز وجل محمداً نبيه صلى الله عليه وآله أن يبين لهم كيف يصلون

فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسَّراً ، وفرض الصلاة في القرآن جملة ، ففسرها رسول الله ﷺ في سنته وأعلمهم بالذي أمرهم به من الصلاة التي فرض الله عليهم. وأمر بالزكاة فلم يدروا ما هي ففسرها رسول الله ﷺ وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع ، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسره لأمته وبينه لهم. وفرض عليهم الصوم فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون ، ففسره لهم رسول الله ﷺ وبين لهم ما يتقون في الصوم وكيف يصومون. وأمر بالحج فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنته .

وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . ففرض الله ولاية ولاة الأمر فلم يدروا ما هي ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ﷺ ذرعاً وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه ، فضاق صدره وراجع ربه فأوحى إليه: يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم غدير خم ونادى لذلك: الصلاة جامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب .

وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء ، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى . وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا ، قال أبو جعفر: يقول الله عز وجل: لاأنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة قد أكملت لكم هذه الفرائض».

ونحوه في: ٢/٢٧٦، وفيه:« فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل أمتي حديثة عهدٍ بجاهلية ، وأخاف عليهم أن يرتدوا ، فأنزل الله عز وجل: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - فإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس. فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله بداً من أن جمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني ، أفلستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأني مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم ؟ قالوا: بلى ، فأخذ بيد علي عليه السلام فأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، ومن كنت وليه فهذا علي وليه ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فوجبت ولاية علي عليه السلام على كل مسلم ومسلمة».

ونحوه العياشي: ١/٣٣٣، وفيه: « فقام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى ، كان يروي عن الحسن البصري..إلخ.».

وفي شرح الأخبار:١٠٤/١:« قال جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن آبائه صلوات الله عليهم أجمعين: إن آخر ما أنزل الله عز وجل من الفرائض ولاية علي عليه السلام فخاف رسول الله صلى الله عليه وآله إن بلغها الناس أن يكذبوه ويرتد أكثرهم حسداً له ، لما علمه في صدور كثير منهم له ! فلما حج حجة الوداع وخطب بالناس بعرفة ، وقد اجتمعوا

من كل أفق لشهود الحج معه ، علمهم في خطبته معالم دينهم وأوصاهم ، وقال في خطبته: إني خشيت ألا أراكم ولا تروني بعد يومي هذا في مقامي هذا ، وقد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، حبل ممدود من السماء إليكم طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، وأجمل صلى الله عليه وآله ذكر الولاية في أهل بيته إذ علم أن ليس فيهم أحد ينازع فيها علياً عليه السلام وأن الناس إن سلموها لهم سلموها لعلي عليه السلام ، واتقى عليه وعليهم أن يقيمه هو بنفسه .

فلما قضى حجه وانصرف وصار إلى غدير خم أنزل الله عز وجل عليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فقام بولاية علي عليه السلام ونص عليه كما أمر الله تعالى فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً».

٣- عُرج بالنبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع

في أمالي الصدوق/٤٣٥: «عن عبد الله بن عباس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به إلى السماء ، انتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له النور ، وهو قول الله عز وجل: خلقَ الظلماتِ والنُّور ، فلما انتهى به إلى ذلك النهر قال له جبرئيل: يا محمد أعبر على بركة الله ، فقد نوَّر الله لك بصرك ومدَّ لك أمامك ، فإن هذا نهرٌ لم يعبره أحد لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ، غير أن لي في كل يوم اغتماسة فيه ثم أخرج

منه فأنفض أجنحتي ، فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرباً له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان ، كل لسان يلفظ بلغة لايفقهها اللسان الآخر !

فعبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى إلى الحجب ، والحجب خمسمائة حجاب ، من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام ، ثم قال: تقدم يا محمد . فقال له: يا جبرئيل ، ولم لا تكون معي؟ قال: ليس لي أن أجوز هذا المكان !

فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله ما شاء الله أن يتقدم حتى سمع ما قال الرب تبارك وتعالى: أنا المحمود وأنت محمد ، شققت اسمك من اسمي ، فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتلته . إنزل إلى عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك ، وأني لم أبعث نبياً إلا جعلت له وزيراً ، وأنك رسولي ، وأن علياً وزيرك .

فهبط رسول الله صلى الله عليه وآله فكره أن يحدث الناس بشئ كراهية أن يتهموه ، لأنهم كانوا حديثي عهد بالجاهلية ، حتى مضى لذلك ستة أيام فأنزل الله تبارك وتعالى: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ.. فاحتمل رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك حتى كان يوم الثامن فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تهديدٌ بعد وعيد ، لأمضين أمر الله عز وجل ، فإن يتهموني ويكذبوني فهو أهون عليَّ من أن يعاقبني العقوبة الموجعة في الدنيا والآخرة !

قال: وسلم جبرئيل على علي بإمرة المؤمنين فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أسمع الكلام ولا أحس الرؤية . فقال: يا علي ، هذا جبرئيل أتاني من قبل ربي بتصديق ما وعدني . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً فرجلاً من أصحابه حتى سلموا عليه بإمرة المؤمنين ، ثم قال: يا بلال ، ناد في الناس أن لا يبقى غداً أحد إلا عليل إلا خرج إلى غدير خم ، فلما كان من الغد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله بجماعة أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليكم برسالة ، وإني ضقت بها ذرعاً مخافة أن تتهموني وتكذبوني حتى أنزل الله علي وعيداً بعد وعيد ، فكان تكذيبكم إياي أيسر عليَّ من عقوبة الله إياي !

إن الله تبارك وتعالى أسرى بي وأسمعني وقال: يا محمد ، أنا المحمود وأنت محمد ، شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتلته ، إنزل إلى عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك ، وأني لم أبعث نبياً إلا جعلت له وزيراً ، وإنك رسولي وإن علياً وزيرك . ثم أخذ صلى الله عليه وآله بيدي علي بن أبي طالب فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما ولم ير قبل ذلك ثم قال: أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى مولاي وأنا مولى المؤمنين ، فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله .

فقال الشكاك والمنافقون والذين في قلوبهم مرض وزيغ: نبرأ إلى الله من مقالته! ليس بحتم ولا نرضى أن يكون عليٌّ وزيره ، هذه منه عصبية !

فقال سلمان والمقداد وأبو ذر وعمار بن ياسر: والله ما برحنا العرصة حتى نزلت هذه الآيـة: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا فكرر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ثلاثاً ثم قال: إن كمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب بإرسالي إليكم بالولاية بعدي لعلي بن أبي طالب».

أقول: تقدم أنه عُرج بالنبي صلى الله عليه وآله مئة وعشرين مرة. وحسب هذا الحديث يكون هذا العروج في حجة الوداع يوم العيد، قبل الغدير بثمانية أيام.

٤- نزل جبرئيل بآية التبليغ في ثلاثة أيام!

في بحار الأنوار: ٣٧/١٦٥، عن جامع الأخبار للصدوق، وفـي معـارج اليقـين/٤٧، بسنده عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما خرج رسـول الله صلى الله عليه وآله إلـى مكـة في حجة الوداع، فلما انصرف منها ومعه من مكة اثنا عشر ألف رجل مـن الـيمن وخمسة آلاف رجل من المدينة، جاءه جبرئيل في الطريق فقال له: يا رسـول الله إن الله تعالى يقرؤك السلام وقرأ هذه الآية: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّكَ.. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل إن الناس حديثو عهد بالإسـلام فأخشـى أن يضطربوا ولا يطيعوا، فعرج جبرئيل عليه السلام إلى مكانه ونزل عليه في يـوم الثـاني، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نازلاً بغدير، فقال له: يا محمـد: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَـا أُنـزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ، فقـال لـه: يـا جبرئيـل أخشـى مـن أصحابي أن يخالفوني! فعرج جبرئيل ونزل عليه في اليوم الثالث وكان رسـول الله

صلى الله عليه وآله بموضع يقال له غدير خم وقال له: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فلما سمع رسول الله هذه المقالة قال للناس: أنيخوا ناقتي ، فوالله ما أبرح من هذا المكان حتى أبلغ رسالة ربي ! وأمر أن ينصب له منبر من أقتاب الإبل ، وصعدها وأخرج معه علياً عليه السلام وقام قائماً وخطب خطبة بليغة وعظ فيها وزجر ، ثم قال في آخر كلامه:

يا أيها الناس ألست أولى بكم منكم ؟ فقالوا: بلى يا رسول الله . ثم قال: قم يا علي فقام علي عليه السلام فأخذ بيده فرفعها حتى رئي بياض إبطيهما ، ثم قال: ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله .

ثم نزل من المنبر وجاء أصحابه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهنؤوه بالولاية ، وأول من قام عمر بن الخطاب فقال له: يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ونزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا» .

٥- خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير

في اليوم الثالث من مسيره ، جاءه جبرئيل عليه السلام بآية التبليغ وهو في منطقة كراع الغميم ، لخمس ساعات مضت من النهار ، فخشع لربه وتَسَمَّرَ في مكانه ، وأصدر أمره إلى المسلمين بالتوقف ، وكان أولهم قد وصل إلى مشارف الجحفة ، وهي

بلدةٌ عامرة على بعد ميلين أو أقل ، لكنه صلى الله عليه وآله أراد تنفيذ الأمر الإلهي فوراً في المكان الذي نزل فيه الوحي ، ونادى مناديه: أيها الناس أجيبوا داعي الله ، وأمرهم أن يوقفوا من تأخر من المسلمين ويردوا من تقدم منهم .

وتقدم نحو دوحة غدير خم وأمرهم أن يكسحوا تحت الأشجار لتكون مكاناً لخطبته وللصلاة في ذلك الهجير ، فنصبوا له أحجاراً كهيئة المنبر ليشرف على الناس فيرونه ويسمعوا كلامه ، ووضعوا عليها حدائج الإبل فصار أكثر ارتفاعاً ، ووردوا ماء الغدير فشربوا منه وتوضؤوا . ولم يتسع لهم المكان تحت دوحة الغدير ، وكانت ستٌ أشجارٍ كبيرة ، فجلس بعضهم في الشمس أو استظل بناقته.

عرفوا أن أمراً قد حدث وأن النبي صلى الله عليه وآله سيخطب ، فقد نزل عليه وحيٌ أوجب أن يوقفهم في هذا الهجير ، قبل محطة الجحفة القريبة !

صعد النبي صلى الله عليه وآله منبر الأحجار والأحداج ، وبدأ باسم الله تعالى وأخذ يرتل قصيدته في حمد الله تعالى والثناء عليه ويُشهد الله تعالى والناس على عبوديته المطلقة لربه العظيم عز وجل . ثم قدم لهم عذره لأنه اضطر أن ينزلهم في مكان قليل الماء والشجر ، ولم يمهلهم حتى يصلوا إلى بلدة الجحفة المناسبة لنزول مثل هذا القافلة الكبيرة ، وكلفهم الإستماع إليه في حر الظهيرة !

أخبرهم صلى الله عليه وآله أن جبرئيل عليه السلام أمره أن يفسر للمسلمين فريضة الولاية ويقيم علياً إماماً بعده للناس ، قال لهم: إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً ، وخفت الناس أن يكذبوني ، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني: أمتي

حديثو عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي ، يقول قائل ويقول قائل ! فأتتني عزيمة من الله بتلة (قاطعة)في هذا المكان وتوعدني إن لم أبلغها ليعذبني ! وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة من الناس وهو الكافي الكريم ، فأوحى إلي: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، ثم قال صلى الله عليه وآله: « لاإله إلا هو ، لايؤمن مكره ، ولا يخاف جوره أقرُّ له على نفسي بالعبودية وأشهد له بالربوبية ، وأؤدي ما أوحى إليَّ حذراً من أن لاأفعل فتحل بي منه قارعةٌ ، لايدفعها عني أحدٌ ، وإن عظمت حيلته .

أيها الناس: إني أوشك أن أدعى فأجيب ، فما أنتم قائلون؟

فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت.

فقال: أليس تشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الجنة حقّ وأن النار حقّ وأن البعث حق ؟

قالوا: بلى يا رسول الله. فأومأ رسول الله إلى صدره وقال: وأنا معكم.

قال صلى الله عليه وآله: أنا لكم فرط وأنتم واردون عليَّ الحوض ، وسعته ما بين صنعاء إلى بصرى ، فيه عدد الكواكب قِدْحان ، ماؤه أشد بياضاً من الفضة ، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين . فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان ؟

قال: الأكبر كتاب الله طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تزلوا ولا تضلوا. والأصغر: عترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي(ثلاثاً) وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، سألت ربي ذلك لهما ، فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تتخلفوا عنهم فتضلوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .

أيها الناس: ألستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأني أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله .

قال: قم يا علي ، فقام علي عن يمين النبي صلى الله عليه وآله فأخذ بيده ورفعها حتى بان بياض إبطيهما ، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار .

فاعلموا معاشر الناس أن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً مفترضةً طاعته على المهاجرين والأنصار ، وعلى التابعين لهم بإحسان ، وعلى البادي والحاضر ، وعلى الأعجمي والعربي ، والحر والمملوك والصغير والكبير .

فقام أحدهم فسأله وقال: يا رسول الله ولاؤه كماذا؟ فقال صلى الله عليه وآله: ولاؤه كولائي ، من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه» !

وأفاض النبي صلى الله عليه وآله في بيان مكانة علي والعترة والأئمة الإثني عشر من بعده: علي والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين واحدٌ بعد واحد مع القرآن والقرآن معهم ، لايفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليَّ حوضي .

ثم أشهد المسلمين مراتٍ أنه قد بلغ عن ربه ، فشهدوا له ، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ، فوعدوه . وقام إليه آخرون فسألوه ، فأجابهم .

وما أن أتم خطبته حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتي وولاية علي بعدي .

ونزل عن المنبر وأمر أن تنصب لعلي خيمة ويهنئه المسلمون بولايته عليهم ويبايعوه على الولاية ، وأمر نساءه فجئن إلى باب الخيمة وهنأنه !

وكان من أوائل المهنئين عمر بن الخطاب فقال له: بخ بخ لك يا بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة !

وجاء حسان بن ثابت وقال: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً:

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم	بخم فاسمع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكم ولـيّكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وانت ولينا	ولم تر منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا عليّ فإنني	رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له انصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عادى عليا معاديا

(راجع: كمال الدين/٢٧٦ ، وأمالي الصدوق/٥٠ ، والإحتجاج:٧٠/١ ، وروضة الواعظين/٨٩ ، والمسترشد/١١٧ والكافي:٤/ ١٤٨، والفقيه:٩٠/٢، وتهذيب الأحكام:٤/ ٣٠٥ ، وثواب الأعمال/٧٤. وغيرها).

وفي كتاب الغيبة للنعماني/ ٧٤:« أن معاوية لما دعا أبا الدرداء وأبا هريرة ونحن مع أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه بصفين ، فحملهما الرسالة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وأدياها إليه قال: قد بلغتماني ما أرسلكما به معاوية ، فاستمعا مني وأبلغاه عني كما بلغتماني. قالا: نعم . وجاء في جوابه قوله عليه السلام:« فنصبني رسول الله بغدير خم وقال: إن الله عز وجل أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس يكذبوني ، فأوعدني لأبلغنها أو ليعذبني ! قم يا علي، ثم نادى بأعلى صوته بعد أن أمر أن ينادي بالصلاة جامعة فصلى بهم الظهر ثم قال:

أيها الناس ، إن الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم منهم بأنفسهم ، من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

فقام إليه سلمان الفارسي فقال: يا رسول الله ، ولاء ماذا ؟ فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه ، فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ ، فقال له سلمان: يا رسول الله ، أنزلت هذه الآيات في علي؟ قال: بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة . فقال: يا رسول الله ، بينهم لي . قال: علي أخي ووصيي وصهري ووارثي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي ، وأحد عشر إماماً من ولدي ، أولهم ابني حسن ، ثم ابني حسين ، ثم تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد ، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا علي الحوض...

يا أيها الناس ، إني قد أعلمتكم مفزعكم بعدي ، وإمامكم ووليكم وهاديكم بعدي ، وهو علي بن أبي طالب أخي ، وهو فيكم بمنزلتي فقلدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم ، فإن عنده جميع ما علمني الله عز وجل ، أمرني الله عز وجل أن أعلمه إياه وأن أعلمكم أنه عنده ، فاسألوه وتعلموا منه ومن أوصيائه ، ولا تعلموهم ولا تتقدموا عليهم ولا تتخلفوا عنهم ، فإنهم مع الحق والحق معهم ، لا يزايلهم ولا يزايلونه». انتهى.

هذه خلاصة خطبة الغدير ، وهي أطول من ذلك ، فقد روتها مصادرنا بنحو أربع صفحات وروتها مصادر السلطة بنحو صفحة ، والمطلب الأساسي فيها حديث الثقلين ، وولاية أولهم علي عليه السلام ، وبخبخة عمر بن الخطاب !

راجع: كمال الدين/٢٧٦ ، والإحتجاج: ٧٠/١ ، وروضة الواعظين/٨٩ ، والمسترشد/١١٧ ، وغيرها .

وقد روت مصادر السنة حديث الغدير قريباً مما في مصادرنا ، كما تراه في كتاب الغدير للأميني - ومنها رواية مسلم في صحيحه الآتية .

٦- أمر النبي صلى الله عليه وآله بنصب خيمة لعلي عليه السلام وتهنئته ومبايعته

ظهرت عصمة الرسول صلى الله عليه وآله من الناس في الغدير ! فقد كمَّمَ الله تعالى أفواه قريش عن المعارضة وفتحها للموافقة فقالوا جميعاً: نشهد أنك بلغت عن ربك وأنك نعم الرسول ، سمعنا لك وأطعنا ! وكبروا مع المكبرين عندما نزلت آية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي !

ثم أصغوا جميعاً إلى قصيدة حسان في وصف نداء النبي صلى الله عليه وآله وإبلاغه عن ربه ولاية علي عليه السلام. ثم تهافتوا مع المهنئين إلى خيمة علي عليه السلام، واستمرت التهنئة من بعد صلاة العصر إلى ما شاء الله ، وبعد صلاة المغرب والعشاء ليلة التاسع عشر من ذي الحجة ، فقد بات النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم ، وقيل بقي فيه يومان !

في مسار الشيعة للمفيد/٣٨: «وفي اليوم الثامن عشر منه سنة عشر من الهجرة عقد رسول الله صلى الله عليه وآله لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب العهد بالإمامة في رقاب الأمة كافة ، وذلك بغدير خم ، عند مرجعه من حجة الوداع ، حين جمع الناس فخطبهم ووعظهم ونعى إليهم نفسه ، ثم قررهم على فرض طاعته حسب ما نزل

به القرآن ، وقال لهم... ثم نزل فأمر الكافة بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين تهنئة له بالمقام ، وكان أول من هنأه بذلك عمر بن الخطاب».

وفي الإرشاد:١/١٧٦:« ثم زالت الشمس فأذن مؤذنه لصلاة الفرض ، فصلى بهم الظهر ، وجلس صلى الله عليه وآله في خيمته وأمر علياً عليه السلام أن يجلس في خيمة له بإزائه ، ثم أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنؤوه بالمقام ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، ففعل الناس ذلك كلهم ، ثم أمر أزواجه وجميع نساء المؤمنين معه أن يدخلن عليه ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن . وكان ممن أطنب في تهنئته بالمقام عمر بن الخطاب فأظهر له المسرة به وقال فيما قال: بخ بخ يا علي ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة».

وفي كتاب سليم بن قيس/٣٥٦:«وأمر بنصب خيمة وأمر علياً عليه السلام أن يدخل فيها وأول من أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله هما أبو بكر وعمر ، فلم يقوما إلا بعد ما سألا رسول الله صلى الله عليه وآله: هل من أمر الله هذه البيعة ؟ فأجابهما: نعم من أمر الله جل وعلا ، واعلما أن من نقض هذه البيعة كافر ومن لم يطع علياً كافر ، فإن قول علي قولي وأمره أمري ، فمن خالف قول علي وأمره فقد خالفني» !

وفي مناقب آل أبي طالب:٢/٢٣٧، عن أبي سعيد الخدري:« ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: يا قوم هنئوني هنئوني ، إن الله خصني بالنبوة ، وخص أهل بيتي بالإمامة».

٧- رواية علماء السلطة لحديث الغدير

حديث الغدير عندهم صحيحٌ متواترٌ ، ومنه رواية مسلم في صحيحه:١٢٢/٧:«عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله (ص) وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً. حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (ص). قال: يا ابن أخي ، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله (ص) فما حدثتكم فاقبلوا ، وما لا، فلا تكلفونيه . ثم قال: قام رسول الله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال: أما بعد ، ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً . فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته؟! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم». وأحمد:٣٦٦/٢ ، والحاكم:١٤٨/٢، وفيه: وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض ، وهو إخبارٌ بوجود إمام من أهل بيته ﷺ إلى يوم القيامة .

ومن أصح رواياتهم حديث أبي هريرة في صوم يوم الغدير شكراً ونصه:

« من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي (ص) بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه . فقال عمر بن الخطاب بخٍ بخٍ لك يا

ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم! فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾.(تاريخ دمشق:٢٣٣/٤٢) .

قال السيد حامد النقوي في خلاصة عبقات الأنوار:٢٤٦/٧:« رويَ حديث صوم يوم الغدير بطريق صحيح رجاله كلهم ثقات ، فقد أخرج الحافظ الخطيب عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشران ، عن علي بن عمر الدار قطني ، عن أبي نصر حبشون الخلال ، عن علي بن سعيد الرملي ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم..الخ.».

وأورد الأميني رحمه الله في الغدير(٢٣٦/١) عدداً من علماء السنة رووا هذا الحديث وقال: «رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند أساتذة الفن ، منصوص على رجالها بالتوثيق... وحديث أبي سعيد له طرق كثيرة ، كما مر في كلام الحمويني في فرائده . على أن الرواية لم تختص بأبي سعيد وأبي هريرة ، فقد عرفت أنها رواها جابر بن عبد الله والمفسر التابعي مجاهد المكي ، والإمامان الباقر والصادق صلوات الله عليهما ، وأسند إليهم العلماء مخبتين إليها ».

وقد حاول الذهبي الطعن فيه بدون دليل ، إلا التعصب !

وأما ابن كثير فزوَّر الحديث جهاراً نهاراً ! قال في النهاية(٤٠٨/٥):«لما تفرغ النبي من بيان المناسك ورجع إلى المدينة خطب خطبة عظيمة الشأن في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بغدير خم ، تحت شجرة هناك ، فبين فيها أشياء ، وذكر في فضل علي بن أبي طالب وأمانته وعدله وقربه إليه ، وأزاح به ما كان في نفوس

كثير من الناس منه ، وقد اعتنى بأمر حديث غدير خم أبو جعفر الطبري ، فجمع فيه مجلدين ، وأورد فيها طرقه وألفاظه ، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة ». انتهى.

يحاول بذلك ان يُصوِّر القضية بأن كثيراً من المسلمين كانوا غاضبين على علي متحاملين عليه ، فأوقفهم النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم ليرضِّيهم عنه ويزيح (ما في نفوس كثير من الناس منه) ! و(أشياء) من هذا القبيل !

فهل عرفت لماذا يحب (السلفيون) ابن كثير ، وينشرون كتبه؟!

وشبيه هذا ما ارتكبه العجلوني (كشف الخفاء:٢/٢٥٨) حيث نقل تكذيب الذهبي للحديث بدليل واهٍ ولم يؤيده ، لكنه لم يذكر أسانيده الصحيحة !

وقد ارتكب التحريف قبلهم الحسن البصري ، وهو من رواة السلطة القدماء!

٨- أحجار من سجيل للمعترضين من قريش

معنى قوله تعالى:« وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» أنه تعالى تكفل بحفظ نبوة النبي وأن لا تقوم ضده حركة ردة إذا بلغ رسالة ربه في علي والعترة عليهم السلام.

فهو ضمان لأن تتحمل قريش تبليغ النبي صلى الله عليه وآله ولاية علي عليه السلام نظرياً ، ولا يعني ضمان طاعتها وعدم اعتراضها ، ولا عدم محاولتها قتل النبي صلى الله عليه وآله مجدداً !

لذلك بدأ الإعتراض يوم الغدير ، ووقعت محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله في طريق عودته من حجة الوداع ، لكن لم تحدث حركة ردة عن نبوته صلى الله عليه وآله !

وروت مصادرنا بعض ما قاله المعترضون القرشيون ! وروت مصادرهم معنا بسند صحيح حديث اعتراض بعضهم نزول العذاب عليهم بأحجار من السماء! وقد بحثنا ذلك في كتابنا آيات الغدير.

ونكتفي هنا بما رواه في الكافي(٤٢٢/١، و:٥٧/٨) وتفسير فرات/٥٠٤ ، وفيه « طُرحت الأقتاب لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ، قال: فعلا عليها فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخذ بعضد علي بن أبي طالب عليه السلام فاستلها فرفعها ، ثم قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله. فقام إليه أعرابي من أوسط الناس فقال: يا رسول الله دعوتنا أن نشهد أن لاإله إلا الله فشهدنا ، وأنك رسول الله فصدقنا ، وأمرتنا بالصلاة فصلينا ، وبالصيام فصمنا ، وبالجهاد فجاهدنا ، وبالزكاة فأدينا ، قال: ولم يقنعك إلا أن أخذت بيد هذا الغلام على رؤوس الأشهاد فقلت: اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله !

فهذا عن الله أم عنك ؟!

قال: هذا عن الله ، لاعني ! قال: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن الله لاعنك ؟!

قال: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن الله لاعني .

ثم قال ثالثة: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن ربك لاعنك؟

قال: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن ربي لاعني .

قال: فقام الأعرابي مسرعاً إلى بعيره وهو يقول: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَالْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. قال: فما استتم الأعرابي الكلمات حتى نزلت عليه نار من السماء فأحرقته ، وأنزل الله في عقب ذلك: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ».

وأقدم من روى ذلك من أئمة السنيين أبو عبيد الهروي في كتابه: غريب القرآن ، قال:«لما بَلَّغَ رسول بغدير خم ما بَلَّغ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد ! أمرتنا عن الله بشهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وبالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، فقبلنا منك ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه ! فهذا شيء منك أم من الله؟! فقال رسول الله(ص): والذي لاإله إلا هو إن هذا إلا من الله . فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.. الآية» .

٩- نزلت ثلاث آيات في يوم الغدير

فأولها قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.) (المائدة: ٦٧) .

والثانية: قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا. (المائدة:٣) نزلت بعد أن خطب النبي ﷺ ونصب علياً عليه السلام خليفته .

والثالثة: قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ.) (المعارج:١-٢) نزلت عندما اعترض على النبي صلى الله عليه وآله معترضون من قريش .

وفي كل واحدة منها حديث صحيح في مصادرنا ومصادر أتباع السلطة ، وقد فصلناها في كتاب: تفسير آيات الغدير .

١٠- محاولة قريش اغتيال النبي صلى الله عليه وآله بعد يوم الغدير !

في بحار الأنوار:٩٧/٢: « فأقبل بعضهم على بعض وقالوا: إن محمداً يريد أن يجعل هذا الأمر في أهل بيته ، كسنة كسرى وقيصر إلى آخر الدهر ! لا والله مالكم في الحياة من حظ ، إن أفضى هذا الأمر إلى علي بن أبي طالب ! وإن محمداً عاملكم على ظاهركم وإن علياً يعاملكم على ما يجد في نفسه منكم ! فأحسنوا النظر لأنفسكم في ذلك وقدموا رأيكم فيه . ودار الكلام فيما بينهم وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي ، فاتفقوا على أن ينفروا بالنبي صلى الله عليه وآله ناقته على عقبة هرشى وقد كانوا عملوا مثل ذلك في غزوة تبوك ، فصرف الله الشر عن نبيه صلى الله عليه وآله ».

وفي تفسير القمي:١٧٤/١: « فقال أصحابه الذين ارتدوا بعده: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال، وقال هاهنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له ! فاجتمعوا أربعة عشر نفراً وتآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وقعدوا في العقبة وهي عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء ، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها ، لينفروا ناقة رسول الله فلما جن الليل تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته ، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمد إن فلاناً

وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: من هذا خلفي؟ فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة بن اليمان ، قال: سمعت ما سمعت؟ قال: بلى. قال: فاكتم ، ثم دنا رسول الله صلى الله عليه وآله منهم فناداهم بأسمائهم ، فلما سمعوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله فروا ودخلوا في غمار الناس ، وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها ! ولحق الناس برسول الله وطلبوهم وانتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رواحلهم فعرفهم ، فلما نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً؟! فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ولم يريدوه ولم يكتموا شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا: أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا: من قتل رسول الله صلى الله عليه وآله. وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ... فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وبقي بها محرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً ، ثم ابتدأ به الوجع الذي توفى فيه صلى الله عليه وآله».

وفي كتاب سُلَيم/٢٧١، عن أبي ذر رضي الله عنه أن بعض الصحابة تعاقدوا في الكعبة في حجة الوداع وقالوا:« ما بال هذا الرجل ما زال يرفع خسيسة ابن عمه ! وقال أحدهما: إنه ليحسن أمر ابن عمه ! وقال الجميع: ما لنا عنده خير ما بقي عليٌّ !
قلت: فمعاقدة هؤلاء الخمسة متى كانت؟ قال: في حجة الوداع».

وفي مكاتيب الرسول:١/٦٠٧:«وقعت في الرجوع من حجة الوداع بعد غدير خم ، في عقبة دقيق ، أوعقبة أوس ، أو عقبة حرشي. وروى في إرشاد القلوب

للديلمي: حديثاً طويلاً في مسألة الولاية ، وذكر قصة الغدير وقال: وكانا أبو بكر وعمر تقدما إلى الجحفة فبعث وردهما ثم قال لهما النبي صلى الله عليه وآله متهجماً: يا ابن أبي قحافة ويا عمر بايعا علياً بالولاية من بعدي ، فقالا: أمرٌ من الله ورسوله ؟ فقال: وهل يكون مثل هذا عن غير الله ! نعم أمر من الله ورسوله. قال وبايعا ثم انصرفا.

وسار رسول الله صلى الله عليه وآله باقي يومه وليلته ، حتى إذا دنوا من عقبة حرشي تقدمه القوم وتواروا في ثنية العقبة ، وقد حملوا معهم دباباً وطرحوا فيها الحصا ، فقال حذيفة: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله لى الله ودعا عمار بن ياسر...الحديث».

وفي الإقبال:٢٤٩/٢:«فلما كان في تلك الليلة قعد له عليه السلام أربعة عشر رجلاً في العقبة ليقتلوه ، وهي عقبة بين الجحفة والأبواء ، فقعد سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقته ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله صلى وارتحل ، وتقدم أصحابه وكان صلى الله عليه وآله على ناقة ناجية ، فلما صعد العقبة ناداه جبرئيل: يامحمد إن فلاناً وفلاناً وسماهم كلهم» .

○ ○

الفصل الثاني والستون

جيش أسامة وهدف النبي ﷺ منه

١- نحو سبعين يوماً في المدينة بعد حجة الوداع

عاد النبي ﷺ الى المدينة من حجة الوداع في أواخر ذي الحجة ، وأمضى بقية أيامه في المدينة . وهي نحو سبعين يوماً حسب روايتنا ، لأن وفاته ﷺ عندنا في الثامن والعشرين من صفر . ونحو ثمانين يوماً في رواية السلطة ، لأن وفاته عندهم في الثاني عشر من ربيع . وفي هذه المدة وقعت أحداث وأمور ، ونزلت آيات ، وصدرت منه ﷺ خطب وأحاديث !

٢- عَرَضَ الأنصار على النبي ﷺ ثلث أموالهم

في الكافي: ١/٢٩٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فلما قدم المدينة (من حجة الوداع) أتته الأنصار فقالوا: يا رسول الله إن الله جل ذكره قد أحسن إلينا وشرفنا بك وبنزولك بين ظهرانينا ، فقد فرح الله صديقنا وكبت عدونا . وقد يأتيك وفود فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدو ، فنحب أن تأخذ ثلث أموالنا حتى إذا قدم عليك وفد وجدت ما تعطيهم . فلم يردَّ رسول الله ﷺ عليهم شيئاً ، وكان ينتظر ما يأتيه من

ربه ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، ولم يقبل أموالهم ، فقال المنافقون: ما أنزل الله هذا على محمد وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه ويحمل علينا أهل بيته ! يقول أمس: من كنت مولاه فعلي مولاه واليوم: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى .

ثم نزل عليه آية الخمس فقالوا: يريد أن يعطيهم أموالنا وفيأنا !

ثم أتاه جبرئيل فقال: يا محمد إنك قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك ، فاجعل الإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي عليه السلام ، فإني لم أترك الأرض إلا ولي فيها عَلَمٌ تُعرف به طاعتي وتعرف به ولايتي ، ويكون حجة لمن يولد بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر .

قال: فأوصى إليه بالإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة ، وأوصى إليه بألف كلمة وألف باب ، يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب».

وفي الإرشاد:١٧٩/١، أن النبي صلى الله عليه وآله قال:«أيها الناس ، إني فرطكم وأنتم واردون عليَّ الحوض ، ألا وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني ، وسألت ربي ذلك فأعطانيه .

ألا وإني قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فلا تسبقوهم فتفرقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .

أيها الناس ، لا ألفينكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فتلقوني في كتيبة كمجرى السيل الجرار ! ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي ، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .

فكان يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه . ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الأمرة» .

أقول: يؤكد القرآن على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يقولون لأممهم إنهم لايطلبون منهم أجراً على تبليغ الرسالة ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله ، قال تعالى: قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ . وقال تعالى: وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . لكنه خص هذه الأمة بأن جعل أجر نبيها صلى الله عليه وآله محبتها وطاعتها لعترته عليهم السلام فقال: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ . (الشورى:٢٣).

ثم بين أن هذا الأجر هو السبيل الى رضا الله تعالى وثوابه فقال: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً .

ثم قال لهم إن هذا الأجر الذي فرضه الله على هذه الأمة ليس غرماً عليها بل غنمٌ لها ، فقال: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ . أي أنتم المنتفعون به لأنكم بمودتهم وطاعتهم لاتضلون .

وفي الكافي:١/٢٩٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون ، ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى ، إن الله تعالى له الخيرة يختار من يشاء ممن يشاء. وبشر موسى ويوشع

بالمسيح ، فلما أن بعث الله عز وجل المسيح قال المسيح لهم إنه سوف يأتي من بعدي نبي إسمه أحمد ، من ولد إسماعيل ، يجئ بتصديقي وتصديقكم ، وعذري وعذركم. وجرت من بعده في الحواريين في المستحفظين ، وإنما سماهم الله تعالى المستحفظين لأنهم استحفظوا الإسم الأكبر وهو الكتاب الذي يعلم به علم كل شئ ، الذي كان مع الأنبياء صلوات الله عليهم. يقول الله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ. الكتاب الإسم الأكبر . فلم تزل الوصية في عالم بعد عالم حتى دفعوها إلى محمد صلى الله عليه وآله.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم ويستعين ببعضهم على بعض ، ولا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيه... وقال: إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجول أهل بيتي عترتي... فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم... فوقعت الحجة بقول النبي صلى الله عليه وآله وبالكتاب الذي يقرأه الناس فلم يزل يلقي فضل أهل بيته بالكلام ويبين لهم القرآن...

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... فنادى الناس... فوقعت حسيكة النفاق في قلوب القوم وقالوا: ما أنزل الله جل ذكره هذا على محمد قط ، وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه» !

٣- النبي صلى الله عليه وآله يجهر بالحقيقة ويتحدى قريشاً !

بدأ النبي صلى الله عليه وآله هذا التحدي في حجة الوداع بصيغة اللعنة النبوية ، على من ادعى لغير أبيه ، كما تقدم في خطب حجة الوداع ! فقد روى ابن ماجة:٩٠٥/٢ ، أنه صلى الله عليه وآله خطبهم في حجة الوداع على راحلته فقال:«ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل» والترمذي:٢٩٣/٢، وأحمد:٢٣٩/٤ ، والدارمي:٢٤٤/٢ و ٣٤٤ ، والبخاري:٢٢١/٢ ، و:٤/ ٦٧ .

واستعمل النبي صلى الله عليه وآله هذا الأسلوب عمداً لتنقله الأجيال ولا تطمسه قريش ! وقد روت مصادرهم أنه كتبه في صحيفة صغيرة معلقة في ذؤابة سيفه الذي ورَّثه لعلي عليه السلام ، فرواه بخاري في صحيحه:٦٧/٤، ومسلم:١١٥/٤، بروايات ، والترمذي:٢٩٧/٣، وفي تلك الصحيفة لعن من تولى غير مواليه ! ويقصد بذلك من تولى غيره وغير علي عليه السلام ، لأنهما الأبوان المعنويان لهذه الأمة !

ويدل عليه أن الولد الذي يهرب من أبيه وينتسب الى آخر ثم يتوب ، تقبل توبته ! بينما هذا الذي لعنه النبي صلى الله عليه وآله لا يقبل منه صرف أي توبة ، ولا عدل أي فدية ! فهي عقوبة الردة والخروج من الملة ، وليست عقوبة ولد يدعو نفسه لغير أبيه ! (سنن البيهقي:٢٦/٨ ، والزوائد: ٩/ ١، وكنز العمال:٨٧٢/٥ ، و ٣٢٤/١٠).

وقد رووا هذه اللعنة بعد ذكر النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته وحقهم في الخمس . ففي مسند أحمد:١٨٦/٤:«خطبنا رسول الله (ص) وهو على ناقته فقال: ألا إن الصدقة لا تحل لي

ولا لأهل بيتي ، وأخذ وبرة من كاهل ناقته ، فقال: ولا ما يساوي هذه أو ما يزن هذه . لعن الله من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه» !!

وفسرته بذلك مصادرنا . وروت أن النبي صلى الله عليه وآله استعمله عندما كثر طلقاء قريش في المدينة ، وتصاعد عملهم ضد أهل بيته عليهم السلام وقالوا: إنما مثل محمد في بني هاشم كمثل نخلة نبتت في كبا ، أي مزبلة ! فبلغ ذلك النبي فغضب وأمر علياً عليه السلام أن يصعد المنبر ويجيبهم وقال له:

«يا علي إنطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد منبري ، ثم تدعو الناس إليك ، فتحمد الله تعالى وتثني عليه وتصلي عليَّ صلاة كثيرة ، ثم تقول: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره ! فأتيت مسجده وصعدت منبره ، فلما رأتني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي فحمدت الله وأثنيت عليه ، وصليت على رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة كثيرة ثم قلت: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي، على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره. قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسر ، فقلت: أُبْلِغُ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته الخبر فقال: إرجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله وأثن عليه وصل

عليٍّ ثم قل: أيها الناس، ما كنا لنجيئكم بشئ إلا وعندنا تأويله وتفسيره ، ألا وإني أنا أبوكم ، ألا وإني أنا مولاكم ألاوإني أنا أجيركم»! (أمالي المفيد/٣٥٣، و الطوسي/١٢٣.

وفي تفسير فرات/٣٩٢ ، عن عطاء بن أبي رباح قال:« قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث ، واحتج به على الناس. قالت: نعم ، أخبرني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله كان نازلاً بالمدينة وأن من أتاه من المهاجرين عرضوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها على من أتاه ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب ، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك. قال: فأطرق النبي صلى الله عليه وآله طويلاً ثم رفع رأسه فقال: إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً ، إنطلقوا فإني لم أؤمر بشئ وإن أمرت به أعلمتكم. قال: فنزل جبرئيل فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك وما عرضوا عليك وقد أنزل الله عليهم فريضة: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.. قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذل الأشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبني عبد المطلب .

قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب أن إصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار ! ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار ! ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار ! قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن ما لهن من تأويل ؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره ، فقال رسول الله: ويل لقريش من تأويلهن ،

ثلاث مرات ! ثم قال: يا علي انطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء ، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين ، وأنا وأنت أبوا المؤمنين» !

أقول: يظهر أن هؤلاء قرشيون جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله بعد مجئ الأنصار ، وطلبوا أن يفرضوا له فريضة في أموالهم ، فأجابهم بآية المودة في القربى ، فنكصوا !

٤- جيش أسامة لإفراغ المدينة من خصوم علي عليه السلام

في الإرشاد:١٧٩/١:«ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة ، وندبه أن يخرج بجمهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم ، واجتمع رأيه عليه السلام على إخراج جماعة من متقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره ، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته صلى الله عليه وآله من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدم على الناس بالإمارة ، ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده ، ولا ينازعه في حقه منازع. فعقد له الأمرة على من ذكرناه وجدَّ صلى الله عليه وآله في إخراجهم ، فأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف ، وحث الناس لم على الخروج إليه والمسير معه وحذرهم من التلوُّم والإبطاء عنه . فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها ، فلما أحس بالمرض الذي عراه أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام واتبعه جماعة من الناس وتوجه إلى البقيع ، فقال لمن تبعه: إنني قد أمرت بالإستغفار لأهل البقيع ، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم فقال عليه السلام: السلام عليكم يا أهل القبور ، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل

المظلم يتبع أولها آخرها ! ثم استغفر لأهل البقيع طويلاً وأقبل على أمير المؤمنين فقال: إن جبرئيل عليه السلام كان يعرض عليَّ القرآن كل سنة مرة ، وقد عرضه عليَّ العام مرتين ، ولا أراه إلا لحضور أجلي».

وفي إعلام الورى:٢٦٣/١:«ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة من حج الوداع بعث بعده أسامة بن زيد وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه ، وقال له: أوطئ الخيل أواخر الشام من أوائل الروم . وجعل في جيشه وتحت رايته أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار / وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة . وعسكر أسامة بالجرف فاشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله شكواه التي توفي فيها / وكان يقول في مرضه: نفذوا جيش أسامة ويكرر ذلك ، وإنما فعل ذلك لئلا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الإمامة ويطمع في الإمارة ، ويستوسق الأمر لأهله».

وفي كتاب سليم بن قيس رحمه الله/٤٢٤:« وفي ذلك الجيش أبو بكر وعمر ، فقال كل واحد منهما: لاينتهي يستعمل علينا هذا الصبي العبد»!

وقال ابن حجر في فتح الباري:١١٥/٨، وهو من كبار أئمة السلطة:« وقد أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر أن يكون أبو بكر وعمر في بعث أسامة ، ومستند ما ذكرناه ما أخرجه الواقدي بأسانيده في المغازي ، وذكره ابن سعد أواخر الترجمة النبوية بغير إسناد ، وذكره ابن إسحاق في السيرة المشهورة ولفظه: بدأ برسول الله (ص) وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: أغز في سبيل الله وسر إلى موضع مقتل أبيك ، فقد وليتك هذا الجيش .

فذكر القصة وفيها: لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر.. وعند الواقدي أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة من قريش».

أقول: أوردنا كلام ابن حجر لإثبات أن النبي صلى الله عليه وآله تعمد أن يُفرغ المدينة من القرشيين ، ومن كل من يمكن أن يعارض استخلاف علي عليه السلام.

وتعمد أن يؤمِّر عليهم أسامة الشاب الأسود ابن الثمان أو السبع عشرة سنة ، حتى لايعترض أحد على سن علي عليه السلام الذي كان في الثالثة وثلاثين من عمره .

كما نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر عن النتائج السيئة لما يجري حوله ، وأطلق تحذيره لأجيال الأمة من الفتن التي سيسببها طمع قريش في خلافته !

وقد روى ابن هشام(١٠٥٧/٤)قوله صلى الله عليه وآله لعائشة بعد أن رجع من البقيع وتحدث عن الفتن:«ما ضرك لو مِتِّ قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟

قالت قلت: والله لكأني بك لو قد فعلتُ ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك» !

٥- أمير المؤمنين عليه السلام يصف عملهم لإفشال جيش أسامة

في الخصال/٣٧١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام، في جوابه للحبر اليهودي عن امتحانات الله للوصي النبي ، قال عليه السلام:«وأما الثانية يا أخا اليهود ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمَّرني في حياته على جميع أمته وأخذ على من حضره منهم البيعة بالسمع والطاعة

لأمري ، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب في ذلك، فكنت المؤدي إليهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره إذا حضرته والأمير على من حضرني منهم إذا فارقته ، لا تختلج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي في شئ من الأمور في حياة النبي صلى الله عليه وآله ولا بعد وفاته .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتوجيه الجيش الذي وجهه مع أسامة بن زيد عند الذي أحدث الله به من المرض الذي توفاه فيه ، فلم يدع النبي أحداً من أفناء العرب ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس ممن يخاف عليَّ نقضه ومنازعته ، ولا أحداً ممن يراني بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه ، إلا وجهه في ذلك الجيش ، ولا من المهاجرين والأنصار والمسلمين وغيرهم ، والمؤلفة قلوبهم والمنافقين ، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته ، ولئلا يقول قائل شيئاً مما أكرهه ، ولا يدفعني دافع من الولاية والقيام بأمر رعيته من بعده . ثم كان آخر ما تكلم به في شئ من أمر أمته أن يمضي جيش أسامة ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه ، وتقدم في ذلك أشد التقدم وأوعز فيه أبلغ الإيعاز ، وأكد فيه أكثر التأكيد !

فلم أشعر بعد أن قبض النبي صلى الله عليه وآله إلا برجال من بعث أسامة بن زيد وأهل عسكره ، قد تركوا مراكزهم وأخلوا مواضعهم ، وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أنهضهم له وأمرهم به ، وتقدم إليهم من ملازمة أميرهم والسير معه تحت لوائه ، حتى ينفذ لوجهه الذي أنفذه إليه ، فخلفوا أميرهم مقيماً في عسكره ، وأقبلوا

يتبادرون على الخيل ركضاً إلى حل عقدة عقدها الله عز وجل لي ولرسوله صلى الله عليه وآله في أعناقهم ، فحلوها ، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه ، وعقدوا لأنفسهم عقداً ضجت به أصواتهم ، واختصت به آراؤهم ، من غير مناظرة لأحد منا بني عبد المطلب أو مشاركة في رأي أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتي ! فعلوا ذلك وأنا برسول الله صلى الله عليه وآله مشغول وبتجهيزه عن سائر الأشياء مصدود ، فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها !

فكان هذا يا أخا اليهود أقرح ما ورد على قلبي مع الذي أنا فيه من عظيم الرزية وفاجع المصيبة ، وفقد من لا خلف منه إلا الله تبارك وتعالى ، فصبرت عليها إذ أتت بعد أختها على تقاربها وسرعة اتصالها». والإختصاص/١٧٠.

وفي المراجعات/٣٦٥:«سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى غزو الروم ، وهي آخر السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وقد اهتم فيها بأبي وأمي اهتماماً عظيماً فأمر أصحابه بالتهيؤ لها وحضهم على ذلك، ثم عبأهم بنفسه الزكية إرهافاً لعزائمهم واستنهاضاً لهممهم ، فلم يُبق أحداً من وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم إلا وقد عبأه بالجيش...

فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف ، ثم تثاقلوا هناك فلم يبرحوا ، مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب إسراعهم... وطعن قوم منهم في تأمير أسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه وقالوا في ذلك فأكثروا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالإمارة... حتى غضب صلى الله عليه وآله من طعنهم غضباً

شديداً فخرج بأبي وأمي معصب الرأس مدثراً بقطيفته محموماً ألماً...فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال فيما أجمع أهل الأخبار على نقله واتفق أولوا العلم على صدوره: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ! وأيم الله إنه كان لخليقاً بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بها ! وحضهم على المبادرة إلى السير فجعلوا يودعونه ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل. ثم ثقل في مرضه فجعل يقول: جهزوا جيش أسامة ، أنفذوا جيش أسامة ، أرسلوا بعث أسامة.. لعن الله من تخلف عنه... وقد تعلم أنهم إنما تثاقلوا عن السير أولاً وتخلفوا عن الجيش أخيراً ليحكموا قواعد سياستهم ويقيموا عمدها ، ترجيحاً منهم لذلك على التعبد بالنص. وإنما أمَّر عليهم أسامة وهو ابن سبع عشرة سنة ، ليّاً لأعِنَّة البعض ، ورداً لجِمَاح أهل الجماح منهم ، واحتياطاً على الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس.. لكنهم فطنوا إلى ما دبر صلى الله عليه وآله فطعنوا في تأمير أسامة وتثاقلوا عن السير معه ، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي صلى الله عليه وآله بربه... فهذه خمسة أمور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجلية ، إيثاراً لرأيهم في الأمور السياسية وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه صلى الله عليه وآله».

وفي منهاج الكرامة/١٠٠:«وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته مرة بعد أخرى مكرراً لذلك: أنفذوا جيش أسامة ! لعن الله المتخلف عن جيش أسامة ! وكان الثلاثة معه». وفي تقريب المعارف/٣١٤:« ولا فرق بين خلافه صلى الله عليه وآله فيما أمر به من

المسير مع أسامة، وبين خلافه فيما أمر به من الصلاة والزكاة والإمامة، وذلك فسق لاشبهة فيه ، ودعوى خروج أبي بكر من البعث لايفي شيئاً ، لثبوت الرواية به».

وفي الإرشاد:١٨٢/١:«واستمر به المرض أياماً وثقل صلى الله عليه وآله، فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله مغمور بالمرض فنادى: الصلاة يرحمكم الله ، فأوذن رسول الله بندائه فقال: يصلي بالناس بعضهم فإنني مشغول بنفسي . فقالت عائشة: مروا أبا بكر ! وقالت حفصة: مروا عمر ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين سمع كلامهما ، ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتتانهما بذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله حي: أكففن فإنكن صويحبات يوسف !

ثم قام صلى الله عليه وآله مبادراً خوفاً من تقدم أحد الرجلين وقد كان أمرهما بالخروج إلى أسامة ، ولم يكن عنده أنهما قد تخلفا ، فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنهما متأخران عن أمره ، فبدر لكف الفتنة وإزالة الشبهة ، فقام وإنه لايستقل على الأرض من الضعف ، فأخذ بيده علي بن أبي طالب والفضل بن عباس فاعتمدهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف ! فلما خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب ، فأومأ إليه بيده أن تأخر عنه ، فتأخر أبو بكر وقام رسول الله صلى الله عليه وآله مقامه فكبر فابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأ بها أبو بكر ، ولم يبن على ما مضى من فعاله . فلما سلَّم النبي صلى الله عليه وآله من الصلاة انصرف إلى منزله ، واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضر المسجد من المسلمين، ثم قال: ألم آمر أن تنفذوا جيش أسامة ؟! قالوا: بلى يا رسول الله . قال: فلم تأخرتم عن أمري؟ فقال أبو

بكر: إنني كنت خرجت ثم عدت لأجدد بك عهداً. وقال عمر: يا رسول الله، لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب! فقال النبي صلى الله عليه وآله: فأنفذوا جيش أسامة، فأنفذوا جيش أسامة يكررها ثلاث مرات، ثم أغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف، فمكث هنيهة مغمى عليه، وبكى المسلمون، وارتفع النحيب من أزواجه وولده والنساء المسلمات ومن حضر من المسلمين».

٦- حذيفة يصف تسلل أبي بكر وعمر ليلاً الى المدينة

أراد النبي صلى الله عليه وآله أن تفرغ المدينة من دعاة الفتنة وأرسلهم جميعاً في جيش أسامة إلى فلسطين، وفيهم سبع مئة رجل من قريش! وأمره بالتحرك ولعن من تخلف عن جيش أسامة! فافتعلوا المشاكل والأعذار حتى سوفوا الوقت وأفشلوا برنامج النبي صلى الله عليه وآله، وتسللوا من معسكره من الجرف لواذاً عائدين إلى المدينة!

وقد روى في إرشاد القلوب:٢/٢٣٧، والدرجات الرفيعة/٢٩٠، أن حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله كان حاكم المدائن فلما جاءه خبر بيعة المسلمين لأمير المؤمنين عليه السلام فرح بذلك، وصعد المنبر ودعا الناس الى بيعته وخطب خطبة طويلة، بيَّن فيها فضائل علي عليه السلام وكشف مؤامرة قريش على عترة النبي صلى الله عليه وآله. ومما قاله رحمه الله:

«وأمر صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد فعسكر بهم على أميال من المدينة، فأقام بمكانه الذي حد له رسول الله صلى الله عليه وآله منتظراً القوم أن يرافقوه إذا فرغوا من أمورهم وقضاء حوائجهم، وإنما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنع من ذلك أن تخلو المدينة منهم ولا يبقى بها أحد من المنافقين. قال: فهم على ذلك من شأنهم ورسول

الله صلى الله عليه وآله دائب يحثهم ويأمرهم بالخروج والتعجيل إلى الوجه الذي ندبهم إليه ، إذ مرض رسول الله مرضه الذي توفي فيه ، فلما رأوا ذلك تباطؤوا عما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الخروج ، فأمر قيس بن سعد بن عبادة وكان سياف رسول الله والحباب بن المنذر في جماعة من الأنصار أن يرحلوا بهم إلى عسكرهم ، فأخرجهم قيس بن سعد والحباب بن المنذر حتى ألحقاهم بمعسكرهم ، وقالا لأسامة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرخص لك في التخلف فسر من وقتك هذا ، ليعلم رسول الله ذلك . فارتحل بهم أسامة وانصرف قيس بن سعد والحباب بن المنذر إلى رسول الله فأعلماه برحلة القوم ، فقال لهم: إن القوم غير سائرين من مكانهم !

قال: فخلا أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأسامة وجماعة من أصحابه فقالوا: إلى أين ننطلق ونخلي المدينة ونحن أحوج ما كنا إليها وإلى المقام بها ؟!

قالوا: إن رسول الله قد نزل به الموت ، ووالله لئن خلينا المدينة ليحدثن بها أمور لايمكن إصلاحها ! ننظر ما يكون من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم المسير بين أيدينا !

قال: فرجع القوم إلى المعسكر الأول فأقاموا به ، فبعثوا رسولاً يتعرف لهم بالخبر من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى الرسول عائشة فسألها عن ذلك سراً فقالت: إمض إلى أبي بكر وعمر ومن معهما فقل لهما:إن رسول الله قد ثقل ولا يبرحن أحد منكم ! وأنا أعلمكم بالخبر وقتاً بعد وقت !

واشتدت علة رسول الله صلى الله عليه وآله فدعت عائشة صهيباً فقالت: إمض إلى أبي بكر وأعلمه أن محمداً في حال لاترجى ، فهلموا إلينا أنت وعمر وأبو عبيدة ومن رأيتم أن يدخل معكم ، وليكن دخولكم المدينة بالليل سراً !

قال: فأتاهم بالخبر فأخذوا بيد صهيب فأدخلوه إلى أسامة بن زيد فأخبروه الخبر وقالوا له كيف ينبغي لنا أن نتخلف عن مشاهدة رسول الله ، واستأذنوه للدخول فأذن لهم بالدخول ، وأمرهم أن لا يعلم أحد بدخولهم ، وقال: إن عوفي رسول الله صلى الله عليه وآله رجعتم إلى عسكركم ، وإن حدث حادث الموت عرفونا ذلك لنكون في جماعة الناس ، فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ليلاً المدينة ورسول الله صلى الله عليه وآله قد ثقل . قال: فأفاق بعض الإفاقة فقال: لقد طرق ليلتنا هذه المدينة شر عظيم ! فقيل له وما هو يا رسول الله؟ قال فقال: إن الذين كانوا في جيش أسامة قد رجع منهم نفر يخالفون أمري ، ألا إني إلى الله منهم برئ ! ويحكم نفذوا جيش أسامة ! فلم يزل يقول ذلك حتى قالها مرات كثيرة .

قال: وكان بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله يؤذن بالصلاة في كل وقت صلاة ، فإن قدر رسول الله صلى الله عليه وآله على الخروج تحامل وخرج وصلى بالناس ، وإن هو لم يقدر على الخروج أمر علي بن أبي طالب فصلى بالناس ، وكان علي عليه السلام والفضل بن العباس لا يزايلانه في مرضه ذلك . فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله من ليلته تلك التي قدم فيها القوم الذين كانوا تحت يدي أسامة ، أذن بلال ثم أتاه يخبره كعادته فوجده قد ثقل فمنع من الدخول إليه ، فأمرت عائشة صهيباً أن يمضي إلى أبيها

فيعلمه أن رسول الله قد ثقل ، وليس يطيق النهوض إلى المسجد وعلي بن أبي طالب قد شغل به وبمشاهدته عن الصلاة بالناس، فاخرج أنت إلى المسجد وصل بالناس فإنها حالة تهيئك وحجة لك بعد اليوم . قال: ولم يشعر الناس وهم في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وآله أو علياً عليه السلام يصلي بهم كعادته التي عرفوها في مرضه ، إذ دخل أبو بكر المسجد وقال: إن رسول الله قد ثقل وقد أمرني أن أصلي بالناس! فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: وأنى لك ذلك وأنت في جيش أسامة ! لا والله ما أعلم أحداً بعث إليك ولا أمرك بالصلاة !

ثم نادى الناس بلالاً فقال: على رسلكم رحمكم الله لأستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك ، ثم أسرع حتى أتى الباب فدقه دقاً شديداً ، فسمعه رسول الله فقال: ما هذا الدق العنيف فانظروا ما هو ؟ قال فخرج الفضل بن العباس ففتح الباب فإذا بلال فقال: ما وراءك يا بلال ؟ فقال: إن أبا بكر دخل المسجد وتقدم حتى وقف في مقام رسول الله ، وزعم أن رسول الله أمره بذلك ! فقال أوليس أبو بكر مع أسامة في الجيش ! هذا والله هو الشر العظيم الذي طرق البارحة المدينة ! لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ! ودخل الفضل وأدخل بلالاً معه فقال صلى الله عليه وآله: ما وراءك يا بلال ؟ فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر فقال: أقيموني أخرجوني إلى المسجد والذي نفسي بيده قد نزلت بالإسلام نازلة وفتنة عظيمة من الفتن !

ثم خرج صلى الله عليه وآله معصوب الرأس يتهادى بين علي عليه السلام والفضل بن عباس ورجلاه تجران في الأرض ، حتى دخل المسجد وأبو بكر قائم في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله

وقد طاف به عمر وأبو عبيدة وسالم وصهيب والنفر الذين دخلوا ، وأكثر الناس قد وقفوا عن الصلاة ينتظرون ما يأتي به بلال ، فلما رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل المسجد وهو بتلك الحالة العظيمة من المرض أعظموا ذلك ، وتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فجذب أبا بكر من ردائه فنحاه عن المحراب ، وأقبل أبو بكر والنفر الذين كانوا معه فتواروا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله!

وأقبل الناس فصلوا خلف رسول الله وهو جالس وبلال يُسمع الناس التكبير حتى قضى صلاته ، ثم التفت فلم ير أبا بكر ! فقال: أيها الناس لا تعجبون من ابن أبي قحافة وأصحابه الذين أنفذتهم وجعلتهم تحت يدي أسامة ، وأمرتهم بالمسير إلى الوجه الذي وجهوا إليه ، فخالفوا ذلك ورجعوا إلى المدينة ابتغاء الفتنة ، ألا وإن الله قد أركسهم فيها !

أعرجوا بي إلى المنبر فقام وهو مربوط حتى قعد على أدنى مرقاة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انني قد جاءني من أمر ربي ما الناس صائرون إليه ، وإني قد تركتكم على المحجة الواضحة ليلها كنهارها ، فلا تختلفوا من بعدي كما اختلف من كان قبلكم من بني إسرائيل !

أيها الناس: لا أحِلُّ لكم إلا ما أحله القرآن ولا أحَرِّم عليكم إلا ما حرَّمه القرآن وإني مخلِّف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي هما الخليفتان ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فأسألكم ماذا خلفتموني فيهما . وليذادن يومئذ رجال عن حوضي كما تذاد

الغريبة من الإبل ، فيقول أنا فلان وأنا فلان ، فأقول أما الأسماء فقد عرفت ولكنكم ارتددتم من بعدي فسحقاً لكم سحقاً !

ثم نزل عن المنبر وعاد إلى حجرته. ولم يظهر أبو بكر وأصحابه حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ! وكان من الأنصار سعد وغيرهم من السقيفة ما كان ، فمنعوا أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله حقوقهم التي جعلها الله عز وجل لهم».

٧- أبو بكر وعمر يظهران الندم على تركهما لجيش أسامة !

في الخصال/١٧١:«عن جابر بن عبد الله قال: شهدت عمر عند موته يقول: أتوب إلى الله من ثلاث: من ردي رقيق اليمن ، ومن رجوعي عن جيش أسامة بعد أن أمَّره رسول الله علينا ، ومن تعاقدنا على أهل هذا البيت إن قبض الله رسوله لا نولي منهم أحداً». وروى نحوه عن الإمام الباقر عليه السلام.

وفي الإيضاح/١٥٩، عن إياس بن قبيصة الأسدي ، من حديث قال:«سمعت أبا بكر يقول.. وأما الثلاث اللاتي لم أفعلهن وليتني كنت فعلتهن ، فوددت أني كنت أقدت من خالد بن الوليد بمالك بن نويرة ، ووددت أني لم أتخلف عن بعث أسامة ، ووددت أني كنت قتلت عيينة بن حصين وطلحة بن خويلد».

٨- الرواية الرسمية لجيش أسامة

في سيرة ابن هشام:١٠٢٥/٤ ، و١٠٦٤:«ثم قفل رسول الله (ص) فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمَّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون...

استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد وهو في وجعه فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمَّر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار ! فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها ! قال: ثم نزل رسول الله(ص) وانكمش الناس في جهازهم ، واستعز برسول الله (ص) وجعه ، فخرج أسامة وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ)(نحو٦كلم) فضرب به عسكره ، وتتامَّ إليه الناس ، وثقل رسول الله (ص) فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله (ص)».

وفي صحيح بخاري:١٧٥/١، عن عائشة:« لما ثقل رسول الله(ص) جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس ، فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس. فلو أمرت عمر. فقال: مروا أبا بكر يصلي ، فقلت لحفصة، قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك

لا يسمع الناس فلو أمرت عمر. قال: إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس ! فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله (ص) في نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه يخطان في الأرض ، حتى دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب أبو بكر يتأخر فأومأ إليه رسول الله(ص) فجاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول الله يصلي قاعداً يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله (ص) والناس مقتدون بصلاة أبي بكر» !

٩- رد قولهم إن النبي صلى الله عليه وآله نصب أبا بكر للصلاة

رد علماؤنا روايتهم بأن النبي صلى الله عليه وآله أمر أن يصلي أبو بكر بالناس، وقال السيد الميلاني في إبطال ما استدل به لإمامة أبي بكر/٣٣: «أما أن النبي صلى الله عليه وآله كان يؤكد على بعث أسامة ، وإلى آخر لحظة من حياته ، فلم يخالف فيه أحد ولا خلاف فيه أبداً ، وهو مذكور في كتبنا وفي كتبهم.. وأما أن كبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر كانا في هذا البعث ، فهذا أيضاً ثابت بالكتب المعتبرة التي نقلت هذا الخبر ، فكيف يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بخروج أبي بكر في بعث أسامة ويؤكد على خروجه إلى آخر لحظة من حياته ، ومع ذلك يأمر أبا بكر أن يصلي في مكانه ؟

وهنا يضطر مثل ابن تيمية لأن ينكر وجود أبي بكر في بعث أسامة ، ويقول هذا كذب ، لأنه يعلم بأن وجود أبي بكر في بعث أسامة يعني كذب خبر إرسال أبي بكر إلى الصلاة.. ولذا لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كان أسامة بجيشه في خارج

المدينة ، ولذا لما ولي أبو بكر اعترض أسامة ولم يبايع أبا بكر قال: أنا أمير على أبي بكر وكيف أبايعه؟ ولذا لما سيَّر أبو بكر أسامة بما أمره رسول الله به استأذن منه إبقاء عمر في المدينة المنورة ، ليكون معه في تطبيق الخطط المدبرة . فالقرائن الداخلية والخارجية تقتضي كذب هذا الخبر ، أي خبر أن النبي ﷺ أرسل أبا بكر إلى الصلاة».

وقال السيد الميلاني في رسالة في صلاة أبي بكر:٧٦:«خرج معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام ورجل آخر وهو في آخر رمق من حياته ليصرفه(أبا بكر)عن المحراب.. ويعلن بأن صلاته لم تكن بأمر منه بل من غيره »!

وقال كبير أئمة الزيدية الهادي يحيى بن الحسين في تثبيت الإمامة/ :١٨« وكيف تنعقد بيعة لمن هو في بيعة غيره ؟ ألم يكن رسول الله ﷺ وجه أبا بكر وعمر وغيرهما في جيش أسامة بن زيد قبل وفاته صلوات الله عليه ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ويصلوا بصلاته ويأتمروا بأمره ؟ وقال ﷺ: أنفذوا جيش أسامة ولا يتخلف إلا من كان عاصياً لله ولرسوله .

فلما صار أسامة بعسكره على أميال من المدينة بلغهم مرض رسول الله ﷺ فرجع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ تغير لونه وقال: اللهم إني لا آذن لأحد أن يتخلف عن جيش أسامة ! وهمَّ أبو بكر بالرجوع إلى أسامة واللحوق به فمنعه عمر !

ثم قال: وقال عمر لأبي بكر: أكتب إلى أسامة بن زيد يقدم عليك ، فإن في قدومه عليك قطع الشنعة عنا ! فكتب إليه أبو بكر: بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أسامة بن زيد: أما بعد ، فانظر إذا أتاك كتابي هذا فأقبل إلي أنت ومن معك ، فإن المسلمين قد اجتمعوا علي ، وولوني أمرهم ، فلا تتخلفن فتعصيني ويأتيك ما تكره ، والسلام. فأجابه أسامة بن زيد ، وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله أسامة بن زيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على غزوة الشام إلى أبي بكر بن أبي قحافة ، أما بعد فقد أتاني كتابك ينقض أوله آخره ! ذكرت في أوله: أنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وذكرت في آخره أن الناس قد اجتمعوا عليك وولوك أمرهم ورضوا بك !

واعلم أني ومن معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك ولا وليناك أمرنا ، فاتق الله ربك ، وإذا قرأت كتابي هذا فأقدم إلى ديوانك الذي بعثك فيه النبي صلى الله عليه وآله ولا تعصه ، وأن تدفع الحق إلى أهله فإنهم أحق به منك ، وقد علمت ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي يوم الغدير ، وما طال العهد فتنسى ؟! فانظر أن تلحق بمركزك ولا تتخلف فتعصي الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وتعصي من استخلفه رسول الله عليك وعلى صاحبك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلفني عليكم ولم يعزلني ، وقد علمت كراهة رسول الله لرجوعكم مني إلى المدينة وقال: لا يتخلفن أحد عن جيش أسامة إلا كان عاصياً لله ولرسوله !

فيالك الويل يا ابن أبي قحافة ! تعدل نفسك بعلي بن أبي طالب وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وابن عمه وأبو ولديه ؟! فاتق الله أنت وصاحبك فإنه لكما بالمرصاد وأنتما منه في غرور ! والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما تركت أمة وصي رسولها ولا نقضوا عهده إلا استوجبوا من الله اللعنة والسخط !

فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر هم أن يخلعها من عنقه فقال عمر: لا تفعل ، قميص قمصك الله تعالى لا تخلعه فتندم ! فقال له: يا عمر أكفرٌ بعد إسلام ؟ فألح عليه عمر وقال: أكتب إليه وإلى فلان وأمر فلاناً وفلاناً وفلاناً جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يكتبوا إليه أن أقدم ، ولا تفرق جماعة المسلمين !

فلما وصلت كتبهم قدم المدينة ودخل إلى علي عليه السلام فعزاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى بكاءً شديداً وضم الحسن والحسين إلى صدره وقال: يا علي ما هذا ؟! قال: هو ما أنت ترى ! قال: فما تأمرني؟ فأخبره بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله من تركهم حتى يجد أعواناً ! ثم أتى أبو بكر إلى أسامة وسأله البيعة؟ فقال له أسامة: إن رسول الله أمَّرني عليك فمن أمَّرك علي؟ والله لا أبايعك أبداً ولا حللت لك عهدي فلا صلاة لك إلا بصلاتي ! أفلا يرى من عقل أن أسامة أمير على أبي بكر وهو أحق بهذا الأمر وأولى منه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وهو عليه أمير ، ولم يعزله عن إمرته. فأين الإجماع والرضا مع هذه الأخبار ؟!».

وقال في تثبيت الإمامة/٢٢:« فسألناهم البينة من غير أهل مقالتهم على أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر بالصلاة بالناس؟ فلم يأتوا بالبينة على ذلك ! وأجمعت الثلاث

الفـرق التـي خـالفتهم أن عائشـة هـي التـي أمـرت بـلالاً عنـدما آذن رسـول الله صلى الله عليه وآله فقالت: مر أبا بكر أن يصلي بالناس ! فبطلت حجة من زعم أن رسول الله أمر أبا بكر بالصلاة ، ولم نجد أحداً يشهد لها على هذا الإدعاء !

ثم أجمع جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله على أنه لما أفاق من غشيته سأل: من المتولي للصلاة ؟ فقالوا: أبو بكر. فنهض صلى الله عليه وآله متوكئاً على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه... تخط الأرض قدماه حتى جر أبا بكر من المحراب فأخره ، وتقدم صلى الله عليه وآله فصلى بالناس».

مرض النبي صلى الله عليه وآله وشهادته

١ - النبي صلى الله عليه وآله يزور البقيع ويحذر صحابته !

تقدم أن صلى الله عليه وآله النبي صلى الله عليه وآله لمَّا أحس بالمرض أخذ بيد علي عليه السلام واتبعه جماعة من الناس ، وذهب الى البقيع فاستغفر لأهله وقال: « السلام عليكم يا أهل القبور ، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى»! (الإرشاد:١٧٩/١ ، والإفصاح/٥٠).

وفي كنز الفوائد/٦٠، أنه قال لأصحابه في مرضه الذي توفى فيه: « أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى» !

وقال لهم: «إنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي ! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ،إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم »! وقال لهم: «ألا لأخبرنكم ترتدون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ! ألا إني قد شهدت وغبتم » !

وقال لهم:«ستتبعون سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم . فقالوا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟ قال:

فمن إذن؟!». «وسمعهم يذكرون فتنة الدجال فقال لهم: إني لفتنة بعضكم أخوف مني من فتنة الدجال» !

وروت نحوه مصادر السلطة، ففي مسند أحمد:٤٨٩/٣ ، عن أبي مويهبة مولى رسول الله (ص) قال:«بعثني رسول الله (ص) من جوف الليل (يقصد أيقظني) فقال: يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي ، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر ، لِيُهْنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس! لو تعلمون ما نجاكم الله منه ! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ، الآخرة شر من الأولى ! قال: ثم أقبل عليَّ فقال: يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة ، قال قلت: بأبي وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة. قال: لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة . ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف ، فبدأ رسول الله(ص) في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه». وابن هشام:١٠٥٦/٤، والدارمي:٣٦/١، والحاكم:٥٥/٣، والطبراني الكبير:٣٤٧/٢٢، والطبقات:٢/ ٢٠٤.

وهذا تأكيد ما عليه مزيد من النبي صلى الله عليه وآله بأن الفتنة تنتظر وفاته ، وأن الموتى أحسن حالاً ممن سيقع فيها! ولا تفسير لها إلا أن الحكم سينحرف من بعده !

لكن السلطة القرشية تغمض عيونها عما ترويه ، وتقول: إن الأمور سارت بعد النبي صلى الله عليه وآله بأفضل ما يكون ، وإن خير القرون قرن صحابته !

٢- مدة مرض النبي صلى الله عليه وآله

تفاوتت الرواية في مدة مرض النبي صلى الله عليه وآله بين ثلاثة عشر وثمانية عشر يوماً ، والأخير أرجح ، لأن وفاته كانت يوم الإثنين ، وبدأ مرضه يوم السبت .

والمشهور عندنا أن وفاته صلى الله عليه وآله كانت في الثامن والعشرين من صفر ، وعند أتباع المذاهب أنها في الثاني عشر من ربيع الأول .

وكان مرضه صلى الله عليه وآله الحمى والصداع ، وقد نفى أئمتنا عليهم السلام أن يكون مرضه ذات الجنب أي التهاب الرئة ، ففي الكافي:١٩٣/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« اشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له عائشة: بك ذات الجنب ؟ فقال: أنا أكرم على الله عز وجل من أن يبتليني بذات الجنب».

لكن عائشة بقيت مصرة فقالت:«ما مات رسول الله إلا من ذات الجنب»! (الزوائد:٣٤/٩).

٣- مات النبي صلى الله عليه وآله شهيداً بالسَّمّ !

قال الله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًاوَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ .

فأخبر عز وجل بأن وفاته صلى الله عليه وآله ستكون بالموت الطبيعي أو بالقتل ، وهذا الترديد من الله العليم بكل شئ ، يعني فتح الباب لاحتمال قتله بالسيف أو السُّم .

وقد أهدت له يهودية بعد فتح خيبر شاة مسمومة ، وأكلوا منها لقمة أو شموا رائحتها فأخبره الله تعالى بأنها مسمومة، ورووا أن ذلك السم كان يعاوده سنوياً.

(أبو داود:٣٧٠/٢، وابن ماجة:١١٧٤/٢)

وقال في شفاء السقام/٣٣٢« قال العلماء: فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة».

لكن أحاديثنا نفت أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أكل من تلك الشاة ، ففي الثاقب لابن حمزة/٨١: « فلما وضعت الشاه بين يديه صلى الله عليه وآله ، تكلمت كتفها فقال: مه يا محمد لا تأكلني ، فإني مسمومة».

وروينا عن أهل البيت عليهم السلام أنه مات مسموماً من غير لحم الشاة ، بالدواء الذي لُدَّ به في مرضه ! وقد روت حديثه عامة مصادرهم ، وقالوا إنه دواء لاسم فيه .

واللُّدود وضع الدواء في الفم بالقوة ! وخلاصة القصة: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يغشى عليه من شدة الحمى لدقائق ويفيق ، فأحس بأن بعض من حوله يريدون أن يسقوه دواء عندما يغمى عليه ، فنهاهم وشدد نهيه عليهم ، ومع ذلك عصوه ووضعوا في فمه دواء كالمرهم عندما أغمي عليه فرفضه فوضعوه في فمه بالقوة ! فأفاق صلى الله عليه وآله ووبخهم على عملهم ، وأمر كل من كان حاضراً أن يشرب من ذلك الدواء ، ما عدا بني هاشم !

قال البخاري:١٧/٧:«قالت عائشة: لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء . فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟! قلنا: كراهية المريض للدواء. فقال: لايبقى في البيت أحد إلا لد وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم »! ورواه في:٤٠/٨ و٤٢ ، وفيه أنه أحس باللد فنهاهم فلم يمتنعوا فعاقبهم !

والحاكم:٢٠٢/٤ ، وفيه: والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمِّي! قال فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً ! قالت عائشة: ومن في البيت يومئذ فيذكر فضلهم ، فلُدَّ الرجال أجمعون وبلغ اللدود أزواج النبي فلددن امرأة امرأة» !

ويظهر أنهم لدوه مرتين ! أولاهما في أول مرضه ﷺ، كما في مسند أحمد:٤٣٨/٦: عن أسماء بنت عميس قالت: أول ما اشتكى رسول الله (ص) في بيت ميمونة فاشتد مرضه حتى أغمي عليه ، فتشاور نساؤه في لده فلدوه ، فلما أفاق قال: ما هذا؟! فقلنا: هذا فعل نساء جئن من ههنا ، وأشرن إلى أرض الحبشة وكانت أسماء بنت عميس فيهن. قالوا: كنا نتهم فيك ذات الجنب يا رسول الله ! قال: إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقرفني به ! لا يبقين في هذا البيت أحد إلا التدَّ إلا عمٌّ رسول الله يعني العباس ! قال فلقد التدت ميمونة يومئذ وإنها لصائمة لعزمة رسول الله .

والمرة الثانية التي رواها بخاري ومسلم في آخر مرضه يوم الأحد:«ونزل أسامة يوم الأحد ، ورسول الله (ص) ثقيل مغمور وهو اليوم الذي لدُّوه فيه ، فدخل على رسول الله (ص) وعيناه تهملان». (الطبقات:١٩٠/٢، وتاريخ دمشق:٥٦/٢، وعيون الأثر:٣٥٢/٢، والإمتاع:٥٢٠/١٤ ، وسبل الهدى:٦/.(٢٤٩).

وقد اضطربت روايتهم فيمن وضع الدواء في فم النبي ﷺ بالقوة ، وسألهم هو فأشاروا في المرة الأولى الى أسماء بنت عميس ، وقالوا له في الثانية إنه العباس ، والصحيح أنهما عائشة وحفصة .

كما تحير الفقهاء في يمينه ﷺ بمعاقبة جميع من حضر ، وغرضه من ذلك ! ولا تفسير له إلا أن النبي ﷺ أراد أن يفهم أجيال الأمة أنه مات مسموماً ، وأن الحاضرين غير بني هاشم ، متهمون بدمه !

ومما يدل على أن النبي ﷺ مات مسموماً قول الإمام الحسن عليه السلام الذي رواه الجميع بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«إن الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: إني أموت بالسم

كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله! فقالوا: ومن يفعل ذلك؟! قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس ، فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك. قالوا: أخرجها من منزلك وباعدها من نفسك! قال:كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً ، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها وكان لها عذر عند الناس» !

وفي كتاب سليم/٣٦٣:«فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يبكي فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله أتُقتل؟ قال: نعم أهلكُ شهيداً بالسم ! وتُقتل أنت بالسيف وتُخضب لحيتك من دم رأسك ، ويُقتل ابني الحسن بالسم ، ويُقتل ابني الحسين بالسيف ، يقتله طاغٍ ابن طاغ ، دعيٌّ ابن دعي» !

وما رواه العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قتل؟ إن الله يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، فسُمَّ قبل الموت ، إنهما سقتاه» !

وما رواه وصححه مجمع الزوائد:٣٤/٨ ، عن ابن مسعود قال:« لأن أحلف تسعاً أن رسول الله (ص) قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل ، وذلك بأن الله عز وجل جعله نبياً واتخذه شهيداً ! قال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كانوا يرون أن اليهود سموه» !

ومما يؤيد موته بالسم ، أنه سقي ذلك الدواء يوم الأحد ، وتقيأ دماً يوم الإثنين ، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج:٢٦٦/١٠:«يروى أنه صلى الله عليه وآله قذف دماً يسيراً وقت موته ومن قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب ، وأن القرحة التي كانت في الغشاء المستبطن للأضلاع انفجرت في تلك الحال وكانت فيها نفسه» .

وبما أنه صلى الله عليه وآله نفى أن يكون مرضه ذات الرئة ، فالمرجح أنه قذف دماً يوم الإثنين مما سقي يوم الأحد !

٤- جاء الأنصار يبكون ، فخطب فيهم النبي صلى الله عليه وآله

في أمالي المفيد/٤٦: «عن عبد الله بن عباس قال: إن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس ، دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه فقالوا: يا رسول الله هذه الأنصار في المسجد تبكي رجالها ونساؤها عليك. فقال: وما يبكيهم؟ قالوا: يخافون أن تموت . قال صلى الله عليه وآله: أعطوني أيديكم فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ، أيها الناس ، فما تنكرون من موت نبيكم؟ ألم أُنْعَ إليكم وتُنْعَ إليكم أنفسكم ؟ لو خُلِّدَ أحد قبلي ثم بعث إليه لخلدت فيكم . ألا إني لاحق بربي وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم ، تقرؤونه صباحاً ومساءً ، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، وكونوا إخواناً كما أمركم الله ، وقد خلفت فيكم عترتي أهل بيتي وأنا أوصيكم بهم ، ثم أوصيكم بهذا الحي من الأنصار ، فقد عرفتم بلاهم عند الله عز وجل وعند رسوله وعند المؤمنين ، ألم يوسعوا في الديار ويشاطروا الثمار ويؤثروا وبهم الخصاصة ؟ فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار ، وليتجاوز عن مسيئهم . وكان آخر مجلس جلسه حتى لقي الله عز وجل ».

٥- الأمة تعلن الإنقلاب على رسولها صلى الله عليه وآله في حياته !

روت كل المصادر حديث الإنقلاب على النبي صلى الله عليه وآله، الذي قاده عمر بن الخطاب بمناصرة طلقاء قريش، فقد وقف في وجه النبي صلى الله عليه وآله في مرضه وردَّ عليه ومنعه أن يكتب لأمته عهداً يُؤَمِّنُها من الضلال ويجعلها سيدة العالم !

فبمجرد أن أمر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه أن يأتوه بدواة ليكتب لهم كتاباً لايضلون بعده ، ويعلنوا التزامهم به ، حتى رفض عمر ذلك ، وصاح: حسبنا كتاب الله... وصاح خلفه القرشيون الطلقاء: القول ما قاله عمر !

قال البخاري:٣٦/١: «عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ! فاختلفوا: وكثر اللغط ! قال(ص): قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إن الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه»«فلما أكثروا اللغو والإختلاف قال رسول الله: قوموا». (بخاري:١٣٧/٥).

وفي مسلم:٧٥/٥: «عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ! قال: قال رسول الله (ص): إئتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فقالوا: إن رسول الله يهجر ! وفي رواية أخرى: فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله».

وفي مسند أحمد:٣٤٦/٣:« دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لايضلون بعده قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها»!

وفي مجمع الزوائد:٣٣/٩:«عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي قال: أدعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتاباً لاتضلون بعدي أبداً ، فكرهنا ذلك أشد الكراهة ! ثم قال: أدعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده أبداً ! فقال النسوة من وراء الستر: ألاتسمعون ما يقول رسول الله ؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن وإذا صح ركبتن رقبته . فقال رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم» !

وقد وصف المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب/١٨٢ ، أجواء المواجهة في كتابه القيِّم: عدالة الصحابة ، فكتب تحت عنوان: المواجهة الصاخبة:

« النبي على فراش الموت ، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته ، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه. النبي على علم بمستقبل هذه الأمة وقد أدى دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه ، وبين لهم كل شئ على الإطلاق ، وهو على علم تام بما يجري حوله ، ومدركٌ أنه السكون الذي يسبق الإنفجار، فينسف الشرعية السياسية والمرجعية! وبنسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة.

ولكن مثل النبي لاينحني أمام العاصفة ، ولا يقعده شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة ! وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة ، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها ، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدي وحتى لاتضل ، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام وتعيق حركته وتغير مساره !

النبي على فراش المرض ، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة ، وقد أصر النبي على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام ، فقال: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي ؟ من يرفض التأمين ضد الضلالة ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟

ثم ، إن من حق أي مسلم أن يوصي ، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته ، والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله !

هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي ، وليس نبياً وقائداً للأمة.

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله !

فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، ومنهم من يقول: القول ما قاله عمر !

فلما أكثروا اللغو والإختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عني !

وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا هجر رسول الله ! قال النبي: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه !.

وفي رواية ثالثة ، قال النبي: إئتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا: إن رسول الله يهجر.

وفي رواية رابعة للبخاري: إن النبي قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبة الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وأكثروا اللغط ! قال النبي: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.

رواية بلفظ خامس للبخاري: قال النبي: إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه أهجر ؟ إستفهموه. فذهبوا يرددون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.

رواية بلفظ سادس للبخاري: قال النبي: إئتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر ، استفهموه ، فقال النبي: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.

رواية بلفظ سابع للبخاري: قال النبي: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله ! واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغط والإختلاف عند النبي قال: قوموا عني. وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر. وقد اعترف الفاروق أنه صد النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي !

تحليل المواجهة:

أطراف المواجهة: الطرف الأول ، هو محمد رسول الله وخاتم النبيين وإمام الدولة الإسلامية (رئيسها). الطرف الثاني ، عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ، ووزير من أبرز وزراء دولة النبي ، والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد.

مكان المواجهة: بيت النبي.

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

النتائج الأولية للمواجهة:

١- الإنقسام: إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين: القسم الأول: يؤيد الفاروق فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد. وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة ، وأحد وزراء النبي ، ومشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض ، وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابة هذا الكتاب. ثم إن القرآن وحده يكفي، فهو التأمين ضد الضلالة ، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي!

القسم الثاني: يرفض المواجهة أصلاً بين التابع والمتبوع وبين نبي ومصدق به وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت وبين واحد من وزرائه.

ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ، ولكتابة ما يريد لأنه نبي وما زال نبيا حتى يتوفاه الله ، ولأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ، ويحل رئيس آخر محله.

ثم على الأقل ، لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء.

ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته فهو صاحب البيت ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته.

٢- بروز قوة هائلة جديدة: برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه»! انتهى كلام المحامي الأردني

أقول: جاء انقلاب يوم الخميس نتيجة صراع قريش مع النبي صلى الله عليه وآله الذي أخذ منحى جديداً بعد فتح مكة ، فقد قرر زعماء قريش أن يخوضوا مع النبي صلى الله عليه وآله المواجهة حول خلافته وأن تكون بزعامة عمر ! وكثفوا وجود الطلقاء في المدينة لشد ظهر عمر ، فبلغوا ألوفاً ! لأن الذين كتب النبي صلى الله عليه وآله أسماءهم منهم في جيش أسامة كانوا سبع مئة ! (فتح الباري:١١٦/٨).

وقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن أمته ستختلف بعده كالأمم السابقة:« وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» . (البقرة: ٢٥٣).

فكان النبي صلى الله عليه وآله يؤكد على مكانة أهل بيته عليهم السلام ويحذر أمته أن يرتدوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض ، لأجل الحكم والخلافة !

وخطب فيهم في حجة الوداع خمس خطب بيَّنَ فيها كل ما ينبغي بيانه ، وبشرهم بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام من عترته بعده ، وأكد على وجوب اتباعهم وإلا وقعوا في الضلال والإنهيار !

وفي خطبته السادسة في غدير خم أخذ بيد علي عليه السلام وأصعده المنبر وأعلنه خليفته ، وأمرهم أن يهنئوه ويبايعوه ففعلوا ، وكان عمر أول المهنئين !

فقد روى الخطيب البغدادي، والحافظ الحسكاني ، وابن عساكر ، وابن كثير ، والخوارزمي ، وابن المغازلي بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة قال:« من صام يوم ثماني عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي(ص) بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم » .

وفي مرض وفاته صلى الله عليه وآله أمره ربه عز وجل أن يدعو أصحابه وأهل الحل والعقد من أمته ويتم عليهم الحجة ، فعرض عليهم أعظم عرض قدمه نبي لأمته ! أن يضمن لهم أن يكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة ، بشرط أن يقبلوا حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، ويلتزموا بتنفيذ عهد يكتبه لهم !

فانبرى له عمر بالنيابة عن قريش فرد عليه ، وأعلن رفضهم لعرضه ! فشد ظهر عمر أكثر الحاضرين وصاحوا في وجه نبيهم صلى الله عليه وآله: القول ما قاله عمر ، أي لا نريد أن تكتب لنا كتاباً ، ولا نريد أمانك من الضلال ! فقد غلب عليك الوجع وفقدت الصلاحية العقلية فأنت تهذي ! فردوا على رسولهم صلى الله عليه وآله ، وأهانوه ، وحكموا عليه بأنه فقد عقله فهو يهذي ! واختاروا الضلال عن عمد وإصرار ، وأن يصادروا من نبيهم صلى الله عليه وآله قيادة الأمة ويعطوها إلى عمر ، زعيم قريش الجديد !

واضطر النبي المظلوم صلى الله عليه وآله إلى السكوت ، لأنهم خيروه بين الكف عن كتابة عهده وبين أن يعلنوا الردة ، وأنه ليس نبياً بل أراد تأسيس ملك لأسرته كملك

كسرى وقيصر ! فاليوم ابن عمه علي ابن الثلاث وثلاثين سنة ثم من بعده أولاد ابنته الذين هم دون العاشرة ، وإن دخلت الخلافة فيهم فلن تخرج منهم ، ولن يصل إلى قبائل قريش شئ ، وهذا ظلم لقريش ما بعده ظلم !

لهذا ، تقدم عمربتخويل زعماء قريش ، وواجهه بالقول إن بني هاشم تكفيهم النبوة ، وخلافته يجب أن تكون لبقية البطون ، وبنو هاشم فيها كغيرهم لا أكثر !

وهكذا اختارت قريش مواجهة النبي صلى الله عليه وآله بسلاح تهديده بالردة ! واعتبرت أنها انتصرت عليه في مرض وفاته ، فمنعته من كتابة عهده لعترته !

وما أن أغمض عينيه صلى الله عليه وآله حتى سارعت بالصفق على يد خليفتها ، وأسست نظام الخلافة القرشي على قانون الغلبة والتسلط ! وفتحت بذلك في الأمة صراعاً على السلطة لم تعرف أمة بعد رسولها أكثر منه سفكاً للدماء !

وكانت نتيجة هذا النظام بعض فتوحات محدودة على غير منهج ، ثم غلبة غلمان بني أمية على الخلافة ، ثم غلمان بني العباس ، ثم غلمان الشراكسة والعثمانيين ، حتى انهارت الخلافة والأمة بيد الغربيين ودفنوها في استانبول!

كانت المدة بين يوم الغدير يوم الخميس١٨ ذي الحجة ، وبين يوم الخميس يوم الرزية٢٤ صفر من نفس السنة ، ستاً وستين يوماً فقط ! نشط فيها القرشيون ضد خلافة عترة النبي صلى الله عليه وآله ، ووقعت أحداث ونزلت آيات ، وصدرت من النبي صلى الله عليه وآله خطب وأحاديث ! ومن أبرزها دعوتهم الى كتابة عهده ، فأفشلوها كما رأيت !

وقبلها إرسالهم في جيش أسامة ليخلو الجو منهم في المدينة ، فيرتب الخلافة قبل وفاته ! فأفشلوا جيش أسامة كما رأيت ، وكان لحفصة وعائشة دور خطير كما قال

الله تعالى: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ .

وتدل رواية سُليم بن قيس/٣٢٤ ، على أن النبي صلى الله عليه وآله حاول في آخر يوم من حياته الشريفة أيضاً أن يكتب عهده ، فوقف عمر نفس الموقف ! قال سليم: «كنت عند عبد الله بن عباس في بيته وعنده رهط من الشيعة ، قال فذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وموته فبكى ابن عباس وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الإثنين وهو اليوم الذي قبض فيه وحوله أهل بيته وثلاثون رجلاً من أصحابه: إيتوني بكتف أكتب لكم فيه كتاباً لن تضلوا بعدي ولن تختلفوا بعدي! فمنعهم رجل فقال: إن رسول الله يهجر! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إني أراكم تخالفوني وأنا حيٌّ فكيف بعد موتي !

قال سليم: ثم أقبل عليَّ ابن عباس فقال: يا سليم ، لولا ما قال ذلك الرجل لكتب لنا كتاباً لا يضل أحد ولا يختلف! فقال رجل من القوم: ومن ذلك الرجل؟ فقال: ليس إلى ذلك سبيل. فخلوت بابن عباس بعد ما قام القوم فقال: هو عمر. فقلت: صدقت قد سمعت علياً وسلمان وأبا ذر والمقداد يقولون إنه عمر. فقال: يا سليم أكتم إلا ممن تثق بهم من إخوانك ، فإن قلوب هذه الأمة أشربت حب هذين الرجلين ، كما أشربت قلوب بني إسرائيل حب العجل والسامري» !

كما يدل قول الطبري الشيعي في المسترشد/٦٨٠، على غضب النبي صلى الله عليه وآله وحزنه عندما أمرهم بالقبول بعهده فعصوه ! قال: « أليس قال الرسول صلى الله عليه وآله وقد تغرغر (شرق بكلماته حزناً) إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم ما لا تضلون معه بعدي. فقال الثاني: هجر رسول الله ، ثم قال: حسبنا كتاب الله »!

أقول: عملت السلطة بكل حيلة لإخفاء هذه القضية وتغييب أحاديثها ، وتفسير ما أفلت منها لمصلحتها ، ثم دافعوا عن قادة الإنقلاب وجعلوا فعلهم صواباً ، وجعلوا أمر النبي ﷺ بالكتابة كأنه خطأ !

وفيها بحوث مهمة لا يتسع لها المجال. راجع: ألف سؤال وإشكال:٢/٣٦٩.

٦- وصايا النبي ﷺ العامة والخاصة

مع أن زعماء قريش وطلقاءها منعوا النبي ﷺ من كتابة عهده لأمته ، فقد صدرت عنه مجموعة وصايا: منها للمسلمين ، ومنها لعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام.

ومنها وصيته ﷺ التي نزل بها جبرئيل ، وشهد عليها هو والملائكة عليهم السلام.

ومنها عهد الله تعالى للأئمة عليهم السلام الذي جاء به جبرئيل عليه السلام في صحف مختومة لكل إمام باسمه .

ومنها عهد الله تعالى الى الأئمة من ذرية فاطمة عليهم السلام في اللوح الذي جاء به جبرئيل عليه السلام هدية من الله تعالى لفاطمة عليها السلام.

هذا مضافاً الى تأكيداته المتواصلة على الثقلين والخليفتين بعده: كتاب الله وعترته أهل بيته عليهم السلام ، وعلى علي عليه السلام بصفته أول العترة .

ولا يتسع المجال لإيراد كل هذه الوصايا النبوية ، التي أخفاها رواة السلطة ، لكن بقي منها ما فيه بلاغ لمن كان له قلب .

٧- تأكيداته الأخيرة على علي والعترة عليهم السلام

في أمالي المفيد/١٣٤، عن أبي سعيد الخدري قال:« إن آخر خطبة خطبنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله لخطبة خطبنا في مرضه الذي توفي فيه ، خرج متوكياً على علي بن أبي طالب وميمونة مولاته ، فجلس على المنبر ثم قال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين وسكت . فقام رجل فقال: يا رسول الله ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمر وجهه ثم سكن ، وقال: ما ذكرتهما إلا وأنا أريد أن أخبركم بهما ولكن رَبَوْتُ فلم أستطع: سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم تعملون فيه كذا ، ألا وهو القرآن ، والثقل الأصغر أهل بيتي. ثم قال: وأيم الله إني لأقول لكم هذا ورجال في أصلاب أهل الشرك أرجى عندي من كثير منكم ! ثم قال: والله لايحبهم عبد إلا أعطاه الله نوراً يوم القيامة حتى يرد عليَّ الحوض، ولا يبغضهم عبد إلا احتجب الله عنه يوم القيامة» !

وفي مناقب آل أبي طالب:٢١٧/٢:« حلية الأولياء ، وفضايل السمعاني ، وكتاب الطبراني ، والنطنزي ، بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحسن بن علي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أدعوا لي سيد العرب يعني علياً ، فقالت عايشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال: معاشر الأنصار عليَّ ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا عليٌّ فأحبوه لحبي وأكرموه لكرامتي، فإن جبرئيل أمرني

بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.. وفي رواية: فقالت عايشة: وما السيد؟ قال: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي».

وفي كفاية الأثر/٤١:«عن سلمان الفارسي قال:«خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب ، أوصيكم في عترتي خيراً وإياكم والبدع ، فإن كل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار .

معاشر الناس: من افتقد الشمس فليتمسك بالقمر ، ومن افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين ، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة بعدي ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم . قال: فلما نزل عن المنبر صلى الله عليه وآله تبعته حتى دخل بيت عائشة فدخلت إليه وقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله سمعتك تقول: إذا افتقدتم الشمس فتمسكوا بالقمر ، وإذا افتقدتم القمر فتمسكوا بالفرقدين ، وإذا افتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة .

قيل: فما الشمس وما القمر وما الفرقدان وما النجوم الزاهرة؟ فقال: أنا الشمس وعلي القمر والحسن والحسين الفرقدان ، فإذا افتقدتمونى فتمسكوا بعلي بعدي ، وإذا افتقدتموه فتمسكوا بالحسن والحسين . وأما النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين تاسعهم مهديهم. ثم قال صلى الله عليه وآله: إنهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي ، أئمة أبرار ، عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى .

قلت: فسمهم لي يا رسول الله . قال: أولهم علي بن أبي طالب ، وبعده سبطاي ، وبعدهما علي زين العابدين ، وبعده محمد بن علي الباقر علم النبيين ، والصادق

جعفر بن محمد ، وابنه كاظم سمي موسى بن عمران والذي يقتل بأرض الغربة ، ثم ابنه علي ، ثم ابنه محمد ، والصادقان علي والحسن ، والحجة القائم المنتظر في غيبته ، فإنهم عترتي من دمي ولحمي ، علمهم علمي وحكمهم حكمي ، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي». ومناقب آل أبي طالب:٢٤٢/١.

وفي كتاب سليم/٣٠٠ و٤١٤ ، أن أمير المؤمنين ناشد كبار الصحابة ، فكان مما قاله: «أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً ولم يخطب بعدها.. ثم دخل بيته فلم يخرج حتى قبضه الله إليه ، وقال: يا أيها الناس ، إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد عهد إلي اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض؟ فقالوا: اللهم نعم قد شهدنا ذلك.. فقال عليه السلام: حسبي الله» .

وفي تفسير العياشي:٥/١: «عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن ، وبها نوهت الكتب ، ويستبين الإيمان . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمد ، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر و الثقل الأصغر ، فأما الأكبر فكتاب ربي ، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي ، فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما».

وفي الكافي:٤١٤/٢: « عن سليم بن قيس قال: سمعت علياً صلوات الله عليه يقول وأتاه رجل فقال له: ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً وأدنى ما يكون به العبد كافراً

وأدنى ما يكون به العبد ضالاً ؟ فقال له: قد سألت فافهم الجواب: أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة ، ويعرفه نبيه ﷺ فيقر له بالطاعة ، ويعرفه إمامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة . قلت له: يا أمير المؤمنين وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت؟ قال: نعم إذا أُمِرَ أطاع ، وإذا نُهِيَ انتهى .

وأدنى ما يكون به العبد كافراً: من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أن الله أمر به ، ونصبه ديناً يتولى عليه ويزعم أنه يعبد الذي أمره به ، وإنما يعبد الشيطان .

وأدنى ما يكون به العبد ضالاً أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده ، الذي أمر الله عز وجل بطاعته وفرض ولايته .

قلت: يا أمير المؤمنين صفهم لي فقال: الذين قرنهم الله عز وجل بنفسه ونبيه ، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمر مِنْكُمْ . قلت: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أوضح لي ، فقال: الذين قال رسول الله ﷺ في آخر خطبته يوم قبضه الله عز وجل إليه: إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإن اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين ، وجمع بين مسبحتيه ، ولا أقول كهاتين ، وجمع بين المسبحة والوسطى ، فتسبق إحداهما الأخرى ، فتمسكوا بهما لا تزلوا ولا تضلوا ولا تقدموهم فتضلوا».

وفي المراجعات/٢٧٩: « وحسبك في وجوب اتباع الأئمة من العترة الطاهرة، اقترانهم بكتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكما لا يجوز الرجوع إلى كتاب يخالف في حكمه كتاب الله سبحانه وتعالى، لا يجوز الرجوع إلى إمام يخالف في حكمه أئمة العترة».

٨- الوصية التي نزلت من الله تعالى الى الأئمة عليهم السلام

تدل أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وآله أنه أملاها على علي عليه السلام فكتبها وأخذ تعهده بها ثم طلب النبي صلى الله عليه وآله من جبرئيل عليه السلام أن يشهد عليها، فعرج بها ثم جاء بصحيفة مختومة ومعه الملائكة ليشهدوا على تبليغ النبي صلى الله عليه وآله إياها لعلي عليه السلام، وتعهده بتنفيذها !

ففي الكافي: ٢٨١/١، عن الإمام الكاظم أنه سأل أباه الصادق عليه السلام قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول الله صلى الله عليه وآله المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام شهود؟ قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت، ولكن حين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمد، مُرْ بإخراج من عندك إلا وصيك ليقبضها منا، وتشهدنا بدفعك إياها إليه، ضامناً لها، يعني علياً عليه السلام. فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإخراج من كان في البيت ما خلا علياً، وفاطمة فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك، وأشهدت به عليك ملائكتي وكفى بي يا محمد شهيداً. قال: فارتعدت مفاصل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا جبرئيل، ربي هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، صدق عز وجل وبر، هات الكتاب،

فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: إقرأه ، فقرأه حرفاً حرفاً ، فقال: يا علي هذا عهد ربي تبارك وتعالى إليَّ وشرطه عليَّ وأمانته ، وقد بلغت ونصحت وأديت . فقال علي: وأنا أشهد لك بأبي وأمي أنت بالبلاغ والنصيحة ، والتصديق على ما قلت ، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي .

فقال جبرئيل: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين .

فقال رسول الله: يا علي أخذت وصيتي وعرفتها ، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها ؟ فقال علي: نعم بأبي أنت وأمي علي ضمانها ، وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إني أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة ! فقال علي عليه السلام: نعم أشهد . فقال النبي صلى الله عليه وآله: إن جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن ، وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك .

فقال: نعم ليشهدوا وأنا بأبي أنت وأمي أشهدهم . فأشهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان فيما اشترط عليه النبي صلى الله عليه وآله بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمر الله عز وجل أن قال له: يا علي تفي بما فيها من موالاة من والى الله ورسوله ، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله والبراءة منهم . على الصبر منك ، وعلى كظم الغيظ ، وعلى ذهاب حقك ، وغصب خمسك ، وانتهاك حرمتك؟

فقال: نعم يا رسول الله . فقال أمير المؤمنين: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل عليه السلام يقول للنبي صلى الله عليه وآله: يا محمد عَرِّفْه أنه تُنتهك الحرمة ، وهي حرمة الله وحرمة رسول الله ، وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط !

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل ، حتى سقطت على وجهي ، وقلت: نعم قبلت ورضيت ، وإن انتهكت الحرمة ، وعطلت

السنن ، ومزق الكتاب ، وهدمت الكعبة ، وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط ، صابراً محتسباً أبداً ، حتى أقدم عليك !

ثم دعا رسول الله فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا مثل قوله ! فختمت الوصية بخواتيم من ذهب ، لم تمسه النار ، ودفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

قال الراوي: فقلت لأبي الحسن (الإمام الكاظم عليه السلام): بأبي أنت وأمي ، ألا تذكر ما كان في الوصية؟ فقال: سنن الله وسنن رسوله . فقلت: أكان في الوصية توثبهم وخلافهم على أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم والله شيئاً شيئاً ، وحرفاً حرفاً ، أما سمعت قول الله عز وجل: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ . والله لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام: أليس قد فهمتما ما تقدمت به إليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا» !!

أقول: نقل صاحب البحار رحمه الله أحاديث هذه الوصية (٤٧٦/٢٢) من كتاب الطُّرف لابن طاووس رحمه الله عن كتاب عيسى بن المستفاد ، وهو الراوي الأخير في سند حديث الكليني ، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:« قال أمير المؤمنين عليه السلام: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله عنده موته وأخرج من كان عنده في البيت غيري . والبيت فيه جبرئيل والملائكة أسمع الحس ولا أرى شيئاً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب الوصية من يد جبرئيل مختومة فدفعها إليَّ وأمرني أن أفضها ففعلت ، وأمرني أن أقرأها فقرأتها فقال: إن جبرئيل عندي ، أتاني بها الساعة من عند ربي فقرأتها ، فإذا فيها كل ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي به شيئاً شيئاً ما تغادر حرفاً !

وبالإسناد المتقدم عنه عن أبيه عن جده الباقر عليهما السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت مسند النبي صلى الله عليه وآله إلى صدري ليلة من الليالي في مرضه، وقد فرغ من وصيته وعنده فاطمة ابنته، وقد أمر أزواجه والنساء أن يخرجن من عنده ففعلن، فقال: يا أبا الحسن تحول من موضعك وكن أمامي، قال ففعلت، وأسنده جبرئيل عليه السلام إلى صدره، وجلس ميكائيل عليه السلام على يمينه فقال: يا علي ضم كفيك بعضها إلى بعض ففعلت، فقال لي: قد عهدت إليك أحدث العهد لك بمحضر أميني رب العالمين: جبرئيل وميكائيل، يا علي بحقهما عليك إلا أنفذت وصيتي على ما فيها وعلى قبولك إياها بالصبر والورع على منهاجي وطريقي، لا طريق فلان وفلان، وخذ ما آتاك الله بقوة. وأدخل يده فيما بين كفيَّ وكفاي مضمومتان، فكأنه أفرغ بينهما شيئاً فقال: يا علي قد أفرغت بين يديك الحكمة وقضاء ما يرد عليك، وما هو وارد لا يعزب عنك من أمرك شيء، وإذا حضرتك الوفاة، فأوص وصيتك إلى من بعدك على ما أوصيك، واصنع هكذا بلا كتاب ولا صحيفة.

وفيه عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وأوصى به، وأسنده بأمر الله إلى وصيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

وكان في آخر الوصية: شهد جبرئيل وميكائيل وإسرافيل على ما أوصى به محمد صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وقبضه وصيه، وضمانه على ما فيها على ما ضمن يوشع بن نون لموسى بن عمران، وعلى ما ضمن وأدى وصي عيسى بن

مريم ، وعلى ما ضمن الأوصياء قبلهم ، على أن محمد أفضل النبيين وعلياً أفضل الوصيين . وأوصى محمد وسلم إلى علي وأقر علي ، وقبض الوصية على ما أوصى به الأنبياء ، وسلم محمد الأمر إلى علي بن أبي طالب ، وولاه الأمر على أن لانبوة لعلي ولا لغيره بعد محمد ، وكفى بالله شهيداً».

وفيه أيضاً:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين دفع إليه الوصية: إتخذْ لها جواباً غداً بين يدي الله تبارك وتعالى رب العرش ، فإني محاجك يوم القيامة بكتاب الله حلاله وحرامه ، ومحكمه ومتشابهه على ما أنزل الله ، وعلى ما أمرتك ، وعلى فرائض الله كما أنزلت ، وعلى الأحكام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتنابه ، مع إقامة حدود الله وشروطه ، والأمور كلها ، وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة لأهلها ، وحج البيت ، والجهاد في سبيل الله ، فما أنت قائل يا علي؟

فقال علي: بأبي أنت وأمي ، أرجو بكرامة الله لك ومنزلتك عنده ونعمته عليك ، أن يعينني ربي ويثبتني ، فلا ألقاك بين يدي الله مقصراً ولا متوانياً ولا مفرطاً ، ولا أمغز وجهك ، وِقَاهُ وجهي ووجوه آبائي وأمهاتي ، بل تجدني بأبي أنت وأمي مشمراً متبعاً لوصيتك ومنهاجك وطريقك ما دمت حياً ، حتى أقدم بها عليك ، ثم الأول فالأول من ولدي ، لا مقصرين ولا مفرطين.

قال علي عليه السلام: ثم انكببت على وجهه وعلى صدره وأنا أقول: واوحشتاه بعدك بأبي أنت وأمي ، ووحشة ابنتك وبنيك ، بل وأطول غمي بعدك يا أخي ، انقطعت

من منزلي أخبار السماء ، وفقدت بعدك جبرئيل وميكائيل ، فلا أحس أثراً ولا أسمع حساً ، فأغمي عليه طويلاً ، ثم أفاق صلى الله عليه وآله .

قال أبو الحسن: فقلت لأبي: فما كان بعد إفاقته؟ قال: دخل عليه النساء يبكين وارتفعت الأصوات ، وضج الناس بالباب من المهاجرين والأنصار ، فبيناهم كذلك إذ نودي: أين علي؟ فأقبل حتى دخل عليه ، قال علي عليه السلام: فانكببت عليه فقال: يا أخي إفهم فَهَّمَك الله وسددك وأرشدك ووفقك وأعانك ، وغفر ذنبك ورفع ذكرك ، إعلم يا أخي أن القوم سيشغلهم عني ما يشغلهم ، فإنما مثلك في الأمة مثل الكعبة نصبها الله للناس علماً ، وإنما تؤتى من كل فج عميق ونأيٍ سحيق ، ولا تأتي . وإنما أنت علم الهدى ونور الدين وهو نور الله .

يا أخي ، والذي بعثني بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم ، رجلاً رجلاً ، ما افترض الله عليهم من حقك ، وألزمهم من طاعتك ، وكل أجاب وسلم إليك الأمر ، وإني لأعلم خلاف قولهم !

فإذا قبضت وفرغت من جميع ما أوصيك به ، وغيبتني في قبري فالزم بيتك ، واجمع القرآن على تأليفه ، والفرائض والأحكام على تنزيله ، ثم امض على غير لائمة على ما أمرتك به ، وعليك بالصبر على ما ينزل به وبها حتى تقدموا عليَّ».

وفيه عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:« قلت لأبي: فما كان بعد خروج الملائكة عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فقال: ثم دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين وقال لمن في بيته: أخرجوا عني ، وقال لأم سلمة: كوني على الباب فلا يقربه أحد ففعلت ، ثم

قال: يا علي أدن مني فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً ، وأخذ بيد علي بيده الأخرى ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام غلبته عبرته ، فلم يقدر على الكلام ، فبكت فاطمة عليها السلام بكاء شديداً وعلي والحسن والحسين عليهم السلام لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالت فاطمة: يا رسول الله قد قطعت قلبي ، وأحرقت كبدي لبكائك ، يا سيد النبيين من الأولين والآخرين ، ويا أمين ربه ورسوله ويا حبيبه ونبيه ، من لولدي بعدك؟ ولذل ينزل بي بعدك ؟! من لعلي أخيك وناصر الدين؟ من لوحي الله وأمره ؟ ثم بكت وأكبت على وجهه فقبلته ، وأكب عليه علي والحسن والحسين ، فرفع رأسه صلى الله عليه وآله إليهم ويدها في يده فوضعها في يد علي وقال له: يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله محمد عندك ، فاحفظ الله واحفظني فيها وإنك لفاعله . يا علي هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين ، هذه والله مريم الكبرى . أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني ما سألته .

يا علي ، أنفذ لما أمرتك به فاطمة ، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل عليه السلام ، واعلم يا علي أني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة ، وكذلك ربي وملائكته .

يا علي ، ويل لمن ظلمها وويل لمن ابتزها حقها ، وويل لمن هتك حرمتها ، وويل لمن أحرق بابها ، وويل لمن آذى خليلها ، وويل لمن شاقها وبارزها.

اللهم إني منهم بريئ ، وهم مني برآء ، ثم سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وضم فاطمة إليه وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللهم إني لهم ولمن شايعهم سلم ، وزعيم

بأنهم يدخلون الجنة ، وعدو وحرب لمن عاداهم وظلمهم وتقدمهم أو تأخر عنهم وعن شيعتهم ، زعيم بأنهم يدخلون النار . ثم والله يا فاطمة لا أرضى حتى ترضيْ ، ثم لا والله لا أرض حتى ترضيْ ، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضيْ .

قال عيسى: فسألت موسى عليه السلام وقلت: إن الناس قد أكثروا في أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ثم عمر ، فأطرق عني طويلاً ثم قال: ليس كما ذكروا ، ولكنك يا عيسى كثير البحث عن الأمور ، ولا ترضى عنها إلا بكشفها .

فقلت: بأبي أنت وأمي إنما أسال عما أنتفع به في ديني وأتفقه مخافة أن أضل ، وأنا لا أدري ، ولكن متى أجد مثلك يكشفها لي .

فقال: إن النبي صلى الله عليه وآله لما ثقل في مرضه دعا علياً فوضع رأسه في حجره ، وأغمي عليه وحضرت الصلاة فأوذن بها فخرجت عائشة فقالت: يا عمر أخرج فصل بالناس فقال: أبوك أولى بها ، فقالت: صدقت ولكنه رجل لين وأكره أن يواثبه القوم فصلِّ أنت ، فقال لها عمر: بل يصلي هو وأنا أكفيه إن وثب واثب أو تحرك متحرك ، مع أن محمداً مغمى عليه لا أراه يفيق منها ، والرجل مشغول به لا يقدر أن يفارقه ، يريد علياً عليه السلام ، فبادره بالصلاة قبل أن يفيق ، فإنه إن أفاق خفت أن يأمر علياً بالصلاة ، فقد سمعت مناجاته منذ الليلة ، وفي آخر كلامه: الصلاة الصلاة ! قال: فخرج أبو بكر ليصلي بالناس فأنكر القوم ذلك ، ثم ظنوا أنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ! فلم يُكبِّر حتى أفاق صلى الله عليه وآله وقال: أدعوا لي العباس فدعي فحمله هو وعلي فأخرجاه حتى صلى بالناس وإنه لقاعد ، ثم حمل فوضع على منبره فلم

يجلس بعد ذلك على المنبر ، واجتمع له جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى برزت العواتق من خدورهن ، فبين باك وصائح وصارخ ومسترجع والنبي صلى الله عليه وآله يخطب ساعة ويسكت ساعة ، وكان مما ذكر في خطبته أن قال: يا معشر المهاجرين والأنصار ومن حضرني في يومي هذا وفي ساعتي هذه من الجن والإنس: فليبلغ شاهدكم الغائب ، ألا قد خلفت فيكم كتاب الله ، فيه النور والهدى والبيان ، ما فرط الله فيه من شئ ، حجة الله لي عليكم ، وخلفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وصيي علي بن أبي طالب ، ألا هو حبل الله فاعتصموا به جميعاً ولا تفرقوا عنه...

أيها الناس: ومن كانت له قبلي تبعة فها أنا ، ومن كانت له عدة فليأت فيها علي بن أبي طالب ، فإنه ضامن لذلك كله حتى لا يبقى لأحد عليَّ تباعة».

أقول: تدل أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وآله على أن الإمامة مهمة هداية البشرية بعد النبوة ولها مسؤوليتها الثقيلة وعهدها ميثاقها ، وعلومها وأسرارها الربانية .

لكن زعماء قريش قرروا أن لايفهموا الإمامة وخلافة النبوة إلا رئاسة دولة محمد والتمتع بسلطانه ، وقالوا ليس من العدل أن يجمع بنو هاشم النبوة والخلافة ! فالنبوة سهمهم والخلافة لبقية البطون !

والله أصدق منهم حيث يقول: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

٩- وصية النبي صلى الله عليه وآله لنسائه وعائشة خاصة

في إرشاد القلوب/٣٣٧، والبحار:١٠٧/٢٨، عن حذيفة بن اليمان قال:«أمر صلى الله عليه وآله خادمةً لأم سلمة فقال: إجمعي لي هؤلاء يعني نساءه، فجمعتهن له في منزل أم سلمة، فقال لهن: إسمعن ما أقول لكن، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب فقال لهن: هذا أخي ووصيي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي، فأطعنه فيما يأمركن به، ولا تعصينه فتهلكن لمعصيته.

ثم قال: يا علي أوصيك بهن فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك، وأنفق عليهن من مالك وأمرهن بأمرك وانههن عما يريبك، وخل سبيلهن إن عصينك.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي. فقال صلى الله عليه وآله: إرفق بهن ما كان الرفق أمثل، فمن عصاك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها. قال: كل نساء النبي صلى الله عليه وآله قد صمتن فما يقلن شيئاً، فتكلمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بشئ فنخالفه إلى ما سواه! فقال لها: بلى قد خالفت أمري أشد خلاف! وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي خلفتك فيه متبرجة فيه، قد حف بك فئات من الناس فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك ولتنبحنك في طريقك كلاب الحوأب. ألا أن ذلك كائن! ثم قال: قمن فانصرفن إلى منازلكن فقمن فانصرفن».

١٠- النبي صلى الله عليه وآله يُخرج عمه العباس من وصيته

في الكافي:٢٣٦/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عليه السلام فقال للعباس: يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته ؟ فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني شيخ كثير العيال قليل المال ، من يطيقك وأنت تباري الريح !

قال: فأطرق هنيئة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد ، وتنجز عداته وتقضي دينه؟ فقال بأبي أنت وأمي شيخ كثير العيال قليل المال وأنت تباري الريح !

قال صلى الله عليه وآله: أما إني سأعطيها من يأخذها بحقها ، ثم قال:

يا علي يا أخا محمد أتنجز عدات محمد وتقضي دينه وتقبض تراثه ؟

فقال: نعم ، بأبي أنت وأمي ذاك عليَّ ولي . قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه فقال: تختم بهذا في حياتي ! قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في إصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم .

ثم صاح: يا بلال عليَّ بالمغفر والدرع والراية والقميص وذي الفقار والسحاب والبرد والأبرقة والقضيب . قال: فوالله ما رأيتها غير ساعتي تلك ، يعني الأبرقة ، فجيء بشقة كادت تخطف الأبصار فإذا هي من أبرق الجنة ، فقال: يا علي إن جبرئيل أتاني بها وقال: يا محمد إجعلها في حلقة الدرع واستدفر بها مكان المنطقة ، ثم دعا بزوجي نعال عربيين جميعاً ، أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف ، والقميص الذي أسري به فيه ، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد ،

والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين والجمع ، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه . ثم قال: يا بلال علي بالبغلتين الشهباء والدلدل ، والناقتين العضباء والقصوى ، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحيزوم وهو الذي كان يقول: أقدم حيزوم ، والحمار عفير فقال: إقبضها في حياتي . فذكر أمير المؤمنين عليه السلام أن أول شئ من الدواب توفي عفير ساعة قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، قطع خطامه ثم مر يركض حتى أتى بئر بني خطمة بقباء ، فرمى بنفسه فيها فكانت قبره». وعلل الشرائع:١/١٦٦ ، والمناقب:٢/٢٤٨.

وفي مناقب محمد بن سليمان:١/٤٣٢: «يا عباس ترثني وتقضي ديني وتنجز عني عداتي ؟ قال: بل يعافيك الله يا رسول الله وهل يسع هذا مال بني عبد المطلب... فقال علي: نعم يا رسول الله . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أنت لذاك أنت لذاك يا علي . قال: فمكث علي تسع سنين ينشد الناس في كل موسم: هل يطلب أحد رسول الله صلى الله عليه وآله بدين أو بموعد حتى أنجز عن رسول الله صلى الله عليه وآله عداته وقضاء دينه؟ قال: ثم قام بذلك الحسن من بعد علي عليه السلام» .

ورواه في الإرشاد:١/١٨٤ ، وفيه أن العباس قال للنبي صلى الله عليه وآله:«يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً بعدك فبشرنا ، وإن كنت تعلم أنا نغلب عليه فأوص بنا ، فقال: أنتم المستضعفون من بعدي ، وأصمت !

فنهض القوم وهم يبكون قد أيسوا من النبي! فلما خرجوا من عنده قال: أرددوا عليَّ أخي علي بن أبي طالب وعمي ، فأنفذوا من دعاهما فحضرا ، فلما استقر بهما المجلس قال رسول الله: يا عباس يا عم رسول الله ، تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي عني ديني؟ فقال العباس: يا رسول الله ، عمك شيخ كبير ذو عيال كثير، وأنت تباري الريح سخاء وكرماً ، وعليك وعد لا ينهض به عمك..».

١١- قوله لفاطمة: أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي

روت مصادرنا ومصادرهم حديث عائشة وأنها قالت عن فاطمة الزهراء:«كنَّ أزواج النبي (ص) عنده لم يغادر منهن امرأة ، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله (ص)شيئاً ، فلما رآها رحب بها ثم قال: مرحباً بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم سارَّها فبكت بكاءً شديداً ، فلما رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت ! فقلنا: خصَّك رسول الله (ص) من نسائه بالسِّرار ثم أنت تبكي؟! فضحكت. قلت: ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء ، فلما قامت سألتها ما قال لك رسول الله (ص)؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله سره . فلما توفي قلت: عزمت عليك بمالي عليك من الحق لما حدثتيني بما قال لك. فقالت: أما الآن فنعم ، أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل سنة مرة وأنه عارضه العام مرتين ، وأني أرى الأجل قد اقترب فاتقي الله واصبري ، فإني نعم السلف أنا لك ! فبكيت بكائي الذي

رأيت ، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين.. فقال: يا بنية لا تجزعي فإني سألت ربي أن يجعلك أول أهل بيتي لحاقاً بي ، فأخبرني أنه قد استجاب لي ، فضحكت ضحكي الذي رأيت». (شرح الأخبار:٣/٢٣ ، والعمدة/٣٨٦ ، ومسلم:٧/١٤٣، والآحاد:٥/٣٦٧ ، وابن راهويه:٥/٨/٨ ، وسبل الهدى:١٢/٢٥١.

وفي البحار:٢٢/٤٩٠ ، عن الطُّرف لابن طاووس ، عن الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «لما كانت الليلة التي قبض النبي صلى الله عليه وآله في صبيحتها دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأغلق عليه الباب وعليهم وقال لفاطمة وأدناها منه ، فناجى من الليل طويلاً فلما طال ذلك خرج علي ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وأقاموا بالباب والناس خلف ذلك ، ونساء النبي صلى الله عليه وآله ينظرن إلى علي عليه السلام ومعه ابناه فقالت عائشة: لأمر ما أخرجك عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وخلا بابنته دونك في هذه الساعة؟ فقال لها علي عليه السلام: قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له ، وهو بعض ما كنت فيه وأبوك وصاحباه قد أسماه ! فوجمت أن ترد عليه كلمة !

قال علي عليه السلام: فما لبثت أن نادتني فاطمة فدخلت على النبي صلى الله عليه وآله وهو يجود بنفسه ، فبكيت ولم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال يجود بنفسه ، فقال لي: ما يبكيك يا علي ؟ ليس هذا أوان البكاء فقد حان الفراق بيني وبينك ، فأستودعك الله يا أخي ، فقد اختار لي ربي ما عنده ، وإنما بكائي وغمي وحزني عليك وعلى هذه أن تضيع بعدي ، فقد أجمع القوم على ظلمكم ، وقد استودعتكم الله وقبلكم مني وديعة . يا علي إني قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك

فأنفذها فهي الصادقة الصدوقة ، ثم ضمها إليه وقبل رأسها وقال: فداك أبوك يا فاطمة ! فعلا صوتها بالبكاء ، ثم ضمها إليه وقبل رأسها وقال: أما والله لينتقمن الله ربي وليغضبن لغضبك ! فالويل ثم الويل ثم الويل للظالمين ، ثم بكى صلى الله عليه وآله !

قال علي عليه السلام: فوالله لقد حسست بضعة مني ذهبت لبكائه ، حتى هملت عيناه كمثل المطر ، حتى بلت دموعه لحيته وملأة كانت عليه ، وهو ملتزم فاطمة عليها السلام ورأسه على صدري وأنا مسنده ، والحسن والحسين يقبلان قدميه ، وهما يبكيان بأعلى أصواتهما . قال علي عليه السلام: فلو قلت إن جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبي صلى الله عليه وآله لقد رأيت من بكائها ما أحسست أن السماوات والأرضين قد بكت لها ، ثم قال لها: يا بنية خليفتي عليكم الله وهو خير خليفة ، والذي بعثني بالحق لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة ، والسماوات والأرضون وما فيها ، يا فاطمة والذي بعثني بالحق نبياً ، لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها ، وإنك لأول خلق الله كاسية حالية ناعمة ، يا فاطمة فهنيئاً لك .

والذي بعثني بالحق إن الحور العين ليفخرن بك وبقربك منهن ويتزين لزينتك ، والذي بعثني بالحق إنك لسيدة من يدخلها من النساء .

والذي بعثني بالحق إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا صعق ، فينادي بها إليك أن ياجهنم يقول لك الجبار: أسكتي واستقري بعزتي حتى تجوز فاطمة بنت محمد إلى الجنان ، ولا يشغلهم قتر ولا ذلة .

والذي بعثني بالحق ليدخل حسن عن يمينك ، وحسين عن يسارك ، والحور العين يتشرفن من أعلى الجنان فينظرن إليك بين يدي الله في المقام الشريف . ولواء الحمد مع علي بن أبي طالب عليه السلام أمامي ، يكسى إذا كسيت ويُحَلَّى إذا حُلِّيت . والذي بعثني بالحق لأقومن بالخصومة لأعدائك ، وليندمن قوم ابتزوا حقك وقطعوا مودتك وكذبوا عليَّ ! وليختلجن دوني فأقول: أمتي ! فيقال: إنهم بدلوا بعدك ، وصاروا إلى السعير» .

وفي كمال الدين/٢٦٢: « عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قبض فيها ، فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك ! فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء ، ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عزوجل لنا الآخرة على الدنيا ، وإنه حتم الفناء على جميع خلقه ، وإن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبياً ، ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة ثانية فاختار منها زوجك وأوحى الي أن أزوجك إياه ، وأتخذه ولياً ووزيراً ، وأن أجعله خليفتي في أمتي . فأبوك خير أنبياء الله ورسله ، وبعلك خير الأوصياء ، وأنت أول من يلحق بي من أهلي . ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة ثالثة فاختارك وولديك ، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبناء بعلك

أوصيائي إلى يوم القيامة ، كلهم هادون مهديون ، وأول الأوصياء بعدي أخي علي ، ثم حسن ثم حسين ، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي ، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم .

أما تعلمين يا بنية إن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي ، وخير أهل بيتي أقدمهم سلماً ، وأعظمهم حلماً ، وأكثرهم علماً ؟!

فاستبشرت فاطمة وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: يا بنية إن لبعلك مناقب: إيمانه بالله ورسوله قبل كل أحد ، فلم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتي ، وعلمه بكتاب الله عز وجل وسنتي وليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي غير علي عليه السلام ، وإن الله جل وعز علمني علماً لا يعلمه غيري ، وعلم ملائكته ورسله علماً ، فكلما علمه ملائكته ورسله فأنا أعلمه ، وأمرني الله أن أعلمه إياه ففعلت ، فليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي وفهمي وحكمتي غيره. وإنك يا بنية زوجته ، وابناه سبطاي حسن وحسين وهما سبطا أمتي ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فإن الله عز وجل آتاه الحكمة وفصل الخطاب...الخ.

ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: يا أخي أنت ستبقى بعدي ، وستلقى من قريش شدة من تظاهرهم عليك وظلمهم لك ، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وقاتل من خالفك بمن وافقك ، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكفَّ يدك ، ولا تلق بها إلى التهلكة ، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى ، ولك بهارون أسوة حسنة إذ

استضعفه قومه وكادوا يقتلونه ! فاصبر لظلم قريش إياك ، وتظاهرهم عليك فإنك بمنزلة هارون ومن تبعه ، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه.

يا علي إن الله تبارك وتعالى قد قضى الفرقة والإختلاف على هذه الأمة ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، لايختلف فيه اثنان من هذه الأمة ، ولا ينازع في شئ من أمره ، ولا يجحد المفضول لذي الفضل فضله .

ولو شاء لعجل النقمة وكان منه التغيير حتى يُكَذَّبَ الظالم ويُعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار القرار: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى .

فقال علي عليه السلام: الحمد لله شكراً على نعمائه ، وصبراً على بلائه» .

أقول: روت مصادر السلطة هذا الحديث وحذفت منه ، لكن بقي ما فيه حجة كافية لمن يريد الحق ! ففي الطبراني الكبير:٥٧/٣:« عن علي بن علي المكي الهلالي عن أبيه قال: دخلت على رسول الله (ص) في شكاته التي قبض فيها ، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه، قال: فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع رسول الله(ص)طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك ! فقال: يا حبيبتي أما علمت أن الله عزوجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعث برسالته ، ثم اطلع اطلاعة فاختار منها بعلك وأوحى إلي أن أنكحك إياه .

يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحد قبلنا ولا يعطى أحد بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل وأنا أبوك . ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك ، وشهيدنا خير

الشهداء وأحبهم إلى الله ، وهو عمك حمزة بن عبد المطلب وهو عم أبيك وعم بعلك . ومنا من له جناحان أخضران يطير في الجنة مع الملائكة حيث يشاء ، وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك . ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما .

يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقر كبيراً ، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً ! يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ، ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً .

يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي ، فإن الله عز وجل أرحم بك وأرأف عليك مني وذلك لمكانك من قلبي ، وزوَّجك الله زوجاً هو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً ، وأرحمهم بالرعية وأعدلهم بالسوية وأبصرهم بالقضية ، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي !

قال علي رضي الله عنه: فلما قبض النبي (ص) لم تبق فاطمة رضي الله عنها بعده إلا خمسة وسبعين يوماً ، حتى ألحقها الله عز وجل به».

١٢- وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بتجهيزه

في روضة الواعظين/٧١: «قال ابن عباس: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر وقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله من يغسلك

منا إذا كان ذلك منك ؟ قال: ذاك علي بن أبي طالب ، إنه لا يهم بعضو من أعضائي ، إلا أعانته الملائكة على ذلك».

وفي كفاية الأثر/١٢٤، عن عمار ، قال:« لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا بعلي عليه السلام فساره طويلاً ثم قال: يا علي أنت وصيي ووارثي ، قد أعطاك الله علمي وفهمي ، فإذا مت ظهرت لك ضغائن في صدور قوم ، وغصب على حقد .

فبكت فاطمة وبكى الحسن والحسين عليهم السلام فقال لفاطمة: يا سيدة النسوان مم بكاؤك ؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك ! قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي ، ولا تبكي ولا تحزني ، فإنك سيدة نساء أهل الجنة ، وأباك سيد الأنبياء ، وابن عمك خير الأوصياء ، وابناك سيدا شباب أهل الجنة ، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون ، ومنا مهدي هذه الأمة . ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: يا علي لايلي غسلي وتكفيني غيرك .

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله من يناولني الماء فإنك رجل ثقيل لاأستطيع أن أقلبك . فقال: إن جبرئيل معك والفضل يناولك الماء وليغطي عينيه ، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا انفقأت عينيه» .

أي لايرى أحد غير علي عليه السلام بدن النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته صلى الله عليه وآله إلا عميَ ، وهي خصوصية لبدنه بعد وفاته صلى الله عليه وآله ، وخصوصية لعلي عليه السلام.

وفي أمالي الطوسي/٦٠٠، عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده علي عليه السلام قال:« لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه كان رأسه في حجري... فقال: يا

علي أجلسني، فأجلسته وأسندته إلى صدري. قال علي عليه السلام: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه ليثقل ضعفاً، وهو يقول يسمع أقصى أهل البيت وأدناهم: أن أخي ووصيي ووزيري وخليفتي في أهلي علي بن أبي طالب، يقضي ديني وينجز موعدي. يا بني هاشم يا بني عبد المطلب: لا تبغضوا علياً ولا تخالفوا أمره فتضلوا، ولا تحسدوه وترغبوا عنه فتكفروا، أضجعني يا علي فأضجعته.

فقال: يا بلال إئتني بولدي الحسن والحسين، فانطلق فجاء بهما فأسندهما إلى صدره فجعل صلى الله عليه وآله يشمهما، قال علي: فظننت أنهما قد غمَّاه فذهبت لآخذهما عنه فقال: دعهما يا علي يشماني وأشمهما، ويتزودا مني وأتزود منهما، فسيلقيان من بعدي أمراً عضالاً! فلعن الله من يخيفهما. اللهم إني أستودعكهما وصالح المؤمنين».

وفي الإرشاد: ١٨٤/١: «وكان أمير المؤمنين لا يفارقه إلا لضرورة، فقام في بعض شؤونه، فأفاق عليه السلام إفاقة فافتقد علياً عليه السلام فقال وأزواجه حوله: أدعوا لي أخي وصاحبي، وعاوده الضعف فأصمت، فقالت عائشة: أدعوا له أبا بكر، فدعي فدخل عليه فقعد عند رأسه، فلما فتح عينه نظر إليه وأعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر وقال: لو كان له إلي حاجة لأفضى بها إلي.

فلما خرج أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله القول ثانية وقال: أدعوا لي أخي وصاحبي، فقالت حفصة: أدعوا له عمر، فدعي فلما حضر رآه النبي صلى الله عليه وآله فأعرض عنه فانصرف، ثم قال عليه السلام: أدعوا لي أخي وصاحبي، فقالت أم سلمة: أدعوا له علياً

فإنه لا يريد غيره ، فدعي أمير المؤمنين فلما دنا منه أومأ إليه ، فأكب عليه فناجاه رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قام فجلس ناحية حتى أغفى رسول الله ﷺ ، فقال له الناس: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن ؟ فقال: علمني ألف باب فتح لي كل باب ألف باب ، ووصاني بما أنا قائم به إن شاء الله .

ثم ثقل ﷺ وحضره الموت وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده . فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك ، فقد جاء أمر الله عز وجل ، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، ثم وجهني إلى القبلة ، وتول أمري ، وصل عليَّ أول الناس ، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي ، واستعن بالله تعالى . فأخذ علي عليه السلام رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه ﷺ ، فأكبت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيضُ يُستسقى الغَمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب رحمه الله لا تقوليه ولكن قولي: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ..فبكت طويلاً ، فأومأ إليها بالدنو منه ، فدنت فأسرَّ إليها شيئاً تهلل له وجهها . ثم قضى عليه السلام ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه عليه السلام فيها ، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره».

وفي الكافي:١/٢٩٧:«عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله عليه السلام قال له كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان؟ فقال: أذكره ، فقال: حدثني أن النبي صلى الله عليه وآله حدث علياً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله، كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب ؟ فقال: لقد كان ذلك . قلت: جعلت فداك فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم؟ فقال: يا كامل باب أو بابان . فقلت: جعلت فداك ، فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان ؟ قال: وما عسيتم أن ترووا من فضلنا ، ما تروون من فضلنا إلا ألفاً غير معطوفة» !

١٣- صفة احتضاره ووفاته صلى الله عليه وآله

في الفقيه:٤/١٦٣، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:«لما حضرت النبي صلى الله عليه وآله الوفاة نزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله هل لك في الرجوع إلى الدنيا ؟ فقال: لا ، قد بلغت رسالات ربي . فأعادها عليه ، فقال: لا ، بل الرفيق الأعلى .

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون حوله مجتمعون: أيها الناس إنه لا نبي بعدي ، ولا سنة بعد سنتي ، فمن ادعى بعد ذلك فدعواه وبدعته في النار فاقتلوه ، ومن اتبعه فإنه في النار. أيها الناس: أحيوا القصاص، وأحيوا الحق لصاحب الحق ، ولا تفرقوا ، أسلموا وسلموا تسلموا: كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ».

وفي أمالي الصدوق/٣٨٤، أنه دخل على الإمام زين العابدين عليه السلام رجلان من قريش فقال:«ألا أحدثكما عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالا: بلى حدثنا عن أبي القاسم . قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام هبط عليه جبرئيل

فقال: يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراماً وتفضيلاً لك وخاصة ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك يا محمد؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: أجدني يا جبرئيل مغموماً وأجدني يا جبرئيل مكروباً !

فلما كان اليوم الثالث هبط جبرئيل وملك الموت ، ومعهما ملك يقال له إسماعيل في الهواء على سبعين ألف ملك ، فسبقهم جبرئيل عليه السلام فقال: يا أحمد ، إن الله عز وجل أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك خاصة ، يسألك عما هو أعلم به منك ، فقال: كيف تجدك يا محمد ؟ قال: أجدني يا جبرئيل مغموماً ، وأجدني ياجبرئيل مكروباً ! فاستأذن ملك الموت فقال جبرئيل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك لم يستأذن على أحد قبلك ، ولايستأذن على أحد بعدك .

قال: إئذن له ، فأذن له جبرئيل فأقبل حتى وقف بين يديه فقال: يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك ، وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني ، إن أمرتني بقبض نفسك قبضتها ، وإن كرهت تركتها . فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتفعل ذلك يا ملك الموت ؟ قال: نعم ، بذلك أمرت أن أطيعك فيما تأمرني .

فقال له جبرئيل عليه السلام: يا أحمد ، إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك . فقال رسول الله لملك الموت: إمض لما أمرت به ، فقال جبرئيل عليه السلام: هذا آخر وطئي الأرض ، إنما كنت حاجتي من الدنيا».

وفي الإرشاد/١٨٧: «ثم قضى صلى الله عليه وآله ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها ، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ، ثم وجَّهَه وغمضه ، ومد عليه إزاره ، واشتغل بالنظر في أمره» .

١٤- صفة تغسيله وتحنيطه وتكفينه صلى الله عليه وآله

في الإرشاد/١٨٧:« ولما أراد أمير المؤمنين غسله صلوات الله عليه ، استدعى الفضل بن عباس فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصب عينيه ، ثم شق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ به إلى سرته ، وتولى عليه السلام غسله وتحنيطه وتكفينه ، والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه ، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلى عليه وحده ، لم يشركه معه أحد في الصلاة عليه». ثم صلى عليه المسلمون كما يأتي .

وفي البحار: ٤٩٢/٢٢ ، عن الطُّرف لابن طاووس ، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:«قال علي بن أبي طالب عليه السلام:كان في الوصية أن يدفع إليَّ الحنوط ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته بقليل فقال: يا علي ويا فاطمة هذا حنوطي من الجنة ، دفعه إليَّ جبرئيل وهو يقرئكما السلام ويقول لكما: إقسماه واعزلا منه لي ولكما . قالت: لك ثلثه ، وليكن الناظر في الباقي علي بن أبي طالب عليه السلام ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمها إليه . وقال: موفقة رشيدة مهدية ملهمة . يا علي قل في الباقي ، قال: نصف ما بقي لها ، ونصف لمن ترى يا رسول الله ، قال: هو لك فاقبضه .

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي أضمنت ديني تقضيه عني؟ قال: نعم ، قال: اللهم فاشهد . ثم قال: يا علي تغسلني ولا يغسلني غيرك فيعمى بصره ، قال علي: ولم يا رسول الله ؟ قال: كذلك قال جبرئيل عليه السلام عن ربي ، إنه لا يرى عورتي (أي بدني) غيرك إلا عمي بصره !

قال علي: فكيف أقوى عليك وحدي؟ قال: يعينك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإسماعيل صاحب السماء الدنيا.

قلت: فمن يناولني الماء ؟ قال: الفضل بن العباس من غير أن ينظر إلى شئ مني فإنه لا يحل له ولا لغيره من الرجال والنساء النظر إلى عورتي وهي حرام عليهم، فإذا فرغت من غسلي فضعني على لوح، وافرغ علي من بئري بئر غَرْس (قرب مسجد قباء) أربعين دلواً مفتحة الأفواه. قال عيسى: أو قال أربعين قربة شككت أنا في ذلك، قال: ثم ضع يدك يا علي على صدري، وأحضر معك فاطمة والحسن والحسين من غير أن ينظروا إلى شئ من عورتي، ثم تفهم عند ذلك مني تفهم ما كان وما هو كائن إن شاء الله تعالى! أقبلتَ يا علي؟ قال: نعم. قال: اللهم فاشهد.

قال: وكان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدفن في بيته الذي قبض فيه ويكفن بثلاثة أثواب: أحدها يمان، ولا يدخل قبره غير علي عليه السلام.

ثم قال: يا علي كن أنت وابنتي فاطمة والحسن والحسين وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبر خمساً وانصرف، وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة.

قال علي عليه السلام: بأبي أنت وأمي من يؤذنني؟قال: جبرئيل عليه السلام يؤذنك. قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون علي فوجاً فوجاً ثم نساؤهم، ثم الناس بعد ذلك».

وفي الطبقات:٢/٢٨٠، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:«غسل النبي صلى الله عليه وآله ثلاث غسلات بماء وسدر، وغسل في قميص، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة

بقباء وكان يشرب منها ، وولي علي غسله والعباس يصب الماء والفضل محتضنه يقول: أرحني أرحني قُطعت وتيني ! إني أجد شيئاً يتنزل علي مرتين».

أقول: عرفت من رواية أهل البيت عليهم السلام أن العباس لم يكن يشارك ، بل ابنه الفضل .

وفي دعائم الإسلام:١/٢٢٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصاه بأن يتولى غسله فكان هو الذي وليه ، قال: فلما أخذت في غسله سمعت قائلاً من جانب البيت وهو يقول: لاتنزع القميص عنه ، فغسلته صلى الله عليه وآله في قميصه ، وإني لأغسله وأحس يداً مع يدي تتردد عليه ، وإذا قلبته أعنت على تقليبه ، وقد أردت أن أكبه لوجهه فأغسل ظهره فنوديت لاتكبه ، فقلبته لجنبه وغسلت ظهره».

وفي تهذيب الأحكام:١/٢٩٦، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« كفن رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاثة أثواب: برد أحمر حبرة ، وثوبين أبيضين صحاريين. قلت له وكيف صليَ عليه؟ قال سجيَ بثوب وجعل وسط البيت ، فإذا دخل عليه قوم داروا به وصلوا عليه ودعوا له ، ثم يخرجون ويدخل آخرون ، ثم دخل علي عليه السلام القبر فوضعه على يديه وأدخل معه الفضل بن عباس ، فقال رجل من الأنصار من بني الخيلاء يقال له أوس بن خولى: أنشدكم الله أن تقطعوا حقنا ! فقال له علي عليه السلام: أدخل فدخل معهما. فسألته: أين وضع السرير؟ فقال: عند رجل القبر وسُلَّ سلاً».

١٥- صفة الصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وآله

في الكافي:١/٤٥٠ ، عن أبي مريم الأنصاري أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام:«كيف كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: لما غسله أمير المؤمنين عليه السلام وكفنه سجَّاه ، ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله ، ثم وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم ، فقال: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ، فيقول القوم كما يقول ، حتى صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى العباسُ أميرَ المؤمنين عليه السلام فقال: يا علي إن الناس قد اجتمعوا أن يدفنوا رسول الله صلى الله عليه وآله في بقيع المصلى وأن يؤمهم رجل منهم ، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الناس فقال: يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله إمام حياً وميتاً ، وقال: إني أدفن في البقعة التي أقبض فيها ، ثم قام على الباب فصلى عليه ، ثم أمر الناس عشرة عشرة يصلون عليه ، ثم يخرجون .

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قبض النبي صلى الله عليه وآله صلت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجاً فوجاً . وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في صحته وسلامته: إنما أنزلت هذه الآية في الصلاة عليَّ بعد قبض الله لي: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» .

أقول: صلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام وحده صلاة الجنازة ، ثم كانت صلاة المسلمين عليه دعاء ، فكانوا يتحلقون حوله وعلي عليه السلام معهم يقرأ الآية: إن الله وملائكته يصلون على النبي..الخ. ويرددونها معه . (راجع الحدائق:١٠/٤٥١).

وفي دعائم الإسلام:٢٣٤/١:«فخرج علي صلوات الله عليه عليهم فقال: أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إماماً حياً وميتاً ، وإنه لم يقبض نبي إلا دفن في البقعة التي مات فيها. قالوا: إصنع ما رأيت. فقام علي على باب البيت فصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقدم الناس عشرة عشرة ، يصلون عليه وينصرفون».

وفي مناقب آل أبي طالب:٢٠٦/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «فصلوا عليه يوم الإثنين وليلة الثلاثاء حتى الصباح ، ويوم الثلاثاء ، حتى صلى عليه الأقرباء والخواص . ولم يحضر أهل السقيفة وكان عليٌّ عليه السلام أنفذ إليهم بريدة ، وإنما تمت بيعتهم بعد دفنه» . وسيأتي سبب عدم حضور أهل السقيفة لمراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله.

وفي نهج البلاغة:١٧٢/٢: قال عليه السلام:«ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري لقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي ، ولقد وُليت غسله والملائكة أعواني ، فضجت الدار والأفنية ، ملأ يهبط وملأ يعرج ، وما فارقت سمعي هينمةٌ منهم يصلون عليه ، حتى واريناه في ضريحه ، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً» !

وفي روضة الواعظين/٧١ ، أن عماربن ياسر قال للنبي صلى الله عليه وآله:« فداك أبي وأمي يا رسول الله فمن يصلي عليك منا ، إذا كان ذلك منك ؟ قال: مه رحمك الله ، ثم قال لعلي عليه السلام يا بن أبي طالب: إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني وإِنقْ غسلي ، وكفِّني في طمريَّ هذين ، أو في بياض مصر وبرد يماني ، فلا تغال في كفني ، واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري فأول من يصلى عليَّ الجبار

جل جلاله من فوق عرشه ، ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله جل وعز ، ثم الحافُّون بالعرش ، ثم سكان أهل سماء سماء».

وفي الإرشاد:١٨٧/١:« ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح ، وكان ذلك عادة أهل مكة ، وأنفذ إلى زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد ، واستدعاهما وقال. اللهم خر لنبيك . فوجد أبو طلحة زيد بن سهل فقيل له: إحتفر لرسول الله صلى الله عليه وآله فحفر له لحداً، ودخل أمير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ، ليتولوا دفن رسول الله صلى الله عليه وآله فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي ، إنا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يذهب أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: ليدخل أوس بن خولي ، وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج ، فلما دخل قال له علي عليه السلام: إنزل القبر فنزل ، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله على يديه ودلاه في حفرته ، فلما حصل في الأرض قال له: أخرج فخرج ، ونزل علي بن أبي طالب القبر ، فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ووضع خده على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه ، ثم وضع عليه اللبن ، وهال عليه التراب».

وفي أمالي المفيد/١٠٢، عن ابن العباس قال: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله تولى غسله علي بن أبي طالب ، والعباس معه والفضل بن العباس ، فلما فرغ علي عليه السلام

من غسله كشف الإزار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً ، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والإنباء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع ، لأنفدنا عليك ماء الشؤون. ولكن ما لا يرفع كمد وغصص محالفان وهما داء الأجل ، وقلاّ لك . بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك . ثم أكب عليه فقبل وجهه ومد الإزار عليه» .

أقول: معنى قوله عليه السلام:« انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك: انقطاع وحي النبوة إذ لا نبي بعده صلى الله عليه وآله . أما وحي الإمامة والإلهام ، ونزول جبرئيل والملائكة عليهم السلام فهو مستمر . وقد ذكر القرآن الوحي لأم موسى عليه السلام وللنحل وغيرهما .

١٦- من خصائص النبي صلى الله عليه وآله عند موته !

تضمنت أحاديث وفاة النبي صلى الله عليه وآله مجموعة خصائص له ، نذكر منها:

١. ثقل بدنه الشريف ثقلاً غير عادي ، ففي المناقب:١/٢٠٥ ، قال علي عليه السلام:«فما تناولت عضواً إلا كأنما كان يقلبه معي ثلاثون رجلاً ، حتى فرغت من غسله».

وفي طبقات ابن سعد:١/٢٨٠، عن الباقر عليه السلام قال:« وولي علي غسله والعباس يصب الماء والفضل محتضنه يقول: أرحني أرحني قُطعت وتيني ! إني أجد شيئاً يتنزل علي مرتين» ! وشاهدنا منه ثقل بدنه صلى الله عليه وآله والعباس لم يشترك في تغسيله .

٢. أن كل بدنه عورة ، لا يجوز لأحد أن ينظر اليه ، ومن نظر اليه عميَ ! فكأن فيه نوعاً من الأشعة تسبب فقدان البصر ، ولا يتحملها إلا وصيه علي عليه السلام .

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي غسلني ولا يغسلني غيرك فيعمى بصره. قال علي عليه السلام: ولمَ يا رسول الله ؟ قال: كذلك قال لي جبرئيل عن ربي إنه لا يرى عورتي أحد غيرك إلا عمي بصره» ! (جامع أحاديث الشيعة:١٥٤/٣).

« فإنه لا يرى أحد عورتي غيرك إلا طمست عيناه.. قلت: فمن يناولني الماء؟ قال: الفضل بن العباس من غير أن ينظر إلى شئ مني، فإنه لا يحل له ولا لغيره من الرجال والنساء النظر إلى عورتي... وأحضر معك فاطمة والحسن والحسين من غير أن ينظروا إلى شئ من عورتي ». (المناقب: ٢٠٥/١، والبحار:٤٩٣/٢٢).

٣. أن النبي صلى الله عليه وآله تكلم بعد موته ! وقد عقد في بصائر الدرجات/٢٠٣، باباً روى فيه عشرة أحاديث ، ونحوها الكافي:٢٩٦/١ ، و:١٥٠/٣.

منها: عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إذا أنا مِتُّ فاستق لي ست قرب من ماء بئر غرس فغسلني وكفني ، وخذ بمجامع كفني وأجلسني ، ثم سلني ما شئت ، فوالله لا تسألني عن شئ إلا أجبتك» !

وفي رواية: « وكفِّني ثم أقعدني واسألني واكتب».

وفي رواية:« فخذني وأجلسني وضع يدك على صدري ، وسلني عما بدا لك».

وفي رواية:«وكفني وأقعدني وما أملي عليك فاكتب. قال قلت: ففعل؟ قال: نعم»

وفي رواية:«فأدرجني في أكفاني ، ثم ضع فاك على فمي. قال: ففعلت وأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيمة».

وفي الخرائج:٢/٨٠٠ ، و:٢/٨٢٧ ، بروايات ، منها:« قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إذا توفي أن أستقي سبع قرب من بئر غرس فاغسله بها ، فإذا غسلته وفرغت من غسله أخرجت من في البيت ، فإذا أخرجتهم قال: فضع فاك على في ثم سلني أخبرك عما هو كائن إلى يوم الساعة من أمر الفتن . قال علي عليه السلام: ففعلت ذلك ، فأنبأني بما يكون إلى أن تقوم الساعة ، وما من فتنة تكون إلا وأنا أعرف أهل ضلالتها من أهل حقها».

ومنها:« فغسلني بسبع قرب من بئر غرس ، غسلني بثلاث قرب غسلاً ، وسُنَّ عليَّ أربعاً سَنّاً ، فإذا غسلتني وحنطتني فأقعدني ، وضعْ يدك على فؤادي ثم سلني أخبرك بما هو كائن إلى يوم القيامة ! قال: ففعلت . وكان علي عليه السلام إذا أخبرنا بشئ يكون قال: هذا مما أخبرني به النبي صلى الله عليه وآله بعد موته» ! والمناقب:١/٣١٦.

١٧- لم يحضر أهل السقيفة مراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله

في الإرشاد:١/١٨٧:«ولم يحضر دفن رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر الناس ، لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة ، وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك ! وأصبحت فاطمة عليها السلام تنادي: وأسوء صباحاه ! فسمعها أبو بكر فقال لها: إن صباحك لصباح سوء ! واغتنم القوم الفرصة لشغل علي بن أبي طالب برسول الله وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم برسول الله صلى الله عليه وآله ، فتبادروا إلى ولاية الأمر واتفق لأبي بكر ما اتفق ، لاختلاف الأنصار فيما بينهم ، وكراهة الطلقاء والمؤلفة

قلوبهم من تأخر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم فيستقر الأمر مقره ، فبايعوا أبا بكر لحضوره المكان ، وكانت أسباب معروفة تيسر منها للقوم ما راموه».

وفي المناقب: ٢٠٦/١: «ولم يحضر أهل السقيفة ، وكان عليٌّ عليه السلام أنفذ إليهم بريدة وإنما تمت بيعتهم بعد دفنه».

أقول: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله لبس عمر لباس حربه وخرج شاهراً سيفه يجول أمام بيت النبي صلى الله عليه وآله يهدد من يقول إن النبي صلى الله عليه وآله قد مات ، ويعيد تهديده (حتى أزبد شدقاه) !

ففي سنن الدارمي: ٣٩/١: « فقام عمر فقال: إن رسول الله لم يمت ، ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى ، والله لا يموت رسول الله حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم ! فلم يزل عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه مما يتوعد ويقول ! فقام العباس فقال: إن رسول الله قد مات وإنه لبشر». ومسند أحمد: ١٩٦/٣.

وفي شرح النهج: ١٧٨/١: « لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وشاع بين الناس موته طاف عمر على الناس قائلاً إنه لم يمت ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه ! وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات ! فجعل لا يمر بأحد يقول إنه مات إلا ويخبطه ويتوعده ، حتى جاء أبو بكر فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لم يمت» !

وسبب هذا الفعل أن عمر خاف أن يبادر بنو هاشم لبيعة علي عليه السلام حيث دعا العباس الى ذلك وقال لعلي عليه السلام: «أبسط يدك أبايعك فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله» (الإمامة لابن قتيبة: ١٢/١). فأراد عمر أن يكسب الوقت حتى يحضر أبو بكر ، حيث

كان في بيته في السنح خارج المدينة ! فلما اطمأن الى أن علياً عليه السلام لا يقبل البيعة قبل دفن النبي صلى الله عليه وآله وجاء أبو بكر وقال إن النبي صلى الله عليه وآله مات ، قبل عمر ذلك ، وسكت !

وبقي عندهما الخوف من الأنصار أن يبادروا الى بيعة سعد بن عبادة ، وكان مريضاً في سقيفته التي تسمى سقيفة بني ساعدة ، فسارعا ليصفقا على يد أبي بكر في بيت سعد بمساعدة اثنين من خصومه الأوس وجمهوور الطلقاء !

قال ابن كثير في سيرته:٤٩١/٤:«توفي رسول الله وأبو بكر في صائفة من المدينة ، قال فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فداك أبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً ، مات محمد ورب الكعبة . فذكر الحديث قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتعاديان حتى أتوهم ، فتكلم أبو بكر...».

وفي رواية النسائي في كتاب الوفاة/٧٥:«ثم قال أبو بكر عندكم صاحبكم ، وخرج» !

وفي سنن البيهقي:١٤٥/٨:«دونكم صاحبكم ، لبني عم رسول الله (ص) يعني في غسله وما يكون من أمره ، ثم خرج» !

وفي مصنف ابن أبي شيبة:٥٧٢/٨ ، عن عروة:«إن أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي وكانا في الأنصار ، فدفن رسول الله (ص) قبل أن يرجعا».

وقد اعترف عمر بغيابهم عن مراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله ، ففي الطبقات:٢٦٢/٢:«عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ؟ فقال عمر: سل علياً. قال: أين هو؟ قال هو هنا ، فسأله فقال علي: أسندته إلى صدري ، فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة. فقال كعب كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه

يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل علياً. قال فسأله فقال: كنت أغسله وكان العباس جالساً وكان أسامة وشقران يختلفان إليَّ بالماء».

وفي غيبة النعماني/١٠٠، عن الإمام الصادق عليه السلام أن سكك المدينة يومها كانت خالية قال:«لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المدينة رجل من ولد داود على دين اليهودية فرأى السكك خالية ، فقال لبعض أهل المدينة: ما حالكم ؟ فقيل له: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال الداودي: أما إنه توفي اليوم الذي هو في كتابنا» !

كما تركت عائشة وحفصة جنازة النبي صلى الله عليه وآله من حين وفاته ، وخالفتا الحداد الواجب عليهما ، وانشغلتا بالذهاب الى بيوت الأنصار لإقناعهم ببيعة أبي بكر !

قالت عائشة:«ما علمنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل» (الاستيعاب:٤٧/١ ، وابن هشام:٣٢١/٤ ، والطبري:٢١٣/٣ ، ودلائل النبوة:٢٥٦/٧).

ومع ذلك كانت عائشة تتحسر لتجهيز علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وغيابها فقالت:« لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه». (أحكام الجنائز للألباني/٤٩ وصححه).

١٨- دفن النبي صلى الله عليه وآله في حجرته وليس في حجرة عائشة

كتبنا في جواهر التاريخ:٣٠٣/٣، الطبعة الأولى ، بحثاً مستوفياً تحت عنوان: أين دفن النبي صلى الله عليه وآله؟ وأثبتنا فيه أنه دفن في بيته وفي حجرته الكبيرة ، التي كان يستقبل فيها الناس ، وكان لها بابان باب الى المسجد وباب الى داخل داره صلى الله عليه وآله.

فقد صلى المسلمون على جثمانه الشريف صلى الله عليه وآله، وكانوا يدخلون من باب ويخرجون من آخر. أما غرفة عائشة فقد نصوا على أنه كان لها باب واحد!

الى آخر الأدلة على أنه لم يدفن في بيت عائشة ولا تمرض فيه كما زعموا.

لكن السلطة سيطرت على بيت النبي صلى الله عليه وآله ثم ادعت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله أعطاها هذه الحجرة، وأشاعت السلطة أن النبي صلى الله عليه وآله دفن في حجرة عائشة!

١٩- حُزن أهل البيت على النبي صلى الله عليه وآله وتعزية جبرئيل والخضر لهم

روى الكليني:١/٤٤٥، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمد عليهم السلام بأطول ليلة، حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم! لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله!

فبيناهم كذلك إذ أتاهم آت لا يرونه ويسمعون كلامه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، ونجاة من كل هلكة، ودركاً لما فات: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ.

إن الله اختاركم وفضلكم وطهركم وجعلكم أهل بيت نبيه، واستودعكم علمه وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه وعصا عزه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فتعزوا بعزاء الله، فإن الله لم ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عز وجل الذين بهم تمت النعمة،

واجتمعت الفرقة وائتلفت الكلمة ، وأنتم أولياؤه ، فمن تولاكم فاز ومن ظلم حقكم زهق . مودتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين ، ثم الله على نصركم إذا يشاء قدير ، فاصبروا لعواقب الأمور ، فإنها إلى الله تصير .

قد قبلكم الله من نبيه وديعة ، واستودعكم أولياء المؤمنين في الأرض ، فمن أدى أمانته أتاه الله صدقه ، فأنتم الأمانة المستودعة ، ولكم المودة الواجبة ، والطاعة المفروضة ، وقد قبض رسول الله وقد أكمل لكم الدين ، وبين لكم سبيل المخرج ، فلم يترك لجاهل حجة ، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى ، فعلى الله حسابه . والله من وراء حوائجكم . وأستودعكم الله ، والسلام عليكم . فسألت أبا جعفر عليه السلام: ممن أتاهم التعزية؟ فقال: من الله تبارك وتعالى على لسان جبريل عليه السلام». ونحوه:٢٢١/٣، والمناقب:٨٣/٢ .

وفي شرح الأخبار:٤١٩/٢ ، أن سفيان بن عيينة قال: أتينا جعفر بن محمد عليه السلام نعزيه بابنه إسماعيل ، فتحدث معنا فذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال في الحديث: فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أتاهم آت يعني أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يسمعون كلامه ولا يرون شخصه ، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ. إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، فالله فارجوه ، وإياه فاعبدوه ، واعلموا أن المصاب من حرم الثواب ،

والسلام علكيم ورحمة الله وبركاته.قال سفيان بن عيينة: فقلت لجعفر بن محمد: من كنتم ترون المتكلم ؟ قال: كنا نراه جبرائيل عليه السلام» .

وفي الأصول الستة عشر/١٢٢:« فسأله يحيى بن أبي القاسم فقال: جعلت فداك ممن آتاهم التعزية؟ قال: من الله عز وجل».

وفي أمالي الصدوق/٣٤٩:«فلما توفي رسول الله صلى الله على روحه الطيب ، جاءت التعزية ، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . إن في الله عز وجل عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل ما فات ، فبالله فثقوا وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام»

ورواه في كمال الدين/٣٩٢ ، وقال:« قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: إن أكثر المخالفين يسلمون لنا حديث الخضر عليه السلام ويعتقدون فيه أنه حيٌّ غائب عن الأبصار ، وأنه حيث ذكر حضر ، ولا ينكرون طول حياته ، ولا يحملون حديثه على عقولهم . ويدفعون كون القائم عليه السلام وطول حياته في غيبته وعندهم أن قدرة الله عز وجل تتناول إبقاءه إلى يوم النفخ في الصور ، وإبقاء إبليس مع لعنته إلى يوم الوقت المعلوم في غيبته ، وأنها لا تتناول إبقاء حجة الله على عباده مدة طويلة

في غيبته ، مع ورود الأخبار الصحيحة بالنص عليه بعينه واسمه ونسبه عن الله تبارك وتعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام».

ورواه الحاكم وصححه (٥٧/٣) قال:«لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولايرون الشخص فقالت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فارجوا ، فإنما المحروم من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفي البحار(٢١٣/٤٣) عن علي عليه السلام قال:«إن فاطمة عليها السلام لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تقول: وا أبتاه من ربه ما أدناه ، وا أبتاه جنان الخلد مثواه ، وا أبتاه يكرمه ربه إذ أتاه ، يا أبتاه الرسل تسلم عليه حين تلقاه».

وفي البخاري(٥/١٤٤) عن أنس قال:«لما ثقل النبي جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام واكرب أباه ! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم! فلما مات قالت: يا أبتاه. أجاب رباً دعاه. يا أبتاه. من جنة الفردوس مأواه. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه . فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟!».

وفي كفاية الأثر/١٩٨، عن محمود بن لبيد قال:«لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك ، فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها تبكي هناك ، فأمهلتها حتى سكتت فأتيتها وسلمت عليها وقلت: يا سيدة النسوان قد والله قطعت أنياط قلبي من بكائك .

فقالت: يا با عمرو يحق لي البكاء ، ولقد أصبت بخير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، واشوقاه لى رسول الله ، ثم أنشأت عليها السلام تقول:

إذا مات يوماً ميتٌ قلَّ ذكره   وذكر أبي إذ مات والله أكثر

قلت: يا سيدتي إني سائلك عن مسألة تلجلج في صدري؟ قالت: سل . قلت: هل نص رسول الله قبل وفاته على علي بالإمامة؟

قالت: واعجباه أنسيتم يوم غدير خم ؟! قلت: قد كان ذلك ، ولكن أخبريني بما أسرَّ إليك . قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: عليٌّ خير من أخلفه فيكم ، وهو الإمام والخليفة بعدي ، وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار ، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين ، ولئن خالفتموهم ليكون الإختلاف فيكم إلى يوم القيامة..الخ».

قال الإمام الباقر عليه السلام قال:«إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك أو في ولدك ، فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط». (الكافي:٣/٢٢٠).

٢٠- جاؤوا بخبر السقيفة بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله

في الإرشاد:١/١٨٩:« لما تم لأبي بكر ما تم وبايعه من بايع ، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاة في يده ، فقال له: إن القوم قد بايعوا أبا بكر ووقعت الخذلة في الأنصار لاختلافهم ، وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر ! فوضع طرف المسحاة في الأرض ويده عليها ،

ثم قال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وقد كان أبو سفيان جاء إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والعباس متوفران على النظر في أمره فنادى:

بني هاشم لاتُطمعوا الناس فيكمُ ... ولاسيَّما تَيمُ بن مرةَ أو عَدِي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم ... وليس لها إلا أبو حسنٍ علي

أبا حسن فاشدد بها كف حازمٍ ... فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي

ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم يا بني عبد مناف ، أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل(بكر) الرذل بن الرذل ! أما والله لئن شئتم لأملأنها خيلاً ورجلاً ؟!

فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: إرجع يا أبا سفيان ، فوالله ما تريد الله بما تقول ، وما زلت تكيد الإسلام وأهله ، ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وآله ، وعلى كل امرئ ما اكتسب ، وهو ولي ما احتقب ! فانصرف أبو سفيان إلى المسجد فوجد بني أمية مجتمعين فيه ، فحرضهم على الأمر فلم ينهضوا له» .

في نهج البلاغة:١١٦/١:« لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا قالت: منا أمير ومنكم أمير ! قال عليه السلام: فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ! قالوا وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت

الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم . ثم قال عليه السلام: فما ذا قالت قريش؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» !

وفي نهج البلاغة:٤٠/١:«ومن خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة:

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة ، وضعوا عن تيجان المفاخرة . أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح . هذا ماء آجن ، ولقمة يغص بها آكلها ! ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه ! فإن أقل يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت ! هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه .

بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة » . أي اضطراب حبل الدلو في البئر العميقة .

وفي البحار:٤٩٢/٢٢ ، عن الطُّرف ، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:«قال صلى الله عليه وآله: يا علي ما أنت صانع لو قد تأمر القوم عليك بعدي وتقدموا عليك ، وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة ، ثم لببت بثوبك تقاد كما يقاد الشارد من الإبل مذموماً مخذولاً محزوناً مهموماً ، وبعد ذلك ينزل بهذه الذل؟!

قال: فلما سمعت فاطمة ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله صرخت وبكت ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وقال: يا بنية لا تبكي ولا تؤذي جلساءك من الملائكة ، هذا

جبرئيل بكى لبكائك، وميكائيل وصاحب سر الله إسرافيل! يا بنية لا تبكي فقد بكت السماوات والأرض لبكائك!

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أنْقَادُ للقوم وأصبر على ما أصابني، من غير بيعة لهم، وما لم أصب أعواناً لم أناجز القوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم اشهد.

فقال: يا علي ما أنت صانع بالقرآن والعزائم والفرائض؟

فقال: يا رسول الله أجمعه، ثم آتيهم به، فإن قبلوه، وإلا أشهدت الله عز وجل وأشهدتك عليهم. قال: اللهم اشهد».

٢١- ذهول الصحابي البراء بن عازب رحمه الله من بيعة الخلسة!

قال الجوهري في كتابه السقيفة/٤٨، وهو من أقدم الكتب في هذا الموضوع: «سمعت البراء بن عازب، يقول: لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله! فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي في الحجرة وأتفقد وجوه قريش.

فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وعثمان، وإذ قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذ قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر! فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لايمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر

يبايعه ، شاء ذلك أو أبى !

فأنكرت عقلي ! وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق ، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة ، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر ، أما إني قد أمرتكم فعصيتموني ! فمكثت أكابد ما في نفسي ، ورأيت في الليل المقداد ، وسلمان ، وأبا ذر ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الهيثم بن التيهان ، وحذيفة ، وعماراً ، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين !

فلما كان بليل خرجت إلى المسجد فلما صرت فيه تذكرت أني كنت أسمع همهمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن ، فامتنعت من مكاني فخرجت إلى الفضاء فضاء بني قضاعة ، وأجد نفراً يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم ، فعرفوني وما أعرفهم ، فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وسلمان الفارسي ، وأبا ذر ، وحذيفة ، وأبا الهيثم بن التيهان ، وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به ، والله ما كذبت ولا كذبت !

وإذ القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين !

ثم قال: إئتوا أبي بن كعب فقد علم كما علمت ، قال فانطلقنا إلى أبي فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد فقال: ماحاجتكم؟ فقال له: ماأنا بفاتح بابي وقد عرفت ما جئتم له كأنكم أردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم ، فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم ، قال: فالقول ما قال ! وبالله ما أفتح

عني بابي حتى تجرى على ما هي جارية ، ولمّا يكون بعدها شر منها ، والى الله المشتكى !

وبلغ الخبر أبا بكر وعمر ، فأرسلا إلى أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة ، فسألاهما عن الرأي؟ فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه ، فتقطعوا به من ناحية علي ، ويكون لكم حجة عند الناس على علي ، إذا مال معكم العباس .

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة ، حتى دخلوا على العباس ، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: إن الله ابتعث لكم محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً ، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم ، حتى اختار له ما عنده ، فخلى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم ، متفقين غير مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً ، فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرةً ولا جبناً ، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ، وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين ، يتخذ لكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع ، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس ، أو صرفتموهم عما مالوا إليه ، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك ، إذ كنت عم رسول الله ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ومكان أهلك ، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم ! وعلى رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم !

فاعترض كلامه عمر ، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته ، فقال: إي والله وأخرى أنا لم نأتكم عن حاجة إليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم وعامتهم ، ثم سكت». انتهى.

أقول: البراء بن عازب صحابي متفق على جلالته وبطولته في معارك الإسلام .

قال الذهبي في سيره:١٩٤/٣:« البراء بن عازب بن الحارث ، الفقيه الكبير ، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني ، نزيل الكوفة ، من أعيان الصحابة . روى حديثاً كثيراً وشهد غزوات كثيرة مع النبي(ص)» . وتدل شهادة ابن عازب على أمور كثيرة ، منها أن خلافة أبي بكر كانت خلسة وفلتةً بعيدة كل البعد عن النص النبوي ومشورة الأمة ! وكانت إجباراً وإرهاباً بجيش الطلقاء فقد خرجوا في عرضة مسلحة يخبطون من رأوه ويجبرونه على البيعة ! وأنها مع ذلك كانت متزلزلة أياماً ، حتى غلبت فيها تهديدات قريش الطلقاء وإرهابهم ، وانقسام الأنصار وتخاذلهم !

٢٢- خطبة سلمان في اليوم الثالث لوفاة النبي صلى الله عليه وآله

في الإحتجاج:١٥١/١ ، عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال:«خطب الناس سلمان الفارسي رحمه الله بعد أن دفن النبي صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام فقال فيها:

ألا يا أيها الناس: إسمعوا عني حديثي ثم اعقلوه عني ، ألا وإني أوتيت علماً كثيراً ، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضايل أمير المؤمنين عليه السلام لقالت طائفة منكم هو مجنون ، وقالت طائفة أخرى اللهم اغفر لقاتل سلمان !

ألا إن لكم منايا تتبعها بلايا ، ألا وإن عند علي عليه السلام علم المنايا والبلايا وميراث الوصايا ، وفصل الخطاب ، وأصل الأنساب ، على منهاج هارون بن عمران من موسى إذ يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وصيي في أهل بيتي ، وخليفتي في أمتي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى !

ولكنكم أخذتم سنة بني إسرائيل فأخطأتم الحق ، فأنتم تعلمون ولا تعلمون ! أما والله لتركبن طبقاً عن طبق ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة !

أما والذي نفس سلمان بيده لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أقدامكم ، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم ، ولما عال ولي الله ، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله . ولكن أبيتم فوليتموها غيره فأبشروا بالبلايا ، واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء ! عليكم بآل محمد فإنهم القادة إلى الجنة ، والدعاة إليها يوم القيامة .

عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فوالله لقد سلمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمة مع نبينا ، كل ذلك يأمرنا به ويؤكده علينا ! فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه ، وقد حسد هابيل قابيل فقتله ، وكفاراً قد ارتدت أمة موسى بن عمران ، فأمر هذه الأمة كأمر بني إسرائيل ، فأين يذهب بكم !

أيها الناس: ويحكم ما لنا وأبو فلان وفلان ؟! أجهلتم أم تجاهلتم ؟ أم حسدتم أم تحاسدتم؟ والله لترتدن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة ، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة !

ألا وإني أظهرت أمري وسلمت لنبيي صلى الله عليه وآله ، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علياً أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وقائد الغر المحجلين ، وإمام الصديقين ، والشهداء والصالحين».

٢٣- خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم السابع لوفاة النبي صلى الله عليه وآله

في الكافي:١٨/٨ ، عن جابر بن يزيد الجعفي رحمه الله قال:« دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله قد أرمضني اختلاف الشيعة في مذاهبها فقال:

يا جابر ألم أقفك على معنى اختلافهم من أين اختلفوا ، ومن أي جهة تفرقوا ؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله قال: فلا تختلف إذا اختلفوا ! يا جابر إن الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله صلى الله عليه وآله في أيامه ! يا جابر إسمع وع ، قلت: إذا شئت ، قال: إسمع وع ، وبلغ حيث انتهت بك راحلتك:

إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة ، بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه فقال عليه السلام:(وقد اختصرنا منها):

الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده ، وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبه والتشاكل ، بل هو الذي لا يتفاوت في ذاته ، ولا يتبعض

بتجزئة العدد في كماله . فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن ، ويكون فيها لا على وجه الممازجة ، ويعلمها لا بأداة ، لا يكون العلم إلا بها ، وليس بينه وبين معلومه علم غيره به . كان عالماً بمعلومه . إن قيل كان ، فعلى تأويل أزلية الوجود وإن قيل لم يزل ، فعلى تأويل نفي العدم . فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه واتخذ إلهاً غيره ، علواً كبيراً .

نحمده بالحمد الذي ارتضاه من خلقه ، وأوجب قبوله على نفسه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل ، خف ميزانٌ ترفعان منه ، وثقل ميزانٌ توضعان فيه ، وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار ، والجواز على الصراط . وبالشهادة تدخلون الجنة ، وبالصلاة تنالون الرحمة .

أكثروا من الصلاة على نبيكمﷺ: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

أيها الناس: إنه لا شرف أعلى من الإسلام ، ولا كرم أعز من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا وقاية أمنع من السلامة ، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضى بالقناعة ، ولا كنز أغنى من القنوع ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة ، والرغبة مفتاح التعب ، والإحتكار مطية النصب ، والحسد آفة الدين ، والحرص داع إلى التقحم في الذنوب ، وهو داعي الحرمان...

إعلموا أيها الناس أنه من مشى على وجه الأرض ، فإنه يصير إلى بطنها ، والليل والنهار يتنازعان في هدم الأعمار...

وما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي والذنوب ، فما أقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم ، وما شر بشر بعده الجنة ، وما خير بخير بعده النار ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية ، وعند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر ، تصفية العمل أشد من العمل ، وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد . هيهات لولا التقى لكنت أدهى العرب .

أيها الناس: إن الله تعالى وعد نبيه محمداً صلى الله عليه وآله الوسيلة ووعده الحق ، ولن يخلف الله وعده ، ألا وإن الوسيلة على درج الجنة ، وذروة ذوائب الزلفة ، ونهاية غاية الأمنية ، لها ألف مرقاة ، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام ، وهو ما بين مرقاة درة إلى مرقاة جوهرة ، إلى مرقاة زبرجدة ، إلى مرقاة لؤلؤة ، إلى مرقاة ياقوتة ، إلى مرقاة زمردة ، إلى مرقاة مرجانة... قد أنافت على كل الجنان ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ قاعد عليها ، مرتد بريطتين: ريطة من رحمة الله وريطة من نور الله ، عليه تاج النبوة ، وإكليل الرسالة ، قد أشرق بنوره الموقف ، وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة وهي دون درجته ، وعليَّ ريطتان: ريطة من أرجوان النور وريطة من كافور ، والرسل والأنبياء عليهم السلام قد وقفوا على المراقي ، وأعلام الأزمنة وحجج الدهور عن أيماننا ، وقد تجللهم حلل النور والكرامة ، لا يرانا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بهت بأنوارنا وعجب من ضيائنا وجلالتنا...

ولا مصيبة عظمت ولا رزية جلت كالمصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله، لأن الله ختم به الإنذار والإعذار، وقطع به الإحتجاج والعذر بينه وبين خلقه، وجعله بابه الذي بينه وبين عباده، ومهيمنه الذي لا يقبل إلا به، ولا قربة إليه إلا بطاعته، وقال في محكم كتابه: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا. فقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه، وبين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه، والترغيب في تصديقه، والقبول لدعوته: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، فاتباعه صلى الله عليه وآله محبة الله، ورضاه غفران الذنوب، وكمال الفوز ووجوب الجنة، وفي التولي عنه والإعراض محادة الله وغضبه وسخطه، والبعد منه مسكن النار، وذلك قوله: أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ، يعني الجحود به والعصيان له ...

فإن الله تبارك اسمه امتحن بي عباده وقتل بيدي أضداده، وأفنى بسيفي جحاده وجعلني زلفة للمؤمنين وحياض موت على الجبارين، وسيفه على المجرمين، وشد بي أزر رسوله صلى الله عليه وآله وأكرمني بنصره، وشرفني بعلمه وحباني بأحكامه، واختصني بوصيته واصطفاني بخلافته في أمته، فقال صلى الله عليه وآله وقد حشده المهاجرون والأنصار، وانغصت بهم المحافل: أيها الناس إن علياً مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي! فعقل المؤمنون عن الله نطق الرسول، إذ عرفوني أني لست

بأخيه لأبيه وأمه كما كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه ، ولا كنت نبياً فأقتضى نبوة ، ولكن كان ذلك منه استخلافاً لي كما استخلف موسى هارون عليه السلام حيث يقول: اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ .

وقوله صلى الله عليه وآله حين تكلمت طائفة فقالت: نحن موالي رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج رسول الله إلى حجة الوادع ثم صار إلى غدير خم ، فأمر فأصلح له شبه المنبر ثم علاه ، وأخذ بعضدي حتى رئي بياض إبطيه رافعاً صوته ، قائلاً في محفله: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وآل من والاه ، وعاد من عاداه. فكانت على ولايتي ولاية الله وعلى عداوتي عداوة الله. وأنزل الله عز وجل في ذلك اليوم: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي. فكانت ولايتي كمالَ الدين ورضا الرب جل ذكره ، وأنزل الله تبارك وتعالى اختصاصاً لي وتكرماً نحلنيه وإعظاماً وتفضيلاً من رسول الله صلى الله عليه وآله منحنيه ، وهو قوله تعالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. في مناقب لو ذكرتها لعظم بها الإرتفاع ، فطال لها الإستماع .

ولئن تقمصها دوني الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحق ، وركباها ضلالة واعتقداها جهاله ، فلبئس ما عليه وردا ولبئس ما لأنفسهما مهدا ، يتلاعنان في دورهما ويتبرأ كل واحد منهما من صاحبه ، يقول لقرينه إذا التقيا: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، فيجيبه الأشقى على رثوثة: يا ليتني لم أتخذك خليلاً ، لقد أضللتني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان

خذولا ، فأنا الذكر الذي عنه ضل ، والسبيل الذي عنه مال ، والإيمان الذي به كفر ، والقرآن الذي إياه هجر ، والدين الذي به كذب ، والصراط الذي عنه نكب .

ولئن رتعا في الحطام المنصرم ، والغرور المنقطع ، وكانا منه على شفا حفرة من النار ، لهما على شر ورود ، في أخيب وفود ، وألعن مورود ، يتصارخان باللعنة ويتناعقان بالحسرة ، مالهما من راحة ، ولا عن عذابهما من مندوحة .

إن القوم لم يزالوا عباد أصنام وسدنة أوثان ، يقيمون لها المناسك ، وينصبون لها العتائر ، ويتخذون لها القربان ، ويجعلون لها البحيرة والوصيلة ، والسائبة والحام، ويستقسمون بالأزلام ، عامهين عن الله عز ذكره ، حائرين عن الرشاد ، مهطعين إلى البعاد ، وقد استحوذ عليهم الشيطان ، وغمرتهم سوداء الجاهلية ، ورضعوها جهالة ، وانفطموها ضلالة ، فأخرجنا الله إليهم رحمة ، وأطلعنا عليهم رأفة ، وأسفر بنا عن الحجب ، نوراً لمن اقتبسه ، وفضلاً لمن اتبعه ، وتأييداً لمن صدقه ، فتبوؤوا العز بعد الذلة ، والكثرة بعد القلة ، وهابتهم القلوب والأبصار ، وأذعنت لهم الجبابرة ، وطوائفها وصاروا أهل نعمة مذكورة ، وكرامة ميسورة وأمن بعد خوف ، وجمع بعد كوف ، وأضاءت بنا مفاخر معد بن عدنان ، وأولجناهم باب الهدى ، وأدخلناهم دار السلام ، وأشملناهم ثوب الإيمان ، وفلجوا بنا في العالمين ، وأبدت لهم أيام الرسول آثار الصالحين ، من حام مجاهد ، ومصل قانت ، ومعتكف زاهد ، يظهرون الأمانة ويأتون المثابة ، حتى

إذا دعا الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله ورفعه إليه، لم يك ذلك بعده إلا كلمحة من خفقة، أو وميض من برقة، إلى أن رجعوا على الأعقاب، وانتكصوا على الأدبار، وطلبوا بالأوتار، وأظهروا الكتاب، وردموا الباب، وفلوا الديار، وغيروا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، ورغبوا عن أحكامه، وبعدوا من أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بديلا، اتخذوه وكانوا ظالمين، وزعموا أن من اختاروا من آل أبي قحافة أولى بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله ممن اختار رسول الله صلى الله عليه وآله لمقامه! وأن مهاجر آل أبي قحافة خير من المهاجري الأنصاري الرباني ناموس هاشم بن عبد مناف!

ألا وإن أول شهادة زور وقعت في الإسلام، شهادتهم أن صاحبهم مستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله! فلما كان من أمر سعد بن عبادة ما كان، رجعوا عن ذلك وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله مضى ولم يستخلف! فكان رسول الله صلى الله عليه وآله الطيب المبارك أول مشهود عليه بالزور في الإسلام! وعن قليل يجدون غب ما يعملون، وسيجد التالون غب ما أسسه الأولون!

ولئن كانوا في مندوحة من المهل، وشفاء من الأجل، وسعة من المنقلب واستدراج من الغرور، وسكون من الحال، وإدراك من الأمل، فقد أمهل الله عز وجل شداد بن عاد، وثمود بن عبود، وبلعم بن باعور، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأمدهم بالأموال والأعمار، وأتتهم الأرض ببركاتها، ليذكروا آلاء الله، وليعرفوا الإهابة له، والإنابة إليه، ولينتهوا عن الإستكبار.

فلما بلغوا المدة ، واستتموا الأكلة ، أخذهم الله عز وجل واصطلمهم ، فمنهم من حصب ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من أحرقته الظلة ، ومنهم من أودته الرجفة ، ومنهم من أردته الخسفة: وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. ألا وإن لكل أجل كتاباً ، فإذا بلغ الكتاب أجله فلو كشف لك عما هوى إليه الظالمون ، وآل إليه الأخسرون ، لهربت إلى الله عز وجل مما هم عليه مقيمون وإليه صائرون !

ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون ، وكباب حطة في بني إسرائيل ، وكسفينة نوح في قوم نوح ، إني النبأ العظيم ، والصديق الأكبر ، وعن قليل ستعلمون ما توعدون ، وهل هي إلا كلعقة الآكل ، ومذقة الشارب ، وخفقة الوسنان ، ثم تلزمهم المعرات ، خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . فما جزاء من تنكب محجته ، وأنكر حجته ، وخالف هداته ، وحاد عن نوره ، واقتحم في ظلمه ، واستبدل بالماء السراب وبالنعيم العذاب ، وبالفوز الشقاء ، وبالسراء الضراء ، وبالسعة الضنك ، إلا جزاء اقترافه ، وسوء خلافه ، فليوقنوا بالوعد على حقيقته ، وليستيقنوا بما يوعدون:

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ. يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ. نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» .

٢٤- احتجاج المهاجرين والأنصار على قادة الإنقلاب

يظهر للباحث في أحداث مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته ، أمور كبيرة ، منها:

١- أن قادة الإنقلاب على النبي صلى الله عليه وآله الذين منعوه من كتابة عهده لأمته ، وتعمدوا التخلف عن جيش أسامة وعملوا لإفشاله ، هم الذين سارعوا الى الصفق على يد أبي بكر وإعلانه خليفة ، بمجرد أن أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه !

٢- أن قادة الإنقلاب استفادوا من ثلاثة عناصر أساسية:

الأول: قوة الطلقاء العسكرية وكانت في المدينة أكثر من سبع مئة مقاتل ، وهم الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وآله بالذهاب مع جيش أسامة كما نص الواقدي .

والثاني: هبوط مستوى إيمان الأنصار ، واختلافهم ، وطمع سعد بن عبادة الخزرجي في الخلافة ، وحسد الأوسيين له .

والثالث: موقف علي عليه السلام الذي رفض عرض العباس وأبي سفيان بأن يبايعاه ، وكان ذلك يبدو غريباً ، كما قرر ترك قادة الإنقلاب يفعلون ما يريدون ، وكان ذلك غريباً أيضاً ! وبقي مشغولاً بمراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم بجمع القرآن .

ولم يقم ضدهم بأي عمل إلا دفع حجتهم بمنطق الإسلام ، وتوجيه الصحابة الى اتخاذ هذا الموقف .

ثم كان هجوم قادة الإقلاب على بيت علي وفاطمة والمعتصمين فيه ، ليجبروهم على بيعة أبي بكر ، فقاومهم علي عليه السلام مقاومة سياسية سلمية .

ثم ذهب الى بيوت نقباء الأنصار ، وطالبهم بالوفاء ببيعتهم للنبي ﷺ بأن يحموا عترته وذريته مما يحمون منه ذراريهم ، فلم يجد عندهم الإستجابة المطلوبة .

ثم طلب من الصحابة الذين أعلنوا تأييدهم له وأدانوا عمل الإنقلابيين ، أن يأتوه في اليوم التالي محلقين علامة النصرة ، فأتاه منهم أربعة !

وفي اليوم السابع خطب عليه السلام في المسجد خطبته المتقدمة تسجيلاً للموقف وإتماماً للحجة ، ولم يقم بخطوة عملية غير سياسية .

٣- أن عيون الصحابة الذين لم يشاركوا في الإنقلاب ، كانوا مذهولين ، أو غاضبين لحركة أهل السقيفة وأسلوبهم في الخلسة والعنف لأخذ الخلافة !

وقد سجل التاريخ اعتراض الصحابة رغم الجو الإرهابي القمعي الذي فرض فيه الطلقاء خليفتهم !

روى في الإحتجاج:١/٩٧: «عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول ﷺ؟

قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً . من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من بني أمية ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الأسلمي .

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان ، وسهل وعثمان ابنا حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري .

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله! وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذا أعنتم على أنفسكم فقد قال الله عز وجل: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين لنستشيره ونستطلع رأيه ، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به وأولى به من غيرك ، لأنا سمعنا رسول الله يقول: علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيفما مال . ولقد هممنا أن نصير إليه فننزل عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً ، ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين ، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين بأسيافكم مستعدين للحرب والقتال ، وإذا لأتوني فقالوا لي بايع وإلا قتلناك ، فلا بد لي من أدفع القوم عن نفسي ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوعز إلي قبل وفاته وقال لي: يا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي ، وإنك مني بمنزلة هارون من موسى ، وإن الأمة من بعدي كهارون ومن اتبعه والسامري ومن اتبعه ! فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان كذلك ؟ فقال: إذا وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً .

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ، ثم آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن ، ففعلت ، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي ، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط سلمان وعمار وأبو ذر والمقداد ! ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي ، فأبوا عليَّ إلا السكوت لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيه ! فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم ، ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر ، وأبعد لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وردوا عليه .

فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا ، فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا وتقدموا أنتم فإن الله عز وجل بدأ بكم في الكتاب. فأول من تكلم خالد بن سعيد بن العاص ، ثم باقي المهاجرين ، ثم بعدهم الأنصار .

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: إتق الله يا أبا بكر ، فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة ، حين فتح الله له باب النصر ، وقد قتل علي بن أبي طالب يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها ، ومودعكم أمراً فاحفظوه ، ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم ، بذلك

أوصاني ربي . ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه ، اختلفتم في أحكامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم أشراركم .

ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي . اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي ، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي ، يدركون به نور الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض .

فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ، ولا ممن يقتدى برأيه . فقال له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب ، فإنك تنطق على لسان غيرك ! وأيم الله لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسباً ، وأدناها منصباً ، وأخسها قدراً ، وأخملها ذكراً ، وأقلهم غناءً عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وإنك لجبان في الحروب ، بخيل بالمال ، لئيم العنصر ، مالك في قريش من فخر ، ولا في الحروب من ذكر ، وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان: إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين . فأبلس عمر ، وجلس خالد بن سعيد».

ثم أورد خُطَبَهم واحداً واحداً ، وقال الإمام الصادق عليه السلام:« فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يُحر جواباً ، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم أقيلوني أقيلوني ! فقال له عمر بن الخطاب: إنزل عنها يا لكع ! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لمَ أقمت نفسك هذا المقام ؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة . قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله ، وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول

الله صلى الله عليه وآله! فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل ، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل ، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل ، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس ، لنأخذن الذي فيه عيناه . فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا بن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددوننا ، أم بجمعكم تفزعوننا ، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم ، وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين لأن حجة الله فينا ، والله لو لا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي ، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري . فقام أمير المؤمنين وقال: أجلس يا خالد ، فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك ، فجلس .

وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين الأذنين وإلا صُمَّتا يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه ، فلست أشك ألا وإنكم هم !

فهمَّ به عمر بن الخطاب ، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض ، ثم قال: يا بن صهاك الحبشية لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم ، لأريتك أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً ! ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنصرفوا رحمكم الله ، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون ، إذ قال له أصحابه: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . والله لا دخلته إلا لزيارة

رسول الله صلى الله عليه وآله أو لقضية أقضيها ، فإنه لا يجوز بحجة أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله أن يترك الناس في حيرة !

وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثم إن عمر احتزم بإزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي: ألا إن أبا بكر قد بويع له فهلموا إلى البيعة ، فينثال الناس يبايعون فعرف أن جماعة في بيوت مستترون ، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد فيبايعون !

حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى ، فدعا عمر بحطب ونار وقال: والذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه ! فقيل له: إن فاطمة بنت رسول الله وولد رسول الله وآثار رسول الله صلى الله عليه وآله ،وأنكر الناس ذلك من قوله فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أترونني فعلت ذلك إنما أردت التهويل ، فراسلهم علي أن ليس إلى خروجي حيلة لأني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وألهتكم الدنيا عنه ، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أدع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن . قال: وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فوقفت خلف الباب ثم قالت: لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم ، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤمرونا، ولم تروا لنا حقاً ، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم ! والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء ، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم ! والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة».

هذا ، وفي الموضوع أحاديث وبحوث ، لايتسع لها الكتاب .

٢٥- خطبة أخرى لأبيّ بن كعب رضي الله عنه في إدانة السقيفة

في الإحتجاج:١/١٥٣:« لما خطب أبو بكر قام إليه أبي بن كعب وكان يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان ، وقال: يا معشر المهاجرين الذين اتبعوا مرضات الله وأثنى الله عليهم في القرآن .

ويا معشر الأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان ، وأثنى الله عليهم في القرآن ، تناسيتم أم نسيتم أم بدلتم أم غيرتم أم خذلتم أم عجزتم ؟! ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام فينا مقاماً أقام في علياً فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً ، ومن كنت نبيه فهذا أميره؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى طاعتك واجبة على من بعدي كطاعتي في حياتي غير أنه لا نبي بعدي؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدموهم ولا تقدموهم ، وأمِّروهم ولا تأمروا عليهم؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أهل بيتي منار الهدى ، والدالون على الله؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أنت الهادي لمن ضل؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: علي المحيي لسنتي ومعلم أمتي ، والقائم بحجتي ، وخير من أخلف من بعدي ، وسيد أهل بيتي ، وأحب الناس إلي طاعته كطاعتي على أمتي؟

ألستم تعلمون أنه لم يول على علي أحداً منكم وولاه في كل غيبته عليكم ؟

ألستم تعلمون أنه كان منزلهما في أسفارهما واحداً وارتحالهما واحداً ؟

ألستم تعلمون أنه قال: إذا غبت فخلفت عليكم علياً فقد خلفت فيكم رجلاً كنفسي؟

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة فقال لنا: إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أن اتخذ أخاً من أهلك فأجعله نبياً ، واجعل أهله لك ولداً ، أطهرهم من الآفات ، وأخلصهم من الريب ، فاتخذ موسى هارون أخاً ، وولده أئمة لبني إسرائيل من بعده ، الذين يحل لهم في مساجدهم ما يحل لموسى. وأن الله تعالى أوحي إليَّ أن أتخذ علياً أخاً كما أن موسى اتخذ هارون أخاً ، واتخذ ولده ولداً ، فقد طهرتهم كما طهرت ولد هارون ، إلا أني قد ختمت بك النبيين ، فلا نبي بعدك ، فهم الأئمة الهادية !

أفما تبصرون ، أفما تفهمون أفما تسمعون ؟! ضربت عليكم الشبهات ، فكان مثلكم كمثل رجل في سفر فأصابه عطش شديد ، حتى خشي أن يهلك ، فلقي رجلاً هادياً في الطريق ، فسأله عن الماء ، فقال له أمامك عينان: إحداهما مالحة والأخرى عذبة ، فإن أصبت المالحة ضللت ، وإن أصبت العذبة هديت ورويت ! فهذا مثلكم أيتها الأمة المهملة كما زعمتم ! وأيم الله ما أهملتم ، لقد نصب لكم علمٌ يحل لكم الحلال ويحرم عليكم الحرام ، ولو أطعتموه ما اختلفتم ولا تدابرتم ولا تقاتلتم ولا برئ بعضكم من بعض ، فوالله إنكم بعده لناقضون عهد

رسول الله ﷺ، وإنكم على عترته لمختلفون ، وإن سئل هذا عن غير ما يعلم أفتى برأيه ، فقد أبعدتم ، وتخارستم وزعمتم أن الخلاف رحمة !

هيهات أبى الكتاب ذلك عليكم ، يقول الله تعالى جده: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

ثم أخبرنا باختلافكم فقال سبحانه: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ، أي للرحمة ، وهي آل محمد ﷺ.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي أنت وشيعتك على الفطرة ، والناس منها براء ، فهلا قبلتم من نبيكم؟! كيف وهو خبركم بانتكاصتكم عن وصيه علي بن أبي طالب ، وأمينه ووزيره وأخيه ووليه دونكم أجمعين ، وأطهركم قلباً ، وأقدمكم سلماً ، وأعظمكم وعياً من رسول الله ﷺ ، أعطاه تراثه ، وأوصاه بعداته ، فاستخلفه على أمته ، ووضع عنده سره ، فهو وليه دونكم أجمعين ، وأحق به منكم أكتعين ، سيد الوصيين ، ووصي خاتم المرسلين ، أفضل المتقين ، وأطوع الأمة لرب العالمين ، سلمتم عليه بإمرة المؤمنين في حياة سيد النبيين ، وخاتم المرسلين ، فقد أعذر من أنذر وأدى النصيحة من وعظ وبصَّر من عمى ! فقد سمعتم كما سمعنا ، ورأيتم كما رأينا ، وشهدتم كما شهدنا !

فقام إليه عبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل فقالوا يا أبيُّ أصابك خبل أم بك جنة؟!

فقال: بل الخبل فيكم ، والله كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فألفيته يكلم رجلاً أسمع كلامه ولا أرى شخصه ، فقال فيما يخاطبه: ما أنصحه لك ولأمتك وأعلمه بسنتك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفترى أمتي تنقاد له من بعدي ؟

قال: يا محمد يتبعه من أمتك أبرارها ، ويخالف عليهم من أمتك فجارها ، وكذلك أوصياء النبيين من قبلك ، يا محمد إن موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون ، وكان أعلم بني إسرائيل وأخوفهم لله وأطوعهم له ، فأمره الله عز وجل أن يتخذه وصياً كما اتخذت علياً وصياً ، وكما أمرت بذلك ، فحسده بنو إسرائيل ، سبط موسى خاصة ، فلعنوه وشتموه وعنفوه ووضعوا له !

فإن أخذت أمتك سنن بني إسرائيل كذبوا وصيك وجحدوا إمرته وابتزوا خلافته وغالطوه في علمه ! فقلت: يا رسول الله من هذا ؟

فقال رسول لله صلى الله عليه وآله: هذا ملك من ملائكة ربي عز وجل ، ينبئني أن أمتي تتخلف على وصيي علي بن أبي طالب ، وإني أوصيك يا أبيُّ بوصية إن حفظتها لم تزل بخير: يا أبيُّ عليك بعليٍّ فإنه الهادي المهدي ، الناصح لأمتي ، المحيي لسنتي ، وهو إمامكم بعدي ، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه.

يا أبيُّ ومن غيَّر أو بدل لقيني ناكثاً لبيعتي ، عاصياً أمري ، جاحداً لنبوتي ، لا أشفع له عند ربي ، ولا أسقيه من حوضي !

فقامت إليه رجال من الأنصار فقالوا: أقعد رحمك الله يا أبي ، فقد أديت ما سمعت الذي معك ووفيت بعهدك» .

أقول: روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام توثيق أبيّ بن كعب الأنصاري رحمه الله، وروى البخاري في صحيحه (١٠٢/٦) وروى غيره، أن النبي صلى الله عليه وآله أمر الأمة فقال: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب».

وفي رواية مجمع الزوائد:٥٢/٩:« ولقد هممت أن أبعثهم في الأمم كما بعث عيسى بن مريم الحواريين في بني إسرائيل». راجع: تدوين القرآن للمؤلف/٢٥٤.

لكنهم لم يأخذوا منه القرآن فكيف يأخذون برأيه في الخلافة ؟! وقد كان رحمه الله يسمي أصحاب السقيفة: أهل العقدة ويقول:« هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة ! يقولها ثلاثاً، ثم قال: والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من أضلوا ! قال قلت من تعني بهذا؟ قال: الأمراء». (الحاكم:٢٢٦/٢، وأحمد:١٤٠/٥).

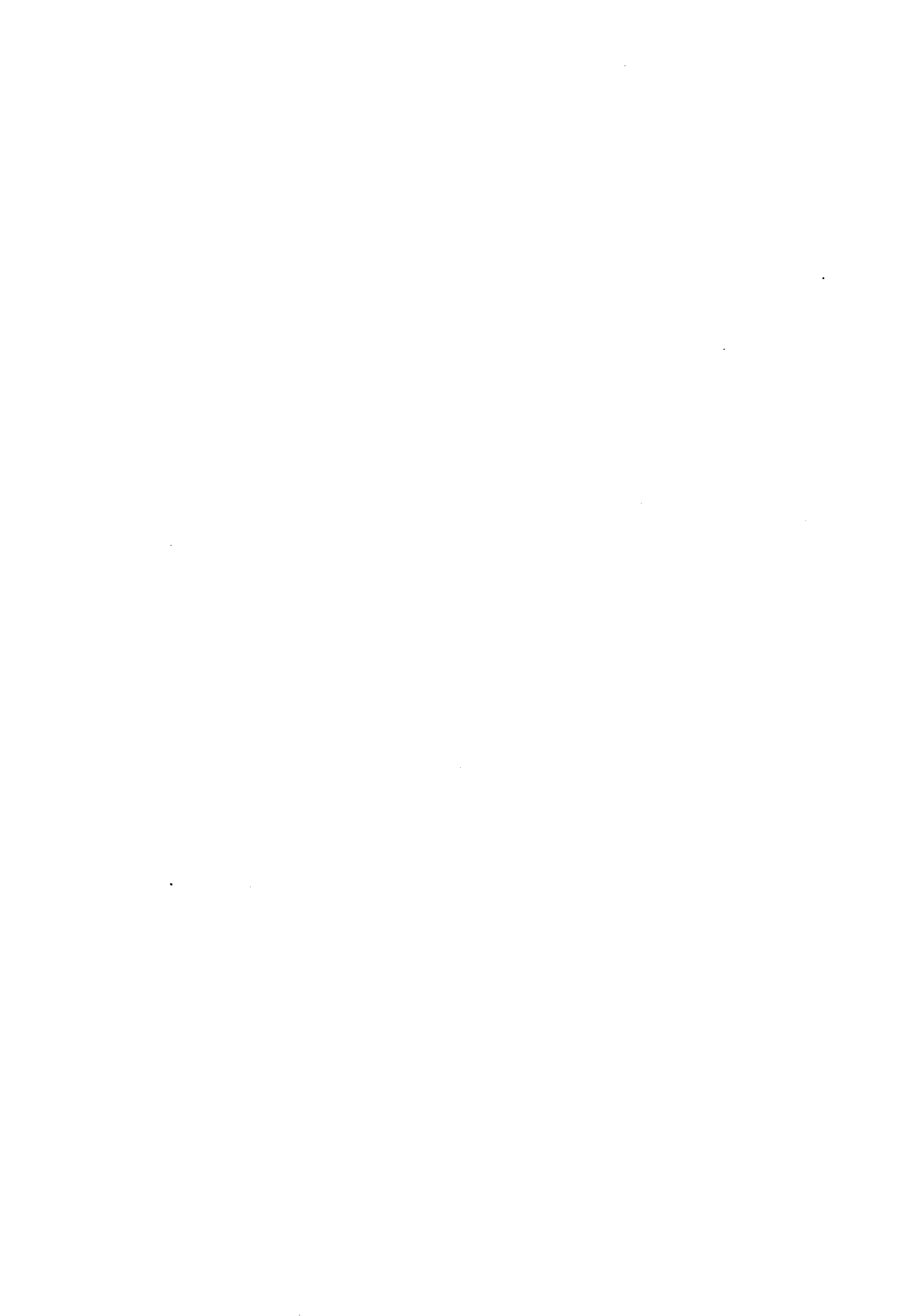
وفي آخر عمره قرر أن يخطب مرة أخرى ويفضحهم فقال:« والله لئن عشت إلى هذه الجمعة لأقولن فيهم قولاً لا أبالي أستحييتموني عليه أو قتلتموني»! (الطبقات:٥٠٠/٣).

فمات رحمه الله يوم الأربعاء ! والمتهم به السلطة ! راجع: ألف سؤال وإشكال:٣٤١/١.

○ ○

وبهذا تتم سيرة النبي صلى الله عليه وآله عند أهل البيت عليهم السلام

ويليها بحوث ملحقة بالسيرة .



بحوث ملحقة بالسيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام

ملحق رقم (١)

نور نبينا وآله صلى الله عليه وآله قبل هذا العالم

١. ومن أحاديثه أن الله تعالى خلق نور نبيه صلى الله عليه وآله، وخلق معه نور علي وفاطمة عليهما السلام ، ففي الكافي:١/٤٤١: «عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها ، وفوض أمورها إليهم ، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى . ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ، ومن تخلف عنها محق ومن لزمها لحق ، خذها إليك يا محمد» .

٢. ومنها: أن الله تعالى بعثه صلى الله عليه وآله نبياً للناس في عالم الأظلة، ففي تفسير العياشي:٢/١٢٦. عن زرارة وحمران عن أبي جعفر وأبي عبد الله صلى الله عليه وآله قالا: «إن الله خلق الخلق وهي أظلة فأرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله ، فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه ، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن في الأظلة ، وجحده من جحد به يومئذ ، فقال: فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» . وفي بصائر الدرجات/١٠٤، عن معمر قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى . قال: يعني به محمداً صلى الله عليه وآله ، حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذر الأول» .

٣. ومنها: أن النبي وآله صلى الله عليه وآله كانوا حول العرش وأنهم الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام. ففي شرح الأخبار:٦/٣، عن صفوان الجمال قال:«دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله وهو يقرأ هذه الآية: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، ثم التفت إليَّ فقال: يا صفوان إن الله تعالى ألهم آدم عليه السلام أن يرمي بطرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدسونه ، فقال آدم: يا رب من هؤلاء ؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي ، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار خلقت الجنة لهم ولمن والاهم ، والنار لمن عاداهم . لو أن عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي ثم توسل إليَّ بحق هؤلاء لعفوت له .

فلما أن وقع آدم في الخطيئة قال: يا رب بحق هؤلاء الأشباح إغفر لي ، فأوحى الله عز وجل إليه: إنك توسلت إلي بصفوتي وقد عفوت لك . قال آدم: يا رب بالمغفرة التي غفرت إلا أخبرتني من هم؟ فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك ، لعظيم حقهم عندي اشتققت لهم خمسة أسماء من أسمائي ، فأنا المحمود وهذا محمد ، وأنا الأعلى وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا المحسن وهذا الحسن ، وأنا الإحسان وهذا الحسين». ونحوه كمال الدين/٣١٨.

٤. ومنها: أن الله تعالى خلق أربعة عشر معصوماً من نور عظمته ، ففي المحتضر/٢٢٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال:« إن الله عز وجل خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فهي أرواحنا. فقيل له: يا ابن رسول الله عُدَّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً ؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين ، تاسعهم قائمهم . ثم عدهم بأسمائهم وقال: نحن والله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن المثاني التي أعطاها الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وآله، ونحن

شجرة النبوة ، ومنبت الرحمة ، ومعدن الحكمة ، ومصباح العلم ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وموضع سر الله ، ووديعة الله جل اسمه في عباده ، وحرم الله الأكبر وعهده المسؤول عنه ، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومن خفره فقد خفر ذمة الله وعهده ، عرفنا من عرفنا ، وجهلنا من جهلنا . نحن الأسماء الحسنى الذين لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا ، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه .

إن الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا ، وصورنا فأحسن صورنا ، وجعلنا عينه على عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتى منه ، وبابه الذي يدل عليه ، وخزان علمه ، وتراجمة وحيه ، وأعلام دينه ، والعروة الوثقى ، والدليل الواضح لمن اهتدى ، وبنا أثمرت الأشجار ، وأينعت الثمار ، وجرت الأنهار ، ونزل الغيث من السماء ، ونبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبد الله تعالى ولولانا لما عرف الله تعال ، وأيم الله لولا كلمة سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل منه الأولون والآخرون».

<u>*٥. ومنها: أحاديث خلق نور علي عليه السلام مع نور النبي صلى الله عليه وآله، وقد رواها الجميع ، ففي مناقب*</u> علي لأبي بكر ابن مردويه/٢٨٥ ، أن النبي صلى الله عليه وآله قال:«كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين ، فجزء أنا وجزء علي».

كما روى ابن مردويه بسنده عن الباقر عليه السلام عن آبائه عن جده صلى الله عليه وآله ، قال:«كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه ، فلم يزل الله تعالى ينقله من صلب إلى صلب ، حتى أقره في صلب عبد المطلب ، فقسمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله ، وقسماً في صلب

أبي طالب ، فعلي مني وأنا منه ، لحمه لحمي ، ودمه دمي ، فمن أحبه فبحبي أحبه ، ومن أبغضه فببغضي أبغضه». ومثله الخصال للصدوق/٦٤٠ ، وأمالي الطوسي/١٨٣ ، وفيه:«فجعل في عبد الله نصفاً ، وفي أبي طالب نصفاً ، وجعل النبوة والرسالة فيَّ ، وجعل الوصية والقضية في علي ، ثم اختار لنا إسمين اشتقهما من أسمائه ، فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، فأنا للنبوة والرسالة ، وعلي للوصية والقضية» . والعلامة في كشف اليقين/١١ ، ونهج الحق/٢١٢ ، عن ابن مردويه وأحمد بن حنبل ، وابن المغازلي وفيه:«حتى قسمه جزءين ، فجعل جزءً في صلب عبد الله ، وجزءً في صلب أبي طالب ، فأخرجني نبياً ، وأخرج علياً ولياً ». والبحار:٣٣/٣٥، عن الخصال ، وكشف الغمة عن مناقب الخوارزمي ، ومعاني الأخبار..الخ.

أحاديث نور النبي صلى الله عليه وآله في مصادر السنيين

١. وتقدم بعضها من مصادرهم ، وقد صححوا بعضها وضعفوا أكثرها ، وجردوها من ذكر عترة النبي صلى الله عليه وآله! ومنها في مسند أحمد:١٢٧/٤ ، عن عرباض بن سارية قال:«قال رسول الله (ص): إني لعبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت . وكذلك أمهات النبيين يَرَيْن». والحاكم:٤١٨/٢ و٦٠٠ و٦٠٨ ، وصححه ، وكنز العمال:٤٠٩/١١ ، و: ٤١٨/١١ و٤٤٩ و٤٥٠ ، والدر المنثور:١٣٩/١ و: ١٨٤/٥ و٢٠٧ و:٢١٣/٦. وفي الزوائد:٢٢٣/٨: رواه أحمد بأسانيد والبزار والطبراني بنحوه.. وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان. وعن ميسرة العجر..مثله.. رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح».

وفي كشف الخفاء:٢٦٥/١:«أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر..الحديث.. رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شئ خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك

الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي ! فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول السماوات ، ومن الثاني الأرضين ، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ، ومن الثالث نور إنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله.. الحديث ..

كذا في المواهب. وقال فيها أيضاً: واختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا ؟ فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء. فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش... وقيل الأولية في كل شئ بالإضافة إلى جنسه أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري وكذا باقيها ، وفي أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي (ص) قال: كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام... قال الشبراملسي: ليس المراد بقوله من نوره ظاهره من أن الله تعالى له نور قائم بذاته لاستحالته عليه ، لأن النور لا يقوم إلا بالأجسام ، بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد وأضافه إليه تعالى ، لكونه تولى خلقه ، ثم قال: ويحتمل أن الإضافة بيانية ، أي خلق نور نبيه من نور هو ذاته تعالى لكن لا بمعنى أنها مادة خلق نور نبيه منها ، بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا

توسط شئ في وجوده ، قال: وهذا أولى الأجوبة نظير ما ذكره البيضاوي في قوله تعالى: ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، حيث قال: أضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب ، وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية».

وفي كنز العمال:٤٢٧/١٢ ، أن ابن عباس سأل النبي صلى الله عليه وآله:«فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة؟ فقال صلى الله عليه وآله: كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً ، ولا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام عهدي ونشر في التوراة والإنجيل ذكري ، وبين كل نبي صفتي ، تشرق الأرض بنوري والغمام لوجهي ، وعلمني كتابه ، ورقى بي في سمائه وشق لي إسماً من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد. ووعدني أن يحبوني بالحوض والكوثر وأن يجعلني أول مشفع ، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. قال ابن عباس: فقال حسان:

من قبلها طبت في الظلال	وفي مستودع حيث يُخصف الورق
ثم سكنت البلاد لا بشرٌ	أنت ولا نطفة ولا علق
مطهر تركب السفين وقد	ألجم أهل الضلالة الغرق
تنقل من صلب إلى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق»

ومجمع الزوائد:٢١٧/٨، ونحوه المناقب:٢٧/١. ونسبوه الى العباس ، والصحيح أنه لحسان .

٢. *وأشهر ما رواه السنة حديث: كنت أنا وعليٌّ نوراً بين يدي الرحمان ، فقد رواه* ابن حنبل في فضائل الصحابة:٦٦٢/٢، عن سلمان رضي الله عنه قال:« سمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله

آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء علي».

وقد اجتزأه ابن حنبل ! لأن نصه في تاريخ دمشق:٦٧/٤٢: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه ، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه ، فلم نزل في شئ واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ، فجزء أنا وجزء علي».

وهذا النص مجتزأ أيضاً ! فقد نقله في شرح النهج (١٧١/٩) عن الفردوس وقال:«رواه أحمد في المسند ، وفي كتاب فضائل علي ، وذكره صاحب كتاب الفردوس ، وزاد فيه: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب ، فكان لي النبوة ولعلي الوصية». انتهى.

ولا تجده في مسند أحمد ، بل في مناقب الصحابة ، ثم لا تجده بهذا النص في الفردوس:٢٨٣/٣ ، بل كرواية أحمد ، وكذا الطبري في الرياض النضرة/٣٩٢ !

وهذا يعني أن ما نقلوه عن مسند أحمد وعن الفردوس قبل بضعة قرون ، حذفوه بعد ذلك أو حرفوه ، وهكذا يفعلون في أحاديث مناقب علي عليه السلام !

ثم لم يكتفوا بذلك حتى قال بعضهم عنه بلا دليل: إنه موضوع ! (ابن الجوزي:١٤/١).

ثم لم يكتفوا حتى حذفوا إسم علي عليه السلام من الحديث ووضعوا بدله إسم أبي بكر أو إسم قريش ! وبذلك يصير الحديث عندهم صحيحاً ، لأنه سلب علياً عليه السلام ما أعطاه الله !

قال السيوطي في الدر المنثور:٢٩٥/٣:«عن ابن عباس أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه . قال رسول الله: فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح ، وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ، حتى أخرجني من بين أبويَّ لم يلتقيا على سفاح قط».

ورواه في ذيل تاريخ بغداد:٩٤/٢، والخصائص:٦٦/١، وقال:«ويشهد لهذا ما أخرج الحاكم والطبراني عن خريم بن أوس قال: هاجرت إلى رسول الله منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك...» . وذكر شعر حسان..

وقال في الشفا:٨٢/١:«ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مديح النبي (ص)».

ويلاحظ أن القسم الأول من الحديث كلام ابن عباس ولم يسندوه الى النبي صلى الله عليه وآله ، وأسندوا القسم الثاني وكأنه استمرار لكلام ابن عباس الأول ، فصارت قريش كلها بمن فيها أئمة الكفر كأبي جهل وأبي لهب ، نوراً قبل خلق آدم عليه السلام !

ولذا قال الحلبي في سيرته:٤٨/١:«قوله: فأهبطني ، ينبغي أن لايكون معطوفاً على ما قبله من قوله: إن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى..الخ. فيكون نوره من جملة نور قريش ، وإنه انفرد عن نور قريش وأودع في صلب نوح..» !

وهكذا يسرق رواة السلطة مناقب أهل البيت عليهم السلام ويعطونها لقريش ، ولمن اتخذوهم أئمة من الصحابة ! ففي تفسير الثعلبي:١١١/٧:« قال رسول الله: إن الله تعالى خلقني من نوره ، وخلق أبا بكر من نوري ، وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر ، وخلق المؤمنين من أمتي من الرجال من نور عمر ، وخلق المؤمنات من أمتي من النساء من نور عائشة ، فمن لم يحبني ويحب أبا بكر وعمر وعائشة ، فما له من نور ، فنزلت عليه: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ». والقرطبي:٢٨٦/١٢.

وقال في السيرة الحلبية:٢٤١/١:« وفي رواية: لما انتقل النور إلى سبابته قال يا رب هل بقي في ظهري من هذا النور شئ ؟ قال: نعم نور أخصاء أصحابه . فقال: يا رب اجعله في بقية أصابعي ، فكان نور أبي بكر في الوسطى ، ونور عمر في البنصر ، ونور عثمان في الخنصر ، ونور علي في الإبهام . فلما أكل من الشجرة ، عاد ذلك النور إلى ظهره».

قال السيد الميلاني في نفحات الأزهار:١٩٠/٥:«حديث موضوع آخر في فضل الشيخين.. قال

السيوطي: أبو نعيم في أماليه.. عن أبي هريرة مرفوعاً: خلقني الله من نوره ، وخلق أبا بكر من نوري ، وخلق عمر من نور أبي بكر ، فخلق أمتي من نور عمر ، وعمر سراج أهل الجنة . قال أبو نعيم: هذا باطل.. وقال في الميزان: هذا خبر كذب ، ما حدث به واحد من الثلاثة ، وإنما الآفة عندي فيه المنبجي لا يعرف... فإذا كان هذا الحديث موضوعاً باعتراف أبي نعيم والذهبي والسيوطي وابن عراق ، فإن خبر خلق الثلاثة قبل آدم عليه السلام وكونهم مع النبي صلى الله عليه وآله على يمين العرش ، كذب بالأولوية».

أقول: ومثله في تاريخ دمشق:١٦٤/٣٠: «قال: حدثني جبريل أن الله لما خلق الأرواح اختار روح أبي بكر الصديق من بين الأرواح ، وجعل ترابها من الجنة وماءها من الحيوان ، وجعل له قصراً في الجنة من درة بيضاء ، مقاصيرها فيها من الذهب والفضة البيضاء ، وإن الله تعالى آلى على نفسه ألا يسأله عن حَسَنة ولايسأله عن سيئة» !

وقد كثرت مكذوباتهم في فضائل أبي بكر وعمر وأمثالهما حتى زكمت رائحتها أنوفهم ، فاعترف بعضهم بأنها مكذوبة !

قال في كشف الخفاء:٤١٩/٢: «وباب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات ، كحديث: إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ! وحديث: ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبو بكر ! وحديث: كان إذا اشتاق إلى الجنة قبَّل شيبة أبي بكر ! وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان ! وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر» ! راجع: نفحات الأزهار:١٣/٥و:٢٠٨/١١، والوضاعون للأميني/٣٨٧.

ملاحظات على أحاديث نور النبي صلى الله عليه وآله

١. إن بدء خلق الكون بنور النبي صلى الله عليه وآله حقيقة كبيرة ، غنية الدلالات ، سواءً في تكوين الكون وإدارته ، أو في تشريع الشريعة وتعبد الناس بها !

ومن دلالتها: أن النبي صلى الله عليه وآله مشروع خاص لا يقاس به أحد ، حتى الأنبياء عليهم السلام الذين

أخذ الله ميثاقهم بنبوته صلى الله عليه وآله.

وكذا عترته المعصومون علي وفاطمة والحسنين والتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام، الذين خلق الله نورهم مع نوره صلى الله عليه وآله أو اشتقه منه، فهم جزء لا يتجزأ من الحقيقة المحمدية. وهذا يفتح باباً لتفسير مقاماتهم في التشريع والتكوين.

٢. نلاحظ من تعامل أتباع الخلافة مع أحاديث خلق نور النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وبقية أهل البيت عليهم السلام، أنهم لا مانع عندهم من قبولها بشرطين:

الأول: أن تكون في أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة ومعاوية، أو في قريش بحيث تشمل الذين اتخذوهم أئمة منها.

والثاني: أن يحذف منها ما يشهد بإيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وأمهاته الى إبراهيم ثم الى آدم عليهم السلام، كالذي رواه السيوطي في الدر المنثور:٣/٢٩٥: «ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبويَّ، لم يلتقيا على سفاح قط». فهم يرفضون مثل هذا الحديث لأنه يثبت وراثة النبي صلى الله عليه وآله لآبائه المؤمنين، ويثبت وراثة عترته له عليه وعليهم السلام، فلا يبقى محل لأبي بكر وعمر!

أما حديث النور فهو عندهم كفرٌ مبين وإن رووه هم! لأن فيه: «ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية». وهذا يعني أن علياً كان وصي النبي صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى، ويكذب تأكيد القرشيين بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص بالخلافة لعلي عليه السلام أبداً! بل يجعل بيعة السقيفة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وآله ومؤامرة!

٣. ولهذا ترى أن أخبار خلق نور النبي صلى الله عليه وآله مغيبةً عندهم تماماً، فلا تسمعها في مساجدهم وخطبهم، ولاتراها في مناهجهم التربوية.. اللهم إلا ما أخذه منها بعض الصوفية، وبنوا عليه بناءاتهم. وقد ورثوا هذه السياسة من القرشيين الذين غيبوا أحاديث مقام النبي صلى الله عليه وآله عند ربه

بل طعنوا في شخصية النبي صلى الله عليه وآله وافتروا عليه أنواع الإفتراءات ! وكانوا يسمون حواريي صحابته (عبّاد محمد) ويتهمونهم بالغلو فيه ، لأنهم يؤمنون بمقامه ويتعبدون بأوامره !

وقد وصل ذلك في عصرنا عند البدو المتعصبين لقريش وبني أمية ، الى قولهم إن النبي صلى الله عليه وآله (طارش ومات) أي مبعوث أوصل رسالة ! ونفوا عصمته حتى في تبليغ رسالته وإن قالوا بألسنتهم إنه معصوم ! وحرموا قصد زيارته صلى الله عليه وآله ، وحكموا على المسلمين بالشرك لأنهم يخاطبونه صلى الله عليه وآله فيقولون: يارسول الله إشفع لنا عند الله !

وقد قلنا في كتاب العقائد الإسلامية ج٥ ، وكتاب ألف سؤال وإشكال ج٢، إن القرشيات التي تطعن في نبينا صلى الله عليه وآله أسوأ من الإسرائيليات التي تطعن في أنبياء الله عليهم السلام.

ملحق رقم (٢)

١- الإسراء والمعراج من عقائد الإسلام

في أمالي الصدوق/٧٣٨: « دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره ، ونفي التشبيه عنه وتنزيهه عما لا يليق به ، والإقرار بأنبياء الله ورسله وحججه وملائكته وكتبه ، والإقرار بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو سيد الأنبياء والمرسلين ، وأنه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقربين ، وأنه خاتم النبيين فلا نبي بعده إلى يوم القيامة....والإقرار بالمساءلة في القبر حين يدفن الميت ، وبمنكر ونكير وبعذاب القبر. والإقرار بخلق الجنة والنار .

وبمعراج النبي صلى الله عليه وآله إلى السماء السابعة، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومنها إلى حجب النور ، وبمناجاة الله عز وجل إياه ، وأنه عرج به بجسمه وروحه على الصحة والحقيقة لا على الرؤيا في المنام ، وأن ذلك لم يكن لأن الله عز وجل في مكان هناك ، لأنه متعال عن المكان ، ولكنه عز وجل عرج به تشريفاً له وتعظيماً لمنزلته ، وليريه

ملكوت السماوات كما أراه ملكوت الأرض ، ويشاهد ما فيها من عظمة الله عز وجل وليخبر أمته بما شاهد في العلو من الآيات والعلامات ».

وفي رسالة الإعتقادات للصدوق قدس سره/٧٩:« واعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان ، وأن النبي صلى الله عليه وآله قد دخل الجنة ، ورأى النار ، حين عرج به».

٢- لقد رأى من آيات ربه الكبرى

عقد في الكافي:٩٥/١ ، باباً في تنزه الله تعالى عن الخضوع لقوانين الزمان والمكان ، والرؤية بالعين ، وروى فيه بضعة عشر حديثاً نختار بعضها:

١- عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:« لما أسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قط جبرئيل . فكُشف له فأراه الله من نور عظمته ما أحب».

وفي/٤٤٣:«فخلى عنه فقال له: يا جبرئيل تخليني على هذه الحالة؟ فقال: إمضه ، فوالله لقد وطأت مكاناً ما وطأه بشر ، وما مشى فيه بشرٌ قبلك» .

٢- عن يعقوب بن إسحاق قال:« كتبت إلى أبي محمد (الإمام الحسن العسكري عليه السلام) أسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه ؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف جل سيدي ومولاي والمنعم عليَّ وعلى آبائي أن يرى. وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه ؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب ».

٣- عن أبي عبد الله عليه السلام قال:«جاء حبر إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟ قال فقال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره ، قال: وكيف رأيته ؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».

٤- عن عن عاصم بن حميد قال: « ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب».

٥- عن صفوان بن يحيى قال:« سألني أبو قرة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي ، فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين ، فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية !

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: لاتدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شئ ، أليس محمد ؟ قال: بلى.

قال: كيف يجيئ رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لاتدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شئ ، ثم يقول أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر ؟!

أما تستحون ؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشئ ثم يأتي بخلافه من وجه آخر؟! قال أبو قرة: فإنه يقول: ولقد رآه نزلة أخرى ، فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ما كذب الفؤاد ما رأى، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ، ثم أخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، فآيات الله غير الله ، وقد قال الله: ولا يحيطون به علماً ، فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة ! فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو

الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها ، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شئ».

٦ - عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال: «قلت لأبي جعفر (الإمام الجواد عليه السلام): لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار؟ فقال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون ، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ، ولا تدركها ببصرك ، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون» !

٣- ازدادت قريش كفراً وعتواً بخبر المعراج !

في الكافي:٢٦٢/٨ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:«ثم قال: هذه عير بني فلان تقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق أو أحمر ، قال: وبعثت قريش رجلاً على فرس ليردها ، قال: وبلغ مع طلوع الشمس ، قال قرطة بن عبد عمرو: يا لهفاً ألا أكون لك جذعاً ، حين تزعم أنك أتيت بيت المقدس ورجعت من ليلتك» !

ونحوه في الخرائج:١٤١/١، عن علي عليه السلام ، وفيه:« فلما كان اليوم الثالث خرجوا إلى باب مكة لينظروا صدق ما أخبر به محمد صلى الله عليه وآله قبل طلوع الشمس ، فهم كذلك إذا طلعت العير عليهم بطلوع الشمس في أولها الجمل الأحمر ! فتعجبوا من ذلك ! وسألوا الذين كانوا مع العير فقالوا مثل ما قال محمد صلى الله عليه وآله في إخباره عنهم. فقالوا: هذا أيضاً من سحر محمد» !

ونحوه في الكافي:٣٦٤/٨ ، وتفسير العياشي:١٣٧/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام، في قول الله عز وجل: وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ . (يونس:١٠١). وفيه:«وآية ذلك أني مررت بعير لأبي سفيان على ماء لبني فلان وقد أضلوا جملاً لهم أحمر وقد همَّ القوم في

طلبه... فقال: أين السائل عن الشام؟ فقالوا له: فلان وفلان ، فأجابهم رسول الله ﷺ في كل ما سألوه عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل ، وهو قول الله تبارك وتعالى: مَا تُغْنِى الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: نعوذ بالله أن لا نؤمن بالله وبرسوله. آمنا بالله و برسوله ﷺ». كان إسم الشام يطلق على بلاد سوريا ولبنان والأردن وفلسطين .

وقد تقدم أن النبي ﷺ نزل في إسرائه في كوفان وصلى في مسجدها

٤- صلى نبينا ﷺ إماماً بالأنبياء عليهم السلام

في الكافي:٣٠٢/٣ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« لما أسري برسول الله ﷺ إلى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة فأذن جبرئيل وأقام فتقدم رسول الله ﷺ وصف الملائكة والنبيون خلف محمد ﷺ».

وفي الإستبصار:٣٠٥/١:« فبلغ البيت المعمور حضرت الصلاة فأذن جبرئيل عليه السلام وأقام فتقدم رسول الله ﷺ وصف الملائكة والنبيون خلف رسول الله»

وفي مائة منقبة لابن أحمد القمي/١٥٠، عن ابن عباس:«قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر . فقال جبرئيل هذا هو البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل السماوات والأرضين بخمسين ألف عام ، قم يا محمد فصل إليه . قال النبي ﷺ: ثم أمر الله تعالى حتى اجتمع جميع الرسل والأنبياء ،فصفهم جبرئيل ورائي صفاً ، فصليت بهم ، فلما فرغت من الصلاة أتاني آت من عند ربي فقال لي: يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول لك: سل الرسل على ما ذا أرسلتهم قبلك . فقلت: معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي قبلي؟ فقالت

الرسل: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو قوله تعالى: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا..».

وفي اليقين لابن طاووس/٢٩٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أتى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة وقد احتبى بحمائل سيفه. فقال: يا أمير المؤمنين، إن في القرآن آية قد أفسدت علي ديني وشككتني في ديني! قال: وما ذاك؟ قال: قول الله عز وجل: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ. فهل في ذلك الزمان نبي غير محمد فيسأله عنه؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إجلس أخبرك إنشاء الله، إن الله عز وجل يقول في كتابه: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، فكان من آيات الله التي أريها محمد صلى الله عليه وآله أنه انتهى جبرئيل إلى البيت المعمور وهو المسجد الأقصى، فلما دنا منه أتى جبرئيل عينا فتوضأ منها، ثم قال يا محمد توضأ. ثم قام جبرئيل فأذن ثم قال للنبي: تقدم فصل واجهر بالقراءة، فإن خلفك أفقاً من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله جل وعز. وفي الصف الأول: آدم ونوح وإبراهيم وهو وموسى وعيسى، وكل نبي بعث الله تبارك وتعالى منذ خلق الله السماوات والأرض إلى أن بعث محمداً صلى الله عليه وآله. فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى بهم غير هائب ولا محتشم. فلما انصرف أوحى الله إليه كلمح البصر: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ. فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بجميعه فقال: بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله وأن علياً أمير المؤمنين وصيك، وأنت رسول الله سيد النبيين وإن علياً سيد الوصيين، أخذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة. فقال الرجل: أحييت قلبي وفرجت عني يا أمير المؤمنين».

وفي المحتضر للحسن بن سليمان الحلي/٤٣:«ثم صلاته صلى الله عليه وآله بالملائكة والنبيين عند البيت المعمور ، وهو في السماء الرابعة ويسمى أيضاً الضراح ، وهو مقابل العرش ومقابل الكعبة ، فلما صلى وسلم عن يمينه أرسل الله سبحانه ملكاً يأمره: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا..».

أقول: نصت بعض الأحاديث على صلاة النبي صلى الله عليه وآله بالأنبياء عليهم السلام كانت في البيت المعمور في السماء الرابعة . وليس في بيت المقدس كما توهمه بعض الروايات .

٥- أخذ الله ميثاق الأنبياء عليهم السلام للنبي وآله صلى الله عليه وآله

ومن أحاديثه في مصادرنا ما رواه القمي في تفسيره ٢٤٦/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«أول من سبق من الرسل إلي «بلى» محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى ، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء: تقدم يا محمد فقد وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ! ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه ، فكان من الله عز وجل ، كما قال الله قاب قوسين أو أدنى ، أي بل أدنى . فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام.

قال الصادق عليه السلام: كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ، ولرسوله صلى الله عليه وآله بالنبوة ، ولأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بالإمامة ، فقال ألست بربكم ، ومحمد نبيكم وعلي إمامكم والأئمة الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى شهدنا ، فقال الله تعالى: أن تقولوا يوم القيمة ، أي لئلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين ، فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء له بالربوبية وهو قوله: وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ، فذكر جملة الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ومنك يا محمد ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه أفضلهم ومن نوح

وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ، فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله صلى الله عليه وآله أفضلهم ، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء بالإيمان به ، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ (يعني رسول الله) لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ».

وفي المحتضر/٢٦٦ ، في حديث الجالوت النصراني:«فقال رسول الله: يا جالوت ، ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله تعالى إلي أن: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا.. على ما بعثوا؟ فقلت لهم: على ماذا بعثتم؟ قالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة من ذريتكما . ثم أوحى إليَّ أن التفت إلى يمين العرش ، فالتفت فإذا علي ، والحسن ، والحسين ، وعلي ، ومحمد ، وجعفر ، وموسى ، وعلي ، ومحمد ، وعلي ، والحسن ، والمهدي ، في ضحضاح من نور يصلون . فقال الرب تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي، وهذا منهم المنتقم من أعدائي. قال الجالوت فقلت: هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزبور».

٦- علَّمه الله في المعراج علم ما يكون

في الكافي: ٢٥١/١:«قال رجل لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله لا تغضب عليَّ قال: لماذا؟ قال: لما أريد أن أسألك عنه ، قال: قل. قال: ولا تغضب؟ قال: ولا أغضب . قال: أرأيت قولك في ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله قد علمه؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه ؟ وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وليس من علمه شئ إلا وعلي عليه السلام له واع !

قال أبو جعفرعليه السلام: مالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك علي؟ قال:أدخلني عليك القضاء لطلب الدين . قال: فافهم ما أقول لك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جل ذكره علم ما قد كان وما سيكون ، وكان كثير من علمه ذلك جملاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر . وكذلك كان علي بن أبي طالبعليه السلامقد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال السائل: أوما كان في الجمل تفسير ؟ قال: بلى ، ولكنه إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء: إفعل كذا وكذا ، لأمر قد كانوا علموه ، أمروا كيف يعملون فيه ؟

قلت: فسر لي هذا . قال: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا حافظاً لجمله وتفسيره . قلت:فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟ قال: الأمر واليسر فيما كان قد علم . قال السائل: فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا ؟

قال: هذا مما أمروا بكتمانه ، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل .

قال السائل: فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء ؟ قال: لا ، وكيف يعلم وصي غير علم ما أوصي إليه ، قال السائل: فهل يسعنا أن نقول إن أحداً من الوصاة يعلم ما لايعلم الآخر ؟ قال: لا لم يمت نبي إلا وعلمه في جوف وصيه ، وإنما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد .

قال السائل: و ما كانوا علموا ذلك الحكم؟ قال: بلى قد علموه ، ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شئ منه حتى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة . قال السائل: يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا ؟ قال أبو جعفرعليه السلام: من أنكره فليس منا . قال السائل: يا أبا جعفر أرأيت النبي صلى الله عليه وآله هل كان يأتيه في ليالي القدر شئ لم يكن علمه ؟

قال: لا يحل لك أن تسأل عن هذا ، أما علم ما كان وما سيكون ، فليس يموت نبي ولا وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه ، أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبي أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم .

قال السائل: يا ابن رسول الله كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة؟ قال: إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة ، فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الذي سألت عنه».

أقول: إن كل ما سيحدث في هذا الكون مخزون في علم الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شئ ، ويظهر أنه مخزون بصوره أيضاً في مكان من الكون ، بدليل أن الإنسان يرى في المنام أموراً من المستقبل عن نفسه أو غيره ، فتحدث بعد ذلك كما رآها بدون أي فرق ، فكأن ذلك المنام لقطة من المستقبل المخزون ! لذلك لاغرابة في أن يكون الله تعالى علَّم نبيه صلى الله عليه وآله وأراه في معراجه كثيراً من المستقبل !

٧- رأى النبي صلى الله عليه وآله شريط مستقبل أمته

في الكافي:٤٤٤/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله مثل لي أمتي في الطين ، وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها ، فمر بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته . إن ربي وعدني في شيعة علي خصلة . قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال: المغفرة لمن آمن منهم ، وأن لا يغادر منهم صغيرة ولا كبيرة ، ولهم تبدل السيئات حسنات ».

وفي قرب الإسناد/١٠١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى ، قال: إن الورقة منها تظل الدنيا وعلى كل ورقة

ملك يسبح الله ، يخرج من أفواههم الدر والياقوت ، تبصر اللؤلؤة مقدار خمسمائة عام ، وما سقط من ذلك الدر والياقوت يخزنه ملائكة موكلون به يلقونه في بحر من نور ، يخرجون كل ليلة جمعة إلى سدرة المنتهى . فلما نظروا إليَّ رحبوا بي وقالوا: يا محمد مرحباً بك. فسمعت اضطراب ريح السدرة وخفقة أبواب الجنان قد اهتزت فرحاً لمجيئك ، فسمعت الجنان تنادي: واشوقاه إلى علي وفاطمة والحسن والحسين».

٨- دخل النبي صلى الله عليه وآله الجنة ، ورأى طرفاً من النار

في أمالي الصدوق/٦٩٦، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« إن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أسري به إلى السماء ، لم يمر بخلق من خلق الله إلا رأى منه ما يحب من البشر واللطف والسرور به ، حتى مر بخلق من خلق الله فلم يلتفت إليه ولم يقل له شيئاً ، فوجده قاطباً عابساً فقال: يا جبرئيل ، ما مررت بخلق من خلق الله إلا رأيت البشر واللطف والسرور منه إلا هذا فمن هذا ؟ قال: هذا مالك خازن النار ، وهكذا خلقه ربه ! قال: فإني أحب أن تطلب إليه أن يريني النار. فقال له جبرئيل: إن هذا محمداً رسول الله ، وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار. قال: فأخرج له عنقاً منها فرآها ، فما افترَّ ضاحكاً حتى قبضه الله عز وجل».

ونحوه في كتاب الحسين بن سعيد/٩٩ ، وفيه:« فكشف له طبقاً من أطباقها» .

أقول: هذا الحديث الصحيح يدل على تعدد المعراج ، وأنه المعراج الذي رأى فيه طرفاً من جهنم كان في أواخر حياته الشريفة في المدينة ، لأنه لم يضحك بعد ذلك حتى توفي . وقد كان معراجه الأول في مكة أوائل بعثته صلى الله عليه وآله، وقد ورد أنه ضحك في حياته في المدينة في مناسبات عديدة .

٩- وصف البُراق الذي حمل النبي صلى الله عليه وآله في معراجه

ومن أحاديثه ما رواه في الكافي: ٣٧٦/٨: «أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله بالبراق أصغر من البغل وأكبر من الحمار مضطرب الأذنين ، عينيه في حافره ، وخطاه مد بصره ، إذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه ، فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه ، أهدب العرف لأيمن له جناحان من خلفه». وبعضه في تفسير العياشي: ٢٧٦/٢ ، وروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: « لما أسريَ بالنبي صلى الله عليه وآله أتى بالبراق ومعها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، قال: فأمسك له واحد بالركاب ، وأمسك الآخر باللجام ، وسوَّى عليه الآخر ثيابه ، فلما ركبها تضعضعت فلطمها جبرئيل عليه السلام وقال لها: قري يا براق فما ركبك أحد قبله مثله ، ولا يركبك أحد بعده مثله »

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٥/١ ، ومسند زيد بن علي/٤٩٧ ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الله سخر لي البراق ، وهي دابة من دواب الجنة ، ليست بالطويل ولا بالقصير ، فلو أن الله أذن لها لجالت الدنيا في جرية واحدة ، وهي أحسن الدواب لوناً».

وفي روضة الواعظين للنيسابوري/٥٣: «أتاه جبرئيل ليلاً وهو بالأبطح ومعه البراق وهو أصغر من البغل وأكبر من الحمار ، فركبه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمسك جبرئيل بركابه ، ومضى إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماء الدنيا ، فتلقته الملائكة فسلمت عليه وتطايرت بين يديه ، حتى انتهى إلى السماء السابعة».

وفي الإحتجاج: ٥٧/١ ، من محاجة اليهود مع النبي صلى الله عليه وآله: « قالوا: سليمان خير منك . قال: ولم ذاك؟ قالوا: لأن الله عز وجل سخر له الشياطين والإنس والجن والطير والرياح والسباع. فقال النبي صلى الله عليه وآله: فقد سخر الله لي البراق ، وهو خير من الدنيا بحذافيرها ، وهي دابة من دواب الجنة ، وجهها مثل وجه آدمي ، وحوافرها مثل حوافر الخيل ، وذنبها

مثل ذنب البقر، فوق الحمار ودون البغل، وسرجه من ياقوتة حمراء، وركابه من درة بيضاء، مزمومة بألف زمام من ذهب، عليه جناحان مكللان بالدر والياقوت والزبرجد. مكتوب بين عينيه: لا إله الله وحده لا شريك له وإن محمداًرسول الله. قالت اليهود: صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة».

ويدل دعاء رواه السيد بن طاووس في إقبال الأعمال(٥١/٢) على أن الله تعالى علم رسولهﷺبعض أسمائه الحسنى، فسخر له البراق:« وباسمك الذي سخرت به البراق لمحمد صلواتك عليه وآله»

وفي مسند زيد بن علي/٤٤٩:«قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: لما بدأ رسول اللهﷺبتعليم الأذان أتى جبريل بالبراق فاستصعب عليه: ثم أتاه بدابة يقال لها براقة فاستصعبت عليه، فقال لها جبريل أسكني براقة، فما ركبك أحد أكرم على الله منه فسكنت، فقال رسول اللهﷺفركبتها حتى انتهت إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى، فخرج ملك من وراء الحجاب، فقال الله أكبر الله أكبر، قال فقلت: يا جبريل ومن هذا الملك، قال: والذي أكرمك بالنبوءة ما رأيت هذا الملك قبل ساعتي هذه، فقال الله أكبر الله أكبر، فنودي من وراء الحجاب صدق».

وفي صحيح بخاري:٧٧/٤:«وأتيتُ بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به»

١٠- النبيﷺسيركب البراق في القيامة

«قال رسول اللهﷺ: يأتي على الناس يوم القيامة وقت ما فيه راكب إلا نحن أربعة. فقال له

العباس بن عبد المطلب عمه: فداك أبي وأمي ومن هؤلاء الأربعة؟ قال: أنا على البراق ، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه ، وعمي حمزة أسد الله وأسد رسوله على ناقتي العضباء، وأخي علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة...وبيده لواء الحمد ينادي: لاإله إلا الله محمد رسول الله».(أمالي الطوسي/٢٥٨).

«إنه لن يركب يومئذ إلا أربعة: أنا وعلي وفاطمة وصالح نبي الله ، فأما أنا فعلى البراق ، وأما فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء ، وأما صالح فعلى ناقة الله التي عقرت ، وأما علي فعلى ناقة من نوق الجنة ، زمامها من ياقوت ، عليه حلتان خضراوان». (أمالي الصدوق/٢٧٥).

وروى الحاكم:١٥٣/٣، والطوسي والصدوق في أماليهما/٢٧٥/٣٥، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «وأبعث على البراق ، خطوها عند أقصى طرفها ، وتبعث فاطمة عليها السلام أمامي».

وفي الخصال/٢٠٣:«عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة ، فقام إليه العباس بن عبد المطلب فقال: من هم يا رسول الله ؟ فقال: أما أنا فعلى البراق ووجهها كوجه الإنسان وخدها كخد الفرس ، وعرفها من لؤلؤ مسموط ، وأذناها زبرجدتان خضراوان ، وعيناها مثل كوكب الزهرة ، تتوقدان مثل النجمين المضيئين ، لها شعاع مثل شعاع الشمس ، ينحدر من نحرها الجمان ، مطوية الحلق طويلة اليدين والرجلين ، لها نفس كنفس الآدميين ، تسمع الكلام وتفهمه ، وهي فوق الحمار ودون البغل..».

وروى في تفسير القمي: ٦٠/١، عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله تعالى عندما أمر إبراهيم أن يجدد الكعبة ، ويسكن من ذريته عندها أن جبرئيل عليه السلام أتى له بالبراق فحملهم عليه الى مكة . وروي أن الإمام المهدي عليه السلام يأتيه جبرئيل بالبراق فيركبه من المدينة الى مكة: «فيأخذ بيده ويصافحه ويسلم عليه ويقول له: قم ويجيئه بفرس يقال له البراق فيركبه ثم

يأتي إلى جبل رضوى ، فيأتي محمد وعلي عليهما السلام فيكتبان له عهداً منشوراً يقرؤه على الناس ، ثم يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها. قال: فيقوم رجل منه فينادي أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله . قال: فيقوم هو بنفسه فيقول: أيها الناس أنا فلان بن فلان ، أنا ابن نبي الله ، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبي الله . فيقومون إليه ليقتلوه فيقوم ثلاثمائة وينيف على الثلاثمائة فيمنعونه ، منه خمسون من أهل الكوفة ، وسائرهم من أفناء الناس لايعرف بعضهم بعضاً اجتمعوا على غير ميعاد».(معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام:١٩٨/٣).

١١- قميص المعراج وقميص أُحُد

في الكافي:٢٣٦/١، عن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله عرض على عمه العباس قبول ديونه وعداته ، فاعتذر فقبلها علي عليه السلام ، فأعطاه مواريثه ، وجاء فيه:«يا بلال عليَّ بالمغفر والدرع والراية... والقميصين: القميص الذي أسري به فيه ، والقميص الذي جُرح فيه يوم أحد... فقال: إقبضها في حياتي».

١٢- حديث النبي صلى الله عليه وآله مع ملك الموت عليه السلام

في تفسير القمي:١٦٨/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور ، لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ، مقبلاً عليه كهيئة الحزين ، فقلت من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح . فقلت: أدنيني منه يا جبرئيل لأكلمه ، فأدناني منه فقلت له: يا ملك الموت ، أكل من مات أو هو ميت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم . قلت: وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم ، وما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنني منها إلا كالدرهم

في كف الرجل يقلبه كيف يشاء ، وما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كل يوم خمس مرات ، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم: لا تبكوا عليه ، فإن لي إليكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفى بالموت طامة يا جبرئيل! فقال جبرئيل: إنما بعد الموت أطم وأعظم من الموت». وبعضه في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٥/١.

وفي الكافي:١٣٦/٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت إرفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال: أبشر يا محمد فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع ! فوالله ما تعجلناه قبل أجله وما كان لنا في قبضه من ذنب ! فإن تحتسبوا وتصبروا تؤجروا ، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا ، واعلموا أن لنا فيكم عودة ثم عودة ، فالحذر الحذر إنه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات ، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرني ربي بها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما يتصفحهم في مواقيت الصلاة فإن كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ونحى عنه ملك الموت إبليس». وفي نوادر المعجزات/٦٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي لمَّا عرج بي إلى السماء سلم علي ملك الموت ثم قال لي: يا محمد ما فعل ابن عمك علي؟ قلت: وكيف سألتني عنه يا عزرائيل؟ قال: إن الله تعالى أمرني أن أقبض أرواح الخلائق كلهم إلا أنت وابن عمك ، فالله تعالى يقبض أرواحكما بيده». ونحوه المناقب:٧٥/٢ ، وفيه: « فإن الله يتوفاكما بمشيته» .

١٣- كَلَّمَهُ الله تعالى بصوت علي عليه السلام

ومن أحاديثه: ما رواه الحسن بن سليمان الحلي في المحتضر/١٤٦، عن ابن عباس من حديث المعراج: «سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول.. أوقفني في السماء السابعة ، وإذا بصوت خمدت الأصوات من دونه وهدأ كل شيء لجبروته وسكن كل شيء لعزته يقول: أدن مني يا أحمد ، فدنوت خطوة كان مقدارها خمسمائة عام ، فناداني ربي: أدن يا أحمد ، أنا ربك أنا الله . فدنوت فكلمني ربي من وراء حجاب بكلام كأنه من لسان علي بن أبي طالب ، فاختلج في سري أن علياً يخاطبني ، فناداني يا أحمد ! قد اطلعت على سرك ، ظننتَ أن علياً يخاطبك . يا أحمد ! أنا ربك أنا الله وأنا على كل شيء قدير ، أتحب أن أريك علياً ؟ قلت: أي وعزتك يا رب . فأمر الله تعالى أن تنخرق الحجب ، والسماوات أن تنفتح وما كان من الأرض مرتفعاً أن يخفض وما كان منخفضاً أن يرتفع ، فنظرت من عرش ربي إلى الأرض ، فرأيت سرير علي وعلي واقف يصلي وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين عن شماله يصلون بصلاته ، والملائكة تنزل عليهم أفواجاً أفواجاً ، تقف في نورهم وتسمع قرائتهم . فناداني ربي: يا أحمد ! وعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي في علو مكاني لقد اطلعت على سرك وما استكن في صدرك فلم أجد أحداً أحب إليك من علي في سرك فخاطبتك بلسانه لتطمئن إلى الكلام وتهدأ في الخطاب ، ولو خاطبتك بلسان الجبروت لما استطعت أن تسمع». ونفحات الأزهار:٢٣٨/١٤.

وقال في الصحيح من السيرة:١٥/٣:«وإذا كان الإسراء قد حصل قبل إسلامه بمدة طويلة فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا من أنه قد سمي صديقاً حينما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله في قضية الإسراء ، ولا لما يذكرونه من أن ملكاً كان يكلم رسول الله حين

المعراج بصوت أبي بكر (الدر المنثور:٤/١٥٥) ! وقد صرح الحفاظ بكذب طائفة من تلك الروايات . والصحيح هو أنه قد كلمه بصوت علي عليه السلام».

أقول: مما يؤيد صحة حديث أن الله خاطب نبيه صلى الله عليه وآله بصوت علي عليه السلام: حديثهم بأنه خاطبه بصوت أبي بكر ، ثم اعترافهم بأنه مكذوب ! ومنه تعرف حال أحاديثهم الموضوعة لمعارضة مناقب علي عليه السلام الصحيحة !

وفي الإحتجاج:١/٢٣٠ ، عن القاسم بن معاوية قال:«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما أسري برسول الله رأى على العرش مكتوباً: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله أبو بكر الصديق ! فقال: سبحان الله غيروا كل شئ حتى هذا ! قلت: نعم . قال: إن الله عز وجل لما خلق العرش كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ، ولما خلق الله عز وجل الماء كتب في مجراه: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين... فإذا قال أحدكم لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فليقل علي أمير المؤمنين».

١٤- آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون

في تفسير القمي:١/٩٥ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«هذه الآية مشافهة الله تعالى لنبيه ليلة أسريَ به إلى السماء ، قال النبي صلى الله عليه وآله: انتهيت إلى محل سدرة المنتهى وإذا بورقة منها تظل أمة من الأمم ، فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى ، كما حكى الله عز وجل ، فناداني ربي تبارك وتعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

فقلت أنا مجيباً عني وعن أمتي: وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . فقال الله: لا يُكَلِّفُ اللهُ

نَفْسًا إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . فقلت: رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَانَا . وقال الله: لا أؤاخذك ، فقلت: رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاتُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. (البقرة: ٢٨٥-٢٨٦). فقال الله تعالى: قد أعطيتك ذلك لك ولأمتك . فقال الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تعالى أحد أكرم من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث سأل لأمته هذه الخصال » .

وفي المحاسن:١٣٦/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أسرى بي فأوحى الله إلي من وراء الحجاب ما أوحى ، وشافهني من دونه بما شافهني ، فكان فيما شافهني أن قال: يا محمد ، من أذل لي ولياً فقد أرصد لي بالمحاربة ، ومن حاربني حاربته.، قال: فقلت: يا رب ومن وليك هذا ؟ فقد علمت أنه من حاربك حاربته ، فقال: ذلك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولورثتكما بالولاية» .

١٥- مكانة المؤمن عند الله تعالى

في الكافي: ٣٥٢/٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عندك ؟ قال: يا محمد من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وأنا أسرع شئ إلى نصرة أوليائي ز وما ترددت عن شئ أنا فاعله كترددي عن وفاة المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك . وما يتقرب إلي عبد من عبادي بشئ أحب إلي مما افترضت عليه ، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي

يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته».

١٦- تشريع الصلاة للمسلمين في المعراج

اتفقت المصادر على أن تشريع فريضة الصلاة اليومية كان في معراج النبي صلى الله عليه وآله، ويبدو أنه في أول عروج به ، ففي تهذيب الأحكام:٦٠/٢، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله فبلغ البيت المعمور حضرت الصلاة فأذن جبرئيل عليه السلام وأقام فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وصف الملائكة والنبيون خلف رسول الله صلى الله عليه وآله قال فقلنا له: كيف إذن؟ فقال: الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله. حي على الصلاة حي على الصلاة . حي على الفلاح حي على الفلاح ، حي على خير العمل حي على خير العمل. الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله لا إله إلا الله ، والإقامة مثلها ، إلا أن فيها قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة بين حي على خير العمل حي على خير العمل ، وبين الله أكبر الله أكبر ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله بلالاً فلم يزل يؤذن بها حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله».

ورواه في معاني الأخبار/٤٢ ، مختصراً وفيه:« فتقدم النبي صلى الله عليه وآله فأم أهل السماء ، فمن يومئذ تم شرف النبي صلى الله عليه وآله».

كما روت مصادر الطرفين أن الله تعالى فرض على النبي صلى الله عليه وآله خمسين صلاة كل يوم ثم قال له موسى عليه السلام إن أمتك لاتطيق ، فاطلب من الله تعالى أن يخفف عنها فطلب النبي صلى الله عليه وآله من ربه فجعلها خمس صلوات .

وفي الفقيه:١٩٨/١، وأمالي الصدوق/٥٤٣:«عن زيد بن علي رحمه الله قال: سألت أبي سيد العابدين عليه السلام فقلت له: يا أبه أخبرني عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله لما عرج به إلى السماء

وأمره ربه عز وجل بخمسين صلاة ، كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران عليه السلام إرجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك ؟ فقال: يا بني ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقترح على ربه عز وجل ولا يراجعه في شئ يأمره به ، فلما سأله موسى عليه السلام ذلك وصار شفيعاً لأمته إليه لم يجز له رد شفاعة أخيه موسى عليه السلام فرجع إلى ربه يسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات .

قال: فقلت له: يا أبه ، فلم لم يرجع إلى ربه عز وجل ولم يسأله التخفيف من خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف؟ فقال: يا بني ، أراد صلى الله عليه وآله أن يحصل لأمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة ، لقول الله عز وجل: **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد ، إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إنها خمس بخمسين ، **ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد** .

قال فقلت له: يا أبه ، أليس الله تعالى ذكره لا يوصف بمكان؟ فقال: بلى ، تعالى الله عن ذلك . فقلت: فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: إرجع إلى ربك؟ فقال: معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام: **إني ذاهب إلى ربي سيهدين** ، ومعنى قول موسى عليه السلام: **وعجلت إليك رب لترضى**، ومعنى قوله عز وجل: **ففروا إلى الله**، يعني حجوا إلى بيت الله .

يا بني ، إن الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد إلى الله ، والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه ، والمصلي ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله جل جلاله ، وأهل موقف عرفات هم وقوف بين يدي الله عز وجل ، وإن الله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته فمن عرج به إلى بقعه منها فقد عرج به إليه ، ألا تسمع الله عز وجل يقول: **تعرج الملائكة والروح إليه** . ويقول عز وجل في قصة

عيسى عليه السلام: بل رفعه الله إليه ، ويقول عز وجل: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه». وعلل الشرائع: ١٣٢/١، والتوحيد/١٧٦.

أقول: روى الشيعة والسنة ، أن تشريع الصلاة بصورتها الفعلية نبع من أحداث مراسم خضوع النبي صلى الله عليه وآله لربه في معراجه اليه ، وتتميز أحاديث أهل البيت عليهم السلام بأنها أكثر دقة وتفصيلاً ، ومنطقية .

كما روينا في أحاديث أهل البيت عليهم السلام نقد رواية السلطة بأن تشريع الأذان كان بسبب أن بعض الصحابة وهو عمر بن الخطاب أو أبيُّ بن كعب أو عبدالله بن زيد قد رأى الأذان في منامه ، فاقترحه على النبي صلى الله عليه وآله فأدخله في الإسلام !

ففي الكافي: ٤٨٢/٣ ، عن عمر بن أذينة أن الإمام الصادق عليه السلام قال له:« ما تروي هذه الناصبة؟ فقلت: جعلت فداك في ماذا؟ فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم ؟ فقلت: إنهم يقولون: إن أبي بن كعب رآه في النوم ! فقال: كذبوا فإن دين الله عز وجل أعز من أن يرى في النوم ! قال: فقال له سدير الصيرفي: جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل لما عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سماواته السبع ، أما أولاهن فبارك عليه ، والثانية علمه فرضه ، فأنزل الله محملاً من نور فيه أربعون نوعاً من أنواع النور ، كانت محدقة بعرش الله تغشي أبصار الناظرين . أما واحد منها فأصفر ، فمن أجل ذلك اصفرَّت الصفرة ، وواحد منها أحمر فمن أجل ذلك احمرت الحمرة ، وواحد منها أبيض ، فمن أجل ذلك ابيضَّ البياض ، والباقي على ساير عدد الخلق من النور والألوان ، في ذلك المحمل حلق وسلاسل من فضة .

ثم عرج به إلى السماء ، فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً وقالت: سبوح قدوس ما أشبه هذا النور بنور ربنا ، فقال جبرئيل عليه السلام: الله أكبر الله أكبر . ثم

فتحت أبواب السماء واجتمعت الملائكة فسلمت على النبيﷺ أفواجاً... الحديث.. وفيه تفصيل المعراج وتشريع الأذان والصلاة .

كما روينا أن التكبيرات السبع المستحبة في أول الصلاة ، جاءت من تكبير النبيﷺ عندما تخطى الحجب السبع . ثم من تعليمه التكبير لسبطه الحسينعليه السلام لما تأخر نطقه فكبَّر أمامه ليكبر حتى وصل الى التكبيرة السابعة فكبر الحسينعليه السلام وانفتح لسانه . راجع: الكافي: ٤٨٧/٣ ، وعلل الشرائع: ٣٣٢/٢ ، والمختلف للعلامة الحلي: ١٨٦/٢.

١٧- وقع المعراج في أوائل البعثة لكن عائشة أخرت وقته !

في مناقب آل أبي طالب:١٥٠/١:«وأسرى به بعد النبوة بسنتين» . وفي/١٥٣ ، عن ابن عباس أن المعراج كان مرتين: مرة من المسجد الحرام ، ومرة من بيت أم هاني:«ليلة الإثنين في شهر ربيع الأول بعد النبوة بسنتين ، فالأول معراج العجائب والثاني معراج الكرامة» . وفي تاج المواليد٦٧:«وعرج به إلى السماء بعد البعثة بسنتين».

ورواه ابن عبد البر في التمهيد:٤٨/٨ ، وأبو حيان في تفسيره:٦/٦ ، وقال القاري في شرح الشفا:٢٢٢/١:« وذكر النووي أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الإسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهراً» .

لكن يأخذك العجب من أحاديثهم المتناقضة في وقت المعراج ! فتجد فيها:

١- رواية بخاري ومسلم وغيرهما أن الإسراء والمعراج قبل البعثة ، اعتماداً على رواية أنس بن مالك الذي ربط المعراج برواية شق الصدر !

وقد بحث آية الله الميلاني في نفحات الأزهار:١٨٢/٦، حديثهم هذا كنموذج من عشرة أحاديث بخاري ومسلم ، قال:«وإن في كتابي البخاري ومسلم ، أحاديث كثيرة تكلم فيها أئمة الحديث و كبار الحفاظ الثقات... ونحن ننقل هنا نصوص طائفة من تلك الأحاديث

بأسانيدها ، وكلمات أعلام الحديث المحققين حولها ، على سبيل التمثيل لا الحصر لنقف على حقيقة ما اشتهر بينهم من تلقي أهل السنة أحاديث الكتابين بالقبول ، وما قيل من تقديم مروياتهما على مرويات غيرهما ، ونرى أن ذلك في الحقيقة ليس إلا تحكماً صرفاً وبهتاً واضحاً ودعوى فارغة...».

الى أن قال في/٢٠٥:«الحديث العاشر.. في قصة الإسراء أخرجه البخاري ومسلم ، قال البخاري... سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله(ص) من مسجد الكعبة: أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم ، فقال آخرهم: خذوا خيرهم... فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة ، فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه . ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟!.. وأخرجه مسلم حيث قال... سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة ، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه...

وقد طعن في هذا الحديث جماعة من أئمة التحقيق من أهل السنة ، فقد قال الحافظ أبو زكريا النووي في شرح حديث مسلم: قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه . وهو غلط لم يوافَق عليه ، فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه (ص) بخمسة عشر شهراً» .

وقال في فتح الباري:١٥٤/٧:«اختلف في وقت المعراج فقيل كان قبل المبعث وهو شاذ... وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث ، ثم اختلفوا فقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن سعد

وغيره وبه جزم النووي . وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه وهو مردود فإن في ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال».الى آخر كلامه الطويل!

٢- أعطوا أبا بكر لقب«الصديق» وجعلوا سبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما عرج به أخبر المشركين فكذبوه ، وأخبر المسلمين فكذبه قسم منهم وارتدوا ! وصدقه أبو بكر فسمي«الصديق» !«فحدثهم ، فمن بين مُصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً ، وارتد ناس ممن كان آمن به ، وسعى رجال إلى أبي بكر فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق. قال: أتصدقه على ذلك؟ قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق».
تخريج الأحاديث والآثار:٢٥٦/٢، وتاريخ الخلفاء/٢٩ ، عن الحاكم عن عائشة وجوده ، والرياض النضرة:٤٠٤/١، وكشاف الزمخشري:٤٣٧/٢ ، والإستيعاب:٩٦٦/٣ ، وتفسير البغوي:٩٦/٣، والبيضاوي:٤٣٠/٣ ، وأبي حيان:٦/٦، وأبي السعود: ١٥٥/٥ ، وغيرها . وليصح لهم ذلك جعلوا إسلام أبي بكر قبل المعراج ! وأخروا وقت المعراج ليكون بعد إسلام أبي بكر !

ثم عندما رووا حديثاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال في حق علي عليه السلام:« مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحدي لا شريك لي ، و محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي ، وذلك قوله عز وجل: هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين». (الغدير: ٥٠/٢ ، والمراجعات للسيد شرف الدين/٢٤٩ وذكر عدداً من مصادره). وضعوا مقابله حديث:« ما مررت بسماء إلا وجدت إسمي فيها مكتوباً محمد رسول الله أبو بكر الصديق...وعن أبي هريرة قال رسول الله (ص): ليلة أسرى به إن قومي لا يصدقوني ، فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق» . (مجمع الزوائد: ٤١/٩).

لكن بعض علمائهم اعترف بأنها من موضوعات عبد الله بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الهلالي البصري ! (راجع نقد ذلك في الغدير: ٣٠٣/٥ ، والصحيح من السيرة: ٤٤/٤).

٣- صدقوا قول عائشة بأن خديجة عليها السلام ماتت قبل أن تفرض الصلاة في الإسراء والمعراج ، فجعلوا المعراج بعد وفاة خديجة عليها السلام! قال في فتح الباري:١٥٤/٧:«تقدم أن عائشة جزمت بأن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة».

وأصل الحديث: بيت في الجنة لاصخب فيه ولا نصب . ولا ذكر فيه للقصب ! كما في فضائل الصحابة/٧٥ للنسائي:« بشر رسول الله (ص) خديجة ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب».وسنن النسائي:٩٤/٥، والجامع الصغير:٢٤٧/٢، وتاريخ الذهبي:٢٣٨/١ .

فجعلته عائشة بيتاً من قصب ، وبررته بأن خديجة ماتت قبل فرض الصلاة !

ثم جاء شراحهم وفسروا القصب بقصب الذهب ، لكن المتبادر من القصب في اللغة القصب المعروف الذي تبنى منه بيوت الفقراء !

والنتيجة: أن رواياتهم في تاريخ المعراج لايمكن قبولها ! لأن لعائشة غرضاً في تأخيره لأجل لقب الصديق لأبيها ، وليكون بيتها في الجنة أفضل من بيت خديجة عليها السلام!

١٨- هل المسجد الأقصى بيت المقدس أو البيت المعمور ؟

يوجد رأي نادر للباحث السيد جعفر مرتضى في رسالة عن البيت المعمور ، ذكره في الصحيح من السيرة:١٤٧/٣، ومفاده أن المقصود بالمسجد الأقصى في الآية هو البيت المعمور ، وليس مسجد بيت المقدس ، وأن المسجد الذي يدخله المؤمنون مرتين هو المسجد الحرام ، قال:« الظاهر أن المراد به هو المسجد الحرام ، أما المسجد الأقصى الذي حصل الإسراء إليه والذي بارك الله حوله فهو في السماء».

واستدل على ذلك برواية أن النبي صلى بالأنبياء عليهم السلام في المسجد الأقصى وهو البيت المعمور: «انتهى جبرئيل إلى البيت المعمور وهو المسجد الأقصى، فلما دنا منه أتى جبرئيل عيناً فتوضأ منها ثم قال يا محمد توضأ». (اليقين للسيد ابن طاووس/٢٩٤).

وفي نوادر المعجزات/٦٦، وتفسير القمي:٢/٢٤٣: « عن إسماعيل الجعفي قال: كنت في المسجد الحرام قاعداً وأبو جعفر عليه السلام في ناحية، فرفع رأسه فنظر إلى السماء مرة وإلى الكعبة مرة، ثم قال: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.. وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم التفت إليَّ فقال: أي شئ يقولون أهل العراق في هذه الآية يا عراقي؟ قلت: يقولون أسري به من المسجد الحرام إلى البيت المقدس، فقال: لا، ليس كما يقولون، ولكنه أسرى به من هذه وأشار بيده الى الأرض، إلى هذه وأشار بيده إلى السماء، وقال: ما بينهما حرم. قال: فلما انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلف عنه جبرئيل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل في هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك..».

أقول: يوجد مقابل ما ذكره روايات تدل على أن المسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس، منها ما رواه في الكافي(٣/٤٩١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

« جاء رجل إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو في مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فرد عليه، فقال: جعلت فداك إني أردت المسجد الأقصى، فأردت أن أسلم عليك وأودعك، فقال له: وأي شئ أردت بذلك؟ فقال: الفضل جعلت فداك، قال: فبع راحلتك وكل زادك وصل في هذا المسجد، فإن الصلاة المكتوبة فيه حجة مبرورة، والنافلة عمرة مبرورة، والبركة فيه على اثني عشر ميلاً، يمينه يمن ويساره مكر، وفي وسطه عين من دهن، وعين من لبن، وعين من ماء

شراب للمؤمنين ، وعين من ماء طهر للمؤمنين . منه سارت سفينة نوح ، وكان فيه نسر ويغوث ويعوق ، وصلى فيه سبعون نبياً وسبعون وصياً أنا أحدهم . وقال بيده في صدره ما دعا فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج إلا أجابه الله وفرج عنه كربته».

ولو صحت الروايات التي تسمي البيت المعمور في السماء بالمسجد الأقصى أو ببيت المقدس ، فدلالتها على التعدد أقرب من دلالتها على البدلية .

١٩- *أحاديث من المعراج في مقام النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام*

من العناصر البارزة في أحاديث المعراج في مصادرنا والى حدٍّ في مصادر أتباع السلطة: المكانة الخاصة لعترة النبي صلى الله عليه وآله عند الله تعالى .

ويكفينا من مصادرهم الحديث الذي نص على أن إسم النبي صلى الله عليه وآله عند الله تعالى مقرونٌ بإسم علي والأئمة من عترته عليهم السلام ، تفسيراً لقوله تعالى: **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** . (الأنفال:٦٢). قال القاضي عياض في الشفاء:١٧٤/١:« وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله (ص): لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أيدته بعلي» !

ورواه الحسكاني بطرق متعددة في شواهد التنزيل:٢٩٨/١، وفي:٢٩٣/١و٢٩٤، عن أنس ، و/٢٩٥، عن جابر ، و/٢٩٧ ، عن أبي الحمراء. والدر المنثور: ١٩٩/٣ عن ابن عساكر عن أبي هريرة ، وفي: ١٥٣/٤، عن أنس ، والخطيب في تاريخه: ١٧٣/١١، عن أبي الحمراء ، وكذا ابن عساكر: ٤٥٦/١٦ ، وفي: ٣٣٦/٤٢ ، عن جابر بن عبد الله ، وفي/٣٦٠ ، عن أبي هريرة ، و: ٣٤٤/٤٧، عن أنس..الخ.

وروته مصادرنا ، كالصدوق في أماليه/٢٨٤، عن أبي هريرة ، وأبي الحمراء. والخزاز القمي في كفاية الأثر/٧٤، كاملاً ، قال:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء

رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته. ورأيت اثني عشر إسماً مكتوباً بالنور فيهم علي بن أبي طالب وسبطيَّ وبعدهما تسعة أسماء: علياً علياً ثلاث مرات ، ومحمد ومحمد مرتين ، وجعفر وموسى والحسن. والحجة يتلألأ من بينهم ، فقلت: يا رب أسامي من هؤلاء؟ فناداني ربي جل جلاله: هم الأوصياء من ذريتك، بهم أثيب وأعاقب». ونحوه في/١٠٥، عن أبي أمامة .

وروى في كفاية الأثر/١١٦ ، في أحداث حرب الجمل:« نزل أبو أيوب في بعض دور الهاشمين فجمعنا إليه ثلاثين نفساً من شيوخ أهل البصرة ، فدخلنا إليه وسلمنا عليه وقلنا: إنك قاتلت مع رسول الله ﷺ ببدر وأحد المشركين ، والآن جئت تقاتل المسلمين. فقال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين قلنا: آلله إنك سمعت من رسول الله في علي؟ قال: سمعته يقول: علي مع الحق والحق معه ، وهو الإمام والخليفة بعدي ، يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، وابناه الحسن والحسين سبطاي من هذه الأمة ، إمامان إن قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما ، والأئمة بعد الحسين تسعة من صلبه ، ومنهم القائم الذي يقوم في آخر الزمان كما قمت في أوله ويفتح حصون الضلالة. قلنا: فهذه التسعة من هم؟ قال: هم الأئمة بعد الحسين خلف بعد خلف . قلنا: فكم عهد إليك رسول الله ﷺ أن يكون بعده من الأئمة؟ قال: اثنا عشر. قلنا: فهل سماهم لك؟ قال: نعم إنه قال ﷺ: لما عُرج بي إلى السماء نظرت إلى ساق العرش فإذا هو مكتوب بالنور: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أيدته بعلي ونصرته بعلي. ورأيت أحد عشر إسماً مكتوباً بالنور على ساق العرش بعد علي ، منهم الحسن والحسين وعلياً علياً علياً ومحمداً ومحمداً ، وجعفراً وموسى والحسن ، والحجة. قلت: إلهي من هؤلاء الذين أكرمتهم وقرنت أسماءهم باسمك ؟

فنوديت: يا محمد هم الأوصياء بعدك والأئمة ، فطوبى لمحبيهم والويل لمبغضيهم ! قلنا: فما لبني هاشم ؟ قال: سمعته يقول لهم: أنتم المستضعفون من بعدي. قلنا: فمن القاسطين والناكثين والمارقين؟ قال: الناكثين الذين قاتلناهم ، وسوف نقاتل القاسطين والمارقين ، فإني والله لا أعرفهم غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: في الطرقات بالنهروانات» !

وروى نحوه/١٣٦، عن حذيفة بن اليمان وفي آخره:« يا محمد إنهم هم الأوصياء والأئمة بعدك ، خلقتهم من طينتك ، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم ، فبهم أنزل الغيث وبهم أثيب وأعاقب. قال حذيفة: ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعته فيما يقول:اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي ، وفي زرعي وزرع زرعي». ورواه في/٢٢٤، ومختصراً/١٨٥، وشبيهه/٢١٦. ورواه غيره.

وطبيعي أن لا يقبل علماء السلطة أمثال هذه الأحاديث ، لأنهاتحكم على السقيفة بأنها مؤامرة ضد النبي صلى الله عليه وآله وعترته !

ونلاحظ ضعف تضعيفهم لهذه الأحاديث مما كتبه اثنان من أكبر علمائهم المتخصصين في الجرح والتعديل ! فقد كتب الذهبي(ميزان الإعتدال:٥٣٠/١):« الحسين بن إبراهيم البابي.. وله حديث آخر واه: ابن عدي ، عن عيسى بن محمد ، عنه ، عن حميد ، عن أنس ، قال: قال رسول الله (ص): لما عرج بي رأيت على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أيدته بعلي ونصرته بعلي. وهذا اختلاق ».

وروى الذهبي نحوه في:٧٦/٢ ، عن أشعث ابن عم الحسن بن صالح..« قال أبو نعيم الحافظ: أخبرنا أبو علي بن الصواف... حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة فساقه

بنحوه... ساقه الخطيب عن أبي نعيم في ترجمة الحسن هذا. وقد روى الكسائي عن ابن فضيل وجماعة. وقال النسائي والدارقطني: متروك ». انتهى.

وقال ابن حجر في لسان الميزان:٢/٢٦٨: « عن أنس قال قال رسول الله (ص): لما عُرج بي رأيت على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أيدته بعلي ونصرته بعلي. وهذا اختلاق بيِّن.. ورواه ابن عساكر في ترجمة الحسن بن أحمد ابن هشام السلمي بسنده إليه عن أبي جعفر محمد بن عبد الله البغدادي ، حدثني محمد بن الحسن بباب الأبواب ثنا حميد الطويل فذكر مثله ، وهو موضوع لا ريب فيه ، لكني لا أدري من وضعه! وقال ابن عدي لما أخرجه: هذا حديث باطل والحسين مجهول . وقد ذكره عياض من وجه آخر رواه عن أبي الحمراء».انتهى.

أقول: رأيت أنهما ضعفا طريقاً أو طريقين للحديث ، وغيَّبا الطرق العديدة الأخرى له ، وهي لاتخفى على المتخصص أمثالهما !

على أن تضعيفهما لأشعث ابن عم صالح بن حي لاوجه له عندهما لأنه صحابي ، وابن عمه الحسن بن حي إمام عندهما ، وقد شهد الطبراني وأبو نعيم بأنه كان يفضل على ابن عمه الحسن بن صالح ! (المعجم الأوسط:٥/٣٤٣، وحلية الأولياء:٧/٢٥٦).

ثم لم يكتفوا برد الحديث بالإستنكار والحيلة ، حتى وضعوا أحاديث تزعم أن النبيﷺرأى في معراجه أسماء أبي بكر وعمر وعثمان مقرونة بإسمه الشريف !

قال في ميزان الإعتدال:٣/١١٧:«وروى علي بن جميل عن جرير... عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين . تابعه شيخ مجهول يقال له معروف بن أبي معروف البلخي ، عن جرير».

ونقل ابن حجر في لسان الميزان:٢٠٩/٤ ، عن ابن عدي وغيره أن هذا الحديث موضوع أو مسروق ! قال:« حدث بالبواطيل عن ثقات الناس ويسرق الحديث. وقال الحاكم وأبو سعيد النقاش: روى عن عيسى بن يونس وجرير بن عبد الحميد بأحاديث موضوعة. وقال أبو نعيم: روى عن جرير وغيره المناكير ». انتهى.

وهذا من تغطيتهم لبطلان تكذيبهم لحديث (أيدته بعلي..) فهم يأتون بحديث موضوع في مدح خلفائهم الثلاثة ويردونه ، ليردوا معه الأحاديث في حق علي عليه السلام أو يجعلوه مساوياً لحديثهم المكذوب ! راجع: نفحات الأزهار:٢٣٤/٥، و٢٤٠ ، والشهادة بالولاية في الأذان/٢٩، وتراثنا: ١٩/٥٩، والصحيح من السيرة:١٥/٣، والمراجعات/٢٤٩.

٢٠- من أحاديث مصادرنا في مقام النبي وآله صلى الله عليه وآله

في الكافي:٤٦/٢:« قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصةً وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً ، فأما عرصته فالقرآن ، وأما نوره فالحكمة ، وأما حصنه فالمعروف ، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا ، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم ، فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة ، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة ، ثم هبط بي إلى أهل الأرض ، فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمتي ، فمؤمنوا أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة . ألا فلو أن الرجل من أمتي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضا لأهل بيتي وشيعتي، ما فرج الله صدره إلا عن النفاق».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/٢٣٧، عن آبائه عليهم السلام:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني ! قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك ، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا ! يا علي ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا .

يا علي ، لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا حواء ، ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض ! فكيف لا نكون أفضل من الملائكة ، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ، لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده ، ثم خلق الملائكة ، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا ، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا ، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا ! فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنا عبيد ولسنا بآلهه يجب أن نعبد معه أو دونه ! فقالوا: لا إله إلا الله . فلما شاهدوا كبر محلنا كبَّرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به ! فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزة والقوة ، فقلنا: لا حول ولا قوه إلا بالله ، لتعلم الملائكة أنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله. فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة ، قلنا: الحمد لله ، لتعلم الملائكة ما يستحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه ، فقالت الملائكة: الحمد لله. فبنا اهتدوا إلى معرفه توحيد الله عز وجل وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده .

ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه ، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً ، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة ، وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون .

وإنه لما عُرج بي السماء أذَّنَ جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ، ثم قال لي: تقدم يا محمد ، فقلت لجبرئيل: أتقدم عليك ؟ قال: نعم ، لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه وملائكته أجمعين وفضلك خاصه .

قال: فتقدمت فصليت بهم ولا فخر ، فلما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدم يا محمد ، وتخلفَ عني ، فقلت له: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمد انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان ، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعديٍّ حدود ربي جل جلاله ، فزخَّ بي النور زخة حتى انتهيت إلى ما شاء الله عز وجل من علو مكانه ، فنوديت فقلت: لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت . فنوديت: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك ، فإياي فأعبد وعليَّ فتوكل فإنك نوري في عبادي ، ورسولي إلى خلقي ، وحجتي على بريتي . لك ولمن تبعك خلقت جنتي ، ولمن خالفك خلقت ناري ، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ، ولشيعتهم أوجبت ثوابي .

فقلت: يا رب ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي . فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه إسم وصيٍ من أوصيائي ، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدى أمتي ، فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء

أوصيائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي ، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك .

وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ، ولأعلين بهم كلمتي ، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي ، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها ، ولأسخرن له الرياح ، ولأذللن له السحاب الصعاب ، ولأرقينه في الأسباب ، ولأنصرنه بجندي ، ولأمدنه بملائكتي ، حتى يعلن دعوتي ، ويجمع الخلق على توحيدي ، ثم لأديمن ملكه ، ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة». وكمال الدين/٢٥٥.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام:٦٠/٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام:«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء أوحى إلى ربي جل جلاله فقال: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطِّلاعةً فاخترتك منها فجعلتك نبياً ، وشققت لك من إسمي إسماً ، فأنا المحمود وأنت محمد. ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك ، وشققت له إسماً من أسمائي ، فأنا العلي الأعلى وهو علي . وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما ، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة ، فمن قبلها كان عندي المقربين .

يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنتي ولا أظللته تحت عرشي !

يا محمد أتحب أن تراهم ؟ قلت: نعم يا ربي ، فقال عز وجل: إرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ، والحجة بن الحسن قائم في وسطهم كأنه كوكب دري ! قلت: رب

من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الأئمة ، وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرم حرامي ، وبه أنتقم من أعدائي ، وهو راحة لأوليائي ، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين ، فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما ، فلفتنةُ الناس بهما يومئذ أشد من فتنه العجل والسامري». وكمال الدين/٢٥٢. وبعضه غيبة الطوسي/١٤٧، والعلل:١/٥.

وفي كتاب التوحيد للصدوق/١١٧:« عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث إن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة ؟

فقال عليه السلام: يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيين والملائكة ، وجعل طاعته طاعته ومتابعته متابعته ، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته ، فقال عز وجل: من يطع الرسول فقد أطاع الله . وقال: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم . وقال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله . إن درجة النبي صلى الله عليه وآله في الجنة أرفع الدرجات ، فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى .

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله ؟

فقال عليه السلام: يا أبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ، ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم ، هم الذين بهم يتوجه إلى الله وإلى دينه ومعرفته ، وقال الله عز وجل: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك . وقال عز وجل: كل شئ هالك إلا وجهه . فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة . وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم

أره يوم القيامة. وقال عليه السلام: إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني . يا أبا الصلت إن الله تبارك و تعالى لا يوصف بمكان ، ولا تدركه الأبصار والأوهام .

فقال قلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان ؟ فقال: نعم وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنة ، ورأى النار لما عرج به إلى السماء ، قال فقلت له: إن قوماً يقولون إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين؟

فقال عليه السلام: ما أولئك منا ولا نحن منهم . من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي صلى الله عليه وآله وكذبنا ، ولا من ولايتنا على شئ ، ويخلد في نار جهنم ، قال الله عز وجل: هذه جهنم التي يكذب بها ، المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن .

وقال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته ، فتحول ذلك نطفة في صلبي ، فلما أهبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام، ففاطمة حوراء إنسية ، وكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة». والعيون:٢/ ١٠٦ ، وأمالي الصدوق/٥٤٥.

وروى في المحاسن:١٨٠/١ ، وفضائل الشيعة/٣٥ ، مشاهدة النبي صلى الله عليه وآله للجنة ، وتفسير قوله تعالى: ما أخفي لهم من قرة أعين .

وروى في المحتضر/٧٨ ، قول الملائكة للنبي صلى الله عليه وآله:«أنتم أول خلق خلقه الله... فلما خلقنا كنا نمر بأرواحكم فنسبح بتسبيحكم ، ونحمد بتحميدكم ، ونهلل بتهليلكم ونكبر بتكبيركم ، ونقدس بتقديسكم ، ونمجد بتمجيدكم».

وفي أمالي الصدوق/٧٣١:« ناداني ربي جل جلاله: يا محمد ، أنت عبدي وأنا ربك ، فلي فاخضع ، وإياي فاعبد ، وعليَّ فتوكل ، وبي فثق ، فإني قد رضيت بك عبداً وحبيباً ورسولاً ونبياً ، وبأخيك علي خليفة... وبك وبه وبالأئمة من ولده أرحم عبادي وإمائي ،

وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي ، وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي ، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا ، وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي ، وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي ، وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي ، وأمده بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني ، ذلك وليي حقاً ، ومهدي عبادي صدقاً».

وفي نوادر المعجزات/٧٤ ، وأمالي الطوسي/٣٤٣ و٣٥٤، عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء ، وصرت إلى سدرة المنتهى ، أوحى الله إلي: يا محمد ، قد بلوت خلقي ، فمن وجدت أطوعهم ؟ قلت: يا رب علياً. قال: صدقت يا محمد. ثم قال: هل اخترت لأمتك خليفة من بعدك ، يعلمهم ما جهلوا من كتابي ويؤدي عني ؟ قلت: اللهم اختر لي فإن اختيارك خير من اختياري. قال: قد اخترت لك علياً فاتخذه لنفسك خليفة ووصياً ، فإني قد نحلته علمي وحلمي ، وهو أمير المؤمنين حقاً ، لم ينلها أحد قبله وليست لأحد بعده ».

وفي أمالي الصدوق/٣٧٥ ، أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله: « إن علياً إمام أوليائي ، ونور لمن أطاعني...فلما أخبر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ، خرَّ ساجداً شكراً لله تعالى ».

وفي أمالي الصدوق/٤٣٣ ، و٥٦٣ ، والطرائف/٤١٣: «نادى مناد من وراء الحجاب: نعم الأب أبوك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك عليٌّ ، فاستوص به».

وفيه/٥٦٦ و٧١١، والخصال/١١٥: « كلمني ربي جل جلاله فقال: يا محمد . فقلت: لبيك ربي. فقال: إن علياً حجتي بعدك على خلقي ، وإمام أهل طاعتي».

وفي أمالي المفيد/١٧٣: «نوديت: يا محمد ، إستوص بعلي خيراً ، فإنه سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة».

وفي أمالي الطوسي/٢٩٥، أن الله أوحى اليه في علي عليه السلام:« إقرأ علي بن أبي طالب أمير المؤمنين السلام، فما سميت بهذا أحداً قبله ولا أسمي بهذا أحداً بعده».

وفي الخرائج: ٨١١/٢ ، أن الله خلق ملائكة بصورة النبي صلى الله عليه وآله وعلي والأئمة عليهم السلام.

وروى الخزاز في كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام/٧٢ ، وما بعدها عدة أحاديث عن الصحابة ، في تسمية النبي صلى الله عليه وآله للأئمة من عترته ، وأنه رأى أنوارهم ومثالهم في معراجه.. منها قوله صلى الله عليه وآله:«لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودعني جبرئيل عليه السلام، فقلت:حبيبي جبرئيل أفي هذاالمقام تفارقني؟ فقال: يا محمد إني لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتي .

ثم زج بي في النور ما شاء الله ، فأوحى الله إلي: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبياً ثم اطلعت ثانيةً فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك ، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي ، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار. يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب. فنوديت: يا محمد إرفع رأسك ، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري .

فقلت: يا رب من هؤلاء ومن هذا ؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك ، وهو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين. قلنا: بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً. فقال عليه السلام: وأعجب من هذا أن قوماً

يسمعون مني هذا ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله ، ويؤذوني فيهم ، لا أنالهم الله شفاعتي».

ومنها/٧٤، و٢٤٤ ، قوله صلى الله عليه وآله:« لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أيدته بعلي ونصرته. ورأيت اثني عشر إسماً مكتوباً بالنور ، فيهم علي بن أبي طالب وسبطي ، وبعدهما تسعة أسماء علياً علياً علياً ثلاث مرات ، ومحمد محمد مرتين ، وجعفر وموسى والحسن ، والحجة يتلألأ من بينهم ، فقلت: يا رب أسامي من هؤلاء ؟ فناداني ربي جل جلاله: هم الأوصياء من ذريتك ، بهم أثيب وأعاقب ».

ومنها/١٠٥ ، عن أبي أمامة وفيه:«فنوديت: يا محمد هم الأئمة بعدك والأخيار من ذريتك. وفي/١١٠ ، عن واثلة ، وفيه:« أتحب أن تراهم يا محمد؟ قلت: نعم يا رب. قال: إرفع رأسك ، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدي اثنا عشر نوراً ، قلت: يا رب أنوار من هي ؟ قال: أنوار الأئمة بعدك أمناء معصومون ».

وروى في/١٣٧ ، تفسير قوله تعالى: وجعلها كلمة باقية في عقبه ، وفيه:« فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم ، فبهم أنزل الغيث وبهم أثيب وأعاقب . ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعته فيما يقول: اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي ، وعقب عقبي ، وفي زرعي ، وزرع زرعي» .

وفي/١٨٥ ، عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله:«لما أسري بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي ، ورأيت أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وأنوار علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ،

ورأيت نور الحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري ، فقلت: يا رب من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت يا محمد هذا نور علي وفاطمة وهذا نور سبطيك الحسن والحسين ، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون ، وهذا الحجة يملأ الدنيا قسطا وعدلاً». ونحوه/٢١٧ ، و٢٤٦ .

وفي شرح الأخبار: ٤١٥/٢ ، أن الله تعالى أمر رسوله أن يبلغ السلام الى علي عليه السلام.

وقال الكراجكي في كنز الفوائد/٢٥٩:« وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في السماء لما عرج به ملكاً على صورة أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا خبر قد اتفق أصحاب الحديث على نقله ، حدثني به من طريق العامة الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان القمي ، ونقلته من كتابه المعروف بإيضاح دقائق النواصب ، وقرائته عليه بمكة في المسجد الحرام ، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال..» .

وفي شرح الأخبار: ٤٦٨/٣ ، عن عمار ، وفيه:« إني اصطفيتك لنفسي وانتجبتك لرسالتي ، وأنت نبيي ورسولي وخير خلقي ، ثم الصديق الأكبر علي وصيك ، خلقته من طينتك وجعلته وزيرك ، وابناك الحسن والحسين...».

٢١- أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أنه سيمتحنه في ثلاث

في كامل الزيارات/٥٤٧ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء قيل له إن الله تبارك وتعالى يختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك ، قال: أسلِّمُ لأمرك يا رب ولا قوة لي على الصبر إلا بك ، فما هن ، قيل له: أولاهن الجوع والأثرة على نفسك وعلى أهلك لأهل الحاجة ، قال: قبلت يا رب ورضيت وسلمت ومنك التوفيق والصبر .

وأما الثانية ، فالتكذيب والخوف الشديد ، وبذلك مهجتك في محاربة أهل الكفر بمالك ونفسك ، والصبر على ما يصيبك منهم ومن أهل النفاق من الأذى والألم في الحرب والجراح ، قال: قبلت يا رب ورضيت وسلمت ومنك التوفيق والصبر .

وأما الثالثة ، فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل ، أما أخوك علي فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجحد والظلم ، وآخر ذلك القتل ، فقال: يا رب قبلت ورضيت ومنك التوفيق والصبر. وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها وتضرب وهي حامل ، ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن ، ثم يمسها هوان وذل ثم لا تجد مانعاً ، وتطرح ما في بطنها من الضرب ، وتموت من ذلك الضرب ! قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، قبلت يا رب وسلمت ومنك التوفيق للصبر. ويكون لها من أخيك ابنان ، يقتل أحدهما غدراً ويسلب ويطعن تفعل به ذلك أمتك ، قلت: يا رب قبلت وسلمت ، إنا لله وإنا إليه راجعون ومنك التوفيق للصبر. وأما ابنها الآخر فتدعوه أمتك للجهاد ثم يقتلونه صبراً ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته ثم يسلبون حرمه ، فيستعين بي وقد مضى القضاء مني فيه بالشهادة له ولمن معه ، ويكون قتله حجة على من بين قطريها ، فيبكيه أهل السماوات وأهل الأرضين جزعاً عليه ، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرته ، ثم أخرج من صلبه ذكراً به أنصرك ، وإن شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل ويطبقها بالقسط ، يسير معه الرعب ، يقتل حتى يُشك فيه. قلت: إنا لله. فقيل: إرفع رأسك ، فنظرت إلى رجل أحسن الناس صورة وأطيبهم ريحاً ، والنور يسطع من بين عينيه ومن فوقه ومن تحته ، فدعوته فأقبل إلي وعليه ثياب النور وسيماء كل خير حتى قبَّل بين عينيَّ ، ونظرت إلى الملائكة قد حفوا به لايحصيهم إلا الله عز وجل. فقلت: يا رب لمن يغضب هذا ولمن أعددت هؤلاء وقد وعدتني النصر فيهم فأنا أنتظره منك ، وهؤلاء أهلي وأهل بيتي وقد أخبرتني مما يلقون من بعدي ، ولئن شئت لأعطيتني النصر فيهم على من بغى عليهم ، وقد سلمت وقبلت ورضيت ، ومنك التوفيق والرضا ، والعون على الصبر. فقيل لي: أما أخوك فجزاؤه عندي جنة المأوي

نزلاً ، بصبره ، أفلج حجته على الخلائق يوم البعث ، وأوليه حوضك يسقي منه أولياءكم ويمنع منه أعداءكم ، واجعل عليه جهنم برداً وسلاماً ، يدخلها ويخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من المودة ، وأجعل منزلتكم في درجة واحدة في الجنة . وأما ابنك المخذول المقتول ، وابنك المغدور المقتول صبراً ، فإنهما مما أزين بهما عرشي ، ولهما من الكرامة سوى ذلك مما لا يخطر على قلب بشر ، لما أصابهما من البلاء ، فعليَّ فتوكل ، ولكل من أتى قبره في الخلق من الكرامة ، لأن زواره زوارك وزوارك زواري وعليَّ كرامة زواري ، وأنا أعطيه ما سأل ، وأجزيه جزاء يغبطه من نظر إلى عظمتي إياه ، وما أعددت له من كرامتي .

وأما ابنتك فإني أوقفها عند عرشي فيقال لها: إن الله قد حكمك في خلقه فمن ظلمك وظلم ولدك فاحكمي فيه بما أحببت ، فإني أجيز حكومتك فيهم...».

ملحق رقم (٣)

آية مبيت علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله

١- أنزل الله في علي عليه السلام: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ. ففي تفسير العياشي:١٠١/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « أما قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ، فإنها أنزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله». وأمالي الطوسي/٤٤٦ و٤٦٩، عن علي بن الحسين عليه السلام، وشواهد التنزيل:١٢٣/١، و١٢٩، و١٣٠، عن أبي سعيد الخدري. والإرشاد:٥٣/١ ، والمسترشد/٣٦٠ ، والصراط المستقيم:١٧٣/١ ، ومناقب الخوارزمي/١٢٧، ومنهاج الكرامة/١٢٢ ، والخصال:٣٦٤/٢ ، وأمالي الطوسي/٤٤٦ ، والتعجب للكراجكي/١٢٢ ، وشرح الأخبار: ٣٤٥/٢.

٢- ضاقت السلطة ذرعاً بنزول الآية في فضل علي عليه السلام، فقال رواتها نزلت في صهيب الرومي ، لأن المشركين قبضوا عليه ومنعوه من الهجرة فبذل لهم ماله فنزلت فيه الآية !

وتقدم أن صهيباً من قبيلة نمر بن قاسط ، وعرف بالرومي لأن الروم أسروه وباعوه عبداً وكان محباً لعمر . (راجع: أسباب النزول للواحدي/٣٩، ومجمع الزوائد: ٣١٨/٦، والإستيعاب: ٧٢٨/٢) .

ثم قالوا إنها لاتخص علياً ، بل تعم المهاجرين والأنصار! (تفسير عبد الرزاق: ٨١/١).

ثم قالوا: اختلف أهل التأويل فيمن نزلت ، فقال بعضهم في المهاجرين والأنصار ، وقال بعضهم في من باع نفسه في الجهاد واستقتل ، وقال بعضهم في رجال من المهاجرين بأعيانهم منهم علي ، ثم رجح الطبري أنها نزلت فيمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، كما قال عمر . (تفسير الطبري:٤٣٧/٢).

وذكر الفخر الرازي: ٢٣٣/٥، في سبب نزولها أقوالاً ، أحدها في صهيب ، وعمار وبلال وغيرهم ، والثاني: في من أمر معروف ونهى عن منكر. والثالث:« نزلت في علي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله ليلة خروجه إلى الغار ، ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ، وجبريل ينادي: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة . ونزلت الآية».

أما الحاكم (٤/٣) فصحح مضمونها ، ولم يذكر الآية ! قال:«عن ابن عباس قال: شرى عليٌّ نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله فجعلوا يرمون علياً ويرونه النبي صلى الله عليه وآله وقد لبس بردة ، وجعل علي يتضوَّر (يظهر الضجر من الحصى الذي يصيبه) فإذا هو علي ، فقالوا إنك للئيم ، إنك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور ولقد استنكرناه منك... ثم روى عن علي بن الحسين عليه السلام قال:« إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب وقال علي عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله.. وذكر أبيات علي عليه السلام».

ونسج على منوال الحاكم بعض علمائهم كالصالحي في سبل الهدى:٢٣٣/٣.

وأنصف بعضهم كالمقريزي ، فقال في الإمتاع:٥٧/١:«فلما كان العتمة اجتمعوا على باب رسول الله (ص) يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه . فلما رآهم (ص) أمر علياً بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام على فراشه ويتشح ببرده الحضرمي الأخضر ، وأن يؤدي ما عنده من الودائع والأمانات ونحو ذلك. فقام علي مقامه وغطي ببرد أخضر ، فكان أول من شرى نفسه وفيه نزلت: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله.. وخرج (ص)وأخذ حفنة من تراب وجعله على رؤوسهم وهو يتلو الآيات من: يس والقرآن الحكيم.. إلى قوله: فهم لا يبصرون ، فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه وانصرف. وهم ينظرون علياً فيقولون إن محمداً لنائم».

وبهذا تلمس عمل السلطة لإبعاد الآية عن علي عليه السلام، بل رووا أن معاوية بذل الأموال لصحابي ليجعل الآية في ابن ملجم ويجعل الآية المنطبقة عليه في علي عليه السلام! قال أبو جعفر الإسكافي: وروي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ. (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥) وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فلم يقبل ، فبذل له مأتي ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل ، فبذل أربعمائة فقبل ! وقال: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي فاختلقوا ما أرضاه ! منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير ». (شرح النهج: ٧٣/٤، والغارات: ٨٤٠/٢).

٣- وأنكر بعض النواصب نزول الآية في علي عليه السلام ، وحديث مباهاة الله تعالى للملائكة به ولو استطاع أن ينكر مبيته في فراش النبي صلى الله عليه وآله لفعله ! لكنه قال إنه لافضيلة لعلي فيه لأن النبي صلى الله عليه وآله أخبره بأنه لايصيبهم منهم مكروه !

مع أن ذلك كان في رسالة النبي صلى الله عليه وآله له من المدينة بعد مبيته على فراشه! فقد أخذ أبو واقد يسوق بعائلة النبي صلى الله عليه وآله سوقاً عنيفاً في الهجرة، فقال له علي عليه السلام: «إرفق بالنسوة يا أبا واقد، إنهن من الضعائف. قال: إني أخاف أن يدركنا الطلب! فقال علي عليه السلام: أربع عليك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا علي، إنهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه، ثم جعل يسوق بهن سوقاً رفيقاً» (أمالي الطوسي/٤٦٩. وراجع: نفحات الأزهار: ٢١١/١٧، والغدير: ٤٧/٢ والصحيح من السيرة: ١٧/٤، و٣٢، و٢٥١، وفيه: «وقد أنكر ابن تيمية على عادته في إنكار فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير. وأيضاً قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له: لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم، فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا إيثار بالحياة، والآية المذكورة في سورة البقرة، وهي مدنية باتفاق، وقد قيل إنها نزلت في صهيب لما هاجر». ثم رد صاحب الصحيح مكذوبات النواصب.

ملحق رقم (٤)

أحاديث من مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام

١- أجمع المسلمون كافة على المقام العظيم لفاطمة الزهراء عليها السلام، ورووا أحاديثها واحترام النبي صلى الله عليه وآله لها احتراماً خاصاً مقصوداً لإفهام المسلمين مكانتها! «كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يثني بفاطمة عليها السلام، ثم يأتي أزواجه، وفي لفظ: ثم بدأ ببيت فاطمة عليها السلام، ثم أتى بيوت نسائه». (فتح الباري: ٨٩/٨). وكان إذا جاءته يقف لها احتراماً ويجلسها في مجلسه ويقول: «فاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة». (أمالي الصدوق/٥٤٦).

وروت مصادر الفريقين أحاديث فضائلها ومناقبها عليها السلام، وألف العلماء كتباً خاصة فيها

ومن ذلك ما رواه البخاري:٤/٧١ ، قال:« بينا رسول الله (ص) ساجد وحوله ناس من قريش المشركين ، إذ جاءه عقبة بن أبي معيط بسلى جزور ، فقذفه على ظهر النبي(ص)فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة عليها السلام ، فأخذت من ظهره ودعت على من صنع ذلك ، فقال النبي (ص): اللهم عليك الملأ من قريش ، اللهم عليك أبا جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط ، وأمية بن خلف أو أبي بن خلف..» .

أقول: كفى بذلك فضيلة فالنبي صلى الله عليه وآله لم يدع على قومه حتى دعت ابنته فاطمة عليها السلام فكان دعاؤها رسالة اليه من ربه ، وإجازة له بالدعاء عليهم !

ومن ذلك ما رواه مجمع الزوائد:٨/٢٢٨ وصححه ، من أن فاطمة عليها السلام هي التي أخبرت النبي صلى الله عليه وآله بتآمر زعماء قريش عليه ليلة هجرته ! « عن ابن عباس قال: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى وأساف ونائلة لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله (ص) فقالت: هذا الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فيقتلوك ، فما منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك ! قال: يا بنية أدلي وضوء ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا هذا هو ! وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم ، وعقروا في مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه بصراً ولم يقم إليه رجل منهم ، فأقبل رسول الله(ص) حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فقال: شاهت الوجوه ، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً». انتهى.

فمن أين جاءت هذه المعلومة السرية للغاية الى فاطمة ، إلا من إلهام الله تعالى؟!

راجع في مقامها عليها السلام: الحق المبين/٢٢٧، والمجلد السابع من الإنتصار للمؤلف .

من أحاديث زواج علي وفاطمة عليهما السلام

١. في مناقب آل أبي طالب:١٢٢/٣، عن أبي بريدة عن أبيه:« أن علياً خطب فاطمة فقال له النبي صلى الله عليه وآله: مرحباً وأهلاً، فقيل لعلي: يكفيك من رسول الله إحداهما، أعطاك الأهل وأعطاك الرحب... أتى سلمان إليه وقال: أجب رسول الله، فلما دخل عليه قال: أبشر يا علي، فإن الله قد زوجك بها في السماء قبل أن أزوجكها في الأرض، ولقد أتاني ملك وقال: أبشر يا محمد باجتماع الشمل وطهارة النسل، قلت: وما اسمك ؟ قال: نسطائيل من موكلي قوائم العرش سألت الله هذه البشارة، وجبرئيل على أثري».

وفي روضة الواعظين/١٤٤، عن علي عليه السلام قال:«لقد هممت بتزويج فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله حيناً ولم أتجرأ أن أذكر للنبي صلى الله عليه وآله، وإن ذلك يختلج في صدري... إذ أتاني رسول رسول لله فقال لي أجب النبي وأسرع فما رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله أشد فرحاً منه اليوم ! قال: فأتيته مسرعاً..فقال: أبشر يا علي فإن الله تعالى قد كفاني ماكان من همي من أمر تزويجك. قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أتاني جبرئيل ومعه سنبل الجنة وقرنفلها فناولنيهما، فأخذتهما فشممتهما فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ فقال: إن الله تعالى أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها، بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها...ثم نادى مناد: ألا يا ملائكتي وسكان جنتي، باركوا علي بن أبي طالب حبيب محمد وفاطمة بنت محمد، فقد باركت عليهما. ألا إني زوجت أحب النساء إليَّ من أحب الرجال إليَّ بعد النبيين والمرسلين. فقال راحيل الملك: يا رب وما بركتك فيهما بأكثر مما رأينا لهما في جناتك ودارك ؟ فقال عز وجل: إن من بركتي عليهما أني أجمعهما على محبتي وأجعلهما حجة على خلقي.

وعزتي وجلالي لأخلقن منهما خلقاً ولأنشئن منهما ذرية ، أجعلهم خزاني في أرضي ومعادن لعلمي ودعاة إلى ديني ، بهم أحتج على خلقي بعد النبيين والمرسلين .

فأبشر يا علي ، فإن الله تعالى أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً ، وقد زوجتك ابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمان ، وقد رضيت بما رضي الله لها ، فدونك أهلك فإنك أحق بها مني ، ولقد أخبرني جبرئيل عليه السلام أن الجنة مشتاقة إليكما ، ولولا أن الله عز وجل قدر أن يخرج منكما ما يتخذه على الخلق حجة لأجاب فيكما الجنة وأهلها !

فنعم الأخ أنت ونعم الختن أنت ونعم الصاحب أنت ، وكفاك برضى الله رضاً . قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله بلغ من قدري حتى أني ذكرت في الجنة وزوجني الله في ملائكته . فقال صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى إذا أكرم وليه وأحبه أكرمه بما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ، فاختار الله لك يا علي. فقلت: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: آمين» .

٢. نزل جبرئيل بأمر الله تعالى ، فخطب النبي صلى الله عليه وآله في المسجد ، وأمر علياً أن يخطب . ونقلت مصادر الجميع خطبته صلى الله عليه وآله بألفاظ متفاوتة .

ففي تاريخ دمشق:٥٢/٤٤٤:« عن أنس بن مالك قال: بينا أنا عند النبي (ص) إذ غشية الوحي فلما سري عنه قال: هل تدري ما جاء به جبريل من عند صاحب العرش؟ قلت: لا قال: إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب .

إنطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعددهم من الأنصار ، فانطلقت فدعوتهم فلما أخذوا المقاعد قال النبي (ص): الحمد لله المحمود بنعمه ، المعبود بقدرته المطاع بلسانه ، المرهوب من عذابه ، المرغوب إليه فيما عنده ، النافذ أمره في سمائه

وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وكرمهم بنبيه محمد (ص) .

ثم إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفتوحاً ، وشَّجَ بها الأرحام وألزمها الأنام ، فقال تبارك وتعالى: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا.. فأمر الله يجري الى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب: يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

ثم إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب ، فأشهدكم أني قد زوجته إياها على أربع مائة مثقال فضة ، إن رضي بذلك علي ، وكان النبي (ص) قد بعثه في حاجه . ثم إن رسول الله (ص) دعا بطبق فيه بسر فوضعه بين أيدينا وقال: انتهبوا فبينا نحن ننتهب إذ أقبل علي فتبسم النبي (ص) وقال: يا علي إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة ، وقد زوجتكها على أربع مائة مثقال فضة إن رضيت ؟ فقال علي: رضيت يا رسول الله ، ثم خر لله ساجداً ، فلما رفع رأسه ، قال له النبي (ص): بارك الله فيكما وبارك عليكما ، وأخرج منكما الكثير الطيب . قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب». والمناقب للخوارزمي/٣٣٦ .

وفي لفظ ينابيع المودة:٦٥/٢« ثم إن علياً خرَّ ساجداً لله شكراً ، فلما رفع رأسه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: جمع الله شملكما ، وأعز جدكما ، وأطاب نسلكما ، وجعل نسلكما مفاتيح الرحمة ، ومعادن الحكمة ، وأمن الأمة ، وبارك الله لكما ، وبارك فيكما ، وبارك عليكما وأسعدكما ، وأخرج منكما الكثير الطيب ، اللهم إنهما مني وأنا منهما . اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني ، فأذهب عنهما الرجس وطهرهما ، وطهر نسلهما».

وروت بقية المصادر أن علياً عليه السلام خطب يومها . قال في المناقب:١٢٦/٣:«وخطب النبي على المنبر في تزويج فاطمة خطبة ، رواها يحيى بن معين في أماليه ، وابن بطة في الإبانة بإسنادهما عن أنس بن مالك مرفوعاً ، ورويناها عن الرضا عليه السلام فقال... وروى ابن مردويه قال لعلي: تكلم خطيباً لنفسك ، فقال:

الحمد لله الذي قرب من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد الجنة من يتقيه ، وأنذر بالنار من يعصيه ، نحمده على قديم إحسانه وأياديه ، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه ، ومميته ومحييه ، ومسائله عن مساويه ، ونستعينه ونستهديه ، ونؤمن به ونستكفيه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبلغه وترضيه ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلاة تزلفه وتحظيه ، وترفعه وتصطفيه .

والنكاح ما أمر الله به ويرضيه ، واجتماعنا مما قدره الله وأذن فيه ، وهذا رسول الله زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم وقد رضيت ، فاسألوه واشهدوا.

وفي خبر: زوجتك ابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن ، وقد رضيت بما رضي الله لها فدونك أهلك فإنك أحق بها مني. وفي خبر: فنعم الأخ أنت ونعم الختن أنت ونعم الصاحب أنت ، وكفاك برضى الله رضاً ، فخر عليٌّ ساجداً شكر الله تعالى وهو يقول: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. فقال النبي صلى الله عليه وآله: آمين».

٣. وصفت أحاديث الطرفين إدارة النبي صلى الله عليه وآله شخصياً لتجهيز عرسها وتأثيث بيتها عليها السلام ففي مناقب آل أبي طالب:١٢٧/٣:«قال الصادق عليه السلام: وسكب الدراهم في حجره ، فأعطى منها قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين إلى أم أيمن لمتاع البيت ، وقبضة إلى أسماء

بنت عميس للطيب ، وقبضة إلى أم سلمة للطعام ، وأنفذ عماراً وأبا بكر وبلالاً لابتياع ما يصلحها .

وكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم ، وخمار بأربعة دراهم ، وقطيفة سوداء خيبرية وسرير مزمل بشريط ، وفراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جز الغنم ، وأربع مرافق من أدم الطايف ، حشوها إذخر ، وستر من صوف ، وحصير هجري ، ورحاء اليد ، وسقاء من أدم ومخضب من نحاس ، وقعب للبن ، وشن للماء ، ومطهرة مزفتة ، وجرة خضراء ، وكيزان خزف . وفي رواية: ونطع من أدم ، وعباء قطراني ، وقربة ماء». وفي ذلك روايات كثيرة .

٤. وروت مصادر الطرفين أحاديث احتفال الملائكة ، بعرس علي وفاطمة عليهما السلام. ففي تاريخ دمشق:١٢٦/٤٢: « عن جابر بن عبد الله قال: دخلت أم أيمن على النبي (ص) وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك لا أبكى الله عينيك ؟ قالت: بكيت يا رسول الله لأني دخلت منزل رجل من الأنصار قد زوج ابنته رجلاً من الأنصار ، فنثر على رأسها اللوز والسكر ، فذكرت تزويجك فاطمة من علي بن أبي طالب ولم ينثر عليها شيئاً ! فقال النبي (ص): لا تبكي يا أم أيمن فوالذي بعثني بالكرامة واستخصني بالرسالة ما أنا زوجته ولكن الله زوجه ، ما رضيت حتى رضي علي ، وما رضيت فاطمة حتى رضي الله رب العالمين .

يا أم أيمن ، إن الله لما أن زوج فاطمة من علي أمر الملائكة المقربين أن يحدقوا بالعرش فيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وأمر الجنان أن تزخرف فتزخرفت ، وأمر الحور العين أن يتزينَّ فتزينَّ ، وكان الخاطب الله وكان الملائكة الشهود ! ثم أمر شجرة طوبى أن تنثر فنثرت عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الياقوت الأحمر مع الزبرجد الأخضر ، فابتدر حور عين من الجنان يرفلن في الحلي والحلل يلتقطنه ،ويقلن

هذا من نثار فاطمة بنت محمد ، فهن يتهادينه بينهن إلى يوم القيامة». وقد وقع تصحيف لقول النبي صلى الله عليه وآله لأم أيمن(لاتبكي، ب: لا تكذبي) !

وفي رواية العياشي:٢/٢١١، عن الإمام الباقر عليه السلام:«أمر الله طوبى فنثرت عليهم من حللها وسندسها ، وإستبرقها ، ودرها ، وزمردها ، وياقوتها ، وعطرها ، فأخذوا منه حتى ما دروا مايصنعون به. ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة ، فهي في دار علي بن أبي طالب».

وفي المناقب:٣/١٢٣، وتاريخ بغداد:٤/٤٣٢:«طلع النبي صلى الله عليه وآله ووجهه مشرق كالبدر فسأله ابن عوف عن ذلك فقال: بشارة أتتني من ربي لأخي وابن عمي وابنتي ، والله زوج علياً بفاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعاً بعدد محبي أهل بيتي ، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ، ودفع إلى كل ملك صكاً براءة من النار بأخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي .

وفي رواية: أن في الصكوك براءة من العلي الجبار لشيعة علي وفاطمة من النار .

ابن بطة وابن المؤذن والسمعاني في كتبهم بالإسناد عن ابن عباس وأنس بن مالك قالا: بينما رسول الله جالس إذ جاء علي ، فقال: يا علي ما جاء بك؟ قال: جئت أسلم عليك ، قال: هذا جبرئيل يخبرني أن الله زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك ، وأوحى الله إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت ، فابتدرن إليه الحور العين يلتقطن في أطباق الدر والياقوت ، وهن يتهادينه بينهن إلى يوم القيامة ، وكن يتهادين ويقلن هذه تحفة خير النساء...

ابن مردويه في كتابه بإسناده عن علقمة قال: لما تزوج علي فاطمة تناثرت ثمار الجنة على الملائكة. عبد الرزاق بإسناده إلى أم أيمن في خبر طويل عن النبي صلى الله عليه وآله: وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح علي وفاطمة ،فكان جبرئيل المتكلم عن علي وميكائيل الراد عني .

وفي حديث خباب بن الأرت: أن الله تعالى أوحى إلى جبرئيل: زوج النور من النور وكان الولي الله ، والخطيب جبرئيل ، والمنادي ميكائيل ، والداعي إسرافيل والناثر عزرائيل ، والشهود ملائكة السماوات والأرضين . ثم أوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك فنثرت الدر الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب ، فبادرن الحور العين يلتقطن ويهدين بعضهن إلى بعض .

الصادق عليه السلام في خبر: أنه دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أبشر يا علي فإن الله قد كفاني ما كان من همتي تزويجك ، أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها فتناولتهما وأخذتهما فشممتهما فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ قال: إن الله أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها ، وأمر ريحها فهبت بأنواع العطر والطيب ، وأمر حور عينها بالقراءة فيها طه ويس وطواسين وحم وعسق ، ثم نادى مناد من تحت العرش: ألا ان اليوم يوم وليمة علي ألا اني أشهدكم اني زوجت فاطمة من علي رضى مني ببعضهما لبعض ، ثم بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فقطرت من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها ، وقامت الملائكة فنثرن من سنبلها وقرنفلها ، وهذا مما نثرت الملائكة. إلى آخر الخبر».

وفي المعجم الكبير للطبراني:٢٢/٤٠٧:« عن عبد الله بن مسعود قال: سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله (ص) فلم أزل أطلب الشهادة للحديث فلم أرزقها ، سمعت رسول الله (ص) في غزوة تبوك يقول ، ونحن نسير معه: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي

ففعلت ، قال جبريل: إن الله بني جنة من لؤلؤة قصب بين كل قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوت ، مشذرة بالذهب ، وجعل سقوفها زبرجداً أخضر ، وجعل فيها طاقات من لؤلؤ مكللة بالياقوت ، ثم جعل عليها غرفاً ، لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من در ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد ، ثم جعل فيها عيوناً تنبع في نواحيها ، وحفت بالأنهار وجعل على الأنهار قباباً من در ، قد شعبت بسلاسل الذهب ، وحفت بأنواع الشجر ، وبني في كل غصن قبة ، وجعل في كل قبة أريكة من درة بيضاء غشاؤها السندس والإستبرق ، وفرش أرضها بالزعفران وفتق بالمسك والعنبر ، وجعل في كل قبة حوراء والقبة لها مائة باب ، على كل باب حارسان وشجرتان ، في كل قبة مفرش وكتاب ، مكتوب حول القباب آية الكرسي .

قلت: يا جبريل لمن بني الله هذه الجنة؟ قال: بناها لفاطمة ابنتك وعلي بن أبي طالب ، سوى جنانها ، تحفة أتحفها وأقر عينيك يا رسول الله ». انتهى.

«قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: قد علمنا مهر فاطمة في الأرض فما مهرها في السماء فقال: سل ما يعنيك ودع ما لا يعنيك . قيل: هذا مما يعنينا يا رسول الله ، قال: كان مهرها في السماء خمس الأرض ، فمن مشى عليها مبغضاً لها أو لولدها ، مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة». (مناقب آل أبي طالب: ١٢٨/٣).

٥. كان علي عليه السلام يومها يسكن مع والدته فاطمة بنت أسد ، في بيت بعيد قليلاً عن مسجد النبي صلى الله عليه وآله، وذكرت بعض الروايات أن زفاف فاطمة عليها السلام كان الى بيت آخر ، ثم نقلها النبي صلى الله عليه وآله الى جواره مباشرة . قال الطبرسي في إعلام الورى:١٦٠/١: «وكان رسول الله صلى الله عليه وآله حيث بني منازله كانت فاطمة عليها السلام عنده ، فخطبها أبو بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنتظر أمر الله عز وجل ، ثم خطبها عمر فقال مثل ذلك . فقيل لعلي عليه السلام: لم لا تخطب

فاطمة ؟ فقال: والله ما عندي شئ . فقيل له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يسألك شيئاً . فجاء إلى رسول الله فاستحيا أن يسأله فرجع ، ثم جاءه في اليوم الثاني فاستحيا فرجع ، ثم جاء في اليوم الثالث فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي ألك حاجة ؟ قال: بلى يا رسول الله . فقال: لعلك جئت خاطباً؟ قال: نعم يا رسول الله . قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هل عندك شئ يا علي؟ قال: ما عندي يا رسول الله شئ إلا درعي . فزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله على اثنتي عشرة أوقية ونش ، ودفع إليه درعه فقال له رسول الله: هيئ منزلاً حتى تحول فاطمة إليه».

وقال ابن سعد في الطبقات: ٢٢/٨:« لما قدم رسول الله (ص) المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها ، فلما تزوج علي فاطمة قال لعلي: أطلب منزلاً فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي (ص) قليلاً فبنى بها فيه ، فجاء النبي (ص)إليها فقال: إني أريد أن أُحَوِّلَك إليَّ ، فقالت لرسول الله: فكلم حارثة بن نعمان أن يتحول عني. فقال رسول الله: قد تحول حارثة عنا حتى استحيت منه ، فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي(ص) فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك وهذه منازلي وهي أسقب بيوت نبي النجار بك ، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله !

والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إليَّ من الذي تدع ! فقال رسول الله (ص): صدقت ، بارك الله عليك ، فحولها رسول الله إلى بيت حارثة».

٦. روى الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله أقام بأمر ربه عرساً لفاطمة وعلي عليهما السلام ، لانظير له في التاريخ فقد روى الطبراني في الأوسط:٢٩٠/٦، وابن ماجة:٦١٥/١:«عن عائشة وأم سلمة قالتا: أمرنا رسول الله (ص) أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي ، فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء ، ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا ، ثم أطعمنا تمراً وزبيباً وسقينا ماء

عذباً ، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء . فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة».

أقول: زوج النبي صلى الله عليه وآله بناته أو ربيباته قبل فاطمة عليها السلام وبعدها ، وتزوج هو ، وكانت احتفالاته مختصرة جداً ، فكان يدعو من حضر الى طعام وينتهي الأمر ، لذلك ضاق بعض حساد علي وفاطمة عليهما السلام بهذا الحديث فقالوا إنه كان أحسن عرس فقط بالحَيْس أي حلاوة التمر أو الطحين التي تحاس بالدهن !

ورووا «عن جابر: حضرنا عرس علي... فما رأينا عرساً كان أحسن منه حَيْساً » (الطبراني الأوسط: ٦/٢٩٠). ثم حاولوا أن يضعفو رواية ابن ماجة ، فقال الهيثمي في مجمع الزوائد:٤/٥٠: «فيه مسلم بن خالد الزنجي وهو ضعيف وقد وثق». ويقصد بمن وثقه ابن معين والدارقطني وابن حبان ، وهؤلاء من كبار أن أئمة الجرح والتعديل عندهم ! ففي تاريخ ابن معين:١/٥٠: «سألت يحيى عن مسلم بن خالد الزنجي فقال ثقة» . وفي مشاهير علماء الأمصار لابن حبان/٢٣٤، أنه كان أستاذ الشافعي ، قال:«مسلم بن خالد الزنجي ، أبو عبد الله ، كان أبيض مشرب الحمرة ، فلذلك قيل زنجي ! مات سنة تسع وسبعين ومائة ، وكان من فقهاء أهل مكة ، ومنه تخرج الشافعي وإياه كان يجالس قبل أن يلقى مالكاً». « وقال الدارقطني: ثقة». (تهذيب التهذيب: ١٠/١١٧).

وسبب تضعيفهم لهذا الزنجي الأبيض أنه يروي فضائل أهل البيت عليهم السلام وهي عندهم (منكرة) ! قال بخاري في الضعفاء/١١٠:«مسلم بن خالد الزنجي...منكر الحديث» !

٧. أقام النبي صلى الله عليه وآله وليمة عامة لعرس علي وفاطمة عليهما السلام، ومدَّ السفر للناس في المسجد ، ففي مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لأبي بكر بن مردويه/١٩٨، وعنه مناقب ابن شهر آشوب:٣/١٢٩: « في حديث: فمكث علي تسعة وعشرين ليلة ، فقال له جعفر وعقيل: سله

أن يدخل عليك أهلك فعرفت أم أيمن ذلك وقالت: هذا من أمر النساء فخلت به أم سلمة فطالبته بذلك، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله وقال: حباً وكرامة، فأتى الصحابة بالهدايا، فأمر بطحن البّر وخبزه، وأمر علياً بذبح البقر والغنم، فكان النبي صلى الله عليه وآله يُفصِّل (الذبيحة) ولم يُرَ على يده أثر دم!

فلما فرغوا من الطبخ أمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينادى على رأس داره: أجيبوا رسول الله وذلك كقوله تعالى: وأذن في الناس بالحج (والناس في أماكنهم يسمعون دعوته) فأجابوا من النخلات والزروع، فبسط النطوع في المسجد وصدر الناس، وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة، ورفعوا منها ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء! ثم عادوا في اليوم الثاني وأكلوا!

وفي اليوم الثالث أكلوا مبعوثة أبي أيوب، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف فملئت ووجه إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحفة وقال: هذا لفاطمة وبعلها، ثم دعا فاطمة، وأخذ يدها فوضعها في يد علي وقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله يا علي نعم الزوج فاطمة، ويا فاطمة نعم البعل علي.

وكان النبي صلى الله عليه وآله أمر نساءه أن يزيّنها ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة، فاستدعين من فاطمة عليها السلام طيباً فأتت بقارورة، فسألت عنها فقالت: كان دحية الكلبي يدخل على رسول فيقول لي: يا فاطمة هاتي الوسادة فاطرحيها لعمك، فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه، فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل! وأتت بماء ورد فسألت أم سلمة عنه فقالت: هذا عرق رسول الله كنت آخذه عند قيلولة النبي عندي».

٨ وعمل النبي صلى الله عليه وآله في زواج فاطمة عليها السلام مراسم فريدة ! ففي شرح الأخبار:٣٥٨/٢:« ثم قال: يا أسماء ، إملئي لي مخضب ماء وآتيني به ، فملأت وأتته به ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله منه ومجَّه في فيه ، ثم غسل فيه وجهه وقدميه ، ودعا فاطمة عليها السلام فأخذ كفاً من ذلك الماء فنضحه على صدرها ، وأخذ كفاً ثانياً فنضحه على ظهرها ، ثم أمرها أن تشرب بقية الماء . ثم دعا بعلي عليه السلام فصنع به مثل ذلك ، ثم قال: اللهم إنهما مني وأنا منهما ، فكما أذهبت عني الرجس وطهرتني فأذهبه عنهما وطهرهما. ثم قال: قُوما إلى بيتكما جمع الله بينكما ، وبارك لكما في سيركما ، وأصلح بالكما... قالت أسماء: إنه صلى الله عليه وآله لم يزل يدعو لهما لم يشرك في دعائه أحداً حتى توارى في حجرته». وكشف الغمة: ٣٨٢/١، وكشف اليقين/١٩٨، وينابيع المودة: ٦٤/٢، والمناقب: ١٣١/٣، والبحار: ٢٧٤/١٠٠).

وفي رواية أنه صلى الله عليه وآله دعا لهما:« اللهم إنهما مني وأنا منهما ، اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني فطهرهما... اللهم اجمع شملهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم. اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وأنت وليهما في الدنيا والآخرة». (خصائص أمير المؤمنين/١١٥، ومناقب أمير المؤمنين: ٢٠٣/٢، والبحار: ١٢٢/٤٣، وتفسير نور الثقلين: ٢٣٣/٤).

وفي مناقب آل أبي طالب:١٣٠/٣:«تاريخ الخطيب ، وكتاب ابن مردويه ، وابن المؤذن ، وابن شيروريه الديلمي ، بأسانيدهم عن علي بن الجعد ، عن ابن بسطام ، عن شعبة بن الحجاج ، وعن علوان عن شعبة ، عن أبي حمزة الضبعي ، عن ابن عباس وجابر: أنه لما كانت الليلة التي زُفت فاطمة إلى علي كان النبي (ص)أمامها، وجبرئيل عن يمينها ، وميكائيل عن يسارها ، وسبعون ألف ملك من خلفها ، يسبحون الله ويقدسونه».

أقول: هذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله خرج مع فاطمة عليها السلام من بيته الى بيت علي عليه السلام الذي كان أول الأمر بعيداً نسبياً عن المسجد ، وقد يكون خرج خطوات في توديعها ثم صلى العشاء وقصد بيتها كما في شرح إحقاق الحق:٤١٠/٢٥ ، عن توضيح الدلائل للإيجي/٣٣٤، عن ابن

سيرين ، عن أم سلمة ، وسلمان من حديث:«حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وآله عشاء الآخرة انصرف إلى بيت فاطمة عليها السلام فدعاها فأجلسها خلف ظهره ، ثم دعا علياً فأخذ بيد فاطمة فوضعها في يد علي وقال صلى الله عليه وآله: إنطلقا إلى بيتكما ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما . فقامت فاطمة عليها السلام معه غير عاصية ولا متلكئة حتى دخلا بيتهما فجلسا على فراش ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخل عليهما فجلس بينهما ، ثم قال لعلي: قم فائتني بماء ، فأخذ علي قعباً فاصطب من ماء شلوة فأتاه به ، فأخذ رسول الله القعب بيده ثم أخذ ملء فيه ماء فتمضمض به ثم أعاده في القعب ، فأخذ قبضة من الماء فنضح به رأس علي ووجهه وصدره ، ثم قال صلى الله عليه وآله: إشربه فشربه.

ثم قال لفاطمة: قومي فائتني بماء ، فجاءت به أيضاً في القدح ، فأخذ رسول الله ملء فيه فتمضمض به فأعاده في القدح ، ثم أخذ قبضة فنضح به رأس فاطمة ووجهها ونحرها. ثم قام وخلاهما. ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله أربعاً لا يدخل عليهما».

وفي الإصابة: ٢٦٥/٨:« وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة بسند جيد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله (ص) ليلة بني علي بفاطمة: لا تحدث شيئاً حتى تلقاني فدعا بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما ، وبارك لهما في نسلهما ».

٩. ورد في أحاديث زواج فاطمة عليها السلام ذكر أسماء بنت عميس وأم سلمة ، وكانتا صديقتين لأمها خديجة عليها السلام وروي أنها أوصتهما بفاطمة عليها السلام . وكانت أم سلمة مع زوجها أبي سلمة المخزومي ، فرجعوا الى مكة ثم هاجروا الى المدينة .

أما أسماء فأشكل بعضهم بأنها كانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب في الحبشة (كشف الغمة للإربلي:٣٨٣/١) لكنها قد تكون حضرت خصيصاً لخدمة الزهراء عليها السلام في عرسها ، وقد

كثر مجيء المهاجرين من الحبشة الى المدينة ، وشارك عدد منهم في بدر وأحد ، وبقي جعفر بن أبي طالب ينفذ المهام التي أمره بها النبي صلى الله عليه وآله والمتعلقة بالحبشة ، فقد كانت مركز الروم في أفريقيا . وفي السنة السابعة أمر النبي صلى الله عليه وآله جعفراً رضي الله عنه بالعودة مع بضعة أشخاص كانوا معه لأسباب مختلفة .

ملحق رقم (٥)

أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وآله وخادمة فاطمة عليها السلام

١- هاجر من بني هاشم الى المدينة: حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله، وابن عمه عبيدة بن الحارث وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأمه فاطمة بنت أسد عليها السلام ، وابنة النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وابنة حمزة فاطمة وتسمى ضباعة ، وخادم النبي صلى الله عليه وآله أبو واقد وخادمه شقران ، وحليف النبي صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة ، وزوجته حاضنة النبي صلى الله عليه وآله أم أيمن وولدها أيمن بن عبيد ، وطفلها أسامة بن زيد.

وكانت أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وآله:« سوداء ، ورثها عن أمه وكان اسمها بركة ، فأعتقها صلى الله عليه وآله وزَوَّجها عبيد الخزرجي بمكة فولدت له أيمن ، فمات زوجها فزوجها النبي صلى الله عليه وآله من زيد ، فولدت له أسامة أسود يشبهها ، فأسامة وأيمن أخَوَان لأم». (البحار: ٢٢/٢٦٣). وكانت جارية سوداء نوبية (كتاب سليم/٣٨٩). « ورث صلى الله عليه وآله من أبيه أم أيمن فأعتقها ، وورث خمسة أجمال أوارك (سِمَان) وقطيعة غنم ، وسيفاً مأثوراً (تاريخياً) وورقاً (نقداً)».
(مناقب آل أبي طالب:١/١٤٧، والطبقات:١/١٠٠، وأسد الغابة:١/١٤).

«وقال ابن شهاب: كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشة ، فلما ولدت آمنة النبي بعدما توفي أبوه حضنته أم أيمن حتى كبر ، ثم أعتقها النبي ثم أنكحها زيد بن حارثة . توفيت بعد النبي بخمسة أشهر». (قاموس الرجال: ١٩٣/١٢).

«ويقال: كانت من سبي الحبشة الذين قدموا زمن الفيل ، فصارت لعبد المطلب فوهبها لعبد الله والد النبي ، وتزوجت قبل زيد عبيداً الحبشي فولدت له أيمن فَكُنِّيَتْ به». (المجموع:٣٠٧/١٥). كما ورث النبي صلى الله عليه وآله عن أبيه غلامه شقران الذي شارك في تجهيزه صلى الله عليه وآله. (تاريخ دمشق: ٢٧١/٤) .

وبقيت أم أيمن الى آخر عمرها تخطئ في العربية !« قالت يوم حنين سبت الله أقدامكم فقال النبي (ص): أسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان» . (الطبقات: ٢٢٥/٨).

٢- روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال:« من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن ، فتزوجها زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد». (الطبقات: ٢٢٤/٨).

وتقدم في وفاة والديْ النبي صلى الله عليه وآله أن أمه آمنة عليها السلام خرجت به إلى أخواله بني النجار بالمدينة فتوفيت في رجوعها:« فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة ، وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت». (الطبقات:١١٦/١).

٣- في الطبقات:١١٧/١، وتاريخ دمشق:٨٥/٣:« قال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: إحفظ به فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه ! فقال عبد المطلب لأبي طالب: إسمع ما يقول هؤلاء ، فكان أبو طالب يحتفظ به. وقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله (ص): يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة. وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا

قال: عليٌّ بابني فيؤتى به إليه ، فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله (ص) وحياطته».

٤- روت أم أيمن الكثير عن طفولة النبي وشبابه ونبوته صلى الله عليه وآله، ومما قالت:« ما رأيت النبي (ص) شكى صغيراً ولا كبيراً جوعاً ولا عطشاً ! كان يغدو فيشرب من زمزم ، فأعرض عليه الغداء فيقول: لاأريده أنا شبعان». (الطبقات: ١٦٨/١).« رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ثمان سنين يبكي خلف سرير عبد المطلب ، حتى دفن بالحجون». (الطبقات: ١١٩/١، والسيرة الحلبية: ١٤٨/١ ، وسبل الهدى: ١٣٥/٢، والبحار: ١٦٢/١٥).

٥- وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول لها: يا أمه ، ويزورها في بيتها. (الطبقات: ٢٢٣/٨).

وكان يثق بها ويعتمد عليها، فقد وضع عندها أمانات الناس:« فلما أراد الهجرة سلمها إلى أم أيمن ، وأمر علياً عليه السلام أن يردها ». (الحدائق الناضرة: ٤٣٣/٢١).

٦. وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وآله ، روي أن النبي صلى الله عليه وآله بال ذات مرة في قدح وكان تحت سريره قالت أم أيمن:« فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر ، فلما أصبح النبي قال: يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة. قلت: قد والله شربت ما فيها ! قال فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه ثم قال: لن تشتكي بطنك». (المناقب: ١٠٨/١، ونيل الأوطار: ١٠٦/١).

«فما مرضت حتى كان مرضها الذي ماتت فيه» (نيل الأوطار:١٠٦/١). وجوَّزه الشافعي وغيره وحكموا بطهارة بول النبي صلى الله عليه وآله. (المعتبر: ٤١٠/١).

٧. وهاجرت أم أيمن مع ابنها أيمن وابنها الصغير أسامة ، فقد واعدهم عليٌّ« أن يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واد ، إلى ذي طوى» فوافوه هناك ، ومعهم عدد من مستضعفي المسلمين. (أمالي الطوسي/٤٦٩ ، والنهاية:٣٧٠/٧، وسبل الهدى:٢٦٧/٣).

٨ وكانت تعيش في المدينة في بيتها مع زوجها زيد ، وتساعد الزهراء عليها السلام في عمل البيت ، وتأتيهم بهدايا ، ففي أمالي الطوسي/٦٦٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:«زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أهدت لنا أم أيمن لبناً وزبداً وتمراً ، فقدمناه فأكل منه ثم قام النبي صلى الله عليه وآله إلى زاوية البيت فصلى ركعات ، فلما كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً ، فلم يسأله أحد منا إجلالاً له ، فقام الحسين فقعد في حجره وقال له: يا أبت لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشئ كسرورنا بدخولك ، ثم بكيت بكاء غمنا فلم بكيت؟فقال: يا بني ، أتاني جبرئيل آنفاً فأخبرني أنكم قتلى ، وأن مصارعكم شتى ! فقال: يا أبت فما لمن يزور قبورنا على تشتتها ؟ فقال: يا بني، أولئك طوائف من أمتي يزورونكم يلتمسون بذلك البركة وحقيق علي أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة من ذنوبهم ويسكنهم الله الجنة ».

وفي الكافي:٤٦٠/١ ، عن الإمام الباقر عليه السلام:«قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة قومي فأخرجي تلك الصحفة ، فقامت فأخرجت صحفة فيها ثريد وعراق يفور ، فأكل النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثلاثة عشر يوماً ، ثم إن أم أيمن رأت الحسين معه شئ فقالت له: من أين لك هذا؟ قال: إنا لنأكله منذ أيام ، فأتت أم أيمن فاطمة فقالت: يا فاطمة إذا كان عند أم أيمن شئ فإنما هو لفاطمة وولدها ، وإذا كان عند فاطمة شئ فليس لأم أيمن منه شئ ؟ فأخرجت لها منه فأكلت منه أم أيمن و نفدت الصحفة ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: أما لولا أنك أطعمتها لأكلت منها أنت وذريتك إلى أن تقوم الساعة ! ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والصحفة عندنا يخرجها قائمنا في زمانه».

٩- عندما تزوجت فاطمة عليها السلام أمر النبي صلى الله عليه وآله أم أيمن فكانت تساعدها ، وروت عنها عدة أحاديث في سيرتها وسيرة العترة الطاهرة عليهم السلام.

منها: عن ولادة الحسين عليه السلام وفضل تربته وأنها من بطحاء الجنة وأنها أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة. (السجود على الأرض للأحمدي/١٤٠ ، والبحار: ١١٤/٩٨).

ومنها: معجزة الرحى: فقد روت المصادر ومنها صحاح السنيين ، أن الزهراء عليها السلام شكت الى أبيها صلى الله عليه وآله ما تلقى من الرحى. (المجموع: ٣٧٤/١٩، وشرح مغني ابن قدامة: ١٤٦/٨). وقالت أم أيمن: «مضيت ذات يوم إلى منزل سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء لأزورها في منزلها وكان يوما حاراً من أيام الصيف فأتيت إلى باب دارها وإذا أنا بالباب مغلق فنظرت من شق الباب وإذا بفاطمة الزهراء نائمة عند الرحى ، ورأيت الرحى تدور وتطحن البر وهي تدور من غير يد تديرها ، والمهد أيضاً إلى جنبها والحسين نائم فيه والمهد يهتز ولم أر من يهزه ! ورأيت كفاً تسبح لله قريباً من كف فاطمة الزهراء. قالت أم أيمن: فتعجبت من ذلك فتركتها ومضيت إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت: يا رسول الله إني رأيت اليوم عجباً ما رأيت مثله أبداً. فقال لي: ما رأيت يا أم أيمن؟ فقلت: إني قصدت منزل فاطمة الزهراء فلقيت الباب مغلقاً ، فإذا أنا بالرحى تطحن البر وهي تدور من غير يد ، ورأيت مهد الحسين يهتز من غير يد تهزه ورأيت كفاً يسبح لله قريباً من كف فاطمة ! فقال: يا أم أيمن إعلمي أن فاطمة الزهراء صائمة ، وهي متعبة والزمان قيض ، فألقى الله عليها النعاس فنامت ، فسبحان من لا ينام ، فوكل الله ملكاً يطحن عنها قوت عيالها وأرسل ملكاً آخر ، يهز مهد ولدها الحسين لئلا يزعجها عن نومها ، ووكل الله تعالى ملكا آخر يسبح الله عز وجل قريباً من كف فاطمة ثواب تسبيحه لها ، لأن فاطمة لم تفتر عن ذكر الله عز وجل ، فإذا نامت جعل الله ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة » ! (مدينة المعاجز: ٤٧/٤، والبحار: ٩٧/٣٧).

وروى في المناقب: ١١٦/٣ ، عن أم أيمن أنها رأت الزهراء مرة أخرى ، وهي تقرأ القرآن والرحى تدور وتطحن وحدها ! فنظم ذلك ابن حماد:

وقالت أم أيمن جئت يوماً إلى الزهراء في وقت الهجير

فلما أن دنوت سمعت صوتاً وطحناً في الرحاء مع الهدير
فجئت الباب أقرعه ملياً فما من سامع أو من مجير
إذ الزهراء نائمة سكوت وطحن للرحاء بلا مدير
فجئت المصطفى فقصصت شأني وما عاينت من أمر ذعور
فقال المصطفى شكراً لربي بإتمام الحياء لها جدير
رآها الله متعبة فألقى عليها النوم ذو المن الكبير
ووكل بالرحى ملكاً مديراً فعدتُ وقد ملئت من السرور ».

وروت مصادرنا مشاهدة الرحى في بيت فاطمة عليها السلام تطحن وحدها صلى الله عليه وآله عن ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وعن سلمان وعمار. (إعلام الورى:١/٢٩٥).

١٠- وقد أكرمها الله ببركة الزهراء عليها السلام: « خرجت إلى مكة لما توفيت فاطمة عليها السلام قالت: لا أرى المدينة بعدها ! فأصابها عطش شديد في الجحفة حتى خافت على نفسها ، فكسرت عينيها نحو السماء ثم قالت: يا رب أتعطشني وأنا خادمة بنت نبيك؟ قال: فنزل إليها دلو من ماء الجنة فشربت ولم تجع ولم تطعم سنين» . (المناقب:١/١١٦).

١١- وكانت أم أيمن طيبة بسيطة ، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله أنها من أهل الجنة ، مع أنها كانت تعرف إمامة علي عليه السلام ولا تعرف إمامة بقية الأئمة عليهم السلام.

ففي الكافي:٢/٤٠٥: « عن إسماعيل الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسع العباد جهله؟ فقال: الدين واسع ، ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم ! قلت: جعلت فداك فأحدثك بديني الذي أنا عليه؟ فقال: بلى ، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله ، وأتولاكم وأبرأ من عدوكم ومن ركب رقابكم وتأمر عليكم وظلمكم حقكم. فقال: ما جهلت شيئاً، هو والله الذي نحن عليه. قلت: فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا إلا

المستضعفين. قلت: من هم ؟ قال: نساؤكم وأولادكم ثم قال: أرأيت أم أيمن، فإني أشهد أنها من أهل الجنة وما كانت تعرف ما أنتم عليه».

ومن بساطتها أن النبي صلى الله عليه وآله جاء في أيام عرس فاطمة عليها السلام الى بيتها ففتحت الباب أم أيمن فقال:« أثَم أخي؟ قالت: وكيف يكون أخوك وقد أنكحته ابنتك؟ قال: فإنه كذلك». (الطبقات: ٢٣/٨).

وفي مناقب ابن سليمان:٣١٠/١:« قال: نعم أما والله لقد زوجتها كفواً شريفاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . وفي رواية: إن ذلك يكون يا أم أيمن».

١٢- وعندما مرض النبي صلى الله عليه وآله شكل جيشاً ، وأمَّرَ عليه أسامة بن زيد بن أم أيمن (المراجعات/٣٦٨) وكان أسامة في السابعة عشرة من عمره (هامش الفصول للجصاص:١٥٩/١) وأمره النبي صلى الله عليه وآله بغزو الروم الذين قتلوا أباه زيداً رحمه الله، وأمره بالمسير ولعن من تخلف عنه ، وكان ذلك:« لأربع ليال بقين من صفر سنة ١١من الهجرة... وعقد لأسامة لواءا بيده وقال له: أغز بسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله . فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف . فلم يبق أحد من المهاجرين الأولين والأنصار إلا اشتد لذلك وتهيأ للخروج ، منهم أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص». (مستدرك سفينة البحار:٣٦/٥و٢٠٩) .

وكان هدف النبي صلى الله عليه وآله منه أن يخلي المدينة لعلي عليه السلام ويبعد منها الطامعين في خلافته صلى الله عليه وآله وجميع مقاتلي قريش الطلقاء . وقد عمل الطامعون في الخلافة للتأثير على أم أيمن ، فطلبت من النبي صلى الله عليه وآله أن يؤخر إرسال أسامة لأنه قلق عليه ، فلم يقبل صلى الله عليه وآله ، وأكد عليه أمره المسير بالجيش .

ثم أثار عمر وزعماء قريش اعتراضهم على النبي صلى الله عليه وآله لتأميره الشاب الأسود ابن سبع عشرة سنة على شيوخ قريش والأنصار! فغضب النبي صلى الله عليه وآله وخرج وهو مريض وصعد المنبر ومدح أسامة وأمره بالحركة ، ولعن من تخلف عنه !

وتحرك أسامة فعاد القرشيون الى أم أيمن ، فأرسلت الى ولدها أن يصبر ولا يتحرك بجيشه ، لأن حال النبي صلى الله عليه وآله قد ثقلت !

١٣. وعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله، استنكرت أم أيمن ركضهم الى السقيفة وبيعتهم لأبي بكر فجاءت اليهم وقالت:« يا أبا بكر ، ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمد صلى الله عليه وآله! فأمر بها عمر فأخرجت من المسجد». (كتاب سُليم/١٥٧و٣٨٩).

١٤. وعندما عزلوا أهل البيت عليهم السلام وحرموهم من تركة النبي صلى الله عليه وآله وصادروا أموالهم ومنها مزرعة فدك ، فاحتجت الزهراء عليها السلام على أبي بكر فطلب منها شهوداً فجاءت بأم أيمن وشقران وعلي عليه السلام. قال الإمام الصادق عليه السلام:« فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر ، فقالت يا أبا بكر منعتني عن ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله . فقال لها هاتي على ذلك شهوداً فجاءت بأم أيمن فقالت: لا أشهد حتى أحتج يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: أنشدك الله ألست تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن أم أيمن من أهل الجنة ؟ قال بلى ، قالت: فأشهد أن الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: وَآتِ ذا القُربَى حَقَّـه ، فجعل فدك لفاطمة بأمر الله . وجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك ، فكتب لها كتاباً بفدك ودفعه إليها ، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إن فاطمة ادعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلي فكتبت لها بفدك ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزقه ، وقال هذا فئ المسلمين ! وقال: أوس ابن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله بأنه قال: إنا معاشر الأنبياء لا

نورث. ما تركناه صدقة ! فإن علياً زوجها يجر إلى نفسه ، وأم أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه ! فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة، فلما كان بعد هذا جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار ، فقال: يا أبا بكر ! لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين فان أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال لا قال فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟ قال: إياك كنت أسأل البينة على ما تدعيه على المسلمين ، قال فإذا كان في يدي شيء وادعى فيه المسلمون فتسألني البينة على ما في يدي وقد ملكته في حياة رسول الله وبعده ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادعوا علي شهوداً كما سألتني على ما ادعيت عليهم ! فسكت أبو بكر ثم قال عمر يا علي دعنا من كلامك فإنا لا نقوى على حججك فإن أتيت بشهود عدول ، وإلا فهو فيء المسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه». (تفسير القمي: ١٥٥/٢، ونحوه العياشي: ٢٧٨/٢ ، وأوله الإحتجاج: ١٢١/١).

أقول: يفهم من نصوص القضية أن الزهراء عليها السلام ذهبت أولاً واعترضت ، فطلب أبو بكر منها الشهود ، فجاءت بأم أيمن وشقران ، فكتب لها عدم تعرض ، فخطف الكتاب عمر ومزقه ، ثم جاء علي عليه السلام واعترض بحضور الصحابة ، وعادت الى أبي بكر ، فكتب لها أبو بكر مرة ثانية فلحقها عمر الى وأخذ بالكتاب بالقوة ومزقه ، ثم عقد أبو بكر جلسة أخرى كان فيها علي وفاطمة عليهما السلام فتصدى عمر للرد والجواب ، وسكت أبو بكر .

ففي الكافي:٥٤٣/١:«فقال لها: إئتني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك ، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض ، فخرجت والكتاب معها

فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة ، قال: أرينيه فأبت ، فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه ، فقال لها: هذا (وأشار الى رقبته) لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب ، فضعي الحبال في رقابنا » !

ثم تابعت الزهراء عليها السلام مطالبتها لأبي بكر فطلب الشهود مجدداً فجاء علي عليه السلام و: «شهد لفاطمة عند أبي بكر الصديق ومعه أم أيمن ، فقال له أبو بكر: لو شهد معك رجل أو امرأة أخرى لقضيت لها بذلك ». (المحلى: ٩/٤١٥).

وفي شرح الأخبار: ٣/٣٢: « فشهد علي عليه السلام وأم أيمن وهي ممن شهد له رسول الله بالجنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أقطع ذلك فاطمة عليها السلام ، فرد أبو بكر شهادتها وقال: عليٌّ جارٌّ إلى نفسه وشهادة أم أيمن وحدها لا تجوز » !

وفي كتاب سُليم/٣٩١: «فقال عمر: لا تقبل شهادة امرأة عجمية لا تفصح ، وأما علي فيحوز النار إلى قرصه » !

وفي رواية المفيد (الإختصاص/١٨٣) أن عمر كان حاضراً وأن أم أيمن استشهدته على قول النبي صلى الله عليه وآله «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»فشهد ! فقالت:« فمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدعي ما ليس لها ؟ وأنا امرأة من أهل الجنة ما كنت لأشهد إلا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصص ، بأي شئ تشهدان؟ فقالت... فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها ، وأما علي فيجر إلى نفسه ، قال: فقامت مغضبة وقالت: اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها ، فاشدد وطأتك عليهما» ! وفي رواية أن فاطمة عليها السلام جاءت بامرأة أخرى حسب طلب أبي بكر لكنه رد شهادتها « فجاءت بأم أيمن وأسماء بنت عميس وعلي». (أصول الأخبار/٧١).

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن فاطمة عليها السلام جاءت برجل آخر فشهد ، وقد يكون أبا واقد أو شقران: « فشهد على ذلك علي بن أبي طالب ، ومولى لرسول الله وأم أيمن . (الخرائج:١/١١٤، والبحار: ١٧/٣٧٩).

١٥- وكانت محل ثقة الزهراء عليها السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام:« فلما نعيّ إلى فاطمة نفسها أرسلت إلى أم أيمن، وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها».(علل الشرائع:١/١٨٧).

١٦- توفيت أم أيمن بعد النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر، وكانت في السبعينات ، لأنها عام ولادته صلى الله عليه وآله كانت جارية باعها أو تركها في مكة جيش أبرهة ، فوصلت الى عبد المطلب. وقد رووا ذلك ومنهم بخاري في تاريخه الصغير:١/٨٨ ، وتاريخ دمشق:٤/٣٠٢، لكنهم أخروا وفاتها ليزعموا أنها رضيت على أبي بكر وعمر ومدحتهما قالوا:« لما قتل عمر قالت أم أيمن اليوم وهى الإسلام» ! (ابن أبي شيبة:٧/٤٧٩، وابن راهويه: ٥/١٥٦، وتاريخ دمشق:٤٤/٤٦١) . لكن ذكر ابن سعد وفاتها بدون رثاء عمر . (الطبقات: ٨/٢٢٦) .

١٧- لأم أيمن ولدان هما أيمن بن عبيد ، وأسامة بن زيد ، وأيمن أفضلهما فقد كان مع النبي صلى الله عليه وآله في حنين وثبت معه عندما هرب المسلمون ! ولم يثبت معه إلا تسعة من بني هاشم ، وكان عاشرهم أيمن رحمه الله.

قال المفيد في الإرشاد:١/١٤٠، ونحوه الإستيعاب:٢/٨١٣:«فلم يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عشرة أنفس ، تسعة من بني هاشم خاصة وعاشرهم أيمن بن أم أيمن ، فقتل أيمن رحمه الله وثبت تسعة النفر الهاشميون ، حتى ثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان انهزم... وقال العباس بن عبد المطلب في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه ... على القوم أخرى يا بني ليرجعوا

وعاشـرنا لاقـى الحمـام بنفسـه   لمـا نالـه فـي الله لا يتوجـع

يعني به أيمن بن أم أيمن » .

واستشهد أيمن رحمه الله وهو يدافع عن النبي صلى الله عليه وآله، فقد جاء عوف بن مالك زعيم هوازن وقال:«أروني محمداً ، فأروه إياه ، فحمل عليه فلقيه أيمن بن عبيدة وهو ابن أم أيمن فالتقيا فقتله مالك». ولم يصل الى النبي صلى الله عليه وآله. (مناقب آل أبي طالب: ١٨١/١ ، وتاريخ دمشق: ٢٥٧/٤ ، وذكر ثبات أيمن في حنين ذخائر العقبى/١٩٨ ، وكبير الطبراني: ٢٨٨/١ .

١٨- في إمتاع الأسماع:٣٤٠/٦:« تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد بن عمرو بن بلال... بن عوف بن الخزرج فنقلها إلى يثرب ، فولدت له أيمن بن عبيد ، فكنيت به وغلبت عليها كنيتها».

١٩- أما أسامة بن زيد بن أم أيمن ، فقد كان في السابعة أو الثامنة عندما هاجر مع والديه ، وعاش معهم في كنف النبي وعترته صلى الله عليه وآله. وكان أسامة أسود قوي البنية ، وقد ،مَّرَه النبي صلى الله عليه وآله على سرية وهو في نحو السابعة عشرة من عمره ، ثم أمَّره في مرض وفاته على جيش من ثلاثة آلاف مقاتل ، وكان في الثامنة عشرة أو السابعة عشرة . وعاد أسامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يبايع أبا بكر حتى بايع علي عليه السلام. وعاش الى زمن معاوية وتوفي سنة ٥٤ هجرية .

ملحق رقم (٦)

في المباهلة

نجران العاصمة الدينية للمسيحية في الجزيرة

وفيها كانت قصة أصحاب الأخدود التي ذكرها الله تعالى في سورة البروج ، فقال: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ. قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ .

قال القمي في تفسيره:٤١٣/٢:«كان سببهم أن الذي هيج الحبشة على غزوة اليمن ذو نواس وهو آخر من ملك من حمير تهود واجتمعت معه حمير على اليهودية وسمى نفسه يوسف وأقام على ذلك حينا من الدهر ، ثم أُخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية وكانوا على دين عيسى وعلى حكم الإنجيل ، ورأس ذلك الدين عبد الله بن بريا ، فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية ويدخلهم فيها ، فسار حتى قدم نجران فجمع من كان بها على دين النصرانية ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها فأبوا عليه ، فجادلهم وعرض عليهم وحرص الحرص كله ، فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها واختاروا القتل ، فخد لهم أخدوداً جمع فيه الحطب وأشعل فيه النار فمنهم من أحرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف ومثل بهم كل مثلة. فبلغ عدد من قتل وأحرق بالنار عشرين ألفا ، وأفلت رجل منهم يدعى دوس ذو ثعلبان على فرس له وركضه واتبعوه حتى أعجزهم في الرمل ، ورجع ذو نواس إلى ضيعته في جنوده فقال الله: قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ..».

ويبدو أن قصة أصحاب الأخدود متعددة ، ففي المحاسن: ٢٤٩/١، عن الإمام الباقر عليه السلام: «بعث الله نبياً حبشياً إلى قومه فقاتلهم فقُتل أصحابه وأسروا ، وخدوا لهم أخدوداً من نار ثم نادوا: من كان من أهل ملتنا فليعتزل ، ومن كان على دين هذا النبي فليقتحم النار ، فجعلوا يقتحمون النار ، وأقبلت امرأة معها صبي لها فهابت النار فقال لها صبيها: إقتحمي ، فاقتحمت النار ! وهم أصحاب الأخدود» !

رسالة النبي صلى الله عليه وآله إلى أسقف نجران

كانت نجران ولاية يحكمها أسقف ومعه رؤساء قبائلها ، والمشهور فيهم بنو عبد المدان ، وكانوا تحت نفوذ هرقل ، وقد بعث لهم بصليب كبير من ذهب .

وعندما كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ملوك العرب والعجم ، أرسل عتبة بن غزوان وعبد الله بن أبي أمية ، والهدير بن عبد الله ، وصهيب بن سنان ،إلى نجران وحواشيها ، وكتب معهم إلى أساقفة نجران.. وقد أوردن نص الرسالة .

جاء وفد نصارى نجران وأقاموا صلاتهم في مسجد النبي صلى الله عليه وآله!

وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وآله في ستين راكباً وفيهم ثلاثة عشر رجلاً من أشرافهم وذوي الرأي والحجى منهم ، وثلاثة يتولون أمرهم: العاقب واسمه عبد المسيح أمير الوفد وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، والسيد واسمه الأيهم ، وهو ثمالهم وصاحب رحلهم ، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم الأول وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم ، وهو الأسقف الأعظم .. وتقدمت إجازة النبي صلى الله عليه وآله لهم أن يقيموا صلاتهم في مسجده ويضربوا الناقوس ..

سمع اليهود بمجيئ وفد النصارى فحضروا معهم

في الإرشاد: ١٦٦/١: «فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فصار إليهم اليهود وتساءلوا بينهم فقالت النصارى لهم: لستم على شئ وقالت لهم اليهود: لستم على شئ ! وفي ذلك أنزل الله سبحانه: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لايَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ». ونحوه ابن هشام: ٣٩٤/٢.

وفي تفسير فرات/٨٩، عن علي عليه السلام قال: «لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وآله قدم فيهم ثلاثة من النصاري من كبارهم العاقب وقيس والأسقف، فجاؤوا إلى اليهود وهم في بيت المدارس فصاحوا بهم ياإخوة القردة والخنازير هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم ! إنزلوا إلينا . فنزل إليهم ابن صوريا اليهودي وكعب بن الأشرف اليهودي فقالوا لهم: إحضروا غداً نمتحنه .

قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا صلى الصبح قال: ها هنا من الممتحنة أحد؟ قان وجد أحداً أجابه وإن لم يجد أحداً قرأ على أصحابه ما نزل عليه في تلك الليلة .

فلما صلى الصبح جلسوا بين يديه فقال له الأسقف: يا أبا القاسم فداك أبي: موسى من أبوه ؟ قال: عمران . قال: فيوسف من أبوه ؟ قال: يعقوب . قال: فأنت فداك أبي وأمي من أبوك ؟ قال: عبد الله بن عبد المطلب. قال: فعيسى من أبوه ؟ قال: فسكت النبي صلى الله عليه وآله وكان رسول الله ربما احتاج إلى شئ من المنطق فينقض عليه جبرئيل عليه السلام من السماء السابعة فيصل له منطقه في أسرع من طرفة عين ، فذاك قول الله تعالى: وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر . قال: فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: هو روح الله وكلمته فقال له الأسقف: يكون روح بلا جسد ؟ قال: فسكت النبي صلى الله عليه وآله. قال: فأوحى إليه: إن مثل

عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . قال: فنزا الأسقف نزوة إعظاما لعيسى عليه السلام أن يقال له: من تراب . ثم قال: ما نجد هذا يا محمد في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا نجد هذا إلاعندك !

قال: فأوحى الله إليه: قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم. فقالوا: أنصفتنا يا أبا القاسم فمتى موعدك ؟ قال: بالغداة إن شاء الله. قال:فانصرف اليهود وهم يقولون: لا إله إلا الله ، ما نبالي أيهما أهلك الله: النصرانية أو الحنيفية».

وفي سيرة ابن هشام:٣٩٠/٢:«قال ابن إسحاق: ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وآله أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله(ص) فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شئ ، وكفروا بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شئ ، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَئْ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَئْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به ، أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام، من تصديق موسى عليه السلام، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما في يد صاحبه».

وفي سيرة ابن هشام:٣٥/٢: «وقال أبو رافع القرظي: حين اجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله (ص) ودعاهم إلى الإسلام: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران

نصراني ، يقال له: الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال. فقال رسول الله (ص): معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني الله ولا أمرني ، أو كما قال . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٢١٧ ، عن علي عليه السلام قال:«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا ترفعوني فوق حقي ، فإن الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً . قال الله تبارك وتعالى: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ...».

عندما وصلوا أمهلهم النبي صلى الله عليه وآله ثلاثاً ثم ناظرهم

في الإقبال/٣٤٣: «ثم أمهلهم وأمهلوه ثلاثاً ، فلم يدعهم ولم يسألوه ، لينظروا إلى هديه ويعتبروا ما يشاهدون منه مما يجدون من صفته . فلما كان بعد ثالثة دعاهم صلى الله عليه وآله إلى الإسلام فقالوا: يا أبا القاسم ما أخبرتنا كتب الله عز وجل بشئ من صفة النبي المبعوث بعد الروح عيسى عليه السلام إلا وقد تعرفناه فيك إلا خلة هي أعظم الخلال آية ومنزلة وأجلاها أمارة ودلالة. قال صلى الله عليه وآله: وما هي؟ قالوا: إنا نجد في الإنجيل من صفة النبي الغابر من بعد المسيح أنه يصدق به ويؤمن به وأنت تسبه وتكذب به وتزعم أنه عبد !

قال: فلم تكن خصومتهم ولامنازعتهم للنبي إلا في عيسى عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ، بل أصدقه وأصدق به وأؤمن به ، وأشهد أنه النبي المرسل من ربه عز وجل وأقول: إنه عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

قالوا: وهل يستطيع العبد أن يفعل ما كان يفعل؟ وهل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدرة القاهرة ؟ ألم يكن يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، وينبئهم بما يكنون في صدورهم وما يدخرون في بيوتهم؟ فهل يستطيع هذا إلا الله عزو جل أو ابن الله ؟ وقالوا في الغلو فيه وأكثروا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

فقال صلى الله عليه وآله:قد كان عيسى أخي كما قلتم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخبر قومه بما في نفوسهم ، وبما يدخرون في بيوتهم ، وكل ذلك بإذن الله عز وجل ، وهو لله عز وجل عبد ، وذلك عليه غير عار ، وهو منه غير مستنكف ، فقد كان لحماً ودماً وشعرًا وعظماً وعصباً وأمشاجاً ، يأكل الطعام ويظمأ وينصب . بارؤه وربه الأحد الحق الذي ليس كمثله شئ وليس له ند . قالوا: فأرنا مثله من جاء من غير فحل ولا أب؟ قال: هذا آدم عليه السلام أعجب منه خلقاً جاء من غير أب ولا أم وليس شئ من الخلق بأهون على الله عز وجل في قدرته من شئ ولا أصعب: إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . وتلا عليهم: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . (آل عمران:٥٩).

قالا: فما نزداد منك في أمر صاحبنا إلا تبايناً ، وهذا الأمر الذي لا نقر لك فهلم فلنلاعنك أينا أولى بالحق ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين فإنها مثلة وآية معجلة .

فأنزل الله عز وجل آية المباهلة على رسول الله صلى الله عليه وآله: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ

لَعْنَةَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ . (آل عمران:٦١) فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما نزل عليه في ذلك من القرآن ، فقال صلى الله عليه وآله: ان الله قد أمرني أصير إلى ملتمسكم وأمرني بمباهلتكم إن أقمتم وأصررتم على قولكم .

قالا: وذلك آية ما بيننا وبينك إذا كان غداً باهلناك ! ثم قاما وأصحابهما من النصارى معهما ، فلما أبعدا وقد كانوا أنزلوا بالحرة ، أقبل بعضهم على بعض فقالوا: قد جاءكم هذا بالفصل من أمره وأمركم ، فانظروا أولاً بمن يباهلكم بكافة أتباعه أم بأهل الكتاب من أصحابه ، أو بذوي التخشع والتنسك والصفوة ديناً وهم القليل منهم عدداً . فإن جاءكم بالكثرة وذوي الشدة منهم ، فإنما جاءكم مباهياً كما يصنع الملوك ، فالفلج إذاً لكم دونه ، وإن أتاكم بنفر قليل من ذوي تخشع ، فهؤلاء سجية الأنبياء وصفوتهم وموضع بهلتهم ، فإياكم والإقدام إذاً على مباهلتهم ، فهذه لكم أمارة ، وانظروا حينئذ ما تصنعون ما بينكم وبينه ، فقد أعذر من أنذر .

فأمر صلى الله عليه وآله بشجرتين فقصدتا وكسح ما بينهما ، وأمهل حتى إذا كان من الغد أمر بكساء أسود رقيق فنشر على الشجرتين ، فلما أبصر السيد والعاقب ذلك خرجا بولديهما صبغة المحسن وعبد المنعم وسارة ومريم ، وخرج معهما نصارى نجران وركب فرسان بني الحرث بن الكعب في أحسن هيئة .

وأقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الناس ، في قبائلهم وشعارهم من راياتهم وألويتهم ، وأحسن شارتهم وهيئتهم ، لينظروا ما يكون من الأمر !

ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرته حتى متع النهار ، ثم خرج آخذاً بيد علي والحسن والحسين أمامه وفاطمة عليها السلام من خلفهم ، فأقبل بهم حتى أتى الشجرتين فوقف من

بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته ، فأرسل إليهما يدعوهما إلى ما دعاه إليه من المباهلة ، فأقبلا إليه فقالا: بمن تباهلنا يا أبا القاسم؟ قال: بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله عز وجل ، بهؤلاء وأشار لهما إلى علي وفاطمة والحسن والحسين .

قالا: فما نراك جئت لمباهلتنا بالكبر ولامن الكثر ولا أهل الشارة ممن نرى ممن آمن بك واتبعك ، وما نرى هاهنا معك إلا هذا الشاب المرأة والصبيين ، أفبهؤلاء تباهلنا ؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم ، أوَلم أخبركم بذلك آنفاً ، نعم بهؤلاء أمرت والذي بعثني بالحق أن أباهلكم .

فاصفارت حينئذ ألوانهما وكرا وعادا إلى أصحابهما وموقفهما ، فلما رأى أصحابهما ما بهما وما دخلهما قالوا: ما خطبكما ؟ فتماسكا ، وقالا: ما كان ثمة من خطب فنخبركم ، وأقبل عليهم شاب كان من خيارهم قد أوتي فيهم علماً فقال: ويحكم لا تفعلوا ، واذكروا ما عثرتم عليه في الجامعة من صفته ، فوالله إنكم لتعلمون حق العلم إنه الصادق ، وإنما عهدكم بإخوانكم حديث من قد مسخوا قردة وخنازير ، فعلموا أنه قد نصح لهم فأمسكوا .

قال: وكان للمنذر ين علقمة أخ أسقفهم أبي حارثة حظ من العلم فيهم يعرفونه له وكان نازحاً عن نجران في وقت تنازعهم ، فقدم وقد اجتمع القوم على الرحلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشخص معهم ، فلما رأى المنذر انتشار أمر القوم يومئذ وترددهم في رأيهم ، أخذ بيد السيد والعاقب على أصحابه فقال: أخلوني وهذين فاعتزل بهما . ثم أقبل عليهما فقال: إن الرائد لا يكذب أهله ، وأنا لكما جد شفيق فإن نظرتما لأنفسكما نجوتما ، وإن تركتما ذلك هلكتما وأهلكتما .

قالا: أنت الناصح جيباً المأمون عيباً فهات ، قال: أتعلمان أنه ما باهل يوم نبياً قط إلا كان مهلكم ! إن محمداً أبا القاسم هذا هو الرسول الذي بشرت به الأنبياء وأفصحت ببيعتهم وأهل بيتهم الأمناء ! وأخرى أنذركما بها فلا تعشوا عنها ، قالا: وما هي يا أبا المثنى ؟ قال: أنظرا إلى النجم قد استطلع إلى الأرض والى خشوع الشجر وتساقط الطير بأزائكما لوجوههما قد نشرت على الأرض أجنحتها وقاءت ما في حواصلها وما عليها لله عز وجل من تبعة ، ليس ذلك إلا ما قد أظل من العذاب ، وانظرا إلى اقشعرار الجبال والى الدخان المنتشر وقزع السحاب ، هذا ونحن في حمارة القيظ وأبان الهجير !

وانظرا إلى محمدﷺرافعاً يده والأربعة من أهله معه ، إنما ينتظر ماتجيبان به ، ثم اعلموا إنه إن نطق فوه بكلمة من بهلة لم نتدارك هلاكاً ولم نرجع إلى أهل ولامال. فنظرا فابصرا أمراً عظيما فأيقنا أنه الحق من الله تعالى ، فزلزت أقدامها وكادت أن تطيش عقولهما واستشعرا أن العذاب واقع بهما ، فلما أبصر المنذر بن علقمة ما قد لقيا من الخيفة والرهبة قال لهما: إنكما إن أسلمتها له سلمتما في عاجله وآجله وإن آثرتما دينكما وغضارة ملتكما وشححتما بمنزلتكم من الشرف في قومكما ، فلست أحجر عليكما الضنين بما نلتما من ذلك ، ولكنكما بدهتما محمداً بتطلب المباهلة وجعلتماها حجازاً وآية بينكما وبينه ، وشخصتما من نجران ، وذلك من تاليكما ، فأسرع محمدﷺإلى ما بغيتما منه والأنبياء إذا أظهرت بأمر لم ترجع إلا بقضائه وفعله ، فإذ نكلتما عن ذلك ، وإذ هلتكما مخافة ما تريان ، فالحظ في النكول لكما ، فالوحا يا إخوتي الوحا ، صالحا محمداﷺ وارضياه ولا ترجيا ذلك، فإنكما وأنا معكما بمنزلة قوم يونس لما غشيهم العذاب.

قالا: فكن أنت يا أبا المثنى أنت الذي تلقى محمداً بكفالة ما يبتغيه لدينا والتمس لنا إليه ابن عمه هذا ليكون هو الذي يبرم الأمر بيننا وبينه ، فإنه ذو الوجه والزعيم عنده ، ولا تبطئن به ما ترجع إلينا به .

وانطلق المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله: أشهد أن لا إله إلا الله الذي بعثك وأنك وعيسى عبدان لله عز وجل مرسلان ، فأسلم وبلغه ما جاء له ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لمصالحة القوم ، فقال علي عليه السلام: بأبي أنت على ما أصحالهم ؟ فقال له: رأيك يا أبا الحسن فيما تبرم معهم معه رأيي ، فصار إليهم فصالحاه على ألف حلة وألف دينار خرجاً في كل عام يؤديان شطر ذلك في المحرم وشطراً في رجب .

فصار علي عليه السلام بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ذليلين صاغرين وأخبره بما صالحهما عليه وأقرا له بالخرج والصغار ، فقال له رسول صلى الله عليه وآله: قد قبلت ذلك منكم ، أما إنكم لو باهلتمونى بمن تحت الكساء لأضرم الله عليكم الوادي ناراً تأجج ، ثم لساقها الله عز وجل إلى من ورائكم في أسرع من طرف العين ، فحرقهم تأججاً .

فلما رجع النبي صلى الله عليه وآله بأهل بيته وصار إلى مسجده هبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول: ان عبدي موسى عليه السلام باهل عدوه قارون بأخيه هارون وبنيه ، فخسفت بقارون وأهله وماله وبمن آزره من قومه ، وبعزتي أقسم وبجلالي ، يا أحمد لو باهلت بك وبمن تحت الكساء من أهلك أهل الأرض والخلائق جميعا لتقطعت السماء كسفاً والجبال زبراً ولساخت الأرض فلم تستقر أبداً ، إلا أن أشاء ذلك .

فسجد النبي صلى الله عليه وآله ووضع على الأرض وجهه ثم رفع يديه حتى تبين للناس عفرة إبطيه فقال: شكراً للمنعم ، قالها ثلاثاً ، فسئل النبي صلى الله عليه وآله عن سجدته ومما رأى من تباشير السرور في وجهه ، فقال: شكراً لله عز وجل لما أبلاني من الكرامة في أهل بيتي ، ثم حدثهم بما جاء به جبرئيل عليه السلام».

رواية المباهلة من كتاب الإختصاص

في الإختصاص للمفيد رحمه الله/١١٢، عن محمد بن المنكدر عن أبيه قال:« لما قدم السيد والعاقب أسقفا نجران في سبعين راكباً وافداً على النبي صلى الله عليه وآله كنت معهم فبينا كرز يسير وكرز صاحب نفقاتهم ، إذ عثرت بغلته فقال: تعس من نأتيه الأبعد يعني النبي صلى الله عليه وآله! فقال له صاحبه وهو العاقب: بل تعست وانتكست ! فقال: ولم ذلك ؟ قال: لأنك أتعست النبي الأمي أحمد ، قال: وما علمك بذلك ؟ قال: أما تقرأ من المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح: أن قل لبني إسرائيل: ما أجهلكم تتطيبون بالطيب لتطيبوا به في الدنيا عند أهلها وأهلكم وأجوافكم عندي كالجيفة المنتنة ! يا بني إسرائيل ، آمنوا برسولي النبي الأمي الذي يكون في آخر الزمان ، صاحب الوجه الأقمر والجمل الأحمر ، المشرب بالنور ، ذي الجناب الحسن والثياب الخشن ، سيد الماضين عندي وأكرم الباقين علي ، المستن بسنتي ، والصائر في دارجتي ، والمجاهد بيده المشركين من أجلي ، فبشر به بني إسرائيل ومر بني إسرائيل أن يعزروه وأن ينصروه .

قال عيسى صلى الله عليه: قدوس قدوس ، من هذا العبد الصالح الذي قد أحبه قلبي ولم تره عيني؟ قال: هو منك وأنت منه وهو صهرك على أمك ، قليل الأولاد كثير الأزواج ، يسكن مكة من موضع أساس وطي إبراهيم ، نسله من مباركة وهي ضرة

أمك في الجنة ، له شأن من الشأن ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ، يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة ، له حوض من شفير زمزم إلى مغيب الشمس حيث يغرب ، فيه شرابان من الرحيق والتسنيم ، فيه أكاويب عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداوذلك بتفضيلي إياه على سائر المرسلين ، يوافق قوله فعله وسريرته علانيته ، فطوبى له وطوبى لأمته ، الذين على ملته يحيون وعلى سنته يموتون ومع أهل بيته يميلون ، آمنين مؤمنين مطمئنين مباركين ويظهر في زمن قحط وجدب فيدعوني ، فترخى السماء عزاليها حتى يرى أثر بركاتها في أكنافها ، وأبارك فيما يضع فيه يده .

قال: إلهي سمه ، قال: نعم هو أحمد وهو محمد رسولي إلى الخلق كافة ، وأقربهم مني منزلة وأحضرهم عندي شفاعة ، لا يأمر إلا بما أحب وينهى لما أكره . قال له صاحبه: فأنى تقدم بنا على من هذه صفته ؟

قال: نشهد أحواله وننظر آياته فإن يكن هو هو ساعدناه بالمسالمة ونكفه بأموالنا عن أهل ديننا من حيث لا يشعر بنا ، وإن يكن كاذباً كفيناه بكذبه على الله عز وجل !

قال: ولم إذا رأيت العلامة لا تتبعه ؟ قال: أما رأيت ما فعل بنا هؤلاء القوم أكرمونا ، ومولونا ونصبوا لنا الكنائس وأعلوا فيه ذكرنا ، فكيف تطيب النفس بالدخول في دين يستوي فيه الشريف والوضيع .

فلما قدموا المدينة قال من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأينا وفداً من وفود العرب كانوا أجمل منهم ، لهم شعور وعليهم ثياب الحبر، وكان رسول الله متناء عن المسجد ، فحضرت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تلقاء المشرق فهمَّ بهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فمنعهم ، فأقبل رسول الله فقال: دعوهم فلما قضوا صلاتهم جلسوا إليه وناظروه ، فقالوا: يا أبا القاسم حاجنا في عيسى ، قال: هو عبد

الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فقال أحدهما: بل هو ولده وثاني اثنين . وقال آخر: بل هو ثالث ثلاثة: أب وابن وروح القدس ، وقد سمعناه في قرآن نزل عليك يقول: فعلنا وجعلنا وخلقنا ولو كان واحداً لقال: خلقت وجعلت وفعلت !

فتغشى النبي صلى الله عليه وآله الوحي فنزل عليه صدر سورة آل عمران إلى قوله رأس الستين ، منها: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ . (آل عمران:٦١) فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله القصة وتلا عليهم القرآن ، فقال بعضهم: لبعض: قد والله أتاكم بالفصل من خبر صاحبكم .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل قد أمرني بمباهلتكم ، فقالوا: إذا كان غداً باهلناك . فقال القوم بعضهم لبعض: حتى ننظر بما يباهلنا غداً بكثرة أتباعه من أوباش الناس أم بأهله من أهل الصفوة والطهارة ، فإنهم وشيج الأنبياء وموضع نهلهم . فلما كان من غد غدا النبي صلى الله عليه وآله بيمينه علي وبيساره الحسن والحسين عليهما السلام ومن ورائهم فاطمة صلى الله عليها ، عليهم النمار النجرانية ، وعلى كتف رسول الله صلى الله عليه وآله كساء قطواني رقيق خشن ليس بكثيف ولا لين ، فأمر بشجرتين فكسح ما بينهما ونشر الكساء عليهما وأدخلهم تحت الكساء وأدخل منكبه الأيسر معهم تحت الكساء ، معتمداً على قوسه النبع ، ورفع يده اليمنى إلى السماء للمباهلة ، واشرأب الناس ينظرون واصفرَّ لون السيد والعاقب وكرَّا حتى كاد أن يطيش عقولهما ، فقال أحدهما لصاحبه: أنباهله ؟ قال: أوَما علمت أنه ما باهل قوم قط نبياً فنشأ صغيرهم وبقي كبيرهم ؟! ولكن أره أنك غير مكترث وأعطه من المال والسلاح ما أراد ، فإن الرجل محارب ، وقل له: أبهؤلاء تباهلنا لئلا يرى أنه قد تقدمت معرفتنا بفضله وفضل أهل بيته .

فلما رفع النبي صلى الله عليه وآله يده إلى السماء للمباهلة قال أحدهما لصاحبه: وأي رهبانية؟! دارك الرجل فإنه إن فاه ببهلة لم نرجع إلى أهل ولا مال ، فقالا: يا أبا القاسم أبهؤلاء تباهلنا ؟ قال: نعم ، هؤلاء أوجه من على وجه الأرض بعدي إلى الله عز وجل وجهة وأقربهم إليه وسيلة ، قال: فبصبصا يعني ارتعدا وكرًا وقالا له: يا أبا القاسم نعطيك ألف سيف وألف درع وألف حجفة وألف دينار كل عام ، على أن الدرع والسيف والحجفة عندك إعارة حتى يأتي من وراءنا من قومنا فنعلمهم بالذي رأينا وشاهدنا فيكون الأمر على ملأ منهم ، فإما الإسلام وإما الجزية وإما المقاطعة في كل عام .

فقال النبي صلى الله عليه وآله: قد قبلت ذلك منكما . أما والذي بعثني بالكرامة لو باهلتموني بمن تحت الكساء لأضرم الله عز وجل عليكم الوادي ناراً تأجج ، حتى يساقها إلى من وراءكم في أسرع من طرفة العين فأحرقتم تأججاً !فهبط عليه جبرئيل الروح الأمين عليه السلام فقال: يا محمد الله يقرؤك السلام ويقول لك: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو باهلت بمن تحت الكساء أهل السماوات وأهل الأرض لساقطت السماء كسفاً متهافتة ، ولتقطعت الأرضون زبراً سائحة ، فلم تستقر عليها بعد ذلك ! فرفع النبي صلى الله عليه وآله يديه حتى رئي بياض إبطيه ، ثم قال: وعلى من ظلمكم حقكم وبخسني الأجر الذي افترضه الله فيكم عليهم بهلة الله تتابع إلى يوم القيامة».

وفي تفسير العياشي:١٧٦/١ ، عن مؤمن الطاق قال:« قال أبو عبد الله عليه السلام: ما تقول قريش في الخمس؟قال قلت: تزعم أنه لها ! قال: ما أنصفونا والله لو كان مباهلة ليباهلن بنا ، ولئن كان مبارزة ليبارزن بنا ثم نكون وهم على سواء...أفيكون لنا المر ولهم الحلو؟!».

مستحبات يوم المباهلة

قال في المعتبر:٧٠٩/٢:«ويستحب صوم يوم المباهلة ، يصام شكراً على ظهور نبيناﷺعلى الخصم وما حصل فيه من التنبيه على فضل عليعليه السلاموإختصاصه بما لم يحصل لغيره من الكرامة الموجبة ، لإخبار الله أن نفسه نفس رسول اللهﷺ»

وقال في الجواهر:١٠٩/١٧:« وهو اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة ، قيل وهو الذي تصدق فيه أمير المؤمنينعليه السلامبخاتمه في ركوعه فنزل قوله تعالى: " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " وأظهر الله فيه نبيهﷺعلى خصمه ... فهو حينئذ أشرف الأيام الذي ينبغي فيه الصيام شكراً لهذه النعم الجسام والمنن العظام ».

وفي مصباح المتهجد/٧٥٩:«وروي أنه يوم الرابع والعشرين وهو الأظهر ، وروى: عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع قال: لما قدم صهيب مع أهل نجران ، ذكر لرسول اللهﷺ ما خاصموه به من أمر عيسى بن مريمعليه السلاموأنهم ادعوه ولداً فدعاهم رسول اللهﷺفخاصمهم وخاصموه .. ثم روى دعاء يوم المباهلة عن الإمام الصادقعليه السلام، وهو دعاء البهاء المتقدم . ثم روى/٧٦٤، عن الإمام الكاظمعليه السلامقال: يوم المباهلة اليوم الرابع والعشرون من ذي الحجة ، تصلي في ذلك اليوم ما أردت من الصلاة ، فكلما صليت ركعتين استغفرت الله تعالى بعقبها سبعين مرة ، ثم تقوم قائماً وترمي بطرفك في موضع سجودك وتقول وأنت على غسل : الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله فاطر السماوات والأرض ...».

○ ○

ملحق رقم (٧)

من سيرة أم المؤمنين خديجة عليها السلام

١- صار بيت خديجة عليها السلام بيت النبي صلى الله عليه وآله، ويقع في الجهة المقابلة لشعب بني هاشم وكان الى وقت قريب معروفاً ببيت خديجة ومولد فاطمة عليها السلام ، ويقع في سوق الليل وهو سوق لبيع الذهب ، وقد زرته في الستينات والسبعينات ميلادية ، حتى هدمه الوهابيون وأزالوه فيما أزالوا من آثار النبي صلى الله عليه وآله وآثار الإسلام !

وعندما كتبت قريش صحيفة المقاطعة ، اضطر النبي صلى الله عليه وآله أن يترك بيته ويدخل مع بني هاشم في شعب أبي طالب ، وتحملت خديجة معه صلى الله عليه وآله سنوات المحاصرة فأرسل الله جبرئيل ليقرئها السلام.ويسليها عن فقدانها بيتها ، ويبشرها بأنه بنى لها بيتاً في الجنة . وكان النبي صلى الله عليه وآله يذكرها كل عمره ويمدحها ، فكانت عائشة تحسدها وتغار منها: قالت:«ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة»! (صحيح بخاري: ١٩٥/٨).

لاحظ أن عائشة ذكرت سبب حسدها لخديجة ، ولم تذكر هنا صفة بيتها !

وقد ذكرتها رواية أهل البيت عليهم السلام، ففي شرح الأخبار:١٧/٣، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:«قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام:إن جبرائيل عليه السلام عهد إليَّ أن بيت أمك خديجة في الجنة بين بيت مريم ابنة عمران وبين بيت آسية امرأة فرعون ، من لؤلؤة جوفاء ، لا صخب فيه ولا نصب».

وفي نظم درر السمطين للزرندي الحنفي/١٨٣، والفصول مهمة لابن الصباغ:٦٦٦/١، عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله:«مر في السماء السابعة قال: فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ،

ولآسية امرأة فرعون ، ولخديجة بنت خويلد ، قصوراً من الياقوت ، ولفاطمة بنت محمد سبعين قصراً من مرجان أحمر ، مكللةً باللؤلؤ».

وقد روى عددٌ من مصادرهم حديث بيت خديجة عليها السلام بدون قصب ! ففي فضائل الصحابة/٧٥ ، للنسائي:«بشر رسول الله (ص) خديجة ببيت في الجنة لاصخب فيه ولا نصب». والنسائي:٩٤/٥، والجامع الصغير:٢٤٧/٢ ، وتاريخ الذهبي:٢٣٨/١.

لكن بيت خديجة صار عند عائشة كوخاً من قصب !« بشر خديجة ببيت من الجنة من قصب ، لاصخب فيه ولانصب»! (صحيح بخاري: ٢٠٣/٢).

أما لماذا من قصب؟فتقول عائشة:«توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ، فقال رسول الله (ص): أريتُ لخديجة بيتاً من قصب ، لا صخب فيه ولانصب».

وفي فتح الباري:٢٧/١:«خرَّج المصنف بالإسناد في التاريخ حديث الباب عن عائشة ثم عن جابر بالإسناد المذكور هنا ، فزاد فيه.. وماتت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ، فقال النبي: رأيت لخديجة بيتاً من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب».

وفي مسند أبي يعلى:٤١/٤ ، من حديث المعراج:«وسئل(ص) عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن؟ فقال: أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب» ! وفي الطبراني الأوسط:١٢٠/٨:« ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن». ومثله تاريخ دمشق:٢٢/٦٣ ، وصححه مجمع الزوائد:٤١٦/٩.

فبيت خديجة عليها السلام بزعم عائشة من قصب لأنها لم تصلِّ ، أما بيتها هي فمن لؤلؤ ، لأنها صلَّت ! وهذا يسليها عن بشارة النبي صلى الله عليه وآله لخديجة وحبه لها .

ثم جاء المعذرون ومنهم بخاري ، فأرادوا أن يغطوا الفضيحة ، لأن الصلاة فرضت في أول البعثة ، فجعلوا قصب عائشة بمعنى الذهب ! لكن اللغة تأبى عليهم ، فالقصب

هو النبات المعروف المجوف ، ولم يرد وصفاً لقصور الجنة !

وتمحل بعضهم فقال إنه بيت إضافي لخديجة غير بيت اللؤلؤ ! أو إشارة الى أنها أحرزت قصبة السبق وهي قصبة يجعلونها آخر الميدان . أو« من جهة استواء أكثر أنابيبه وكذا كان لخديجة من الإستواء ما ليس لغيرها». (فتح الباري:١٠٤/٧).

وكلها أعذار تؤكد أن بيوت الجنة من لؤلؤ وذهب ، ولكن عائشة أبت أن تجعل بيت خديجة المظلومة ، إلا من قصب !

٢- اشتهر حسد عائشة لخديجة عليها السلام وكانت تجهر به وبغضب النبي صلى الله عليه وآله عليها لذلك، ولا سبب لهذا الحسد سبب إلا مكانة خديجة عليها السلام عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يردد ذكرها ويمدحها ليُعَرِّف المسلمين بقدرها فتثور عائشة !

ففي سيرة ابن إسحاق:٢٢٨/٥:« عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير نسائها مريم ابنة عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد».

وفي سيرة ابن هشام:١٥٩/١، وتفسير العياشي:٢٧٩/٢ ، والإستيعاب:١٨٢١/٤، عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله قال:«إن جبرئيل قال لي ليلة أسريَ بي : وحين رجعت فقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟فقال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام . وحدثنا عند ذلك أنها قالت حين لقَّاها نبي الله السلام فقال لها الذي قال جبرئيل قالت: إن الله هو السلام ومنه السلام واليه السلام ، وعلى جبرئيل السلام».

وفي الخصال/٢٠٥ ، عن ابن عباس قال:«خط رسول الله صلى الله عليه وآله أربع خطط في الأرض وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فقال: أفضل نساء الجنة أربع: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». وروته مصادر السنيين باستفاضة .

وفي الخصال/٢٢٥، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شئ أربعة: اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، واختار من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم و داود وموسى وأنا، واختار من البيوتات أربعة فقال: إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . واختار من البلدان أربعة فقال عز وجل: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ . فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة . واختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة، واختار من الحج أربعة: الثج والعج والإحرام والطواف، فأما الثج فالنحر والعج ضجيج الناس بالتلبية . واختار من الأشهر أربعة: رجب وشوال وذا القعدة وذا الحجة . واختار من الأيام أربعة: يوم الجمعة ويوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر».

وفي سيرة ابن إسحاق:٥/٢٣٤:«حسبك من نساء العالمين بأربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد».

إن هذه المكانة الجليلة كانت تحرك الحسد في قلب عائشة ! وقد تقدم قولها:«ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة»! (صحيح بخاري:٨/١٩٥) .

وفي فتح الباري:٧/١٠٢، أن أكثر حسدها لخديجة كان بسبب بشارة جبرئيل لها ببيت في الجنة قال:« عن هشام بن عروة بلفظ: ما حسدت امرأة قط ما حسدت خديجة حين بشرها النبي ببيت». أي لأجل أنه بشرها ببيت من ربها في الجنة !

وفي السيرة الحلبية:٣/٤٠١:«قالت له وقد مدح خديجة: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها ! فغضب رسول الله (ص) وقال: والله ما أبدلني الله خيراً منها» !

وفي سيرة ابن إسحاق:٥/٢٢٨، عن أبي نجيح قال:«أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله جزور أو لحم،

فأخذ عظماً منها فتناوله بيده فقال له: إذهب به إلى فلانة ، فقالت له عائشة: لم غَمَرْتَ (الغمر: الدسم) يدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن خديجة أوصتني بها ، فغارت عائشة وقالت: لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة ! فقام رسول الله مغضباً فلبث ما شاء الله ، ثم رجع فإذا أم رومان فقالت: يا رسول الله ما لك ولعائشة إنها حَدَث ، وأنت أحق من تجاوز عنها، فأخذ بشدق عائشة وقال:ألست القائلة كأنما ليس على الأرض امرأة إلا خديجة ! والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد وحرمتموه» !

وفي العمدة/٣٩٤، أنه صلى الله عليه وآله طرد عائشة «فقال صلى الله عليه وآله: قومي عني فقامت إلى ناحية من البيت ولعلها تكلمت بعد قيامها فأخذ بشدقها» ولم تبين الرواية كيف أخذ بشدقها ، وهل سد شدقها ليسكتها فقط ، أم ضغط عليه تأديباً لها !

وفي الخصال/٤٠٥ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« دخل رسول الله صلى الله عليه وآله منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترينَ إلا أن لأمك علينا فضلاً ، وأي فضل كان لها علينا ما هي إلا كبعضنا ! فسمع مقالتها لفاطمة ، فلما رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله بكت ، فقال: ما يبكيك يا بنت محمد ؟ قالت: ذكرت أمي فتنقصتها فبكيت ! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: مه يا حميراء فإن الله تبارك وتعالى بارك في الودود الولود ، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبدالله وهو المطهر ، وولدت مني القاسم وفاطمة. [وأم كلثوم وزينب] وأنت ممن أعقم الله رحمه ، فلم تلدي شيئاً » !

ورغم نهي النبي صلى الله عليه وآله وغضبه على عائشة فقد استمر حسدها لخديجة عليها السلام وامتد الى ابنتها فاطمة عليها السلام ! ولعائشة قصص في حساسيتها منها ، لكن سلوك فاطمة عليها السلام الرباني فرض احترامها على عائشة حتى كانت تقول:« ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة

إلا أن يكون الذي ولدها». (الإستيعاب:١٨٩٦/٤، والزوائد:٢٠١/٩، وصححه. وأبو يعلى:١٥٣/٨، وفيه: وكان بينهما شئ فقالت عائشة: يارسول الله سلها فإنها لا تكذب !

٣- لا يصح تصديق روايات عائشة والمتعصبين لها في أي شئ يتعلق بخديجة عليها السلام: فإن من أصول القضاء رد شهادة المتهم في حق من يتهمه ، وما دامت عائشة اعترفت بحسدها المفرط لخديجة عليها السلام ، فلا يقبل قولها ولا قول ابن أختها عروة عن خديجة ! ولذا نتوقف في قول حكيم بن حزام صاحب عروة والمتعصب لعائشة:«كان عمر رسول الله يوم تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وعمرها أربعون سنة . بينما قال ابن عباس كان عمرها ثمانياً وعشرين سنة ، رواهما ابن عساكر ! وقال ابن جرير:كان ابن سبع وثلاثين سنة. وكذا نقل البيهقي عن الحاكم.. وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين وقيل خمساً وعشرين سنة». (سيرة ابن كثير:٢٦٥/١).

٤- أحل الله لنبيه من النساء ما شاء ، لكنه لم يتزوج على خديجة ولم يتزوج لهواه ففي الكافي:٣٨٩/٥ ، أن أبا بكر الحضرمي سأل الإمام الباقر عليه السلام:« عن قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ؟ كم أحل له من النساء؟قال: ما شاء من شئ. قلت: قوله عز وجل: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فقال: لاتحل الهبة إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح إلا بمهر قلت: أرأيت قول الله عز وجل: لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ؟ فقال: إنما عنى به لايحل لك النساء التي حرم الله في هذه الآية: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ..الى آخرها ، ولو كان الأمر كما تقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له ، لأن أحدكم يستبدل كلما أراد ولكن ليس الأمر كما يقولون . إن الله عز وجل أحل لنبيه صلى الله عليه وآله أن ينكح من النساء ما أراد إلا ما حرم عليه في هذه الآية» .

ثم روى عن أبي بصير وغيره في تسمية نساء النبي صلى الله عليه وآله قال:«عائشة ، وحفصة ، وأم

حبيب بنت أبي سفيان بن حرب ، وزينب بنت جحش ، وسودة بنت زمعة ، وميمونة بنت الحارث ، وصفية بنت حي بن أخطب ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وجويرية بنت الحارث . وكانت عائشة من تيم ، وحفصة من عدي ، وأم سلمة من بني مخزوم ، وسودة من بني أسد بن عبد العزى ، وزينب بنت جحش من بني أسد وعدادها من بني أمية ، وأم حبيب بنت أبي سفيان من بني أمية ، وميمونة بنت الحارث من بني هلال ، وصفية بنت حي بن أخطب من بني إسرائيل .

ومات صلى الله عليه وآله عن تسع نساء وكان له سواهن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وخديجة بنت خويلد أم ولده، وزينب بنت أبي الجون التي خدعت ، والكندية».

ثم روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتزوج على خديجة .

٥. اشتهر وفاء النبي صلى الله عليه وآله لخديجة عليها السلام ونشرت ذلك عائشة في قصص غيرتها منها ، قال ابن البطريق في العمدة/٣٩٤: «أبو إسحاق بإسناده عن أم رومان (أم عائشة) قالت: كان لرسول الله (ص) جارة قد أوصته خديجة أن يتعاهدها ، فحضر عنده شئ من المأكل فأمر بإعطائها وقال: هذه أمرتني خديجة بأن أتعاهدها ، فقالت عائشة ، وكنت أحسدها لكثرة ذكره لها...». وتقدم ذلك .

وعندما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله أموال بني النضير ، ومنها فدك أمره أن يفي لخديجة التي وهبته كل أموالها ، فيعطي فدكاً لابنتها ووارثتها الوحيدة فاطمة عليها السلام. وقد أجمع المسلمون على أن أموال بني النضير كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها نزل قوله تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (الكافي:٥٣٩/١ ، والمعتبر:٦٣٣/٢، والبخاري:٢٢٧/٣ ، و:٢٠٩/٤) .

ونزل قوله تعالى: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ.. وقال جبرئيل للنبي: «إن الله يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه . قال: يا جبرئيل ومن قرباي ، وما حقهم؟ قال: أعط فاطمة حوائط فدك ، واكتب لها كتاباً..وهي من ميراثها من أمها خديجة». (قصص الأنبياء/٣٤٥ ، ومناقب آل أبي طالب:١٢٢/١).

٦. وكما كانت فاطمة بنت أسد أماً للنبي صلى الله عليه وآله ، كانت خديجة أماً لعلي عليه السلام وربته وأحبته كما أحبه النبي صلى الله عليه وآله. ويحدثنا النص التالي أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل علياً في إحدى مهامه ، ولما تأخر تخوف عليه فذهبت خديجة عليها السلام للبحث عنه !

« أذن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم في الهجرة ، فهاجر من خاف من قومه على نفسه وتفرقوا في البلدان ، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وآله من حماة قومه ، وافتقد علياً عليه السلام ذات يوم فلم يعلم مكانه حتى أمسى فاشتد غمه به ، فرأت أثر الغم عليه خديجة رضوان الله عليها ، فقالت: يا رسول الله ما هذا الغم الذي أراه عليك ؟ قال: غاب علي منذ اليوم فما أدري ما صنع به ، وقد أعطاني الله عز وجل فيه ثلاثاً في الدنيا وثلاثاً في الآخرة لا أخاف معها عليه أن يموت ولا يقتل حتى يعطيني الله موعده إياي ، إلا أني أخاف عليه واحدة. قالت: يا رسول الله وما الثلاث الذي أعطاكها الله في الدنيا؟ وما الثلاث الذي أعطاكها الله في الآخرة ، وما الواحدة التي تخشاها عليه؟ قال: يا خديجة ، إن الله عز وجل أعطاني في علي لدنياي أنه يقتل أربعة وثمانين مبارزاً قبل أن يموت أو يقتل ، وأنه يواري عورتي عند موتي ، وأنه يقضي ديني وعداتي من بعدي. وأعطاني في علي لآخرتي أنه صاحب مفتاحي يوم أفتح أبواب الجنة، وأنه صاحب لوائي يوم القيامة ، وأنه صاحب حوضي. والتي أخافها عليه ضغائن له في قلوب قوم. فخرجت خديجة في

الليل تلتمس خبر علي فوافقته فأعلمته باغتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بغيبته ، وألفته مقبلاً إليه فسبقته تبشره فقام قائماً ، فحمد الله تعالى رافعاً يديه». (شرح الأخبار:٢/٢٠٥، وتفسير فرات/٥٤٧).

وفي مناقب علي عليه السلام لمحمد بن سليمان:١/٣٠٤: « فلما رأت ذلك خديجة قالت: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فشدت على بعيرها ثم ركبت فلقيت علي بن أبي طالب فقالت له: إركب وائت رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه بك مغتم فقال: ما كنت لأجلس في مجلس زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله ، بل إمضي فأخبري رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا قادم على أثرك قالت خديجة: فمضيت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو قائم يقول: اللهم فرج غمي بأخي علي، فإذا بعلي قد جاء فتعانقا ، قالت خديجة: ولم أكن أجلس إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً، فما افترقا متعانقين حتى ضربتا عليَّ قدماي». أي تعبت من الوقوف وهي تنتظر النبي صلى الله عليه وآله وهو واقف يتحدث مع علي عليه السلام.

٧. قال العلامة الحلي في منهاج الكرامة/٧٥: «وعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه ، مع أنه صلى الله عليه وآله كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد ، وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها وقد أبدلك الله خيراً منها ! فقال لها: والله ما بدلت بها من هو خير منها: صدقتني إذ كذبني الناس، وآوتني إذ طردني الناس ، وأسعدتني بما لها ، ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها . وأذاعت (عائشة) سر رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال لها النبي صلى الله عليه وآله: إنك تقاتلين علياً وأنت ظالمة . ثم إنها خالفت أمر الله تعالى في قوله: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، وخرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً عليه السلام على غير ذنب ، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان وكانت هي كل وقت تأمر بقتله ، وتقول: أقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً !

فلما بلغها قتله فرحت بذلك ثم سألت: من تولى الخلافة؟ فقالوا: علي فخرجت لقتاله على دم عثمان . فأي ذنب كان لعلي عليه السلام على ذلك؟ وكيف استجاز طلحة والزبير

مطاوعتها على ذلك؟ وبأي وجه يلقون رسول الله ﷺ مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره وأخرجها من منزلها وسافر بها، كان أشد الناس عداوة» !

٨ وكان النبي ﷺ ينفق على المؤمنين من أموال خديجة، من بعثته الى الهجرة، ففي

أمالي الطوسي/٤٦٣، في حديث هجرة النبي ﷺ ومبيت علي عليه السلام في فراشه، عن أبي رافع قال له:« فأدِّ أماناتي على أعين الناس ظاهراً، ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما، وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم، ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم. قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله يعني ابن أبي رافع: أوَكان رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إني سألت أبي عما سألتني وكان يحدث بهذا الحديث، فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام؟ وقال: إن رسول الله قال: ما نفعني مال قط مثلما نفعني مال خديجة، وكان رسول الله يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكَلَّ، ويعطي في النائبة ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة. وكانت قريش إذا رحلت عيرها في الرحلتين يعني رحلة الشتاء والصيف كانت طائفة من العير لخديجة، وكانت أكثر قريش مالاً، وكان ﷺ ينفق منه ما شاء في حياتها، ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها».

وروى بخاري (٨٠/٥) قول عمر لأسماء بنت عميس:« سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم ! فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ ! وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله (ص)، ونحن كنا نُؤذى ونُخاف... الخ».

○ ○

ملحق رقم (٨)

أم المؤمنين أم سَلمة رضي الله عنها
أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وآله بعد خديجة عليها السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام:«أفضلهن خديجة بنت خويلد ثم أم سلمة ثم ميمونة». (الخصال/٤١٩).

وقد تزوج سودة أول دخوله المدينة ، ثم تزوج أم سلمة وهي بنت عم أبي جهل ، لأن أباها أبو أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر المخزومي ! وكان يسمى زاد الراكب لكرمه على من يسافر معه ، وأبو جهل هو« عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم». (دلائل الإمامة/٨١ ، وعمدة القاري:١٧/٨٤).

أما زوجها قبل النبي صلى الله عليه وآله فهو أبو سلمة:« عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم». (الحاكم:٤/١٦و١٩). وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة .

وكان أخوها لأبيها عبد الله بن أبي أمية من أشد أعداء النبي صلى الله عليه وآله مع أنه ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وآله! وهو الذي قال:« لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول» !

وفيه وفي رفقائه نزل قوله تعالى: **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرض يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِالله وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولاً».**(أسباب النزول/١٩٩).

وقد أسلمت هي وزوجها أبو سلمة وهاجرا إلى الحبشة ، وولدت ثلاثة بنين وثلاث بنات ، ورجعوا من الحبشة الى المدينة وتوفي أبو سلمة قبل بدر ، فتزوج بها رسول الله ﷺ بعد بدر ، في شوال . وعاشت أم سلمة الى خلافة يزيد بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام ، وصلى عليها سعيد بن زيد وكان أمير المدينة». (مناقب آل أبي طالب:١٣٨/١، والإستيعاب:١٩٢٠/٤ و:١٨/٣، وذخائر العقبى/٢٥٠ ، والحاكم:١٨/٤، وأسباب النزول/١٩٩، والطبقات:٤٣/٨ ، وابن إسحاق:١٨٠/٢) .

خطبة النبي ﷺ لأم سلمة

أرسل النبي ﷺ يخطبها فأجابته:« فيَّ خصال ثلاث: أما أنا فكبيرة ، وأنا مُطفلٌ ، وأنا غيورٌ. فقال (ص): أما ما ذكرت من الغيرة فندعو الله حتى يذهبه عنك ، وأما ما ذكرت من الكبر فأنا أكبر منك ، والطفل إلى الله وإلى رسوله». (ابن إسحاق: ٤٢٩/٥ ، والطبقات: ٩١/٨). وفي رواية قالت: أنا امرأة مصبية ، أي عندي أطفال.

وفي الإنتصار للمرتضى/٢٨٥:« فقالت ليس أحد من أوليائي حاضراً ، فقال ﷺ: ليس أحد من أوليائك حاضراً أو غائباً إلا ويرضى بي ، ثم قال لعمر بن أبي سلمة وكان صغيراً: قم فزوجها ، فتزوج النبي ﷺ بغير ولي».

٣. وكانت موصوفة بالجمال، ففي الكافي:١١٧/٥، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:«مات الوليد بن المغيرة ، فقالت أم سلمة للنبي ﷺ: إن آل المغيرة قد أقاموا مناحة فأذهب إليهم؟ فأذن لها ، فلبست ثيابها وتهيأت وكانت من حسنها كأنها جان، وكانت إذا قامت فأرخت شعرها جلل جسدها وعقدت بطرفيه خلخالها، فندبت ابن عمها بين يدي رسول الله ﷺ فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد ... أبا الوليد فتى العشيرة
حامي الحقيقة ماجد ... يسمو إلى طلب الوتيرة
قد كان غيثاً في السنين ... وجعفراً غدقاً وميرة

قال: فما عاب ذلك عليها النبي ﷺ ولا قال شيئاً».

وقالت عائشة:«لما تزوج رسول الله أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكروا لنا من جمالها! قالت: فتلطفت لها حتى رأيتها فرأيتها والله أضعاف ما وُصفت لي في الحسن والجمال ! قالت: فذكرت ذلك لحفصة وكانتا يداً واحدة ، فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة ما هي كما يقولون فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت: قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين وإنها لجميلة! قالت: فرأيتها بعد فكانت لعمري كما قالت حفصة ولكني كنت غَيْرَى». (الطبقات: ٩٤/٨).

أمينة النبي صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام

أدَّت أم سلمة رضي الله عنها واجبها على أحسن وجه في خدمة النبوة والإمامة فقد كانت أطول نساء النبي صلى الله عليه وآله عمراً ، وكان لها دور مهم في نشر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، والدفاع عن وصيه أمير المؤمنين والزهراء والحسنين والأئمة عليهم السلام ، سواء في عهد النبي صلى الله عليه وآله، أو في أحداث وفاته صلى الله عليه وآله ، وفي مواجهة أهل السقيفة ، ثم في مواجهة عائشة وطلحة والزبير ومعاوية ويزيد !

وساعدها على ذلك أنها ذات مكانة محترمة عند النبي صلى الله عليه وآله ، وقد أودع عندها تربة كربلاء التي أتاه بها جبرئيل عليه السلام، وأخبرها أنها ستتحول الى دم عبيط أي دم صاف ساعة يقتل الحسين عليه السلام في كربلاء !

وقد استفاضت روايتها في مصادر الشيعة والسنة، فمن ذلك ما رواه أحمد:٢٤٢/٣ ، عن أنس بن مالك:«أن ملك المطر استأذن ربه أن يأتي النبي (ص) فأذن له فقال لأم سلمة: إملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي(ص) وعلى منكبه وعلى عاتقه قال فقال الملك للنبي (ص):

أتحبه؟ قال: نعم . قال: أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه ! فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها ، قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء». والزوائد: ١٨٧/٩، ووثقه، و١٨٩، والآحاد والمثاني:٣١٠/١، والكبير للطبراني:١٠٦/٣، و١٠٩.

ومن مصادرنا ما رواه في أمالي الطوسي/٣١٥ ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فخرجت يتوجه بن قائدي إلى منزلها ، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء ، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين ما بالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وابكين معي ، فقد والله قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة ، قد والله قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين ! فقيل: يا أم المؤمنين ومن أين علمت ذلك ؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام الساعة شَعِثاً مذعوراً فسألته عن شأنه ذلك ، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم ، والساعة فرغت من دفنهم !

قالت: فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل ، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك ، وأعطانيها النبي صلى الله عليه وآله فقال: إجعلي هذه التربة في زجاجة أو قال: في قارورة ولتكن عندك ، فإذا صارت دما عبيطاً فقد قتل الحسين ! فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور ! قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها ، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام ، فجاءت الركبان بخبره ، وأنه قتل في ذلك اليوم !

قال عمرو بن ثابت قال أبي: فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام منزله فسألته عن هذا الحديث ، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عباس فقال: أبو جعفر عليه السلام حدثنيه عمر بن أبي سلمة ، عن أمة أم سلمة».

٥. كانت أم سلمة أمينة النبي صلى الله عليه وآله، فقد أعطاها تربة الحسين عليه السلام كما أعطاها صحيفة علم أمانة وعلامة على إمامة علي عليه السلام، ففي بصائر الدرجات/١٨٦، عن ابن عباس و١٨٨، وعن أم سلمة قالت:«أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً قال: أمسكي هذا فإذا أنا قبضت فقام رجل على هذه الأعواد يعني المنبر فأتاك يطلب هذا الكتاب فادفعيه إليه . قالت: فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله صعد أبو بكر المنبر فانتظرته به فلم يأت ، فلما مات صعد عمر فانتظرته فلم يأت ، فلما مات عمر صعد عثمان فانتظرته فلم يأت ، فلما مات عثمان صعد أمير المؤمنين فلما صعد ونزل جاء فقال: يا أم سلمة أريني الكتاب الذي أعطاك رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: وإنك أنت صاحبه؟ فقالت: أما والله إن الذي كنت أحب أن يحبوك به فأخرجته إليه ففتحه فنظر فيه ثم قال: إن في هذا لعلما جديداً.. قال قلت أي شئ كان ذلك ؟ قال: كل شئ تحتاج إليه ولد آدم».

ونحوه بصائر الدرجات/١٨٣، عن عمر بن أم سلمة:«فاستأذن عليٌّ فدخل فقال لها: أعطني الكتاب الذي دفع إليك بآية كذا وكذا ، وكأني أنظر إلى أمي حتى قامت إلى تابوت لها في جوفها تابوت صغير ، فاستخرجت من جوفه كتاباً فدفعته إلى علي عليه السلام ، ثم قالت لي أمي: يا بنيَّ إلزمه فلا والله ما رأيت بعد نبيك إماماً غيره» !

كما كانت أم سلمة أمينة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد استودعها مواريث الأنبياء عليهم السلام لتسلمها الى الإمام الحسن عليه السلام، ففي الكافي:٢٩٨/١، عن الإمام الصادق عليه السلام:«إن علياً حين سار إلى الكوفة استودع أم سلمة كتبه والوصية فلما رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه».

٧. وكانت أمينة الإمام الحسين عليه السلام، فقد استودعها الوصية ومواريث الأنبياء عليهم السلام، كما في الكافي:١/٣٠٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« إن الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية ، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه». وفي بصائر الدرجات/١٩٧،عن حمران أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام قال:« سألته عما يتحدث الناس أنه دفعت إلى أم سلمة صحيفة مختومة؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض ورث علي عليه السلام سلاحه وما هنالك ، ثم صار إلى الحسن والحسين ، فلما خشيا أن يفتشا استودعا أم سلمة ، ثم قبضا بعد ذلك فصار إلى أبيك علي بن الحسين عليه السلام، ثم انتهى إليك أو صار إليك؟ قال نعم ».

وفي غيبة الطوسي/١٩٥:«لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله الوصية والكتب وغير ذلك ، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما دفعت إليك ، فلما قتل الحسين أتى علي بن الحسين صلى الله عليه وآله أم سلمة فدفعت إليه كل شئ أعطاها الحسين عليه السلام».

شهادة أم سلمة لمعاوية بإمامة علي عليه السلام

طلب معاوية شهادة أم سلمة على حديث في إمامة علي عليه السلام، ففي مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان:١/٥٠٧ ، عن عبيد الله بن أبي رافع قال:«كنا جلوساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله عام حج معاوية بن أبي سفيان ، ومعي عبد الله بن عباس وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، فأتانا معاوية فسلم وقعد إلينا ، فاشمأز منه ابن عباس حين قعد إليه حتى عرف ذلك معاوية فقال له: يا ابن عباس كأنك مشمئز مني كأنك واجد عليَّ أن طلبت بدم أمير المؤمنين وكنتُ أحق من طلب بدمه وأقواهم عليه؟ فقال له ابن عباس:

وبمَ أنت أحق الناس؟ قال: أليس ابن عمي قتل وهو أمير المؤمنين؟ فقال ابن عباس: فهذا! وأشار إلى ابن عمر أحق بالأمر منك! قد قتل أبوه وهو خليفته! فقال له معاوية. قتل أباه مشرك وقتل ابن عمي المسلمون. فقال ابن عباس: فذاك أشر إذن.

قال: ثم التفت معاوية إلى سعد فقال: يا سعد ما منعك أن تقاتل معي وتخرج إذ طلبت بدم أمير المؤمنين؟ فقال له سعد: أقاتل علي بن أبي طالب وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟!

فقال له معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله. فقال: قوموا بنا إليها فقمنا جميعاً فدخلنا عليها فقال لها سعد: يا أم المؤمنين إني ذكرت لمعاوية أن رسول الله قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، فأنكر ذلك وقال: من سمعه معك فذكرتك فهل سمعت ذاك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالت أم سلمة: أما مرة واحدة فلا، ولكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً! فقال معاوية لسعد: أنت أظلم وأقل عذراً إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فلم تخرج إليه ولم تقاتل معه ولم تنصره! فلو سمعتُ هذا من رسول الله لم أقاتله».

ونحوه:٤٢١/١، بسند آخر وفيه أن معاوية قال لسعد: «ألْوَمُ والله ما كنت عندي الساعة! لو سمعتُ هذا من رسول الله، ما زلت خادماً لعلي حتى أموت»!

من امتيازاتها على نساء النبي صلى الله عليه وآله

كانت أم سلمة كخديجة رضي الله عنهما، تشتري العبيد وتعتقهم، وربما اشترت الصغير فربته حتى يكبر وأعتقته، لذا تجد في الرواة والعلماء العديد من موالي أم سلمة ففي الإصابة:٤/٧: «أبو إبراهيم مولى أم سلمة.. قال: كنت عبداً لأم سلمة، فكنت أبيت على فراش النبي (ص) وأتوضأ من محضنته، فلما بلغت مبالغ الرجال أعتقتني».

وكانت تشجع المملوك على العمل ليحرر نفسه ، ففي الطبقات:٢٩٦/٥، عن نصاح بن سرجس بن يعقوب عن أبيه قال:«كاتبتني أم سلمة على نجوم (أقساط) وفيتها ، فكلمتها أن تحط عني وتقاطعني على ذهب أو ورق ، ففعلت وعجلت لها ذلك ووضعت عني . قال محمد بن عمر ولا نعلم...وكان شيبة إمام أهل المدينة في القراءة في دهره». وهذا عدد آخر من موالي أم سلمة رضي الله عنها:

ففي الهداية الكبرى/١١٥، في حديث زفاف فاطمة عليها السلام:« فخرج مولى لأم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنثر سكراً ولوزاً ونثر الناس من كل جانب».

وفي الطبقات:٢٩٧/٥: «عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله عتاقةً ، سمع من أم سلمة ، وبقي حتى سمع منه عبد الله بن أبي يحيى وموسى بن عبيدة وقدامة بن موسى وجارية بن أبي عمران ، وكان ثقة كثير الحديث .

ناعم بن أجيل مولى أم سلمة... قيس مولى أم سلمة..ويكنى أبا قدامة.. أبو ميمونة مولى أم سلمة.. وكان قارئ أهل المدينة في زمانه ، وهو الذي قرأ عليه نافع بن أبي نعيم كثير بن أفلح».

وفي المغني:٣٣٩/١٢:«عن نبهان مولى أم سلمة ، عن أم سلمة أن النبي (ص) قال: إذا كان لإحداكن مكاتب فملك ما يؤدي، فلتحتجب منه».

«وفي إسناده نبهان مولى أم سلمة شيخ الزهري وقد وثق» (المجموع: ١٣٦/١٦).

« عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة ». (الموطأ: ٨/١).

« عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن فروخ مولى أم سلمة ». (الجوهر النقي: ١٨٩/٦). « سفينة هو مولى أم سلمة وشرطت عليه أن يخدم النبي». (المحلى: ١٥٧/٥).

« أفلح.. مولى لرسول الله (ص) وقيل مولى لأم سلمة ». (سبل السلام: ٢١٦/٣).

«عن ناعم مولى أم سلمة». (مسند أحمد: ١٦٣/٢).

«حدثني عمرو عن أبي السمح عن السائب مولى أم سلمة عن أم سلمة عن رسول الله (ص) أنه قال خير مساجد النساء قعر بيوتهن». (مسند أحمد: ٢٩٧/٦)

«حبيب عن ناعم مولى أم سلمة عن أم سلمة». (مسند أحمد: ٢٩٩/٦).

«عن السائب مولى أم سلمة أن نسوة دخلن على أم سلمة من أهل حمص». (مسند أحمد: ٣٠١/٦).

«أن أبا الجراح مولى أم سلمة أخبره». (مسند أحمد: ٣٢٦/٦).

«عبد الله بن زياد بن سمعان مولى أم سلمة مكي». (رجال الطوسي/٢٣١).

« القزاز قال: سمعت مولى لأم سلمة يقول سمتني أم سلمة مخوضاً وكنت طويلاً ». علل أحمد: ٢٢١/١).

«عبد الله بن زياد بن سمعان هو مولى أم سلمة » (التاريخ الصغير للبخاري: ١٠٦/٢). « نجيح أبو معشر السندي المدني مولى أم سلمة ». (التاريخ الصغير للبخاري: ١٨٧/٢). «السائب مولى أم سلمة»«نفيع مولى أم سلمة» «يزيد مولى أم سلمة». (التاريخ الكبير للبخاري: ١٥٣/٤، و:١١٣/٨، و٢٧١).

«عن أبي الجراح مولى أم سلمة عن أم سلمة». (كنى البخاري/١٩).

«أحمر مولى أم سلمة قيل هو اسم سفينة». (الإصابة: ١٨٧/١).

«من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولى أم سلمة » (الإصابة: ٣٢٧/٣).

«المهاجر مولى أم سلمة يكنى أبا حذيفة صحب النبي (ص) وخدمه وشهد فتح مصر واختط بها ثم تحول إلى طحا فسكنها إلى أن مات». (الإصابة: ١٨١/٦). «عن أبي سليمان مولى أم سلمة». (الإصابة:٥٠١/٦).«قيس مولى أم سلمة». (تعجيل المنفعة/٣٤٦).

ويقال بل كانت أم الحسن (البصري) مولاة لأم سلمة..فيذكرون أن أمه كانت ربما غابت فيبكي الصبي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليها ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك». (الطبقات: ١٥٦/٧).

وفي أمالي الصدوق/٤٦٣، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «بلغ أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله أن مولى لها يتنقص علياً عليه السلام ويتناوله، فأرسلت إليه فلما أن صار إليها قالت له: يا بني بلغني أنك تتنقص علياً وتتناوله؟ قال لها: نعم يا أماه. قالت: أقعد ثكلتك أمك حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم اختر لنفسك! إنا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله تسع نسوة وكانت ليلتي ويومي من رسول الله فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهو متهلل أصابعه في أصابع علي، واضعاً يده عليه فقال: يا أم سلمة، أخرجي من البيت وأخليه لنا فخرجت واقبلا يتناجيان، أسمع الكلام وما أدري ما يقولان، حتى إذا انتصف النهار أتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله ؟ قال: لا. فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردني من سخطة، أو نزل في شئ من السماء، ثم لم ألبث أن أتيت الباب الثانية فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا. فكبوت كبوة أشد من الأولى. ثم لم ألبث حتى أتيت الباب الثالثة، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: أدخلي يا أم سلمة. فدخلت وعلي جاث بين يديه، وهو يقول: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟ قال: آمرك بالصبر. ثم أعاد عليه القول الثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له: يا علي يا أخي، إذا كان ذاك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب به قدماً قدماً، حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم!

ثم التفت عليه السلام إلي فقال لي: ما هذا الكآبة يا أم سلمة ؟ قلت: للذي كان من ردك لي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك من موجدة، وإنك لعلى خير من الله ورسوله، لكن

أتيتني وجبرئيل عن يميني ، وعلي عن يساري ، وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدي ، وأمرني أن أوصي بذلك علياً !

يا أم سلمة ، إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة .

يا أم سلمة إسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب ، حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي غداً في القيامة .

يا أم سلمة إسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي .

يا أم سلمة إسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله ، من الناكثون؟قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة. قلت: من القاسطون ؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام.

قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان .

فقال مولى أم سلمة: فرجت عني فرج الله عنك والله لا سببت علياً أبداً» !

وفي المناقب لمحمد بن سليمان:١٧٨/٢: «عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة: عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم ».

«عن عبد الله بن مغيرة مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله أنها قالت: نزلت هذه الآية في بيتها: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. أمرني رسول الله أن

أرسل إلى علي وفاطمة والحسن والحسين ، فلما أتوه اعتنق علياً بيمينه والحسن بشماله والحسين على بطنه وفاطمة عند رجله ، فقال: اللهم هؤلاء أهلي وعترتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالها ثلاث مرات. قلت: فأنا يا رسول الله. فقال: إنك على خير إن شاء الله». (أمالي الطوسي/٢٦٣).

«عن أبي الأحوص مولى أم سلمة قال: إني مع الحسن عليه السلام بعرفات ومعه قضيب وهناك أجراء يحرثون فكلما هموا بالماء أجبل عليهم ، فضرب بقضيبه إلى الصخرة ، فنبع لهم منها ماء واستخرج لهم طعاماً». (دلائل الامامة/١٧١).

أقول: والمعنى أنهم كانوا يحفرون بئراً فأجبل الحفر عليهم وظهر صخر صعب ، فضربه الإمام عليه السلام فنبع الماء، ثم استخرج لهم طعاماً من هناك. (راجع لسان العرب:١١/٩٧).

أذى قريش للنبي صلى الله عليه وآله بواسطة أزواجه !

واجهت أم سلمة رضي الله عنها أذىً كثيراً من عائشة وحفصة وأبويهما ! وقد قالت عائشة كما في بخاري:٣/١٣٢: «إن نساء رسول الله كنَّ حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة . والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله» !

فقد اعترفت بأنهن كن حزبين ، حزب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله الذي تمثله أم سلمة ، والحزب القرشي الذي تمثله عائشة وحفصة ! وكان ظاهر الأمر حسد الضرائر لكن القضيته أعمق من ذلك ، فقد تفاقم الأمر بعد أن رزق النبي صلى الله عليه وآله ولداً من مارية ونظر اليه الحزب القرشي على أنه ولي عهده ، فزاد أذاهم لمارية وأم سلمة حتى طلق النبي صلى الله عليه وآله حفصة ، وأراد أن يطلق سودة ، واعتزل نساءه ، وتدخل الوحي لنصرة النبي صلى الله عليه وآله فنزلت سورة التحريم بالتهديد لعائشة وحفصة ومن يوجههما في العمل ضد

النبي صلى الله عليه وآله، قال عز وجل: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ..إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ.. عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ..

ومن قصص المؤامرة الشخصية ضد أم سلمة ما رواه الحاكم:١٠٥/٤، عن عائشة قالت:«كان رسول الله (ص) يدخل على بعض أزواجه وعندها عكة من عسل فيلعق منها لعقاً فيجلس عندها فأرابهم ذلك..». فقالت عائشة (البخاري:١٦٧/٦):«فقلت أما والله لنحتالن له ! فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك لا ، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك ؟ فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له: جرست نحله العرفط ، وسأقول ذلك. وقولي أنت يا صفية ذاك . قالت: تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقاً منك ، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: لا. قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. فقالت: جرست نحله العرفط ! فلما دار إليَّ قلت له نحو ذلك ، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: لاحاجة لي فيه».

وفي أسباب النزول للواحدي/٢٩٢:« فإذا دخل فخذي بأنفك ، فإذا قال مالك؟ قولي: أجد منك ريحاً لا أدري ما هي ، فإنه إذا دخل علي قلت مثل ذلك ، فدخل رسول الله فأخذت بأنفها فقال: مالك؟ قالت: ريحاً أجد منك وما أراه إلا مغافير». جَرَسَ نَحْلُه العرفط: أي أكل النحل رحيق نبات العرفط فصارت رائحة عسله مثله. والمغافير صمغ شجر فيه حلاوة كريه الرائحة ! (تاج العروس:٩٦٠/٧).

وقصد عائشة بهذه الخطة أن تثبت للنبي ﷺ أن العسل الذي سقته إياه أم سلمة أو مارية ، فيه رائحة المغافير ليتركه ولا يتأخر عندها ! وقد افتخرت عائشة بأنها ارتكبت مع صواحبها الكذب على النبي ﷺ لأن رائحته ﷺ كانت عطرة دائماً ، لكنه ﷺ كان يداري حتى الكاذبين عليه ، فحرم على نفسه شراب العسل !

وروي أن الأمر لم يكن شراب عسل بل كان مارية القبطية نفسها ، فقد بات النبي ﷺ عندها فدبرت عائشة هذه الكذبة فحرمها على نفسه ، فنزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وحاول رواة السلطة أن يبعدوا الأمر عن مارية وأم سلمة فجعلوا حفصة أو غيرها التي سقته عسلاً .

لكن ابن سعد روى:١٧٠/٨:« عن عائشة قالت: كان رسول الله قل يوم إلا وهو يطوف على نسائه فيدنو من أهله فيضع يده ويقبل كل امرأة من نسائه حتى يأتي على آخرهن ، فإن كان يومها قعد عندها وإلا قام . فكان إذا دخل بيت أم سلمة يحتبس عندها فقلت أنا وحفصة وكانتا جميعاً يداً واحدة: ما نرى رسول الله يمكث عندها إلا أنه يخلو معها تعنيان الجماع ! قالت: واشتد ذلك علينا حتى بعثنا من يطلع لنا ما يحبسه عندها ، فإذا هو إذا صار إليها أخرجت له عكة من عسل وفتحت له فمها فيلعق منه لعقاً ، وكان العسل يعجبه فقالتا: ما من شئ نكرهه إليه حتى لا يلبث في بيت أم سلمة؟ فقالتا: ليس شئ أكره إليه من أن يقال له نجد منك ريح شئ ! فإذا جاءك فدنا منك فقولي: إني أجد منك ريح شئ ! فإنه يقول من عسل أصبته عند أم سلمة ، فقولي له أرى نحله جرس عرفطاً ! فلما دخل على عائشة فدنا منها قالت إني لأجد منك شيئاً ما أصبت ؟ فقال: عسل من بيت أم سلمة ، فقالت: يا رسول الله أرى نحله جرس عرفطاً ثم خرج من

عندها فدخل على حفصة فدنا منها فقالت مثل الذي قالت عائشة ! فلما قالتاه جميعاً اشتد عليه فدخل على أم سلمة بعد ذلك ، فأخرجت له العسل فقال أخريه عني لا حاجة لي فيه...عن عبد الله بن رافع قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ؟ قالت: كانت عندي عكة من عسل أبيض يجرس نحله الضرو، فكان النبي يلعق منها وكان يحبه فقالت له عائشة: نحلها تجرس عرفطاً فحرمها، فنزلت هذه الآية»!

وروى في الطبقات: ٨٠/٨ ، افتخار عائشة بجرأتها وسوء أدبها مع النبي صلى الله عليه وآله! قالت فاطمة الخزاعية إن عائشة قالت لها: «دخل علي يوماً رسول الله فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حميراء كنت عند أم سلمة. فقلت: ماتشبع من أم سلمة»!!

وروى بخاري:١٠٨/٣، أن أم سلمة أرسلت الى النبي صلى الله عليه وآله وهو عند عائشة ، بقصعة فيها طعام «فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر ففلقت به الصحفة». (فتح الباري:٨٩/٥).

وفي سبل السلام:٧٠/٣ ، أن القصعة كانت من زينب ، وقال:«واتفقت مثل هذه القصة من عائشة في صحفة أم سلمة..ووقع مثلها لصفية». والنسائي: ٧٠/٧ ، وسبل الهدى: ١٤٩/١١.

ولم يقف الأمر عند الكذب وتكسير القصاع ! فقد زعمت عائشة أن النبي مسحور ! فهو يتخيل أنه نام معها ولم ينم ! وروى البخاري هذه الخرافة في خمسة مواضع ! منها في:٩١/٤ ، وفي:٦٨/٤: «سحر حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه» ! وفي:٨٨/٧: «مكث النبي كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي» ! وفي:٢٩/٧: «كان رسول الله سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» !

وكرره البخاري بروايات متعددة:٢٨/٧ و١٦٤، ورونه عامة مصادرهم !

وفي مسند أحمد:٦٣/٦:«عن عائشة قالت: لبث رسول الله ستة أشهر يرى أنه يأتي نساءه ، ولا يأتي» !

وصححه ابن حجر:١٩٢/١٠، وأطال الكلام في شرح خرافة سحر النبي صلى الله عليه وآله والعياذ بالله ! وقال:«قال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطأ ، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود». (راجع تفصيل ذلك ، ورده في كتاب: ألف سؤال وإشكال ، للمؤلف: ٢١١/٢).

والظاهر أن سبب هذه الهجمة على النبي صلى الله عليه وآله أنه ترك عائشة وحفصة مدة ، لأن الله تعالى رخص له فقال: تُرْجِى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُئْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ.. فكانت قصة العسل وخرافة السحر وغيرهما ! وقد نقل ابن سعد قولهما:« ما نرى رسول الله يمكث عندها إلا أنه يخلو معها ، تعنيان الجماع» !

ولم يقف الأمر ضد النبي صلى الله عليه وآله عند ذلك ! فقد دخل على الخط عمر بن الخطاب وأدخل معه أبا بكر لمساعد ابنتيهما على أم سلمة والنبي صلى الله عليه وآله ، حتى ارتفع صوت أم سلمة كما في البخاري:٦٩/٦:« فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شئ حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه » !

وفي المحاسن: ٤٠٤/٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« إن عمر دخل على حفصة فقال: كيف رسول الله فيما فيه الرجال؟ فقالت: ما هو إلا رجل من الرجال ، فأنف الله لنبيه فأنزل إليه صحفة فيها هريسة من سنبل الجنة فأكلها فزاد في بضعه بضع أربعين رجلاً».

وفي الكافي:٥٦٥/٥ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«إن أبا بكر وعمر أتيا أم سلمة فقالا لها: يا أم سلمة إنك قد كنت عند رجل قبل رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف رسول الله من ذاك في الخلوة؟! فقالت: ما هو إلا كسائر الرجال ! ثم خرجا عنها وأقبل النبي صلى الله عليه وآله فقامت إليه

مبادرة فرقاً أن ينزل أمر من السماء فأخبرته الخبر فغضب رسول الله حتى تربد وجهه والتوى عرق الغضب بين عينيه ، وخرج وهو يجر رداؤه حتى صعد المنبر وبادرت الأنصار بالسلاح وأمروا بخيلهم أن تُحضر ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال أقوام يتبعون عيبي ويسألون عن غيبي! والله إني لأكرمكم حسباً وأطهركم مولداً وأنصحكم لله في الغيب ، ولا يسألني أحد منكم عن أبيه إلا أخبرته فقام إليه رجل فقال: من أبي؟ فقال: فلان الراعي ! فقام إليه آخر فقال: من أبي ؟ فقال: غلامكم الأسود ! وقام إليه الثالث فقال: من أبي ؟ فقال: الذي تنسب إليه !

فقالت الأنصار: يا رسول الله أعف عنا عفا الله عنك ، فإن الله بعثك رحمة فاعف عنا عفا الله عنك ! وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا كلم استحيا وعرق وغض طرفه عن الناس حياء حين كلموه ، فنزل: فلما كان في السحر هبط عليه جبرئيل عليه السلام بصحفة من الجنة فيها هريسة فقال: يا محمد هذه عملها لك الحور العين فكلها أنت وعلي وذريتكما ، فإنه لا يصلح أن يأكلها غيركم . فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فأكلوا فأعطي رسول الله صلى الله عليه وآله في المباضعة من تلك الأكلة قوة أربعين رجلاً ، فكان إذا شاء غشي نساءه كلهن في ليلة واحدة ».

وشهدت أم سلمة وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ففي الخصال/٦٤٢:«قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه: أدعوا لي خليلي فأرسلت عائشة إلى أبيها فلما جاء غطى رسول الله صلى الله عليه وآله وجهه وقال: أدعوا لي خليلي ! فرجع أبو بكر !

وبعثت حفصة إلى أبيها فلما جاء غطى رسول الله صلى الله عليه وآله وجهه وقال: أدعوا لي خليلي فرجع عمر ! وأرسلت فاطمة عليها السلام إلى علي فلما جاء قام رسول الله فدخل ثم جلل علياً عليه السلام بثوبه . قال علي: فحدثني بألف حديث يفتح كل حديث ألف حديث، حتى

عرقت وعرق رسول الله ﷺ فسال علي عرقه و سال عليه عرقي». والإختصاص/٢٨٥، والبصائر/٣٢٣، وبنحوه في مصادر السنة .

وفي الإرشاد:١٨٥/١:«فلما كان من الغد حجب الناس عنه وثقل مرضه ، وكان أمير المؤمنين لا يفارقه إلا لضرورة ، فقام في بعض شؤونه ، فأفاق إفاقة فافتقد علياً فقال وأزواجه حوله: أدعوا لي أخي وصاحبي ، وعاوده الضعف فأصمت ، فقالت عائشة أدعوا له أبا بكر ، فدعي فدخل عليه فقعد عند رأسه فلما فتح عينه نظر إليه وأعرض عنه بوجهه ، فقام أبو بكر وقال: لو كان له إلي حاجة لأفضى بها إلي. فلما خرج أعاد رسول الله ﷺ القول ثانية وقال: أدعوا لي أخي وصاحبي ، فقالت حفصة أدعوا له عمر ، فدعي فلما حضر رآه النبي فأعرض عنه فانصرف. ثم قال: أدعوا لي أخي وصاحبي ، فقالت أم سلمة: أدعوا له علياً فإنه لا يريد غيره فدعي أمير المؤمنين عليه السلام فلما دنا منه أومأ إليه فأكب عليه فناجاه رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قام فجلس ناحية حتى أغفى رسول الله ﷺ فقال له الناس: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟ فقال: علمني ألف باب فتح لي كل باب ألف باب ، ووصاني بما أنا قائم به إن شاء الله. ثم ثقل وحضره الموت وأمير المؤمنين حاضر عنده. فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك ، فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل علي أول الناس، ولاتفارقني حتى تواريني في رمسي ، واستعن بالله تعالى فأخذ علي رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه فأكبت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي..». ومن الغريب أن أحمد رواه:٣٥٦/١.

أم سلمة تُدين أهل السقيفة

أدانت أم سلمة عمل أهل السقيفة ! فقد روى سليم بن قيس رحمه الله في كتابه/٣٨٩: «وأقبلت أم أيمن النوبية حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأم سلمة فقالتا: يا عتيق ، ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمد! فأمر بهما عمر أن تخرجا من المسجد ، وقال: ما لنا وللنساء » !

وفي قرب الإسناد/٦٠، عن الصادق عليه السلام قال:« كانت امرأة من الأنصار تدعى حسرة تغشى آل محمد وتحن ، وإن زفر وحبتر لقياها ذات يوم فقالا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقالت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم وأحدث بهم عهداً فقالا: ويلك إنه ليس لهم حق ، إنما كان هذا على عهد رسول الله ! فانصرفت حسرة ولبثت أياماً ثم جاءت فقالت لها أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله: ما أبطأ بك عنا يا حسرة؟ فقالت: استقبلني زفر وحبتر فقالا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقلت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم الواجب. فقالا: إنه ليس لهم حق إنما كان هذا على عهد النبي صلى الله عليه وآله! فقالت أم سلمة: كذبا لعنهما الله ! لايزال حقهم واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة» !

وتكلمت أم سلمة بعد خطبة فاطمة عليها السلام، فحثَّت المسلمين على نصرتها ، ففي دلائل الإمامة/١٢٤، والدر النظيم/٤٨٠، أن أم سلمة قالت بعد خطبة فاطمة عليها السلام وجواب أبي بكر لها:«ألمثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا القول؟! هي والله الحوراء بين الإنس والنفس للنفس ، ربيت في حجور الأتقياء ، وتناولتها أيدي الملائكة ، ونمت في حجور الطاهرات ، ونشأت خير نشأ ، وربيت خير مربى ، أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها ، وقد قال الله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين ! أفأنذرها وخالفت متطلبه وهي خيرة النسوان ، وأم سادة الشبان وعديلة ابنة عمران ، تمت بأبيها رسالات ربه ، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله !

رويداً ورسول الله بمرأى منكم ! وعلى الله تردون ، واهاً لكم فسوف تعلمون ! قال: فحرمت أم سلمة عطاها تلك السنة» !

نصيحة أم سلمة لعائشة أن لاتعصي النبي صلى الله عليه وآله

وكان لها موقف تاريخي مع عائشة ، فقد نصحتها وحذرتها ، وحاولت أن تثنيها عن الفتنة فلم ينفع معها ، قال الشريف المرتضى في رسائله:٤/٦٦:«ومن الأخبار الطريفة ما رواه نصر بن مزاحم هذا عن أبي عبد الرحمن المسعودي عن السري بن إسماعيل بن الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال: كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير وبها طلحة والزبير. قال: فأرسلا إلى عبد الله بن الزبير فأتاهما وأنا معه فقالا له: إن عثمان قتل مظلوما وإنا نخاف الإنتشار من أمة محمد (ص) فإن رأت عائشة أن تخرج معنا لعل الله يرتق بها فتقاً ويشعب بها صدعاً. قال: فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير في سمرها وجلست على الباب ، فأبلغها ما أرسلا به إليها فقالت: سبحان الله ، ما أمرت بالخروج وما تحضرني امرأة من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة ، فإن خرجت خرجت معها ! فرجع إليهما فأبلغهما ذلك فقالا: إرجع إليها فلتأتها فإنها أثقل عليها منا ، فرجع إليها فبلغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت أم سلمة: مرحباً بعائشة ، والله ما كنت لي بزائرة فما بدا لك؟! قالت: قدم طلحة والزبير فخبرا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً ! قال: فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت: يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً ، فما تريدين ! قالت: تخرجين معي فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد (ص) فقالت: يا عائشة أخرج وقد سمعت من رسول الله ما سمعت !

نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت ، أتذكرين يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوأب امرأة من نسائي في فتية باغية ، فسقط الإناء من يدي ، فرفع رأسه إلي فقال: ما بالك يا أم سلمة؟ قلت: يا رسول الله ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن أكون أنا هي ! فضحكت أنت فالتفت إليك فقال: ما يضحكك يا حمراء الساقين ، إني لأحسبك هي !

ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أسرى بنا رسول الله (ص)من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب يحدثنا ، فأدخلت جملك فحال بينه وبين علي ، فرفع مرفقة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومك منه بواحد ، ولا بليته منك بواحدة ، أما إنه لا يبغضه إلا منافق أو كذاب !

وأنشدك الله يا عائشة أتذكرين مرض رسول الله (ص)الذي قبض فيه فأتاك أبوك يعوده ومعه عمر ، وقد كان علي بن أبي طالب يتعاهد ثوب رسول الله (ص) ونعله وخفه ويصلح ما وهى منها ، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله (ص) وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت ، فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت ؟ قال: أصبحت أحمد الله تعالى. قالا: ما بد من الموت؟ قال (ص): لا بد منه. قالا: يا رسول الله فهل استخلفت أحداً ؟ فقال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل ، فخرجا فمرا على علي وهو يخصف النعل !

كل ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه ، لأنك سمعته من رسول الله (ص)!

ثم قالت أم سلمة: يا عائشة أنا أخرج على علي بعد هذا الذي سمعته عن رسول الله (ص)؟! فرجعت عائشة إلى منزلها فقالت: يا بن الزبير أبلغهما أني لست بخارجة بعد الذي سمعته من أم سلمة ، فرجع فبلغهما .

قال: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها ترتحل ، فارتحلت معهما ».

وأضاف المرتضى رحمه الله: «و من العجائب أن يكون مثل هذا الخبر الذي يتضمن النص بالخلافة ، وكل فضيلة غريبة ، موجوداً في كتب المخالفين وفيما يصححونه من روايتهم ويصنفونه من سيرتهم ولا يتبعونه ، لكن القوم رووا ما سمعوا وأودعوا كتبهم ما حفظوا ونقلوا ، ولم يتخيروا ويتبينوا ما وافق مذهبهم دون ما خالفهم. وهكذا يفعل المسترسل المستسلم للحق»! (وفي هامشه: شرح النهج: ٧٨/٢ ، والعقد الفريد: ٩٦/٣، والبدء والتاريخ: ١٠٩/٢، والفائق للزمخشري: ١٩٠/١ ».

وروى نحوه في الإختصاص/١١٦ ، وفيه تفصيلات ، قال:« لما أجمعت عائشة على الخروج إلى البصرة ، أتت أم سلمة وكانت بمكة فقالت: يا بنت أبي أمية أنت كبيرة أمهات المؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقمأ في بيتك ، وكان يقسم لنا في بيتك ، وكان ينزل الوحي في بيتك. قالت لها: يا بنت أبي بكر لقد زرتني وما كنت زوارة ، ولأمر ما تقولين هذه المقالة؟ قالت: إن ابني وابن أخي أخبراني أن الرجل قتل مظلوماً وإن بالبصرة مائة ألف سيف يطاعون ، فهل لك أن أخرج أنا وأنت لعل الله أن يصلح بين فئتين مشاجرتين؟ فقالت: يا بنت أبي بكر أبدم عثمان تطلبين ؟ فلقد كنت أشد الناس عليه وأن كنت لتدعينه بالتبري أم أمر ابن أبي طالب تنقضين فقد تابعه المهاجرون والأنصار ، إنك سدة بين رسول الله عليه السلام وبين أمته وحجابة مضروبة على حرمه ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبذخيه ، وسكني عقيراك فلا تضحي بها. الله من وراء هذه الأمة

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك ولو أراد أن يعهد إليك فعل ، قد نهاك رسول الله صلى الله عليه وآله عن الفراطة في البلاد. إن عمود الإسلام لا ترأبه النساء إن انثلم ، ولا يشعب بهن إن انصدع ، حماديات النساء غض بالأطراف ، وقصر الوهادة. وما كنت قائله لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله عرض لك ببعض الفلوات وأنت ناصة قلوصاً من منهل إلى آخر ؟! إن بعين الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله تردين قد وجهت سدافته وتركت عهيداه ! أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي أدخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً صلى الله عليه وآله هاتكة حجاباً قد ضربه عليَّ ! إجعلي حصنك بيتك ، وقاعة الستر قبرك حتى تلقيه وأنت على ذلك أطوع . ثم قالت: لو ذكَّرتك من رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً في علي لنهشتني نهش الحية الرقشاء المطرقة ذات الحبب !

أتذكرين إذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً فأقرع بينهن فخرج سهمي وسهمك ، فبينا نحن معه وهو هابط من قديد ومعه علي ويحدثه فذهبت لتهجمي عليه فقلت لك: رسول الله صلى الله عليه وآله معه ابن عمه ولعل له إليه حاجة فعصيتني ورجعت باكية فسألتك ، فقلت: بأنك هجمت عليها فقلت له: يا علي إنما لي من رسول الله يوم من تسعة أيام وقد شغلته عني ! فأخبرتني أنه قال لك: أتبغضيه فما يبغضه أحد من أهلي ولا من أمتي إلا خرج من الإيمان ! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم .

ويوم أراد رسول الله صلى الله عليه وآله سفراً وأنا أحش له حشيشاً فقال: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبحها كلاب الحوأب ، فرفعت يدي من الحشيش وقلت: أعوذ بالله أن أكونه ، فقال: والله لا بد لأحداكما أن تكونه ، إتقي الله يا حميرا أن تكونيه ! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم .

ويوم تبذلنا لرسول الله ﷺ فلبست ثيابي ولبست ثيابك ، فجاء رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبك ، فقال: أتظنين يا حميرا أني لا أعرفك ، أما إن لأمتي منك يوماً مُراً ! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم .

ويوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فجاءك أبوك وصاحبه يستأذن فدخلت الخدر فقالا: يا رسول الله إنا لا ندري قدر مقامك فينا ، فلو جعلت لنا إنساناً نأتيه بعدك ، قال: أما إني أعرف مكانه وأعلم موضعه ، ولو أخبرتكم به لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن عيسى بن مريم !

فلما خرجا خرجت إليه أنا وأنت وكنت حزينة عليه فقلت له: من كنت جاعلاً لهم ؟ فقال: خاصف النعل . وكان علي بن أبي طالب يصلح نعل رسول الله ﷺ إذا تخرقت ويغسل سل ثوبه إذا اتسخ .

فقلت: ما أرى إلا علياً فقال: هو ذاك ! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم .

قالت: ويوم جمعنا رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فقال: يا نسائي إتقين الله ولا يسفر بكن أحد ! أتذكرين هذا يا عائشة ؟ قالت: نعم ، ما أقبلني لوعظك وأسمعني لقولك فإن أخرج ففي غير حرج ، وإن أقعد ففي غير بأس ، وخرجت !

فخرج رسولها فنادى في الناس: من أراد أن يخرج فليخرج ، فإن أم المؤمنين غير خارجة . فدخل عليها عبد الله بن الزبير فنفث في أذنها وقلبها في الذروة ، فخرج رسولها فنادى: من أراد أن يسير فليسر ، فإن أم المؤمنين خارجة !

فلما كان من ندمها أنشأت أم سلمة تقول:

لو كان معتصماً من زلة أحد ... كانت لعائشة العتبى على الناس

كم سنة لرسول الله تاركة ... وتلو آي من القرآن مدراس

قد ينـزع الله مـن نـاس عقـولهم حتى يكون الذي يقضي على الناس
فيـــرحم الله أم المـــؤمنين لقـــد كانـــت تبـــدل إيحاشـــاً بإينـــاس.

قال أبو العباس ثعلب: قوله: يقمأ في بيتك: يعني يأكل ويشرب ، وقـد جمـع القـرآن ذيلـك فـلا تبذخيه: البذخ: النفخ والرياء والكبر . سكّني عقيراك: مقامك ، وبذلك سمي العقار لأنـه أصـل ثابـت وعقر الدار أصلها...ولاتضحَيْ: لاتبرز للشمس.. الفراطة في البلاد: السعي والـذهاب.لاترأبـه النسـاء: لاتضمه النساء . حُمادى النساء: ما يحمد منهن . غض بالأطراف: لايبسطن أطرافهن في الكلأ . مقصر الوهادة: جمع وهد ووهاد والوهاد الموضع المنخفض . ناصَّةً قلوصاً: النص السوق بالعنف.. من منهل إلى آخرالمنهل: الذي يشرب فيه الماء . مهواك: الموضع الذي تهوين وتستقرين فيـه.. سـدافته: مـن السـدفة وهي شدة الظلمة . قاعة الستر: قاعة الدار صحنها . السدة: الباب». انتهى.

ورواه ابن أعثم في الفتوح:٤٥٤/٢ ، وفيه أن عائشة قالت لها:« فهل لك أن تسيري بنـا إلـى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا؟

قال فقالت لها أم سلمة: يا بنت أبي بكر ! بدم عثمان تطلبين ! والله لقد كنت من أشـد الناس عليه وما كنت تسميه إلا نعثلاً ، فما لك ودم عثمان ، وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرة !

ويحك يا عائشة ! أعلى علي وابن عم رسول الله (ص)تخرجين ! وقد بايعه المهـاجرون والأنصار؟ ثم جعلت أم سلمة تذكر عائشة فضائل علي عليه السلام ، وعبـد الله بـن الزبيـر علـى الباب يسمع ذلك كله ، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية ، إننا قـد عرفنـا عـداوتك لآل الزبير !

فقالـت أم سـلمة: والله لتوردنَّهـا ثـم لا تصـدرنَّها أنـت ولا أبـوك ! أتطمـع أن يرضـى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة ، وعلي بن أبي طالـب حـي وهـو ولـي كل مؤمن ومؤمنة؟

فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله ساعة قط ، فقالت أم سلمة: إن لم تكن أنت سمعته قد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسألها ! فقد سمعته يقول: علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني ! أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا ؟ فقالت عائشة: اللهم نعم !

قالت أم سلمة: فاتقي الله يا عائشة في نفسك ، واحذري ما حذرك الله ورسوله ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب ، ولايغرنك الزبير وطلحة ، فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً ! قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها ، ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألتها أن تخرج معها إلى البصرة ، فأجابتها حفصة إلى ذلك .

قال: فعند ذلك أذن مؤذن طلحة والزبير بالمسير إلى البصرة ، فسار الناس في التعبية والآلة والسلاح ، وسارت معهم عائشة وهي تقول: اللهم إني لا أريد إلا الإصلاح بين المسلمين ، فأصلح بيننا إنك على كل شئ قدير...

وكتبت أم سلمة الى علي بن أبي طالب: لعبد الله علي أمير المؤمنين ، من أم سلمة بنت أبي أمية ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ! فإن طلحة والزبير وعائشة وبنيها بني السوء وشيعة الضلال ، خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصرة ، يزعمون أن عثمان بن عفان قتل مظلوماً ، وأنهم يطلبون بدمه ! والله كافيكم وجعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى . وتالله لولا ما نهى الله عز وجل عنه من خروج النساء من بيوتهن ، وما أوصى به رسول الله (ص)عند وفاته ، لشخصت معك ، ولكن قد بعثت إليك بأحب الناس إلى النبي (ص) وإليك ابني عمر بن أبي سلمة . والسلام...

فلما سمع علي ذلك دعا محمد بن أبي بكر وقال له: ألا ترى إلى أختك عائشة كيف خرجت من بيتها الذي أمرها الله عز وجل أن تقر فيه ، وأخرجت معها طلحة والزبير

يريدان البصرة لشقاقي وفراقي؟! فقال له محمد: يا أمير المؤمنين لا عليك ، فإن الله معك ولن يخذلك ، والناس بعد ذلك ناصروك، والله تبارك وتعالى كافيك أمرهم إن شاء الله.
قال فعندها نادى علي في أصحابه فجمعهم ثم قال: أيها الناس إن الله تبارك وتعالى بعث كتاباً ناطقاً لا يهلك عنه إلا هالك... ألا إن طلحة والزبير قد تمالآ عليَّ بسخط أقاربي ، ودعوا الناس إلى مخالفتي وأنا سائر إليهم ومنابذهم حتى يحكم الله بيني وبينهم.. قال فأجابه الناس إلى ذلك ، وعائشة قد تقدمت فيمن معها من الناس حتى إذا بلغت إلى ماء الحوأب وذلك في وقت السحر ، نبحت الكلاب ، فسمعت عائشة رجلاً من أهل عسكرها يسأل ويقول: أي ماء هذا؟ فقيل له: هذا ماء الحوأب ! فقال عائشة: ردوني ! فقيل لها: ولم ذلك؟ فقالت: لأني سمعت رسول الله يقول: كأني بامرأة من نسائي تنبح عليها كلاب الحوأب ، فاتقي الله أن تكوني أنت يا حميراء» ! فدبروا لها شهوداً يحلفون أنه ليس ماء الحوأب !

ولما أصرَّت عائشة على الفتنة، آلت أم سلمة على نفسها أن لاتكلمها كل عمرها ! ففي مواقف الشيعة:١/٩٣: «دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلمها أبداً ، من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب ، فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين ، فقالت: يا حائط ، ألم أنهك ألم أقل لك؟ قالت عائشة: فإني أستغفر الله وأتوب إليه ، كلميني يا أم المؤمنين ! قالت: يا حائط ! ألم أقل لك ألم أنهك؟ فلم تكلمها حتى ماتت ! وقامت عائشة وهي تبكي وتقول: وا أسفاه على ما فرط مني . ومحاسن البيهقي/١٨١، وطبعة/٢٢١. راجع: الكافئة في رد توبة الخاطئة للمفيد رحمه الله.

لماذا لا يسمون أم سلمة: أم المؤمنين؟

مع المكانة العظيمة لأم سلمة عليها السلام، لايسمونها أم المؤمنين ! فتراهم يذكرون في كتبهم إسمها مجرداً ! بينما يذكرون إسم عائشة مقروناً بأم المؤمنين ، دائماً أو غالباً ! وبذلك تعرف موقفهم من مرويات أم سلمة عليها السلام ، التي تبلغ أضعاف ما روته عائشة في الكمية ، وهي أرقى من روايات عائشة في النوعية ، وليس فيها إفراط عائشة ومبالغاتها في مدح نفسها ولا إسفافها في الأمور الشخصية !

وسبب موقفهم من أم سلمة أنها شيعية متشددة ، أما عائشة فهي ناصبية متشددة فهي أحب الى قلوبهم منها !

قال العلامة الحلي رحمه الله: «وعظموا عائشة على باقي نسوانه صلى الله عليه وآله ...وساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام ! ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لما طلبت حقها من أبي بكر ولا شخص واحد بكلمة واحدة ! وسموها أم المؤمنين ولم يسموا غيرها بذلك»! (شرح منهاج الكرامة للميلاني: ١/٤٥٤) .

وقال أبو الفتح الكراجكي في التعجب من أغلاط العامة/١٠٢: «ومن عجيب أمرهم تفضيلهم عائشة بنت أبي بكر على جميع أزواج النبي صلى الله عليه وآله ... وكثرة ترحمهم عليها وإظهارهم الخشوع والبكاء عند ذكرها ، ثم لا يذكرون خديجة بنت خويلد ، وفضلها متفق عليه وعلو قدرها لا شك فيه ، وهي أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وأنفقت عليه مالها . وكان يكثر ذكرها ويحسن الثناء عليها ويقول: مانفعني مال كمالها ، ورزقه الله الولد منها ، ولم يتزوج في حياتها إكراماً لها» !

أقول: ما ذكره العلامة قدس سره يدل على تتبعه لمؤلفاتهم ومخالطته لهم ، وهم الى عصرنا يعبرون عن زوجات النبي صلى الله عليه وآله بأسمائهن فإذا وصلوا الى عائشة قالوا: أم المؤمنين !

أولاد أم سلمة

كان لها من أبي سلمة ثلاثة أبناء هم: سلمة ومحمد وعمر ، وثلاث بنات: درة وزينب وأم كلثوم ، فهم صحابة وربائب النبي صلى الله عليه وآله. وأشهرهم عمر ويسمى أيضاً عمرو ، ثم زينب التي روي أن النبي صلى الله عليه وآله كان يلاعبها وهي طفلة ويقول:«يا زوينب ، يا زوينب ، مراراً». (الجامع الصغير:٣٩٦/٢) . وكان عمر أصغر من أخويه وأبرزهما ، فقد رضي به النبي صلى الله عليه وآله أن يزوجه والدته كولي لها:« زوجها إياه عمر بن أبي سلمة وهو صغير لم يبلغ الحلم». (الكافي: ٣٩١/٥).

وجاءت أم سلمة بولديها محمد وسلمة الى أمير المؤمنين عليه السلام لينصراه ، وقالت له:« هما عليك صدقة ، فلو يصلح لي الخروج لخرجت معك». (رجال الطوسي/٤٨).

ومعنى كلامها أنهما وقف لله تعالى لنصرتك . وقال ابن عقدة: جاءت بعمر وسلمة .

وشهد عمر مع علي حرب الجمل ثم استعمله على فارس ، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة.. وعاش أخوه سلمة.. إلى خلافة عبد الملك.. وكان أسن من عمر» . (مذيل الطبري/٥٨).

وفي نهج البلاغة:٦٧/٣:« ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين ، فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه: أما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ، ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك ، فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة ، فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم ، فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معي، فإنك ممن استظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين إن شاء الله». وأنساب الأشراف/١٥٨، واليعقوبي:٢٠١/٢ ، وفيه: فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين ونصر الهدى ، جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون. فأقبل عمر فشهد معه ثم انصرف ، وتبع علياً إلى الكوفة فمكث معه سنة وبعض أخرى» .

ملحق رقم (٩)

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

في الكافي:٥/٣٦٨ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين تزوج ميمونة بنت الحارث أوْلَمَ عليها وأطعم الناس الحَيْس». وهو التمر بالسمن .

وفي مناقب آل أبي طالب:١/١٣٨: « وميمونة بنت الحارث الهلالية خالة ابن عباس ، وكانت عند عمير بن عمرو الثقفي ، ثم عند أبي زيد بن عبد العامري ، خطبها للنبي صلى الله عليه وآله جعفر بن أبي طالب ، وكان تزويجها وزفافها وموتها وقبرها بسَرَف ، وهو على عشرة أميال من مكة ، (تزوجها) في سنة سبع ، وماتت في سنة ست وثلاثين... وأفضلهن خديجة ، ثم أم سلمة ، ثم ميمونة».

وذكر في الإصابة:٨/٣٢٨ ، أنها آخر من مات من أزواج النبي صلى الله عليه وآله. لكن يظهر أن أم سلمة ماتت بعدها ، فقد عاشت الى خلافة يزيد ووقعة الحرة سنة٦٣.

وروى ابن عبد البر في الإستيعاب:٤/١٩١٧، أن العباس اقترح على النبي صلى الله عليه وآله الزواج بها:« فقال له العباس: يا رسول الله تأيمت ميمونة بنت الحارث بن حزن بن أبي رهم بن عبد العزى ، هل لك في أن تزوجها؟ فتزوجها رسول الله (ص)وهو مُحرم. فلما أن قدم مكة أقام ثلاثاً فجاءه سهيل بن عمرو في نفر من أصحابه من أهل مكة فقال: يا محمد أخرج عنا ، اليوم آخر شرطك ! فقال (ص): دعوني أبتني بامرأتي وأصنع لكم طعاماً. فقال: لا حاجة لنا بك ولا بطعامك ، أخرج عنا» ! فأجابه سعد بن عبادة بشتيمة ، فهدأه النبي صلى الله عليه وآله. وهذا يكشف عن فظاظة سهيل بن عمرو وعدائه للنبي صلى الله عليه وآله والإسلام !

ولهذه الصفات اختارته قريش لقيادتها بعد فتح مكة وعزلت أبا سفيان واتهمته بأنه خضع لمطلب النبي صلى الله عليه وآله بخلع سلاحها!.

كما يكشف عن أن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يتأخر في مكة ويدعو القرشيين الى وليمة عرسه! وهذا من شأنه أن يخفف العداء ويهدئ الأجواء المتوترة بينهم، ولو قبلوا بذلك لكان خيراً لهم، لأنه كان واضحاً أن نجمهم في أفول، ونجم النبي صلى الله عليه وآله في صعود.

وغطى ابن هشام (٨٢٩/٣) فظاظة سهيل بن عمرو مع النبي صلى الله عليه وآله وزعم أن الذي جاء الى النبي صلى الله عليه وآله: «حويطب بن عبد العزى في نفر من قريش.. وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله (ص) من مكة فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا! فقال النبي (ص): وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا: لاحاجة لنا في طعامك فاخرج عنا! فخرج رسول الله (ص) وخلَّف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بها بسرف فبنى بها هنالك». انتهى.

وفي الحدائق: ٣/٢٢، وقاموس الرجال: ٣٤٥/١٢: «بلغ سعيد ابن المسيب أن عكرمة قال: تزوجها وهو محرم فقال: كذب عكرمة! قدم وهو محرم فلما حل تزوجها... فخرج وخلف أبا رافع وقال: إلحقني بميمونة، فحملها على قلوص، فجعل أهل مكة ينفرون بها ويقولون: لا بارك الله لك! فوافى النبي بسرف وهو على أميال من مكة، فبنى بها بسرف. ودفنت بسرف سنة ٦١».

أم المؤمنين ميمونة من أهل الجنة

وردت أحاديث في مدح ميمونة رضي الله عنها وفي بعضها شهادة لها بالجنة. واتفقت أحاديثنا على أنها كانت موالية لأمير المؤمنين عليه السلام.

ففي الأصول الستة عشر/٦٢ ، عن جابر بن يزيد الجعفي قال:«قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ينجو من النار وشدة تغيظها وزفيرها وقرنها وحميمها من عادى علياً وترك ولايته وأحب من عاداه ! فقالت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله: والله ما أعرف من أصحابك يا رسول الله من يحب علياً إلا قليلاً منهم ! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: القليل من المؤمنين كثير ، ومن تعرفين منهم؟ قالت: أعرف أبا ذر والمقداد وسلمان ، وقد تعلم أني أحب علياً بحبك إياه ونصيحته لك . قال فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت ، إنك صديقة ، امتحن الله قلبك للإيمان».

وفي أمالي الطوسي/٥٠٥، عن:« يزيد بن الأصم قال: قدم شقير بن شجرة العامري المدينة ، فاستأذن على خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وآله وكنت عندها فقالت: إئذن للرجل ، فدخل فقالت: من أين أقبل الرجل؟ قال: من الكوفة . قالت: فمن أي القبائل أنت ؟ قال: من بني عامر . قالت: حييت ، إزدد قرباً ، فما أقدمك ؟ قال: يا أم المؤمنين، رهبت أن تكبسني الفتنة لما رأيت من اختلاف الناس فخرجت . قالت: فهل كنت بايعت علياً ؟ قال: نعم . قالت: فارجع فلا تزولن عن صفِّه ، فوالله ما ضل ولا ضُلَّ به .

قال: يا أماه فهل أنت محدثتي في علي بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: اللهم نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي آية الحق ، وراية الهدى ، علي سيف الله يسله على الكفار والمنافقين ، فمن أحبه فبحبي أحبه ، ومن أبغضه فببغضي أبغضه ، ومن أبغضني أو أبغض علياً لقي الله عز وجل ولا حجة له» !

ورواه في شرح الأخبار/٢٥٦، عن أبي قتادة بسنده عن أبي إسحاق، وفيه:«فأردت الخروج معه فوجدت في نفسي من ذلك وجئت أسألك . قالت: أخرج معه فإنه لن يضل ولن يُضل به . قال أبو إسحاق: وما شك في علي إلا فاسق».

وقد وبخت ميمونة عائشة عندما أرادت أن تحارب علياً عليه السلام وذكرتها بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله ومنها حديث: يا حميراء إنك لتقاتلين علياً وأنت ظالمة له ! قالت نعم». (الجمل لابن شدقم/١٠٦).

وفي الخصال/٣٦٣ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:«رحم الله الأخوات من أهل الجنة فسماهن: أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت تحت جعفر بن أبي طالب ، وسلمى بنت عميس الخثعمية وكانت تحت حمزة . وخمس من بني هلال: ميمونة بنت الحارث كانت تحت النبي صلى الله عليه وآله ، وأم الفضل عند العباس إسمها هند ، والغميصاء أم خالد بن الوليد ، وعزة كانت في ثقيف تحت الحجاج بن علاط . وحميدة ولم يكن لها عقب» .

وفي مقاتل الطالبيين/١١، أن هنداً أم ميمونة قيل فيها:« الجرشية أكرم الناس أحماءً (أصهاراً) وجرش من اليمن ، وابنتها أسماء بنت عميس تزوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر ، ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وابنتها الأخرى ميمونة أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وآله. وابنتها الأخرى لبابة أم الفضل أخت ميمونة أم ولد العباس بن عبد المطلب . وابنتها الأخرى سلمى بنت عميس أم ولد حمزة بن عبد المطلب . وأحماء هذه الجرشية: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحمزة ، والعباس ، وجعفر ، وأبو بكر. ومن أحمائها أيضاً الوليد بن المغيرة المخزومي ». فأم خالد بن الوليد أخت أسماء بنت عميس ، ومن هنا كانت نجابة بعض أولاد خالد كالمهاجر بن خالد رحمه الله.

○ ○

ملحق رقم (١٠)

الذين آخى بينهم النبي (صلى الله عليه وآله)

قال ابن هشام:٣٥١/٢:« آخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال- فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تآخوا في الله أخوين أخوين ، وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي ، فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أخوين. وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله (ص) وزيد بن حارثة مولى رسول الله (ص)أخوين.. وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة، ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة ، أخوين. وكان أبو بكر الصديق.. وخارجة بن زيد... أخوين. وعمر بن الخطاب.. وعتبان بن مالك..أخوين. وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح.. وسعد بن معاذ بن النعمان.. أخوين . وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع... أخوين. والزبير بن العوام ، وسلمة بن سلامة بن وقش..أخوين.. وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر.. أخوين. وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك..أخوين. وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبى بن كعب.. أخوين. ومصعب بن عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد... أخوين. وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعباد بن بشر بن وقش.. أخوين . وعمار بن ياسر.. وحذيفة بن اليمان.. أخوين. وأبو ذر.. والمنذر بن عمرو.. أخوين.. وكان حاطب بن أبي بلتعة.. وعويم بن ساعدة.. أخوين. وسلمان الفارسي ، وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة.. أخوين.: وبلال.. مؤذن رسول

الله (ص) وأبو رويحة.. أخوين. فهؤلاء من سمى لنا ممن كان رسول الله (ص) آخى بينهم من أصحابه».

وقال ابن عبد ربه في الدرر/٩٠: «والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر في المؤاخاة التي عقدها رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار في حين قدومه إلى المدينة ، أنه آخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زهير ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت ، وآخى بين علي بن أبي طالب وبين نفسه (ص) فقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة...زيد بن وهب قال: سمعت علياً رضي الله عنه قال على المنبر: وأنا عبد الله وأخو رسوله ، لم يقلها أحد قبلي ولا يقولها أحد بعدي إلا كذاب مفتر. وآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو بأرض الحبشة ومعاذ بن جبل. وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع. وبين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش. وبين طلحة وكعب بن مالك. وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ. وبين سعد ومحمد بن مسلمة. وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب. وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب ، وبين عمار وحذيفة بن اليمان حليف بني عبد الأشهل ، وقد قيل بين عمار وثابت بن قيس. وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر. وبين أبي ذر والمنذر بن عمرو .وبين ابن مسعود وسهل بن حنيف. وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء. وبين بلال وأبي رويحة الخثعمي حليف الأنصار. وبين حاطب بين أبي بلتعة وعويم بن ساعدة. وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت. وبين عبيدة بن الحارث وعمير بن الحمام. وبين الطفيل بن الحارث أخيه وسفيان بن بشر بن زيد من بني جشم بن الحارث بن الخزرج. وبين الحصين بن الحارث أخيهما وعبد الله بن جبير.

وبين عثمان بن مظعون والعباس بن عبادة...وآخى رسول الله بينه (أوس بن ثابت) وبين عثمان بن عفان».

وهذه نصوص في المؤاخاة ، ولايضر بأصلها أن بعضها ضعيف أو مكذوب:

«عن ابن عمر قال: فآخى بين أبي بكر وعمر وبين طلحة والزبير ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ». (الطبقات: ١٧٤/٣، والإكمال/١٧٧). « آخى بين عويم وعمر ». (تاريخ بخاري: ٦٩/١).

«آخى بين عويم بن ساعدة وحاطب بن أبي بلتعة». (الطبقات: ٤٥٩/٣).

«آخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد الخزرجي ». (تاريخ دمشق: ٩٤/٣٠).

«آخى بين الزبير وطلحة...آخى بين الزبير وبين كعب بن مالك». (الطبقات: ١٠٢/٣، وتهذيب الكمال: ٤١٥/١٣).

«وآخى النبي (ص) بينه (الزبير) وبين سعد بن معاذ ». (تهذيب التهذيب: ٢٥/٦).

«آخى بين الزبير وبين عبد الله بن مسعود ». (تاريخ دمشق: ٧٦/٣٣ ، وسير الذهبي: ٤٦٧/١).

«آخى بينه (الزبير)وبين سلمة بن سلامة بن وقش». (أسد الغابة: ١٩٦/٢).

«آخى بين الزبير وبين عبد الله بن مسعود ». (تاريخ بغداد: ٥٧/٩).

« وآخى رسول الله (ص) بين عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل». (الطبقات: ١٥٢/٣ ، والإستيعاب: ١٤٠٢/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل». (الطبقات: ٣٥/٤، والغصابة: ٥٩٢/١).

«آخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت». (العثمانية/١٦١).

« وآخى رسول الله (ص)بين أبي سبرة بن أبي رهم وبين سلمة بن سلامة بن وقش». (الطبقات: ٤٠٢/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بينه (عبد الرحمن بن عوف)وبين سعد بن الربيع ». (الإستيعاب: ٨٤٤/٢).

« آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص...فآخى رسول الله (ص) بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري». (الطبقات: ١٢٥/٣ ، والأخير في الإصابة: ٢٩٠/٤ ، وصحيح بخاري: ٢٢٢/٤ ، والآحاد والمثاني: ٣٨٨/٣).

« آخى رسول الله (ص) بين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص. (الطبقات: ١٢٠/٣).

«وآخى بين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، ويقال ذكوان بن عبد قيس». (الطبقات: ١٢٠/٣).

« وآخى رسول الله بين أبي أيوب ومصعب بن عمير». (الطبقات: ٤٨٤/٣ ، والإستيعاب: ٢٢٤/١، والإصابة: ٢٠٠/٢).

«دعا سعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر...ثم آخى بينهما». (الآحاد والمثاني: ١٧١/٥).

«آخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان». (عمدة القاري: ١٩٧/١ذيل الطبري/١٤).

«آخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء...آخى بين سلمان وحذيفة». (الطبقات: ٨٤/٤، وتاريخ دمشق: ٤٤٠/٢١). «وآخى بين أبي الدرداء وعوف بن مالك الأشجعي». (الطبقات: ٢٨٠/٤، وفتح الباري: ٢١١/٧، والصحيح من السيرة: ٢٤٦/٤). «آخى رسول الله (ص) بين أصحابه بين سلمان وأبي الدرداء. وآخى بين عوف بن مالك وصعب بن جثامة». (تاريخ دمشق: ٤٨/٤٧، والآحاد والمثاني: ١٧١/٥). «عن الصادق عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر أن لا يعصي سلمان». (الفوائد الرجالية: ١٤٩/٢، والصحيح من السيرة: ٢٤٤/٤).

«آخى بين عوف بن مالك والصعب بن جثامة». (تاريخ دمشق: ٤٨/٤٧).

«آخى رسول الله (ص)بينه (المنذر بن عمرو بن خنيس) وبين أبي ذر الغفاري». (الإستيعاب: ١٤٤٩/٣).

«وآخى رسول الله (ص)بين المنذر بن عمرو وطليب بن عمير». (الطبقات: ٥٥٥/٣).

«وآخى رسول الله (ص) بين طليب بن عمير والمنكدر بن عمرو الساعدي». (تاريخ دمشق: ١٤٣/٢٥).

«وآخى رسول الله (ص)بينه (سالم مولى أبي حذيفة) وبين أبي بكر». (تأويل ابن قتيبة/٢٨٥).

«وآخى رسول الله (ص) بينه (سالم مولى حذيفة) وبين معاذ بن ماعص الأنصاري». (الطبقات: ٨٨/٣).

«وآخى بين معاذ بن ماعص وسالم مولى أبي حذيفة». (الطبقات: ٥٩٥/٣، وتاريخ دمشق: ٤٦٩/٥٨).

«آخى بين أبي الهيثم بن التيهان وعثمان بن مظعون». (الحاكم: ٢٨٦/٣، والطبقات: ٤٤٨/٣،و٣٩٦/، و٤٤٨/).

«وآخى رسول الله (ص)بين الحارثة بن سراقة والسائب بن عثمان بن مظعون». (الطبقات: ٥١٠/٣).

«وآخى رسول الله (ص)بين السائب بن عثمان وبين حارثة بن سراقة الأنصاري». (الطبقات: ٤٠٣/٣).

«وآخى رسول الله (ص) بين عبد الله بن مظعون وسهل بن عبيد الله بن المعلى الأنصاري» (الطبقات: ٤٠٠/٣، والإستيعاب: ٨١٠/٢، والإصابة: ٣٦٥/٧).

«وآخى رسول الله بين أسيد بن حضير وزيد بن حارثة». (الحاكم: ٣٨٧/٣، وتاريخ دمشق: ٨٥/٩).

«آخى بين حمزة وزيد بن حارثة. (الطبقات: ١٥٩/٨، وتاريخ دمشق: ٣٦١/١٩).

«آخى رسول الله بين عامر بن ربيعة ويزيد بن المنذر بن شريح الأنصاري». (الحاكم: ٣٥٨/٣، والطبقات: ٣٨٧/٣، و: ٥٧٥/٣، والإستيعاب: ١٥٨٠/٤).

«وآخى رسول الله بين خباب وبين جبر بن عتيك». (الحاكم: ٣٨٢/٣، والطبقات: ١٦٦/٣).

« وآخى رسول الله (ص) بينه (محمد بن مسلمة) وبين أبي عبيدة بن الجراح». (الحاكم: ٢٢٢/٣، والطبقات: ٤١٠/٣ ، و٤٤٣، وتاريخ دمشق: ٢٦٠/٥٥ ، والإصابة: ٢٨/٦).

«وآخى رسول الله (ص) بينه (شجاع بن وهب) وبين أوس بن خولي». (الطبقات: ٩٤/٣، و٥٤٢ ، والإستيعاب: ٧٠٧/٢).

«وآخى رسول الله بين عمير بن عبد عمرو الخزاعي وبين يزيد بن الحارث بن فسحم» (الطبقات: ١٦٨/٣ ، و٥٣٤).

«وآخى رسول الله (ص)بين مسعود بن الربيع القاري وبين عبيد بـن التيهـان ». (الطبقـات: ١٦٨/٣، والإستيعاب: ١٣٩٢/٣ ، والإصابة: ٧٧/٦).

« وآخى رسول الله (ص)بين زيد بن الخطاب ومعن بن عدي بن العجلان». (الطبقات: ٣٧٧/٣ ، و٤٦٥).

« وآخى رسول الله (ص)بين عاقل بن أبي البكير وبين مبشر بن عبد المنذر». (الطبقات: ٣٨٨/٣و٥٥٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين خنيس بن حذافة وأبي عبس بن جبر ». (الطبقات: ٣٩٣/٣، و٤٥٠).

« وآخى رسول الله (ص)بين معمر بن الحارث ومعاذ بن عفراء». (الطبقات:٤٠١/٣، و٤٩٢ ،والإستيعاب: ١٤٠٨/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين عبد الله بن مخرمة وفروة بن عمرو بن وذفة». (الطبقات: ٤٠٤/٣، و٥٩٩).

« وآخى رسول الله (ص)بينه (المنذر أبا عبدة) وبين الطفيل بن الحارث بن المطلب». (الطبقات: ٣٧٧/٣).

«آخى بين الطفيل بن الحارث وسفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث). (الطبقات: ٥٢/٣ ، و٤٢١).

« وآخى رسول الله (ص)بين وهب بن سعد وسويد بن عمرو ». (الطبقات: ٤٠٧/٣ ، والإصابة: ٤٨٩/٦).

« وآخى رسول الله (ص)بين الحارث بن خزمة وإياس بن أبي البكير». (الطبقات: ٤٤٧/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين عباد بن بشر وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة». (الطبقات: ٤٤٠/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين صفوان بن بيضاء ورافع بن المعلى». (الطبقات: ٤١٦/٣ ، و٦٠١).

« وآخى رسول الله (ص)بين رافع بن عنجدة والحصين بن الحارث بن المطلب». (الطبقات: ٤٦١/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين ثعلبة بن حاطب ومعتب بن الحمراء ». (الطبقات: ٤٦٠/٣ نوالإستيعاب: ١٤٣٠/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين عاصم بن ثابت و عبد الله بن جحش». (الطبقات: ٤٦٢/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين عمارة بن حزم ومحرز بن نضلة ». (الطبقات: ٤٨٦/٣ ، والإصابة: ٤٧٥/٤).

« وآخى رسول الله (ص)بين عبادة بن الصامت وأبي مرثد الغنوي». (الطبقات: ٥٤٦/٣ ، والإصابة: ٥٠٥/٣).

« وآخى رسول الله (ص) بين أبي دجانة وعتبة بن غزوان ». (الطبقات: ٥٥٦/٣).

« آخى رسول الله (ص)بين عمير بن الحمام وعبيدة بن الحارث». (الطبقات: ٥٦٥/٣).

« وآخى رسول الله (ص)بين بشر بن البراء بن معرور وبين واقد بن عبد الله التميمي» (الطبقات: ٥٧٠/٣).

« آخى رسول الله (ص) بينه (واقد بن عبد الله)وبين بشر ابن البراء بن معرور». (الإستيعاب: ١٥٥٠/٤).

« وآخى رسول الله (ص)بين جبار بن صخر والمقداد بن عمرو ». (الطبقات: ٥٧٦/٣).

« وآخى رسول الله (ص) بينه (أحمد بن سلمة السلمي) وبين المقداد ». (الإستيعاب: ٢٢٨/١).

« وآخى رسول الله (ص)بين عائذ بن ماعص وسويبط بن عمرو العبدري ». (الطبقات: ٥٩٥/٣).

«آخى بين بلال وبين أبي رويحة الخثعمي». (الطبقات: ٢٣٣/٣ ، وتاريخ دمشق: ٢٣٤/٦٦).

«آخى بين أبي بن كعب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل». (الطبقات: ٤٩٨/٣)

«آخى بين المقداد بن عمرو وعبد الله بن رواحة ». (تاريخ دمشق: ١٥٧/٦٠ن وتهذيب الكمال: ٤٥٤/٢٨).

«آخى بين الحارث بن الصمة وصهيب ». (تاريخ الذهبي: ٢٥٢/٢).

«آخى بينه (زيد بن الدثنة الأنصاري)وبين مسطح بن أثانة ». (الوافي: ٢٨/١٥).

ومن مكذوباتهم الواضحة أن النبي صلى الله عليه وآله آخى بين نوفل بن الحارث وبين العباس بن عبد المطلب. (الطبقات: ٤٦/٤). مع أن العباس لم يهاجر وخرج في بدر مع المشركين وأخذ أسيراً. وكذا روايتهم بأنه صلى الله عليه وآله آخى بين علي عليه السلام وعثمان ، وزعمهم أن عثمان طالب بها علياً عليه السلام !

ملحق رقم (١١)

من مناقب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

١. كان علي وحمزة بطلا معركة بدر ، التي غيرت موازين القوى بين النبي صلى الله عليه وآله والمشركين . فقد سأل أمية بن خلف أحد زعماء المشركين: «من المُعَلِّم بريشة نعامة في صدره ؟ قلت ذاك حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله. قال: ذاك فعل بنا الأفاعيل منذ اليوم». (الحاكم: ١١٧/٢ وصححه) .

٢. وفي معركة أحُد انتصر المسلمون في الجولة الأولى ، ببطولة علي وحمزة ، ثم خالفوا النبي صلى الله عليه وآله فانهزمو ا وثبت النبي صلى الله عليه وآله وعلي وحمزة فقتل حمزة رضي الله عنه.

قال في الإرشاد:٨٣/٢:«وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشي جعلاً على أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو حمزة بن عبد المطلب ، فقال لها: أما محمد فلا حيلة لي فيه لأن أصحابه يطيفون به ، وأما علي فإنه إذا قاتل كان أحذر من الذئب ، وأما حمزة فإني أطمع فيه ، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه . وكان حمزة يومئذ قد أُعلم بريشة نعامة في صدره ، فكمن له وحشي في أصل شجرة ، فرآه حمزة فبدر إليه بالسيف فضربه ضربة أخطأت رأسه ، قال وحشي: وهززت حربتي حتى إذا تمكنت منه رميته فأصبته في أربيته (أسفل بطنه) فأنفذته ، وتركته حتى إذا برد صرت إليه فأخذت حربتي ، وشغل عني وعنه المسلمون بهزيمتهم . وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة ، وقطع كبده ، والتمثيل به ، فجذعوا أنفه وأذنيه ، ومثلوا به». (الإرشاد للمفيد: ٨٣/١).

وفي تفسير القمي: ١١٧/١:« فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وجعلتهما خرصين وشدتهما في عنقها ، وقطعت يديه ورجليه».

وفي شرح النهج:٢٧١/١٤:«كانت هند بنت عتبة أول من مثل بأصحاب النبي وأمرت النساء بالمثلة وبجدع الأنوف والآذان ، فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان ومسكتان وخَدَمتان» !

والمعضد ما يلبس في العضد ، والمسكة سوار يلبس في ذراع اليد ، والخدمة الخلخال يلبس في الساق .

وفي مسند أحمد:٤٦٣/١ ، وابن أبي شيبة:٤٩٢/٨ ، وفتح الباري:٢٧٢/٧:«وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ! فقال رسول الله (ص) أأكلت منه شيئاً؟ قالوا: لا. قال ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار».

وفي تفسير البغوي:٩١/٣:«فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها ، فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي (ص) فقال: أما إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً ، إن حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئاً من جسده النار» .

قال الحافظ ابن عقيل في النصائح الكافية/١١٢:«كانت شديدة العداوة للنبي صلى الله عليه وآله بمكة ، ولما تجهز مشركوا قريش لغزوة أحد ، خرجت معهم تحرض المشركين على القتال . ولما مروا بالأبواء حيث قبر أم النبي صلى الله عليه وآله آمنة بنت وهب ، أشارت على المشركين بنبش قبرها وقالت: لو نبشتم قبر أم محمد ، فإن أسرَ منكم أحداً فديتم كل إنسان بإرب من آرابها ، أي جزء من أجزائها ! فقال بعض قريش: لايفتح هذا الباب» !

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في مذبحة كربلاء/٧٤:« خذ على سبيل المثال: أم معاوية هند بنت عتبة ، وهي امرأة والمرأة على الغالب ترمز للرحمة وتجنح للموادعة لكن هنداً لم تكتف بأن يخرج زوجها وابناها لمعركة أحد بل أصرت على الخروج بنفسها وحملت نساء البطون على الخروج ، لتشهد العنف والدم على الطبيعة ! لقد تيقنت من قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله لكنها لم تكتف بقتله بل سارت بخطى ثابتة حتى وقفت بجانب جثته ، وبأعصاب باردة شقت بطن حمزة وهو ميت واستخرجت كبده ،

وحاولت أن تأكله ! ثم قطعت أذنيه وأنفه ومثلت به أشنع تمثيل ! فإذا كانت المرأة منهم تفعل بضحيتها هكذا فكيف يفعل أبو سفيان ومعاوية وذريتهم بضحاياهم ؟! هذه هي البيئة الدموية التي تربى فيها يزيد مهندس مذبحة كربلاء ! فأبوه معاوية وجده أبو سفيان وجدته هند ! لقد ورث العنف والتنكيل بخصومه كابراً عن كابر».

٣. «مضى رسول الله ﷺ يلتمس حمزة ، فوجده وقد بقروا بطنه عن كبده ! فقال حين رآه: أما إنه لولا أن تحزن صفية ويكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ! ثم قال: والله ما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا الموقف ! فهبط جبرئيل فقال: يا محمد إنه مكتوب في أهل السماوات إن حمزة أسد الله وأسد رسوله . ثم أمر به صلوات الله عليه فسجي ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فيصلي عليه وعليهم حتى صلى اثنين وسبعين صلاة... ثم أمر به فدفن في مصرعه ، وأمر بالقتلى كذلك أن يدفنوا في مصارعهم وقال: أنا أشهد على هؤلاء أنه ما من أحد يجرح في الله إلا واللهُ عز وجل يبعثه يوم القيامة بدم جرحه ، اللون لون الدم والريح ريح المسك». (شرح الأخبار:١/٢٨١).

٤. رويَ أن وحشياً أسلم وأن النبي ﷺ سأله كيف قتل حمزة ، ثم قال له: غَيِّبْ وجهك عني ، فإني لا أستطيع أن أرى قاتل حمزة » !(شرح الأخبار:١/٢٦٨).

وروي أنه حسن إسلامه وجاهد (ذخائر العقبى/١٧٨) وأن الله قد يتوب عليه ، ففي الكافي:٢/٣٨١ «عن حمزة بن الطيار قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: الناس على ستة أصناف ، قال قلت: أتأذن لي أن أكتبها ؟ قال: نعم. قلت: ما أكتب؟ قال: أكتب أهل الوعيد من أهل الجنة وأهل النار. واكتب: و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . قال قلت: مَن هؤلاء؟ قال: وحشي منهم . قال: واكتب: وآخرون مرجون لأمر الله إما

يعذبهم وإما يتوب عليهم . قال: واكتب: إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة (الى الكفر) ولا يهتدون سبيلاً (الى الإيمان) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم . قال: واكتب أصحاب الأعراف قال قلت: وما أصحاب الأعراف؟ قال: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فإن أدخلهم النار فبذنوبهم ، وإن أدخلهم الجنة فبرحمته».

٥. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن النبي صلى الله عليه وآله حين جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب وزيد بن جابر كان إذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جداً ويقول: كانا يحدثاني ويؤنساني فذهبا جميعاً . ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من واقعة أحد إلى المدينة سمع من كل دار قتل من أهلها قتيلاً نوحاً وبكاءً ، ولم يسمع من دار حمزة عمه ، فقال: لكن حمزة لا بواكي له ! فآلى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميت ولا يبكوه حتى يبدوا بحمزة فينوحوا عليه ويبكوه ، فهم إلى اليوم على ذلك». (منتهى المطلب: ٤٦٦/١ ، ومن لا يحضره الفقيه:١٨٣/١) .

٦. من زيارة قبر حمزة رضي الله عنه: «السلام عليك يا عم رسول الله وخير الشهداء . السلام عليك يا أسد الله وأسد رسوله ، أشهد أنك جاهدت في الله ، ونصحت لرسول الله وجدت بنفسك ، وطلبت ما عند الله ورغبت فيما وعد الله. (كامل الزيارات/٦٢).

٧. وفي كشف الإرتياب/٥٥: «هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها من القباب والأضرحة والمزارات ، فهدموا قبة أئمة أهل البيت عليهم السلام بالبقيع ، ومعهم العباس عم النبي صلى الله عليه وآله ، وجدرانها ، وأزالوا الصندوق والقفص الموضوعين على قبورهم وصرفوا على ذلك ألف ريال مجيدي.. وهدموا قباب عبد الله وآمنة أبوي النبي صلى الله عليه وآله... وكانوا قبل ذلك هدموا قبة حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وشهداء أحد كما مر حتى أصبح مشهد حمزة والشهداء والجامع الذي بجانبه ، وتلك الأبنية كلها أثراً بعد عين ، ولا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم إلا قبراً في برية ، على رأس تل من التراب» !

٨ كثرت مكذوبات قريش على بني هاشم ، وخصوا حمزة فأنكروا سبقه الى الإسلام ، وقرنوا به عمر وكأنه شجاع مقاتل مثله ، وخففوا من محاولة هند أكل كبده ، أو أنكروا ذلك وخففوا من جريمة قاتله وحشي ، ونسبوا اليه أنه قتل مسيلمة فغفر له .

وافترى البخاري (٨٠/٣، و٤١/٤) على حمزة أنه كان بعد هجرته يشرب الخمر ، وأنه سكر يوماً وجاء الى جملين يملكهما علي عليه السلام فشق بطنيهما وأخذ كبديهما وجلس يشرب الخمر وجارية تغنيه ! فشكى علي الى النبي صلى الله عليه وآله فجاء اليه مع علي وزيد ، فشتمهم حمزة وتركه النبي صلى الله عليه وآله لأنه رآه سكراناً ! راجع تفنيد ذلك في الصحيح من السيرة:٢٩٠/٥ .

ملحق رقم (١٢)

من مناقب جعفر بن أبي طالب عليه السلام

١- في المنمق لابن حبيب/٤١٧:«لما قدم جعفر بن أبي طالب على النجاشي أعطاه سيفاً يقال له الغمام فقاتل به يوم مؤتة وهو يقول:

قد علمت فهر وفهر حاكمه   أنيَ منها في الذرى والغلصمه

كم قط من شاكلة وجمجمه» .

وفي الكافي:٤٩/١ ، عن الإمام الباقر عليه السلام:«لما كان يوم مؤتة كان جعفر على فرسه فلما التقوا نزل عن فرسه فعرقبها بالسيف ، وكان أول من عرقب في الإسلام».

٢- وفي علل الشرائع: ٥٥٨/٢، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« أوحى الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال ، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فأخبره فقال: لولا أن الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك: ما شربت خمراً قط لأني علمت أني إن شربتها زال عقلي ، وما كذبت قط لأن الكذب ينقص المروءة ، وما زنيت قط لأني

خفت أني إذا عملت عُمل بي ، وما عبدت صنماً قط لأني علمت أنه لايضر ولاينفع ! قال: فضرب النبي صلى الله عليه وآله على عاتقه وقال: حقٌّ لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة » !

٣- وفي أمالي الطوسي/٧٢٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رقدت بالأبطح على ساعدي ، وعلي عن يميني ، وجعفر عن يساري ، وحمزة عند رجليَّ ، قال: فنزل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ففزعت لخفق أجنحتهم . قال: فرفعت رأسي فإذا إسرافيل يقول لجبرئيل: إلى أي الأربعة بعثت وبعثنا معك؟ قال: فركض برجله فقال: إلى هذا وهو محمد سيد النبيين ، ثم قال: من هذا الآخر؟ قال: هذا أخوه ووصيه وابن عمه وهو سيد الوصيين. ثم قال: فمن الآخر؟ قال: جعفر بن أبي طالب ، له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة. قال: ثم قال: فمن الآخر ؟ قال: عمه حمزة ، وهو سيد الشهداء يوم القيامة» .

٤- الظاهر أن هذه الحادثة في أيام حصار قريش للنبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم لا في أول البعثة ، وكان هؤلاء الأربعة ينامون حول النبي صلى الله عليه وآله يحرسونه ، وجاء في روايتها في مناقب محمد بن سليمان: ٤٠٨/١: « كنا رقوداً في الأبطح ليس فينا إلا مسجى بثوبه ، علي عن يميني...الخ.».

ورواها القمي في تفسيره:٣٤٦/٢ ، ضمن حديث مفصل قد يفهم منه أنها في أول البعثة ، قال حذيفة بن اليمان: «إن رسول الله أرسل إلى بلال فأمره فنادى بالصلاة قبل وقت كل يوم في رجب لثلاث عشر خلت منه ، قال: فلما نادى بلال بالصلاة فزع الناس من ذلك فزعاً شديداً وذعروا وقالوا رسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا لم يغب عنا ولم يمت ، فاجتمعوا وحشدوا فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي حتى انتهى إلى باب من أبواب المسجد فأخذ

بعضادته وفي المسجد مكان يسمى السدة فسلم ثم قال: هل تسمعون يا أهل السدة؟ فقالوا: سمعنا وأطعنا فقال هل تبلغون ؟ قالوا: ضمنا ذلك لك يا رسول الله ! قال أخبركم إن الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً ، وذلك قوله: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرها أثلاثاً وذلك قوله: أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . فأنا من السابقين وأنا خير السابقين . ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ، وذلك قوله: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، فقبيلتي خير القبائل وأنا سيد ولد آدم وأكرمكم على الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، ألا وان إلهي اختارني في ثلاثة من أهل بيتي ، وأنا سيد الثلاثة وأتقاهم لله ولا فخر ، اختارني وعلياً وجعفراً ابني أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب ، كنا رقوداً بالأبطح ليس منا إلا مسجى بثوبه على وجهه علي بن أبي طالب عن يميني وجعفر بن أبي طالب عن يساري وحمزة بن عبد المطلب عند رجليَّ ، فما نبهني عن رقدتي غير خفق أجنحة الملائكة وبرد ذراع علي بن أبي طالب في صدري فانتبهت من رقدتي وجبرئيل في ثلاثة أملاك..الخ».

٥- والصحيح أن زمن رواية النبي صلى الله عليه وآله لذلك ، كان في السنة الأخيرة من حياته الشريفة ، حيث تكاثر الطلقاء في المدينة وبلغوا بضعة آلاف ، وأخذوا يطعنون في أسرة النبي صلى الله عليه وآله ويقولون إن محمداً نخلة نبتت في كناسة ! ونشطوا في العمل لعزل أهل البيت عليهم السلام والسيطرة على الدولة بمجرد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ! فقد روى أتباع السلطة نُتَفاً من

هذا الحديث ، ولم يسموا الذين آذوا النبي صلى الله عليه وآله! كما حذفوا أهم مديح النبي لبني هاشم وعلي وحمزة وجعفر !

ومن ذلك ما رواه أحمد:١٦٦/٤، ورجاله رجال الصحيح ، قال:« أتى ناس من الأنصار النبي (ص) فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت في كباء (مزبلة) فقال رسول الله: أيها الناس من أنا ؟ قالوا: أنت رسول الله. قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. ألا إن الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ، ثم فرقهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً وأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً». ومجمع الزوائد: ٢١٥/٨. وهو أكثر تفصيلاً في رواية الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي، وفيها: «ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، فذلك قوله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب». (الدر المنثور: ١٩٩/٥).

٦- روى بعض رواة السلطة المعتدلين هذا الحديث مع مدح علي وحمزة وجعفر كابن الشجري في أماليه/٢٠٤ ، والعبشمي في ترتيب الأمالي/١٢٣، وفيه: «إن الله تبارك وتعالى اختارني وثلاثة من أهل بيتي على جميع أمتي وأنا سيد الثلاثة وسيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر. قال أهل السدة: يا رسول الله سمِّ لنا الثلاثة نعرفهم ؟ فبسط رسول الله كفه ثم حلق بيده وقال: اختارني وعلياً وحمزة وجعفراً ، كنا رقوداً بالأبطح ليس منا إلا مسجى بثوبه ، علي عن يميني..الخ. ».

وفي الكافي:٤٥٠/١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:« ألا وإن أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء ، ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، وجعفر بن أبي طالب له

جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة ، لم ينحل أحد من هذه الأمة جناحان غيره شيء كرم الله به محمداً صلى الله عليه وآله وشرفه. والسبطان الحسن والحسين والمهدي يجعله الله من شاء منا أهل البيت ، ثم تلا هذه الآية: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيما».

٧- قال السيد شرف الدي،قدس سره في النص والإجتهاد/٢٧٩ ، ملخصاً:«حزن الإنسان عند موت أحبته ، وبكاؤه عليهم من لوازم العاطفة البشرية ، وهما من مقتضيات الرحمة ، ما لم يصحبهما شئ من منكرات الأقوال أو الأفعال . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث عنه صحيح: مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان ! والسيرة القطعية بين المسلمين وغيرهم مستمرة على ذلك من غير نكير وأصالة الإباحة تقتضيه. على أن النبي صلى الله عليه وآله نفسه بكى في مقامات عديدة وأقر غيره على البكاء في موارد ، واستحسنه في موارد أخر ، وربما دعا إليه:

بكى على عمه الحمزة أسد الله وأسد رسوله.. لما رأى حمزة قتيلاً بكى.. كان يومئذ إذا بكت صفية يبكي وإذا نشجت ينشج ! وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وآله . ولما رجع من أحُد جعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولكن حمزة لا بواكي له ! قال: ثم نام فانتبه وهن يبكين ، قال فهن اليوم إذا يبكين يندبن حمزة. وبكى على جعفر وزيد وقال: أخواي ومؤنساي ومحدثاي. ولما جاءه نعي جعفر ، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها قال: ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعماه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: على مثل جعفر فلتبكي البواكي » .

٨- في المناقب:١٧٦/١:«سنة ثمان في جمادى الأولى وقعة مؤتة وهم ثلاثة آلاف .
في كتاب أبان قال الصادق عليه السلام: إنه استعمل عليهم جعفراً فإن قتل فزيد ، فإن قتل فابن رواحة ، ثم خرجوا حتى نزلوا معان ، فبلغهم أن هرقل قد نزل بمأرب في مائة الف من الروم ومائة ألف من المستعربة ، فانحازوا إلى أرض يقال لها المشارف ، ونسبت السيوف المشرفية إليها لأنها طبعت لسليمان بن داود عليهما السلام، فاختلفوا في القتال أو في إخبار النبي صلى الله عليه وآله بكثرتهم ، فقال ابن رواحة: ما نقاتل الناس بكثرة وإنما نقاتلهم بهذا الدين ! فلقوا جموعهم بقرى البلقاء ، ثم انحازوا إلى مؤتة .
وفي البخاري: نعى النبي جعفراً وزيداً وابن رواحة قبل أن يجئ خبرهم وعيناه تذرفان .
زيد بن أرقم: حارب جعفر على أشقره حتى عقر ، وهو أول من عقر فرسه في الإسلام فحارب راجلاً حتى قتل .

فضيل بن يسار عن الباقر عليه السلام قال: أصيب يومئذ جعفر وبه خمسون جراحة ، خمس وعشرون منها في وجهه».

وفي التنبيه والإشراف/٢٣٠ ،للمسعودي أن هرقل كان:«يومئذ مقيم بأنطاكية وعلى الروم تيادوقس البطريق ، وعلى متنصرة العرب من غسان وقضاعة وغيرهم شرحبيل بن عمرو الغساني ، فقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب بعد أن عرقب فرسه ، وهو أول فرس عرقبت في الإسلام ، وجرح نيفاً وتسعين جراحة كلها في مقادمه وقتل عبد الله بن رواحة ، ورجع خالد بن الوليد بالناس».

ملحق رقم (١٣)

من مناقب عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه

١- هاجر عبيدة مع النبي صلى الله عليه وآله، وأمره النبي صلى الله عليه وآله على سرية بعثها لاعتراض قافلة قريش وكانت أول سرية حسب قول ابن إسحاق والبخاري، والثانية حسب قول غيرهما، والأولى كانت بقيادة حمزة. قال ابن عبد البر في الإستيعاب:٣١٣/١: «وكانت هجرته إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحصين بن الحارث بن المطلب، ومعه مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، ونزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني. وكان لعبيدة بن الحارث قَدر ومنزلة عند رسول الله (ص). قال ابن إسحاق: أول سرية بعثها رسول الله (ص) مع عبيدة بن الحارث في ربيع الأول سنة اثنتين في ثمانين راكباً، ويقال في ستين من المهاجرين ليس فيها من الأنصار أحد، وبلغ سيف البحر حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً من قريش، ولم يكن بينهم قتال».

٢- وفي معركة بدر: «فلبس عتبة درعه وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال: يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قريش، فتطاولت الأنصار لمبارزتهم فدفعهم، وأمر علياً عليه السلام وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن سبعين سنة بالبراز، وقال: قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفؤا نور الله، فلما رأوهم قالوا: أكفاء كرام. فقتل علي الوليد وحمزة عتبة وأصابت فخذ عبيدة ضربة، فحمله علي وحمزة إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي، فمات بالصفراء». (المناقب: ١٦٢/١).

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام في جوابه على رسالة معاوية: «ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بقتال المشركين فكان يقدم أهل بيته إلى حر الأسنة والسيوف، حتى قتل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر بمؤتة وزيد بن حارثة، وأسلم الناس نبيهم يوم حنين غير العباس عمه وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه، وأراد من لو شئت يا معاوية ذكرت اسمه، مثل الذي أرادوا من الشهادة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن آجالاً أجلت ومنية أخرت والله ولي الإحسان إليهم والمنان على أهل بيتي بما أسلفوا من الصالحات. وقد أنزل الله تعالى في كتابه فضلهم يوم حنين فقال: ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وإنما عنانا بذلك دون غيرنا، فتذكرُ في الفضل غيرنا وتدعنا! فلم لا تذكر فيه من استشهد في الله ورسوله منا؟ وما ذاك إلا لحسدك إيانا وبغيك علينا، كما أن تلك عادتك فينا! فهل سمعت يا معاوية بأهل بيت نبي في سالف الأمم أصبر على الضراء واللأواء وحين البأس والمواطن الكريهة، من هؤلاء النفر الذين عددتهم من أهل بيتي؟ وفي المهاجرين والأنصار خير كثير جزاهم الله بأحسن أعمالهم». (مناقب الخوارزمي/٢٥١).

٤- وفي المناقب للقاضي النعمان/١٤٦: «وقد قطع عتبة رجل عبيدة فمات بعد منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله، بالصفراء، رحمة الله عليه». وفي الإستيعاب:٣/٣١٣: «فمات بالصفراء على ليلة من بدر، ويروى أن رسول الله (ص) لما نزل بأصحابه بالتاربين قال له أصحابه: إنا نجد ريح المسك! قال: وما يمنعكم وهاهنا قبر أبي معاوية». راجع: الصحيح من السيرة:٥/٤٠٢ وتاريخ دمشق:٣٨/٢٣٨. وفي وفاء الوفا:٢/١٠٦٤: «وبذفران مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع... أمام محرابه قبر قديم محكم البناء... قبر عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب».

ولا بد أن الوهابيين أزالوه، فيما أزالوا من معالم الإسلام!

ملحق رقم (١٤)

٢- شهادة مصعب بن عمير رضي الله عنه

« أقبل يومئذ أبيٌّ بن خلف وهو على فرس له وهو يقول: هذا ابن أبي كبشة بُؤْ بذنبك لا نجوتُ إن نجوتَ . ورسول الله صلى الله عليه وآله بين الحارث بن الصمة وسهل بن حنيف يعتمد عليهما ، فحمل عليه فوقاه مصعب بن عمير بنفسه فطعن مصعباً فقتله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عنزة (حربة) كانت في يد سهل بن حنيف ، ثم طعن أبياً في جربان الدرع ، فاعتنق فرسه فانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثور ، فقال أبو سفيان: ويلك ما أجزعك إنما هو خدش ليس بشيء ! فقال: ويلك يا ابن حرب أتدري من طعنني! إنما طعنني محمد وهو قال لي بمكة إني سأقتلك فعلمت أنه قاتلي ، والله لو أن ما بي كان بجميع أهل الحجاز لقضت عليهم ! فلم يزل يخور الملعون حتى صار إلى النار». (إعلام الورى: ١/١٧٨، والحاكم: ٢/٣٢٧).

وقالت نسيبة بنت كعب رحمها الله:«خرجت أول النهار إلى أحُد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إليَّ الجراح... أقبل بن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله يصيح: دلوني على محمد فلا نجوتُ إن نجا ! فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم ، فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان ». (الطبقات: ٨/٤١٢).

وفي تفسير القمي: ١/١١٤: « ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل من كبار المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة فناداه: يا صاحب الترس ألق ترسك ومُرَّ إلى النار !

فرمى بترسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان» ! والذي أمره النبي صلى الله عليه وآله بإلقاء ترسه هو عمر، وروى السرخسي في شرح السير الكبير: ٢٠٠/١، أن النبي صلى الله عليه وآله عندما مدح نسيبة سمى جماعة ممن فروا.

وروي أن عبد بن عمير أخا مصعب كان مع المشركين في أحُد فقتله مصعب، وأن أخاه الآخر أبا عزة الشاعر أسر يوم أحد وقتله النبي صلى الله عليه وآله، لأنه كان أسر يوم بدر وأطلقه النبي صلى الله عليه وآله بلا فداء، بشرط أن لايعود فعاد وأسر في أحد (الخرائج: ١٤٩/١) وروى البيهقي في السنن: ٦٥/٩، وغيره، أنه أبا عزة جمحي وليس ابن عمير.

وفي سيرة ابن هشام:٤٧٢/٢: « قال أبو عزيز: مرَّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ! قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، قال: فأستحي فأردها على أحدهم فيردها عليَّ ما يمسها. قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي ؟! فقال مصعب: إنه أخي دونك ! فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي؟ فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها ».

وقد بالغ الرواة في في صغر سنه يوم أسلم مع أن عمره كان فوق الثلاثين، لأنه كان يوم استشهد بضعاً وأربعين سنة (عمدة القاري: ٦٠/٨). كما بالغوا في دوره في حرب أحُد، وفي عده من المعذبين، ويبدو أن أمه وأقاربه من بني عبد الدار اكتشفوا إسلامه فمنعوه

من الذهاب الى النبي صلى الله عليه وآله، ثم وافقوا على هجرته الى الحبشة، ثم رجع الى مكة، وقالوا كان مع بني هاشم في الشعب.

وبالغوا في ترفه قبل الإسلام، وهو صحيح الى حد، قال ابن سعد في الطبقات:٣/١٢٢، و١١٨:«كان مصعب بن عمير رقيق البشرة، حسن اللُّمَّة، ليس بالقصير ولا بالطويل، قتل يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وهو ابن أربعين سنة أو يزيد شيئاً، فوقف عليه رسول الله (ص) وهو في بردة مقتول فقال: لقد رأيتك بمكة وما بها أحدق أرق حلة ولا أحسن لمة منك، ثم أنت شعث الرأس في بردة... !

ثم خرج مصعب بن عمير من المدينة مع السبعين الذين وافوا رسول الله (ص) في العقبة الثانية من حاج الأوس والخزرج، ورافق أسعد بن زرارة في سفره ذلك، فقدم مكة فجاء منزل رسول الله (ص) أولاً، ولم يقرب منزله فجعل يخبر رسول الله (ص)عن الأنصار وسرعتهم إلى الإسلام، واستبطائهم رسول الله فسُرَّ رسول الله (ص) بكل ما أخبره، وبلغ أمه أنه قد قدم فأرسلت إليه: يا عاق أتقدم بلداً أنا فيه لا تبدأ بي ! فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله (ص) فلما سلم على رسول الله (ص) وأخبره بما أخبره ذهب إلى أمه فقالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصبأة بعد؟! قال: أنا على دين رسول الله (ص)وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله. قالت: ما شكرت ما رثيتك ! مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب ! فقال: أفر بديني أن تفتنوني ! فأرادت حبسه فقال: لئن أنت حبستني لأحرصن على قتل من يتعرض لي ! قالت: فاذهب لشأنك وجعلت تبكي فقال مصعب: يا أمهْ إني لك ناصح عليك شفيق، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. قالت: والثواقب لا أدخل في دينك فيزري برأيي ويضعف عقلي، ولكني أدعك وما أنت عليه، وأقيم على ديني! قال: وأقام مصعب بن عمير مع النبي (ص) بمكة

بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وقدم قبل رسول اللهإلى المدينة مهاجراً لهلال شهر ربيع الأول ، قبل مقدم رسول الله (ص) باثنتي عشرة ليلة».

وعندما انهزم المسلمون وتركوا نبيهم لسيوف المشركين ثبت معه مصعب واستشهد مع النفر الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وآله أو جرحوا ، فبقي هو وعلي صلى الله عليه وآله وحدهما ! فقاتل قتال الأبطال حتى أمره الله أن يستظل بصخرة ، وعليٌّ يرد عنه هجمات قريش فيقصد قائد الكتيبة فيقتله فتنهزم الكتيبة ، حتى يئس الكفار وانسحبوا ! وأنزل الله في وصف ذلك أربعين آية ! (١٣٩- ١٧٩ آل عمران). (راجع: جواهر التاريخ:٢٨/١).

وفي ذلك الوقت العصيب جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام من المدينة الى المعركة كالصقر المنقض ، وواست رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسها ، وضمدت جراحه !

وجاء النبي صلى الله عليه وآله الى ميدان المعركة وصلى على الشهداء ودفنهم ومنهم عمه حمزة ، ومصعب بن عمير رضي الله عنهما. وروى الجميع أنه كبر على عمه حمزة سبعين تكبيرة ، وروى في الطبقات:١٢٢/٣، أن النبي صلى الله عليه وآله وقف على مصعب:«وهو في بردة مقتول فقال: لقد رأيتك بمكة وما بها أحدق أرق حلة ولا أحسن لُمَّةً منك ثم أنت شعث الرأس في بردة ! ثم أمر به أن يقبر فنزل في قبره أخوه أبو الروم بن عمير وعامر بن ربيعة وسويبط بن سعد بن حرملة».

لكن ذلك لايصح لأن المسلمين كانوا فروا من المعركة ، والذين حضروا دفن شهداء أحُد أفراد قليلون ، وقد رووا أنه صلى الله عليه وآله وقف على قبرهم وقال: «أشهد أنكم أحياء عند الله ، فزوروهم وسلموا عليهم ، فوالذي نفس محمد بيده لايسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة». (مجمع الزوائد:١٢٣/٦).

ولم يعقب مصعب بن عمير رحمه الله إلا ابنته زينب ، وأمها حمنة أخت زينب بنت جحش. (الطبقات: ٢٤١/٨ ، وأسد الغابة:٤٧٠/٥ ، والإصابة:١٦٣/٣).

ملحق رقم (١٥)

من معركة أحُد

رُشَيد الهَجَري من فرسان أحُد:

واسمه عبد الرحمن بن عقبة ، قال:« شهدت مع نبـي الله يـوم أحـد فضـربت رجـلاً مـن المشركين فقلت: خذها مني وأنا الغلام الفارسي ، فبلغت النبي(ص) فقال: هلا قلت: خذها مني وأنا الغلام الأنصاري». (أحمد:٥/٢٩٥، راجع:جواهر التاريخ: ٢/٤٠٦).

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين:

في الخرائج:١/١٤٩:« كان أبو عزة الشاعر ، حضر مع قريش يوم بدر يحرض قريشاً بشعره على القتال ، فأسر في السبعين الذين أسروا. فلما وقع الفداء على القوم قال أبو عـزة: يـا أبا القاسم تعلم أني رجل فقير فامنن على بناتي، فقال ﷺ: إن أطلقتك بغير فداء أتكثر علينا بعدها؟ قال: لا والله. فعاهده أن لا يعود ، فلما كانت حرب أحد دعته قـريش إلـى الخروج معها ليحرض الناس بشعره على القتـال ، فقـال: إنـي عاهـدت محمـداً ألا أكثر عليه بعدما من علي. قالوا: ليس هذا من ذاك ، إن محمداً لا يسلم منـا فـي هـذه الدفعـة ، فقلبوه عن رأيه فلم يؤسر يوم أحد من قريش غيره، فقال رسول الله ﷺ: ألم تعاهدني؟ قال: إنما غلبوني على رأيي فامنن على بنـاتي. قـال: لا ، تمشـي بمكـة وتحـرك كتفيـك فتقول: سخرت من محمد مرتين ! المؤمن لايلسع مـن جحـر مـرتين ! يـا علـي إضـرب عنقه». والخلاف: ٤/١٩٣، وابن إسحاق: ٣/٣٠٢.

أسماء شهداء أحُد وقتلى المشركين فيها:

في سيرة ابن هشام:٦٣٥/٣: قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله (ص) من المهاجرين من قريش ، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: حمزة بن عبد المطلب بن هشام رضي الله عنه ، قتله وحشي ، غلام جبير بن مطعم. ومن بني أمية بن عبد شمس: عبد الله بن جحش ، حليف لهم ، من بني أسد بن خزيمة. ومن بني عبد الدار بن قصي: مصعب بن عمير قتله ابن قمئة الليثي. ومن بني مخزوم بن يقظة: شماس بن عثمان. أربعة نفر. ومن الأنصار ، ثم من بني عبد الأشهل: عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن. قال ابن هشام: السكن: ابن رافع بن امرئ القيس، ويقال: السكن. قال ابن إسحاق: وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش. رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة: أن أباهما ثابتاً قتل يومئذ. ورفاعة بن وقش ، وحسيل بن جابر ، أبو حذيفة وهو اليمان ، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه.

وصيفي بن قيظي. وحباب بن قيظي. وعباد بن سهل ، والحارث بن أوس بن معاذ. اثنا عشر رجلاً. ومن أهل راتج: إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء بن جشم بن عبد الأشهل ، وعبيد بن التيهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التيهان وحبيب بن يزيد بن تيم. ثلاثة نفر. ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. رجل ومن بني عمرو بن عوف ، ثم من بني ضبيعة بن زيد: أبو سفيان بن الحارث ابن قيس بن زيد ، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك بن أمة ، وهو غسيل الملائكة ، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك: ابن أمة بن ضبيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. رجل. ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حية ، وهو أخو سعد بن خثيمة لامه. قال ابن هشام: أبو حية: ابن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن جبير النعمان وهو أمير الرماة. رجلان. ومن بني السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس: خيثمة أبو سعد بن خيثمة. رجل. ومن حلفائهم من بني العجلان: عبد الله بن سلمة رجل. ومن بني معاوية بن مالك: سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة. رجل.

قال ابن هشام: ويقال. سويبق بن الحارث بن حاطب بن هيشة.

قال ابن إسحاق: ومن بني النجار ، ثم من بني سواد بن مالك بن غنم: عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو. قال ابن هشام: عمرو بن قيس: ابن زيد بن سواد.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد. أربعة نفر. ومن بني مبذول: أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول ، وعمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو. رجلان. ومن بني عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المنذر. رجل.

قال ابن هشام: أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت. قال ابن إسحاق: ومن بني عدى بن النجار: أنس بن النضر بن ضمضم ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. رجل قال ابن هشام: أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك: خادم رسول الله(ص). ومن بني مازن بن النجار: قيس بن مخلد ، وكيسان ، عبد لهم. رجلان. ومن بني دينار بن النجار: سليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. رجلان. ومن بني الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير ، دفنا في قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر. ومن بني الأبجر ، وهم بنو خدرة: مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو أبو أبي سعيد الخدري. قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخدري: سنان ، ويقال: سعد. قال ابن إسحاق: وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر. ثلاثة نفر. ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد ابن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن فروة

بن البدي. رجلان. ومن بني طريف ، رهط سعد بن عبادة: عبد الله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف ، وضمرة، حليف لهم من بني جهينة. رجلان. ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العجلان ابن زيد بن غنم بن سالم: نوفل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك ابن العجلان ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم ، والمجذر بن ذياد ، حليف لهم من بلى ، وعبادة بن الحسحاس. دفن النعمان بن مالك ، والمجذر ، وعبادة ، في قبر واحد. خمسة نفر. ومن بني الحبلى: رفاعة بن عمرو. رجل ومن بني سلمة ، ثم من بني حرام: عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، دفنا في قبر واحد ، وخلاد بن عمرو بن الجموح ، وأبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح. أربعة نفر. ومن بني سواد بن غنم: سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسهل ابن قيس بن أبي كعب بن القين. ثلاثة نفر. ومن بني زريق بن عامر: ذكوان بن عبد قيس وعبيد بن المعلى بن لوذان. رجلان. قال ابن إسحاق: فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً .

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بني معاوية بن مالك: بن تميلة ، حليف لهم من مزينة. ومن بني خطمة - واسم خطمة: عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة. ومن بني الخزرج ، ثم من بني سواد بن مالك: مالك بن إياس. ومن بني عمرو بن مالك بن النجار: إياس بن عدي. ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

ملحق رقم (١٦)

من مناقب سلمان الفارسي

١- روت مصادر السنة وصححته أن النبي صلى الله عليه وآله اشتراه بأواقي ذهب وغرس ثلاث مئة نخلة حتى تطعم ، ففي الحاكم:١٦/٢، وأحمد:٣٥٤/٥، و٤٤٣ ، والبيهقي:٣٢١/١٠، عن بريدة قال:«وكان لليهود فاشتراه رسول الله (ص) بكذا وكذا درهماً وعلى أن يغرس نخلاً فيعمل سلمان فيها حتى تطعم ، قال فغرس رسول الله (وأصحابه) النخل إلا نخلة واحدة غرسها عمر فحملت النخل من عامها ولم تحمل النخلة ، فقال رسول الله (ص): من غرسها ؟ قالوا: عمر ، فنزعها رسول الله (ص) ثم غرسها فحملت من عامها ».

٢. وكان سلمان في أعلى درجات الإيمان وهي الدرجة العاشرة ، ففي الخصال/٤٤٧ عن عبد العزيز القراطيسي قال:« قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات ، بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة ، فلا تقولن صاحب الواحد لصاحب الإثنين لست على شئ ، حتى تنتهي إلى العاشرة ، ولا تسقط من هو دونك فيسقطك الذي هو فوقك ، فإذا رأيت من هو أسفل منك فارفعه إليك برفق ، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره ، فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره. وكان المقداد في الثامنة ، وأبو ذر في التاسعة ، وسلمان في العاشرة».

٣- آخى النبي صلى الله عليه وآله بينه وبين أبي ذر:«واشترط على أبي ذر أن لايعصي سلمان» (الكافي:١٦٢/٨).

٤- وكان سلمان مُحَدَّثاً، قال الإمام الصادق عليه السلام:«كان سلمان محدثاً. قال قلت: فما آية المحدث؟ قال: يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت». (بصائر الدرجات/٣٤٢). وقال الإمام الصادق عليه السلام:«إن سلمان علم الإسم الأعظم»(الإختصاص/١١، ورجال الطوسي: ٦٥/١).

٥- ولذلك اتخذه النبي صلى الله عليه وآله خليلاً ، قال سلمان:« أوصاني خليلي بسبعة خصال لا أدعهن على كل حال: أوصاني أن أنظر إلى من هو دوني ، ولا أنظر إلى من هو فوقي ، وأن أحب الفقراء وأدنو منهم ، وأن أقول الحق وإن كان مُراً ، وأن أصل رحمي وإن كانت مدبرة ، ولا أسأل الناس شيئاً ، وأوصاني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإنها كنز من كنوز الجنة». (المحاسن: ١١/١).

٦. وتوفي سلمان وهو أمير المدائن ، في أواخر خلافة عثمان ، وأمر امرأته:« أن تديف (تذوب) مسكاً أصابه من الفيء وخبأه لأجل وفاته ، وقال لها ميثيه في الماء ورشي بالماء حولي ، فإن اليوم يحضرني من ملائكة ربي من لم أرهم قط ! ففعلت ذلك ، وتوفي في ذلك اليوم». (إكمال الكمال: ٣٦٢/٧) .

وحضر أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة الى المدائن بكرامة من الله تعالى وغسل سلماناً وصلى عليه وودعه (الفضائل لشاذان بن جبرئيل/٩٠ ، في حديث طويل). وقال له:« إذا لقيت رسول الله فقل له ما مرَّ على أخيك من قومك». (مستدرك سفينة البحار: ٣٤/٦) .

وفي مدينة المعاجز:١٤/٢، عن الراوندي ومشارق أنوار اليقين:«أن علياً عليه السلام دخل المسجد بالمدنية غداة يوم و قال: رأيت في النوم رسول الله صلى الله عليه وآله البارحة فقال لي: إن سلمان توفي ، ووصاني بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، وها أنا خارج إلى المدائن لذلك. فقال عمر: خذ الكفن من بيت المال . فقال علي عليه السلام: ذاك مكفي مفروغ منه فخرج والناس معه إلى ظاهر المدينة ، ثم خرج وانصرف الناس ، فلما كان قبل الظهيرة رجع وقال: دفنته ، وأكثر الناس لم يصدقوه حتى كان بعد مدة ووصل من المدائن مكتوب: إن سلمان توفي يوم كذا ، ودخل علينا أعرابي فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه ثم انصرف فتعجب الناس كلهم» !

٦- تزوج سلمان رضي الله عنه امرأة من قبيلة كندة ، وأنجب أولاداً وعرف منهم محمد وعبدالله .

(رجال الطوسي: ٦٨/١ ، وطرائف المقال: ٦٠١/٢ ، والإستيعاب: ٦٣٨/٢، وتاريخ دمشق: ٤٢٨/٢١ ، وسنن البيهقي: ٢٧٣/٧، وتهذيب الكمال: ٢٤٩/١١، ولسان الميزان: ٤٢١/٣ ، ومصنف عبد الرزاق: ١٥٣/٦و١٩٢).

وذكروا له أولاداً:يحيى بن سلمان (تاريخ دمشق: ٢٢٧/٥). **وعامر بن سلمان** (المنفردات لمسلم بن الحجاج/١٠٤) . **ولعله هو عمر بن سلمان** (كشف الظنون: ١٤٨٨/٢). **وزاذان بن سلمان.** (الدر النظيم/٣٢١) **وهو إسم فارسي ، ويروي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله .**

وذكروا لهم ذرية ، ففي فهرست منتجب الدين/٥٢:« الشيخ بدر الدين الحسن بن على بن سلمان بن أبي جعفر بن أبي الفضل بن الحسن بن أبي بكر بن سلمان بن عباد بن عمار بن أحمد بن أبي بكر بن علي بن سلمان بن منبه بن محمد بن عمارة بن ابراهيم بن سلمان بن محمد بن سلمان الفارسي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله نزيل أشناباد السد من الري ، واعظ ، فصيح ، صالح ».

٧. وكان سلمان رضي الله عنه من المعمرين ، روي أنه عاش أكثر من ثلاث مئة سنة .

وكان من كبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله وأفاضلهم، وقد اشتراه النبي صلى الله عليه وآله من سيده اليهودي وحرره واشتهر بين المسلمين قول النبي صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت وقد شارك في حروب النبي صلى الله عليه وآله، وفي فتح إيران وآذربيجان وغيرها ، وصار هذا الفارسي المشرد حاكماً للمدائن مكان كسرى ! وكان من حواريي علي عليه السلام، وأحد الإثني عشر الذين خطبوا في المسجد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وواجهوا أبا بكر وأدانوا بيعة السقيفة .

وقد أفاضت المصادر في ذكره، فلا يكاد يخلو مصدر حديثي وتاريخي من أحاديثه ومناقبه. وألفت فيه كتب مستقلة لكنها لاتفي بالغرض، ولعل قومه الفرس أول المقصرين في حقه ! فلا ترى في إيران عملاً مهماً باسمه ، أو ذكراً مناسباً له !

○ ○

ملحق رقم (١٧)

من مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه

١- قال ابن أبي جمهور الأحسائي في غوالي اللئالي:١٠٤/٢:« وفي الحديث أن ياسراً وابنه عماراً وأمه سمية ، قبض عليهم أهل مكة وعذبوهم بأنواع العذاب لأجل إسلامهم ، وقالوا: لا ينجيكم منا إلا أن تنالوا محمداً وتبرؤوا من دينه !

فأما عمار فإنه أعطاهم بلسانه كل ما أرادوا منه ، وأما أبواه فامتنعا فقتلا ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: في عمار جماعة إنه كفر ، فقال صلى الله عليه وآله: كلا إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وجاء عمار وهو يبكي فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما خبرك؟ فقال: يا رسول الله ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير ، فصار رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك ، فعد لهم بما قلت» .

« فأنزل الله عز وجل فيه: مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَان. (النحل:١٠٦) فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا عمار إن عادوا فعد . فقد أنزل الله عز وجل عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا». (الكافي: ٢١٩/٢، وقرب الإسناد/١٢).

«صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فأعطوهم ما سألوا... فلما كان العشي جاء أبوجهل فجعل يشتم سمية ويرفث ثم طعنها فقتلها»! (ابن شيبة: ٤٤٨/٨).

٢. ومن كرامة عمار رضي الله عنه أن قريشاً ألقته في النار فقال النبي صلى الله عليه وآله:«يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم ، فلم تصله النار ولم يصله منها مكروه ! وقتلت قريش أبويه ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة. ما تريدون من عمار ! عمار مع الحق والحق مع عمار حيث كان. عمار جلدة بين عيني

وأنفي، تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار».(رجال الطوسي:١٢٧/١، ومعجم رجال الحديث:٢٨٤/١٣، والطبقات:٢٤٨/٣، وتاريخ الذهبي: ٥٧١/٣).

٣.« شهد بدراً ، وهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم إلى المدينة» .«شهد بدراً والمشاهد كلها وأبلى بلاء حسناً ، ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً ، ويومئذ قطعت أذنه ». (عمدة القاري: ١٩٧/١، وشرح النهج: ٣٧/٢٠ ، وغيرهما).

وفي المسترشد/٦٥٧:« وقال فيه النبي ﷺ: عمار جلدة بين عيني. وهذا حين ارتجز وهم ينقلون حجارة المسجد بأبيات سمعها من أمير المؤمنين:

لا يستوي من يعمر المساجدا. إن بات فيها قائماً وقاعداً.

ومن غدا عن الغبار حائدا.

يعرِّض بعمر ، فقال له عمر: يا بن السوداء لهممت أن أغمسه في أنفك! فقال له النبي ﷺ:ما لكم ولعمار؟ عمار جلدة ما بين عيني، ثم قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية».

٤. كان منقطعاً الى علي عليه السلام من زمن النبي ﷺ. قال النوبختي في فرق الشيعة/١٧: «أول الفرق الشيعة وهم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته منهم: المقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ، وعمار بن ياسر...».

وكان بذلك ينفذ أمر النبي ﷺ، ففي مناقب الخوارزمي/١٩٣، ومذاهب الطوائف/١٠٢: «عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنبيه ﷺ إذ أوحى إلى راحلته فبركت على بابك ، وكان رسول الله ﷺ ضيفاً لك ، فضيلة الله فضلك بها ، فأخبرنا عن مخرجك مع علي بن أبي طالب؟ قال أبو أيوب: فإني أقسم لكما لقد كان رسول الله ﷺ في هذا البيت الذي أنتما فيه وما فيه غير رسول الله ﷺ وعلي جالس عن يمينه ، وأنا جالس عن يساره ، وأنس بن مالك قائم بين يديه

إذ تحرك الباب فقال صلى الله عليه وآله: أنظر من بالباب؟ فخرج أنس فنظر فقال: هذا عمار بن ياسر فقال صلى الله عليه وآله: إفتح لعمار الطيب المطيب ، ففتح أنس ودخل عمار فسلم على رسول الله فرحب به ثم قال لعمار: إنه سيكون في أمتي من بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم ، وحتى يقتل بعضهم بعضاً ، وحتى يبرأ بعضهم من بعض ! فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب ! وإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل الناس طراً ! إن علياً لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى. يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله».

٥- وانتدب الصحابة عماراً ليعطي عريضتهم الى عثمان ، فضربه عثمان وكاد يقتله! قال ابن الأعثم في الفتوح:٢/٣٧٢: « واجتمع نفر من أصحاب النبي (ص) ثم إنهم كتبوا كتاباً ، وذكروا فيه كل حدث أحدثه عثمان منذ يوم ولي الخلافة إلى ذلك اليوم ثم إنهم خوفوه في الكتاب وأعلموه أنه إن لم ينزع عما هو عليه خلعوه واستبدلوا به غيره... ثم أقبلوا على عمار بن ياسر وقالوا له: يا أبا اليقظان ! هل لك أن تكفينا هذا الأمر وتنطلق بالكتاب إلى عثمان؟ فقال عمار: أفعله ، ثم أخذ الكتاب وانطلق إلى عثمان ، فإذا عثمان وقد لبس ثيابه وخفيه في رجليه ، فلما خرج من باب منزله نظر إلى عمار واقفاً والكتاب في يده فقال له: حاجة يا أبا اليقظان ؟ فقال عمار: مالي حاجة ، ولكنا اجتمعنا فكتبنا كتاباً نذكر فيه أموراً من أمورك لا نرضاها لك ، قال: ثم دفع إليه الكتاب فأخذه عثمان فنظر فيه حتى قرأ سطراً منه ، ثم غضب ورمى به من يده ، فقال له عمار: لا ترم بالكتاب وانظر فيه حسناً ، فإنه كتاب أصحاب رسول الله وأنا والله ناصح لك! فقال له عثمان: كذبت يا بن سمية ! فقال عمار: أنا والله ناصح لك ! فقال عثمان: كذبت يا بن سمية ! فقال عمار: أنا والله ابن سمية وابن ياسر. قال: فأمر عثمان غلمانه ، فضربوه ضرباً شديداً حتى وقع

لجنبه ، ثم تقدم إليه عثمان فوطئ بطنه ومذاكيره حتى غشي عليه وأصابه الفتق ، فسقط لما به لا يعقل من أمر شيئاً ! قال: واتصل الخبر ببني مخزوم فأقبل هشام بن الوليد بن المغيرة في نفر من بني مخزوم فاحتملوا عماراً من موضعه ذلك وجعلوا يقولون: والله لئن مات الآن لنقتلن به شيخاً عظيماً من بني أمية ، ثم انطلقوا بعمار إلى منزله مغشياً عليه فلم يصل ظهراً ولا عصراً ولا مغرباً ولا عشاءً حتى ذهب بعض الليل ، ثم أفاق بعد ذلك من غشيته فقام فقضى ما فاته من صلواته كلها. قال: فكان هذا من إحداثه الذي نقموا عليه ، فبلغ ذلك أبا ذر وكان مقيماً بالشام فجعل يظهر عيب عثمان هناك ويذكر منه خصالاً قبيحة ، فكتب معاوية بن أبي سفيان بذلك إلى عثمان... فكتب إليه عثمان: أما بعد ! فقد جائني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر أبي ذر جندب بن جنادة ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث به إلي واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها ، وابعث معه دليلاً يسير به الليل مع النهار حتى يغلبه النوم ، فينسيه ذكري وذكرك والسلام..» !

٦- غيَّبَ رواة السلطة دور عمار في مواجهة السقيفة ، ثم في حرب اليمامة والفتوحات ! وهذه سياستهم تجاه علي عليه السلام وأصحابه وشيعته !

على أن النصوص القليلة التي وصلتنا تدل على دور عمار في فتح العراق ، وأنه كان والي الكوفة ، وأنه نبه عمر الى خطر الفرس وحثه على مواجهة خطتهم !

فقد روى ابن الأعثم في الفتوح:٢/٢٩٠ ، ونحوه الطبري:٣/٢٠٩، رسالة عمار التاريخية الى عمر الخليفة ، ينذره بأن الفرس جمعوا مئة وخمسين ألف جندي:«وأنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتواثقوا ، على أنهم يخرجوننا من أرضنا ويأتونكم من بعدنا... فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه ، وقعت عليه

الرُعدة والنُّفْضة حتى سمع المسلمون أطيط أضراسه! ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار! ألا فاجتمعوا رحمكم الله وأعينوني أعانكم الله».

وقد وصفوا مجئ الصحابة وكلامهم وكيف أعجب عمر بكلام علي عليه السلام وقال: «ويحكم! عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي ، ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا أبا الحسن ! فأشر عليَّ الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً وأستكفيه من هؤلاء الفرس. فقال علي: قد أصبته ، قال عمر: ومن هو ؟ قال: النعمان بن مقرن المزني فقال عمر وجميع المسلمين: أصبت يا أبا الحسن وما لها من سواه».

ثم أدار علي عليه السلام جبهة فتح فارس ومدها بقادة أكثرهم تلامذته ، وكان لحذيفة وسلمان وعمار أدوار أساسية فيها ، وحقق للمسلمين النصر الحاسم ،كما أدار قبلها بسنوات فتح بلاد الشام ومعركتيها المهمتين أجنادين واليرموك ، وكان لأبي ذر وخالد بن سعيد ومالك الأشتر أدوار أساسية فيها .

٧- وتنفس عمار الصعداء لما بايعت الأمة علياً عليه السلام ، فنهض لنصرة إمامه ، ولازمه في خلافته حتى استشهد بين يديه في صفين !

وفي صفين ناظر عمرو بن العاص في يوم مشهود وأفحمه وفضحه وفضح إمامه معاوية ! وكان ينادي في المسلمين:« أيها الناس ! والله ما أسلم القوم ولكنهم استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا له أعواناً أظهروه»! (الجمل للمفيد/١٩، والمناقب لمحمد بن سليمان:٣٥٦/٢، ووقعة صفين/٢١٦ ، بسند صحيح عندهم).

وفي شرح الأخبار:١٥/٢:« دعا عمار يوم صفين بشراب ، فأتي بضياح من لبن فشربه ثم قال: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: تقتلك الفئة الباغية ، ويكون آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن ، ثم تقدم إلى القتال فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه».

وفي الإحتجاج:٢٦٦/١ ، عن الصادق عليه السلام:« لما قتل عمار بن ياسر ارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عمار تقتله الفئة الباغية ، فدخل عمرو على معاوية وقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا ، قال: لماذا قال: قتل عمار ! فقال قتل عمار فماذا ؟ قال: أليس قال رسول الله: تقتله الفئة الباغية؟ فقال معاوية: دحضت في بولك ! أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا ، فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه السلام، قال: فإذاً رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة لمَّا ألقاه بين رماح المشركين» !

وقال الإمام الهادي عليه السلام مخاطباً جده أمير المؤمنين عليه السلام في زيارته يوم الغدير: «مولاي بك ظهر الحق وقد نبذه الخلق ، وأوضحت السنن بعد الدروس والطمس ولك سابقة الجهاد على تصديق التنزيل ، ولك فضيلة الجهاد على تحقيق التأويل ، وعدوك عدو الله جاحد لرسول الله ، يدعو باطلاً ويحكم جائراً ، ويتأمر غاصباً ، ويدعو حزبه إلى النار . وعمار يجاهد وينادي بين الصفين: الرواح الرواح إلى الجنة. ولما استسقى فسقي اللبن كبَّر وقال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن وتقتلك الفئة الباغية فاعترضه أبو العادية الفزاري فقتله ، فعلى أبي العادية لعنة الله ولعنة ملائكته ورسله أجمعين». (المزار لابن المشهدي/٢٧٧).

٨- قال الصدوق في كمال الدين/٥٣١:«وكيف يُصدق صلى الله عليه وآله فيما أخبر به في أمر عمار بن ياسر أنه تقتله الفئة الباغية ، وفي أمير المؤمنين عليه السلام أنه تخضب لحيته من دم رأسه وفي الحسن بن علي عليه السلام أنه مقتول بالسم ، وفي الحسين بن علي عليه السلام أنه مقتول بالسيف؟ ولا يصدق فيما أخبر به من أمر القائم ووقوع الغيبة به والتعيين عليه باسمه ونسبه؟! بلى هو صلى الله عليه وآله صادق في جميع أقواله ، مصيب في جميع أحواله ولا يصح إيمان عبد حتى لايجد في نفسه حرجاً مما قضى ، ويسلم له في جميع الأمور تسليماً».

ملحق رقم (١٨)

ترجمة خالد بن سعيد بن العاص الأموي رحمه الله

١- أرسله النبي صلى الله عليه وآله الى قيصر الروم فتأثر كبير الأساقفة . (كنز العمال:٥٨٥/١٠).

٢- رجع مع جعفر وبقية المهاجرين للحبشة عند فتح خيبر . (الإستيعاب:١١٧٧/٣).

٤- أقنع خالد وأخوه عمرو أخاهما أباناً ، فوافاهما بعد عودتهما ، وأسلم وحسن إسلامه ، فولاه النبي صلى الله عليه وآله على البحرين وبقي والياً عليها حتى توفي النبي صلى الله عليه وآله. وشارك في فتح الشام واستشهد في السنة الرابعة عشرة للهجرة ، هو وأخواه خالد وعمرو . (الإصابة:١٦٩/١). وسيأتي أن شهادتهم وقعت في ظرف مشكوك !

٥- وفي الحبشة توفي زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فكتب النبي صلى الله عليه وآله للنجاشي أن يخطبها له ، فوكلت خالد بن سعيد وخطبها النجاشي منه للنبي صلى الله عليه وآله. (الإستيعاب:١٩٣٢/٤) .

٦- شارك سعيد بفعالية في حروب النبي صلى الله عليه وآله ، وأمَّره في فتح مكة على سرية وأرسله الى ذي عَرَنة . (التنبيه والإشراف/٢٣٣).

٧- وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وهو أول من ابتدأ الرسائل بالبسملة. (الدر المنثور: ١١/١، ومكاتيب الرسول: ١٤٩/١. وتوسط للنبي صلى الله عليه وآله مع ثقيف وكتب عهدهم. (الدرر/٢٤٨).

٨- وأرسله النبي صلى الله عليه وآله مع علي عليه السلام لفتح اليمن فجعله علي عليه السلام قائد مقدمته ، وبرز الى عمرو بن معدي كرب فنهاه علي عليه السلام ، وبرز هو اليه وصاح بعمرو فهرب ! ثم جاء عمرو واستأمن ، وأعطى سيفه المشهور الصمصامة الى خالد .

٩- ذهب خالد بن الوليد بمن معه في اليمن الى جهة ، فنهاه علي عليه السلام فخالفه ، فبعث اليه خالد بن سعيد فأجبره على طاعة أميره. (كشف الغمة: ٢٢٩/١).

١٠- بعثه النبي صلى الله عليه وآله والياً على اليمن وكتب له كتاب الفرائض.(مكاتيب النبي: ٣٠٣/١).

١١- عندما توفي النبي صلى الله عليه وآله رجع خالد الى المدينة، وتفاجأ ببيعة أبي بكر، فغضب« وأتى بني هاشم فقال: أنتم الظهر والبطن والشعار دون الدثار والعصا دون اللحا، فإذا رضيتم رضينا وإذا أسخطتم سخطنا... وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها واضطغنها عليه عمر فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس عليك بيعته وقال لبني هاشم ما قال؟!». (شرح النهج:٥٨/٢).

وفي الإحتجاج:٩٧/١، والخصال/٤٦١، عن أبان بن تغلب قال:«قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري « وغيرهم، فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم وقال الله عز وجل: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولكن إمضوا بنا إلى علي بن أبي طالب نستشيره ونستطلع أمره، فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك وتركت حقاً أنت أولى به، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله فإن الحق حقك وأنت أولى بالأمر منه، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك، فقال لهم علي: لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حرباً لهم، ولا كنتم إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وقد

اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها والكاذبة على ربها ! ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت لما تعلمون من وغر صدور القوم وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ، وإنهم يطالبون بثارات الجاهلية ! والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال ،كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولببوني وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك ، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي ، وذاك أني ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك ، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر ! ألا وإنهم سيغدرون بك لامحالة فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك ، فإن الأمة ستغدر بك بعدي ! كذلك أخبرني جبرئيل عن ربي تبارك وتعالى ، ولكن إئتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم صلى الله عليه وآله ، ولا تجعلوه في الشبهة من أمره ، ليكون ذلك أعظم للحجة عليه ، وأبلغ في عقوبته إذ أتى ربه وقد عصى نبيه صلى الله عليه وآله وخالف أمره» !

وتقدم ذلك في فصل وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يبايع خالد حتى أمره علي عليه السلام .

١٢- وعرض عليه أبو بكر الولاية فرفضها هو وإخوته ، قال لهم أبو بكر:« ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله صلى الله عليه وآله ، إرجعوا إلى أعمالكم ، فقالوا: لا نعمل بعد رسول الله لأحد ! فخرجوا إلى الشام فقتلوا عن آخرهم» ! (الحاكم: ٣/٢٤٩).

١٣- وأعلن بعض العرب عدم طاعتهم لأبي بكر ، وأعلن مسيلمة الكذاب نبوته ، وحث أبو بكر الناس على الجهاد فتثاقلوا حتى نهض علي عليه السلام وحثهم على جهاد مسيلمة وذات مرة قال عمر:« لو كان عرضاً قريباً..الآية. فقال له خالد بن سعيد بن العاص: يا ابن أم عمر ، ألنا تضرب أمثال المنافقين ! والله لقد أسلمت وإنَّ لبني عدي صنماً إذا جاعوا أكلوه وإذا شبعوا استأنفوا».(عين العبرة لابن طاووس/١٨).

١٤- وقال علي عليه السلام:« فأتى رهط من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يعرضون عليَّ النصرة منهم خالد وأبان ابنا سعيد بن العاص ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، والزبير بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ، والبراء بن مالك الأنصاري .

فقلت لهم: إن عندي من نبي الله العهد وله الوصية ، وليس لي أن أخالفه ولست أجاوز أمره وما أخذه علي لله ! لو خزموا أنفي لأقررت سمعاً وطاعة لله عز وجل ، فبينا أنا على ذلك إذ قيل: قد انثال الناس على أبي بكر وأجفلوا عليه ليبايعوه ، وما ظننت أنه تخلف عن جيش أسامة ، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله قد أمَّره عليه وعلى صاحبه وأمر أن يجهز جيش أسامة ، فلما رأيته قد تخلف وطمع في الأمارة ، ورأيت انثيال الناس عليه أمسكت يدي...

فلبثت ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام وأظهرت ذلك يدعون إلى محو دين الله ، وتغيير ملة محمد صلى الله عليه وآله!

فخشيت إن لم أنصر الإسلام وقعدت أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون مصيبته علي أعظم من فوت ولاية أموركم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وينقشع كما ينقشع السحاب .

ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودي عن الخروج إليهم ، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فتألفته ، ولولا أني فعلت ذلك لباد الإسلام ، ثم نهضت في تلك الأحداث حتى انزاح الباطل وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره المشركون». (المسترشد/٤١١).

١٥- ولما رأى أبو بكر رفض خالد للولاية ورغبته في الجهاد ، عقد له على جيش فتح الشام:« فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاص ، ثم عزله قبل أن يسيِّره وولى يزيد بن أبي سفيان فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام».

« عن ابن عمر قال: لما عقد أبو بكر الأمراء على الشام كنت في جيش خالد بن سعيد بن العاص ، فصلى بنا الصبح بذي المروة وهو على الجيوش كلها ، فوالله إنا لعنده إذ أتاه آت فقال قدم يزيد بن أبي سفيان ، فقال خالد بن سعيد هذا عمل عمر بن الخطاب كلم أبا بكر في عزلي وولى يزيد بن أبي سفيان !

فقال ابن عمر فأردت أن أتكلم ثم عزم لي على الصمت . قال: فتحولنا إلى يزيد بن أبي سفيان وصار خالد كرجل منهم ، وقال محمد بن عمر: وهذا أثبت عندنا مما روي في عزل خالد وهو بالمدينة» . (تاريخ دمشق: ٢٤٤/٦٥).

وفي تاريخ الطبري:٥٨٦/٢ ، وشرح النهج:٥٨/٢:«واضطغنها عليه عمر ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس عليك بيعته وقال لبني هاشم ما قال؟!» .

١٦- وكان خالد في الشام هو القائد الحقيقي لقوة إيمانه وشجاعته ، وضعف يزيد بن أبي سفيان الشاب أمامه ، فسعيد من ناحية اجتماعية ابن أبي أحيحة الأقوى والأعرق في قيادة بني أمية من أبي سفيان وأولاده .

على أن خالداً لم يذهب مع يزيد بن أبي سفيان ، بل اختار أن يذهب في جيش شرحبيل بن حسنة فأوصاه به أبو بكر ، وربما كان ذلك بفعل تأنيب الضمير !

ففي الطبقات:٩٨/٤:« لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد أوصى به شرحبيل بن حسنة وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن

يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام وأن رسول الله (ص) توفي وهو له وال ، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه . ما أغبط أحداً بالأمارة !

وقد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك على ابن عمه ، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وليكن خالد بن سعيد ثالثاً ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً. وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوي عنهم بعض الخبر .

قال محمد بن عمر: فقلت لموسى بن محمد: أرأيت قول أبي بكر قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزله أبو بكر كتب إليه أي الأمراء أحب إليك؟فقال: ابن عمي أحب إلي في قرابته ، وهذا أحب إلي في ديني ، فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله ﷺ وناصري على ابن عمي فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة».

أقول: شرحبيل صحابي عرف باسم أمه حسنة . واسم أبيه المطاع من قبيلة غوث من كندة ، ولد ونشأ في مكة وتحالف مع بني زهرة ، وأسلم وهاجر الى الحبشة وكان فارساً وصديقاً لخالد بن سعيد الفارس البطل يحترمه ويناصره ، ولذلك اختار خالد أن يكون معه فأعطاه قيادة الخيل ، ولا بد أن تكون خططه كلها من خالد ، ولذا قلنا إن ثقل معركة أجنادين التي تم فيها فتح الأردن كان على خالد ، وكان الروم يجمعون فيها قواتهم فنزل شرحبيل مقابلهم ، ولما اقتربت المعركة جاءه من المسلمين مدد مساعد ، وقد فتح جيش شرحبيل الأردن كلها عنوة أي بالحرب ، إلا طبرية فصالحه

أهلها ، بينما فتحت المدن التي توجهت اليها الفرق الأخرى صلحاً ، أي بالمحاصرة أو بالتخويف ، بدون حرب كبيرة .

١٧- وكان خالد رحمه الله بطل معركة أجنادين التي بدأت بها هزيمة هرقل ، فقد توجه جيش المسلمين الى الشام فاجتاحوا مدينة بصرى الشام بسهولة ، وصالحهم أهلها على الجزية وأن يكونوا تحت حكمهم . وكان هرقل يومها في حمص فأمر بتجميع الجيش لقتال المسلمين في«أجنادين»وهي في فلسطين قرب مدينة بيت جبرين ، وجعل القيادة لابنه وخليفته ، فجمعوا لهم تسعين ألف مقاتل .

قال البلاذري:١٣٥/١:«ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرَّب هرقل أكثرهم ، وتجمع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص».

«واجتمعت الروم بأجنادين ، وعليهم تذارق أخو هرقل لأبويه ، وقيل كان على الروم القبقلار». (الكامل:٤١٧/٢) .

«ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة...من بصرى يُعلم خالداً بمسير الروم اليه من أجنادين في تسعين ألف فارس» (فتوح الواقدي: ٤٨/١). وهذا يدل على أن خالداً كان قائد الجيش الميداني .

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب:٦٤/١:«وكانت وقعة إجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصديق قبل وفاة أبي بكر بدون شهر... وكان في إجنادين أمراء أربعة أبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، كل على جنده».

« فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هرقل». (تاريخ الطبري:٦١١/٢) .

ففي رواية ابن عساكر:٦٦/١٦:« فحملت لهم خيل على خالد بن سعيد ، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ثم يقبض عليهم ، فحملت طائفة منهم عليهم فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً».

وورد ذكر أخيه أبان بن سعيد:«ورُمِيَ أبان بن سعيد بن العاص بنشابة فنزعها وعصبها بعمامته فحمله أخواه خالد بن سعيد وعمرو بن سعيد فقال: لاتنزعوا عمامتي عن جرحي فإنكم إذا انتزعتموها عن جرحي تبعتها نفسي، أما والله ما أحب أنها بأقصى حجر من البلاد مكاني ، فلما نزعوا العمامة مات رحمه الله ».

«واستشهد من المسلمين طائفة...وانتهى خبر الوقعة إلى هرقل فنخِب قلبه ، ومُلئ رعباً فهرب من حمص إلى إنطاكية». (معجم البلدان:١٠٣/١).

١٨- ولم يكن شرحبيل يعجب عمر فعزله بدون سبب ، بحجة أنه وجد أقوى منه ! وتوفي شرحبيل في طاعون عمواس وعمره ٦٧سنة. (تاريخ دمشق:٤٦٤/٢٢).

١٩- تعمد تاريخ السلطة أن يخفي بطولات الأبطال الذين قطفوا النصر للمسلمين في هاتين المعركتين لمجرد أنهم من تلاميذ علي عليه السلام ! وفي طليعتهم خالد بن سعيد بن العاص بطل معركة أجنادين وأخواه عمرو وأبان ، ومالك الأشتر بطل معركة اليرموك ، وأبو ذر ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وغيرهم.

وكذلك دور حذيفة بن اليمان ، وحجر بن عدي ، وحبيب بن مظاهر ، وزهير بن القين أبطال فتوحات العراق وفارس وأرمينيا .

وكذلك دور جعدة بن هبيرة قائد فتوح خراسان ، وما وراء النهر !

كما أخفى تاريخ السلطة استغاثة أبي بكر وعمر بعلي عليه السلام في الشدائد ، ونهوضه فيها ، وإدارته أهم معارك الفتوحات !

٢٠- بعد انتصار المسلمين في أجنادين بقيادة سعيد وبطولته ، وفي معركة اليرموك ببطولة مالك الأشتر رحمه الله، وهرب هرقل بعد اليرموك الى القسطنطينية ، وودع سوريا قائلاً: السلام عليك يا سوريا ! وسقطت كل بلاد الشام وفلسطين ، بأيدي المسلمين ، ومنها القدس وحتى قبرص .

٢١- كان خالد القائد الحقيقي لجيش شرحبيل ، وكان الأشتر الفارس الحاسم في جيش خالد وأبي عبيدة ، وكان أبو ذر رحمه الله مفتي جيش الشام وموجهه ، لإيمانه وشخصيته المميزة . قال القاضي النعمان في شرح الأخبار:١٥٦/٢:«غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس وهو أمير على الشام فغنموا وقسموا الغنائم ، فوقعت جارية في سهم رجل من المسلمين وكانت جميلة ، فذكرت ليزيد فانتزعها من الرجل !

وكان أبو ذر يومئذ بالشام فأتاه الرجل فشكا إليه واستعان به على يزيد ليرد الجارية إليه فانطلق إليه معه وسأله ذلك فتلكأ عليه !

فقال له أبو ذر: أما والله لئن فعلت ذلك ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية ثم قام ، فلحقه يزيد فقال له: أذكرك الله عز وجل أنا ذلك الرجل؟ قال: لا. فرد عليه الجارية». وفي سير الذهبي:٣٢٩/١، وتاريخ دمشق:٢٥٠/٦٥:« فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل فاغتصبها يزيد» ! وصححه الألباني:٣٢٩/٤، ولم يبين مناسبته ! قال:«أول من يغير سنتي رجل من بني أمية ! ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة وجعله وراثة» !

وفي تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي/٢٦٦:«كتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر قد حرَف قلوب أهل الشام وبغَّضك إليهم فما يستفتون غيره ولا يقضي بينهم إلا هو! فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل أبا ذر على ناب صعبة».(والبحار:٣١/٢٧٤).

٢٢- كتبت بحثاً بعنوان:«دور علي عليه السلام وتلاميذه في الفتوحات» أثبتت فيه صدق قوله عليه السلام:«ولولا أن قريشاً جعلت إسمه صلى الله عليه وآله ذريعة إلى الرياسة ، وسلماً إلى العز والأمرة لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً ، ولارتدت في حافرتها وعاد قارحها جذعا وبازلها بكراً ، ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجهد والمخمصة ، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً ، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً ، وقالت لولا أنه حق لما كان كذا ! ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها ، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين! فكنا نحن ممن خمل ذكره ، وخبت ناره ، وانقطع صوته وصيته ، حتى أكل الدهر علينا وشرب ، ومضت السنون والأحقاب بما فيها ، ومات كثير ممن يعرف ونشأ كثير ممن لايعرف». (شرح النهج:٢٠/٢٩٨).

٢٣- قُتل خالد بن سعيد بعد قطفه النصر في أجنادين ، في ظرف مريب ، وزاد من الريبة تناقض روايتهم فقالوا قتل في معركة أجنادين ، لكن ثبت أنه تزوج بأم حكيم الخزاعية بعد استشهاد زوجها عكرمة بن أبي جهل في أجنادين ، وقد اعتدت بعده أربعة اشهر وعشراً . وقالوا قتل في مرج الصفر ، وهي قرية في حوران ، وقد تناقضت روايتها في وجود معركة فيها ، وفي وقتها !

وقالوا خرج يستمطر في مرج الصفر بعد انتصاره في أجنادين ، أي نزع ثيابه ووقف تحت ماء المطر(فيض القدير: ٥/٢٨٠) ، فباغته الروم فقتلوه ! (الطبري: ٢/٦٠١).

وقالوا كان غيره يستمطر فقتلهم الروم ، فهرب هو بفئة من الجيش(تاريخ:٢/١٠٤) لكنه لم يعرف عنه الهرب في المعارك !« وقالوا لما قتل الرومي خالد بن سعيد قلب ترسه وأسلم واستأمن ! وقال مَن الرجل الذي قتلنا ، فإني رأيت له نوراً ساطعاً في السماء». (تاريخ دمشق:١٦/٨٣) . ويبدو أن السر عند ذلك الرومي الذي أخفوا إسمه !

٢٤- والمتهم عمر بتدبير قتله لأنه قُتل في أول خلافته ، ولأن عمر تزوج بعده زوجته أم حكيم الخزاعية ، وكانت من مشهورات نساء العرب !

فقد كانت معركة أجنادين في آخر خلافة أبي بكر ، ويوم صار عمر خليفة أرسل كتاب عزل خالد ، وكان جيش المسلمين يحاصر دمشق ، وكان خالد بن سعيد قائد خيل المسلمين فيه كما تقدم ، واستمر الحصار نحو شهر .

لذا يحتمل أن عمر دبر قتله كما دبر قتل سعد بن عبادة وغيره ممن خالفه . ومما يوجب الشك أن السلطة أشاعت بعد قتل خالد بن سعيد ، أن عمر كان رضي عنه لحسن بلائه في الفتوحات !

قال الطبري:٢/٦٢٣:« عن أبي سعيد قال: لما قام عمر ، رضي عن خالد بن سعيد والوليد بن عقبة ، فأذن لهما بدخول المدينة . وكان أبو بكر قد منعهما لقراءتهما التي قرآها وردهما إلى الشام ، وقال: ليبلغني عنكما عناء إبلاؤكما فانضما إلى أي أمرائنا أحببتما ، فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا». وهو يدل على أنه كان منع خالداً من دخول المدينة ، بسبب موقفه من السقيفة ! وكلامه عن غضب أبي بكر عليه للتغطية !

٢٣- وعندما نرى أن عمر لم يتحمل خالد بن الوليد ، مع أنه من حزبه ، بسبب أنه كان يقول إن أم عمر حنتمة ليست من بني مخزوم ، بل لقيطة رباها رجل من مخزوم ! (البحار:٣١/٩٩، والإستيعاب:٣/١١٤٤) . وكان يرى نفسه أنه ابن الوليد بن المغيرة رئيس مخزوم ،

وأن عمر مغمور من قبيلة مغمورة ، كان خادماً عند أبيه فغضب عليه. (المنمق/١٣٠، وشرح النهج: ١٢/١٨٣).

وعندما قتل خالد مالك بن نويرة وأخذ زوجته فقال لأبي بكر: أقتل خالداً لأن قتل مسلماً وزنا بامرأته ! لكن أبا بكر لم يقتله:« فخرج خالد من عنده وعمر جالس في المسجد فقال: هلم إليَّ يا ابن أم شملة (وزرة) ! فعرف أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه فقام فدخل بيته»!(الثقات لابن حبان:٢/١٧٠، وأم شملة حنتمة أم عمر).

قال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد/١٢٦:«قال هيكل: على أن عمر لم يتزحزح عن رأيه فيما صنع خالد ، فلما توفي أبو بكر وبويع عمر خليفة له ، كان أول ما صنع أن أرسل إلى الشام ينعي أبا بكر ، وبعث مع البريد الذي حمل النعي رسالة يعزل بها خالداً عن إمارة الجيش !»

ولم يقف انتقام عمر عند ذلك ، ففي تاريخ دمشق:١٦/٢٦٧:« كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح في كلام بلغه عن خالد بن الوليد أن سل خالداً فإن أكذب نفسه فهو أمير ما يليه ، وإن ثبت على قوله فانزع عمامته وقاسمه ماله نصفين ، وقم على الجند قبلك ! فكتم أبو عبيدة الكتاب ولم يقرئه خالداً حباً وتكرماً ، حتى فتح الله عليهم دمشق في رجب سنة أربع عشرة... فقال خالد أمهلوني حتى أستشير ، وكانت له أخت لا يكاد أن يعصيها فاستشارها فقالت: والله لا يحبك عمر بن الخطاب أبداً ، وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم يعزلك !

فقبل رأسها وقال: صدقت ، فثبت على قوله فنزع أبو عبيدة عمامته فلم يبق إلا نعلاه ، فقال بلال: لا تصلح هذه إلا بهذه ! قال خالد فوالله إلا أعطيها أمير المؤمنين لي واحدة ولكم واحدة» !

وفي مصنف ابن أبي شيبة:٣٨/٨:«قام خالد فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إن أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت سمناً وعسلاً عزلني وآثر بها غيري» ! راجع: سير الذهبي:٢١/١ ، والطبري:٦٢٣/٢، وتاريخ دمشق: ٩٤/٢٦ و٢٠٢، و: ٢٦٣/١٦، ومجمع الزوائد: ٣٤٩/٩ ، والكامل:٤٢٧/٢، والغدير للأميني:١٥٨/٧، وجواهر التاريخ:٢٠٢/١.

أقول: فإذا كان هذا عمل عمر مع خالد بن الوليد وهو من حزبه ، فذنب خالد بن سعيد عنده أعظم منه فكيف ينساه؟!

٢٥- وقد ذكر الباحث الشيخ نجاح الطائي في كتابه اغتيال أبي بكر/٦٤، بأن عمر اغتال أبا بكر وخالد بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، وأبا عبيدة وبلالاً وأصحابه المعترضين عليه... فدس اليهم السم ،إذ مات أبو بكر وطبيبه وواليه على مكة في يوم واحد !

٢٦- ولعل زواج خالد بن سعيد بأم الحكم الخزاعية أثار عمر ، ففي الطبقات:٩٨/٤: «شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحل ومرج الصفر ، وكانت أم الحكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل ، فقتل عنها بأجنادين ، فأعدت أربعة أشهر وعشراً ، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها ، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة فحطت إلى خالد بن سعيد فتزوجها على أربعمائة دينار ، فلما نزل المسلمون مرج الصفر أراد خالد أن يعرس بأم حكيم فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع ، فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم . قالت: فدونك . فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر ، فبها سميت قنطرة أم حكيم ، وأولم عليها في صبح مدخله فدعا أصحابه على طعام ، فما فرغوا من الطعام حتى صفَّت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف ، وبرز رجل منهم معلم يدعو إلى البراز ، فبرز إليه أبو

جندل بن سهيل بن عمرو العامري فنهاه أبو عبيدة ، فبرز حبيب بن مسلمة فقتله حبيب ورجع إلى موضعه ، وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل ، وشدت أم حكيم بنت الحارث عليها ثيابها وعَدَت وإن عليها لدرعاً والخلوق في وجهها... وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرساً بها . وكانت وقعة مرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة ، في خلافة عمر بن الخطاب». انتهى.

ويظهر أنها كانت من فاضلات النساء ، فقد هرب زوجها عكرمة بن أبي جهل عند فتح مكة فأسلمت هي وبايعت النبي صلى الله عليه وآله ، وأخذت منه أماناً لزوجها ولحقت به الى اليمن وجاءت به الى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم ، وكانت مع زوجها عكرمة في فتوح الشام ، وبعد شهادته تزوجت بخالد بن سعيد ، وبعد شهادته« فتزوجها عمر بن الخطاب ، فولدت له فاطمة بنت عمر». (تاريخ دمشق:٢٢٥/٧٠. راجع: الكافي:٥٧٢/٥، والموطأ:٥٤٥/٢، والمستدرك:٢٤١/٣، وفتح الباري:٩/٨، والتوابين لابن قدامة/١٢٣ ، والطبقات:٥٠/٥.

○ ○

ملحق رقم (١٩)

من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في العرب

١. كان العرب أميين ليس لهم كتاب سماوي ، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج

البلاغة:١٩٩/١:«أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدَّعي نبوةً ولا وحياً ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه يسوقهم إلى منجاتهم ، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير ، ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكاً لا خير فيه ، حتى أراهم منجاتهم ، وبوأهم محلتهم ، فاستدارت رحاهم ، واستقامت قناتهم. وأيم الله لقد كنتُ من ساقتها حتى تولت بحذافيرها ، واستوسقت في قيادها ، ما ضعفتُ ولا جبنتُ ، ولا خنتُ ولا وهنتُ . وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته».

ومن خطبة له عليه السلام:«إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار ، متنخون بين حجارة خشن وحيات صم ، تشربون الكدر وتأكلون الجشب ، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم ، الأصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة». (نهج البلاغة:٦٦/١).

٢.. روي أن الله تعالى بعث أربعة أنبياء يتكلمون العربية ، فعن الإمام الحسين عليه السلام

قال:«كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن خمسة من الأنبياء تكلموا بالعربية؟ فقال: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم». (الخصال/٣١٩).

وفي/٥٢٤، أنه صلى الله عليه وآله عدهم أربعة ، ولم يعد منهم إسماعيل عليه السلام.

٣. روي عن الباقر عن آبائه عليهم السلام: «أول من شق لسانه بالعربية إسماعيل بن إبراهيم ، وكان أبوه يقول له وهما يبنيان البيت: يا إسماعيل هابي ابن ، أي أعطني حجراً فيقول له إسماعيل بالعربية: يا أبت هاك حجراً ، فإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة». (التبيان:٤٦٣/١) .

وفي تحف العقول/٢٩٧:«أول من شق لسانه بالعربية إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وآله وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان لسانه على لسان أبيه وأخيه فهو أول من نطق بها ، وهو الذبيح».

ونحوه فتح الباري:٢٨٦/٦، عن علي عليه السلام، والجامع الصغير:٤٣٥/١، والقرطبي:٢٨٣/١ .

أقول: لا بد أن يكون معنى الحديث أن إسماعيل عليه السلام أول من تكلم من أولاد إبراهيم بالعربية لغة محيطه من قبيلة جرهم وعرب الجنوب ، وقد كانت لغته كأبيه وإخوته البابلية أو السريانية . وقد رويت أحاديث في تكون اللغات ، مرسلة أو ضعيفة ويقل فيها الصحيح ، وزعم بعضها أن العربية لغة آدم عليه السلام ولغة أهل الجنة ، ولم يصح . والمعقول أن تكون لغة أهل الجنة أبلغ من لغات أهل الدنيا .

٤. أمر النبي صلى الله عليه وآله بإعراب القرآن وقراءته بألحان العرب ، ففي الكافي:٦١٤/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«أعربوا القرآن فإنه عربي..قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الرجل الأعجمي من أمتي ليقرأ القرآن بعجمية ، فترفعه الملائكة على عربية... قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق ، وأهل الكبائر ، فإنه سيجيئ من بعدي أقوام يُرَجِّعُون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية ، لا يجوز تراقيهم ، قلوبهم مقلوبة ، وقلوب من يعجبه شأنهم» !

وعن الإمام الرضا عليه السلام، أن علي بن الحسين كان يقرأ القرآن:«فربما مرَّ به المارُّ فصعق من حسن صوته ، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه! قلت: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُحَمِّل الناس من خلفه ما يطيقون» !

٥. زعمت رواة السلطة أن النبي صلى الله عليه وآله قال إن العرب لا يكون منهم أولياء (أبدال) ! قال القرطبي في تفسيره:٣/٢٥٩:«واختلف العلماء في الناس المدفوع بهم الفساد من هم؟ فقيل هم الأبدال ، وهم أربعون رجلاً كلما مات واحد بدَّل الله آخر».

وقال أبو داود في سننه:٢/٣٠ ، عن عنبسة بن عبد الواحد القرشي الأموي:« كنا نقول إنه من الأبدال ، قبل أن نسمع أن الأبدال من الموالي» !

وقال في سؤالات الأجري:١/٢٠٤:«سئل أبو داود عن عنبسة بن عبد الواحد القرشي قال: سمعت محمد بن عيسى يقول: كنا نرى أنه من الأبدال حتى سمعنا أن الأبدال من الموالي.. عن عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأبدال من الموالي ولا يبغض الموالي إلا منافق». وتاريخ بغداد:١٢/٢٧٩ ، وتهذيب الكمال:٢٢/٤٢١.

وصححه المناوي:٣/٢٢٠، وقال:«وفي بعض الروايات أن من علامتهم أيضاً أنه لايولد لهم... وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعها لكن لاينكر تقوي الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه إلا جاهل بالصناعة الحديثية أو معاند متعصب» .

وفي تهذيب الكمال:٧/٢٦٤:«كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال ، وعلامة الأبدال أن لا يولد لهم ، تزوج سبعين امرأة فلم يولد له» !

وقد عدوا أكثر من عشرين من أئمتهم من الأبدال ! كما زعم ابن عربي أن أصحاب الإمام المهدي عليه السلام كلهم من العجم ! قال في الفتوحات:٣/٣٢٨:« وهم من الأعاجم ما فيهم عربي ، لكن لايتكلمون إلا بالعربية» .

لكن أئمة أهل البيت عليهم السلام ساووا بين العرب والعجم ، ونصوا على أن أصحاب الإمام المهدي عليه السلام فيهم العرب والعجم، قال الإمام الباقر عليه السلام كما في غيبة الطوسي/٢٨٤:«يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدة أهل بدر . فيهم النجباء من أهل مصر ، والأبدال من أهل الشام ، والأخيار من أهل العراق ، فيقيم ما شاء الله أن يقيم» .

٦. أخرج النبي ﷺ العروبة من النسب الى اللغة ، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال:« صعد رسول الله ﷺ المنبر يوم فتح مكة فقال: أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها ، ألا إنكم من آدم عليه السلام وآدم من طين ، ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه ، إن العربية ليست بأب والد ، ولكنها لسان ناطق ، فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه». (الكافي:٢٤٦/٨، ودعائم الإسلام:١٩٨/٢).

٧. روى الجميع تحذيرات النبي ﷺ للعرب من الإنحراف عن الإسلام ، والطغيان . من ذلك ما رواه بخاري في صحيحه:١٠٩/٤، و١٧٦، و:١٠٤/٨:«عن زينب ابنة جحش أن النبي دخل عليها فزعاً يقول: لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلّق بإصبعه الإبهام والتي تليها ! قالت زينب فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم ، إذا كثر الخبث».

وفي البخاري:٨٨/٨:«كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي(ص) بالمدينة ومعنا مروان قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي على يدي غِلْمَةٍ من قريش. فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة ! فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت ! فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام ، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم ! قلنا أنت أعلم .

استيقظ النبي(ص) من النوم محمراً وجهه يقول: لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان تسعين أو مائة! قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟قال: نعم إذا كثر الخبث». وأحمد: ٤٢٨/٦ ، و: ٣٧٧/٢.

وفي مسند أحمد:٣٩٠/٢ ، عن أبي هريرة قال رسول الله (ص):«ويل للعرب من شر قد اقترب ! فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر».

وفي مسند أحمد:٣١٩/١:«إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها ، ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها. قال: يا رسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة ؟ قال: العرب».

وفي الكافي: ١٠٣/٨:«سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً ؟ قال: ما تقولون في ذلك ؟ قلت: نقول: هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، قال: هي والله قريش قاطبة إن الله تبارك وتعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وآله: فقال إني فضلت قريشاً على العرب ، وأتممت عليهم نعمتي وبعثت إليهم رسولي ، فبدلوا نعمتي كفراً ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ».

٨. لا يحب النبي وآله من العرب والعجم إلا أهل البيوتات ، فعن الإمام الصادق عليه السلام:«والله

لايحبنا من العرب والعجم إلا أهل البيوتات والشرف والمعدن ، ولا يبغضنا من هؤلاء وهؤلاء إلا كل دنس ملصق». (الكافي: ٣١٦/٨).

٩. أوجب الإسلام الهجرة على عرب البادية وحرم عليهم التعرب بعدها ، *ففي* النوادر لأحمد بن عيسى الأشعري/٢٦:«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا رضاع بعد فطام ، ولا وصال في صيام ، ولا يتم بعد احتلام ، ولا صمت يوم إلى الليل ، ولا تعرب بعد الهجرة ، ولا هجرة بعد الفتح ، ولا طلاق قبل النكاح ، ولا عتق قبل ملك ، ولا يمين لولد مع والده ولا لمملوك مع مولاه ولا لمرأة مع زوجها ، ولا نذر في معصية ، ولا يمين في قطيعة رحم» . وفي النوادر/٢٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«لا يصلح للأعرابي أن ينكح المهاجرة ، يخرج بها من أرض الهجرة فيتعرب بها ، إلا أن يكون قد عرف السنة والحجة ، وإن أقام بهذا في أرض الهجرة فهو مهاجر».

١٠. وأعطى الأئمة عليهم السلام للهجرة معنى الهجرة اليهم لطلب العلم ، ففي معاني الأخبار:

٢٦٥:«عن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المتعرب بعد الهجرة ، التارك لهذا الأمر بعد معرفته». وهو مأخوذ من قوله تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ .

ففي معاني الأخبار/١٥٧: عن عبد المؤمن الأنصاري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:«إن قوماً رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:إن اختلاف أمتي رحمة؟ فقال: صدقوا ، قلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: ليس حيث ذهبت وذهبوا إنما أراد قول الله عز وجل: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ .فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويختلفوا إليه فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم ، إنما أراد اختلافهم من البلدان ، لا اختلافاً في دين الله ، إنما الدين واحد». والإمامة والتبصرة/٨٧ ، والكافي:١/٢١٢ .

١١. وجَّه الإسلام عصبية العرب الى التعصب للخير ضد الشر، *فقال أمير المؤمنين عليه السلام:«فإن* كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور ، التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل ، بالأخلاق الرغيبة ، والأحلام العظيمة ، والأخطار الجليلة ، والآثار المحمودة .

فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار ، والوفاء بالذمام ، والطاعة للبر ، والمعصية للكبر ، والأخذ بالفضل ، والكف عن البغي ، والإعظام للقتل ، والإنصاف للخلق ، والكظم للغيظ ، واجتناب الفساد في الأرض .

واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال ، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم . فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كل أمر لزمت العزة به شأنهم ، وزاحت الأعداء له عنهم ، ومدت العافية فيه عليهم وانقادت النعمة له معهم...

فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل ، فما أشد اعتدال الأحوال ، وأقرب اشتباه الأمثال ! تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم ، يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح ، ومهافي الريح ، ونكد المعاش ! فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر ووبر أذل الأمم داراً ، وأجدبهم قراراً ، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها ، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها ! فالأحوال مضطربة ، والأيدي مختلفة ، والكثرة متفرقة ، في بلاء أزل ، وإطباق جهل ! من بنات موءودة ، وأصنام معبودة ، وأرحام مقطوعة ، وغارات مشنونة !

فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً ، فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته ألفتهم ، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، وأسالت لهم جداول نعيمها ، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها ، فأصبحوا في نعمتها غرقين ، وعن خضرة عيشها فكهين ، قد تربعت الأمور بهم ، في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال إلى كنف عز غالب . وتعطفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين ، وملوك في أطراف الأرضين . يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم . ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم . لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة . ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة ، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية... واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً ، وبعد الموالاة أحزاباً ، ما تتعلقون من الإسلام إلا اسمه ، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه تقولون النار ولا العار ، كأنكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه ، انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه ، وأمناً بين خلقه. وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر ،

ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم ، إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم». (نهج البلاغة: ١٥٠/٢).

وفي الكافي: ١٦٢/٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:« إن الله يعذب الستة بالستة: العرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والأمراء بالجور ، والفقهاء بالحسد ، والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل». والمحاسن:١٠/١.

١٢.لكن الحكام القرشيين ميزوا العرب عن غيرهم من المسلمين ، ففي الكافي:٣١٨/٥ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطينا معهم العطايا بالسوية ، وزوج سلمان وبلالاً وصهيباً ، وأبوا علينا هؤلاء وقالوا لا نفعل !

فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلمهم فيهم فصاح الأعاريب: أبينا ذلك يا أبا الحسن أبينا ذلك ! فخرج وهو مغضب يجر رداءه وهو يقول: يا معشر الموالي إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم ، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون ، فاتجروا بارك الله لكم ، فإني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الرزق عشرة أجزاء ، تسعة أجزاء في التجارة ، وواحدة في غيرها».

وفي الكافي:٣٤٥/٥:« لقي هشام بن الحكم بعض الخوارج فقال: يا هشام ما تقول في العجم يجوز أن يتزوجوا في العرب؟ قال: نعم ، قال: فالعرب يتزوجوا من قريش ؟ قال: نعم ، قال: فقريش يتزوج في بني هاشم؟ قال: نعم. قال: عمن أخذت هذا؟ قال: عن جعفر بن محمد عليه السلام سمعته يقول: أتتكافأ دماؤكم ولا تتكافأ فروجكم»؟!

١٣. قابل أهل البيت عليهم السلام طبقية العرب بطبقية الإيمان والعمل الصالح ، فقال الإمام الصادق كما في الكافي:١٦٦/٨:«نحن بنو هاشم ، وشيعتنا العرب وسائر الناس الأعراب... نحن

قريش ، وشيعتنا العرب ، وسائر الناس علوج الروم».

وفي الكافي: ٢٢٦/٨، عن الإمام الرضا عليه السلام قال:«كان عند أبي الحسن موسى عليه السلام رجل من قريش فجعل يذكر قريشاً والعرب فقال له أبو الحسن عليه السلام عند ذلك: دع هذا ، الناس ثلاثة: عربي ومولى وعلج ، فنحن العرب ، وشيعتنا الموالي ، ومن لم يكن على مثل ما نحن عليه فهو علج ! فقال القرشي: تقول هذا يا أبا الحسن ، فأين أفخاذ قريش ، والعرب ؟! فقال أبو الحسن: هو ما قلت لك» !

وفي معاني الأخبار/١٥٨:«عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال:إنما شيعتنا المعادن والأشراف وأهل البيوتات ومن مولده طيب . قال علي بن جعفر: فسألته عن تفسير ذلك فقال: المعادن من قريش ، والأشراف من العرب ، وأهل البيوتات من الموالي ، ومن مولده طيب من أهل السواد» .

وفي الخصال/١٢٣، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:«الناس ثلاثة: عربي ومولى وعلج ، فأما العرب فنحن ، وأما المولى فمن والانا ، وأما العلج فمن تبرأ منا وناصبنا».

أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يعلن علياً عليه السلام سيد العرب !

علم الله تعالى أن حسد قبائل قريش لبني هاشم سيمنعهم من الإيمان ، فقد كان زعماؤهم يقولون:« أما رضيتم يا بني قصي أنكم ذهبتم بالحجابة والندوة والسقاية واللواء ، حتى جئتمونا زعمتم نبي منكم» ! (مجمع الزوائد: ٧٠/٦).

وقد تركز حسد قريش وغيظها على علي عليه السلام لأنه بطل معارك النبي صلى الله عليه وآله وقاتل فرسانها ، فكانت تسميه قتال العرب ! وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يسميه مقابل ذلك (سيد العرب) فقد روى الحاكم: ١٢٤/٣، وصححه:«عن سعيد بن جبير عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ». ومجمع الزوائد: ١٣١/٩، وروى في: ١١٦/٩، عن أنس أن رسول الله قال:« مَنْ سيد العرب؟ قالوا أنت يا رسول الله ، فقال أنا سيد ولد آدم ، وعليٌّ سيد العرب». ومسند الحارث/٢٨٣، والطبراني الأوسط:١٢٧/٢.

وفي الطبراني الكبير:٨٨/٣ :«قال رسول الله: يا أنس إنطلق فادع لي سيد العرب يعني علياً ، فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. فلما جاء علي أرسل رسول الله(ص) إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار ، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟ قالوا: بلى يا رسول الله .

قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل». انتهى.

وفي تاريخ بغداد:٩٠/١١ ، عن سلمة بن كهيل قال:« مرَّ علي أبي طالب على النبي وعنده عائشة فقال لها: إذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب ! فقالت: يا نبي الله ألست سيد العرب ؟ فقال: أنا إمام المسلمين وسيد المتقين ، إذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب».

وفي تاريخ دمشق:٣٠٥/٤٢ ، عن أبي سعيد الخدري قال:« قال رجل يا رسول الله أنت سيد العرب؟ قال: لا ، أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ! وإنه لأول من ينفض الغبار عن رأسه يوم القيامة قبلي علي» .

أقول: ورد أن علياًعليه السلام يحمل لواء النبيصلى الله عليه وآله يوم القيامة ويتقدم أمامه الى الجنة ، فهو مقدمة لموكبه ، ونهوضه من قبره قبلهصلى الله عليه وآله من هذا الباب .

وفي أمالي الصدوق/٩٣ ، عن عائشة قالت:«كنت عند رسول الله (ص) فأقبل علي بن أبي طالب ، فقال: هذا سيد العرب ، فقلت: يا رسول الله ألست سيد العرب ؟ قال: أنا سيد ولد

آدم ، وعلي سيد العرب ، فقلت: وما السيد؟ قال: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي» .
ومعاني الأخبار/١٠٣، وشرح الأخبار: ١٩٥/١ .

وفي الخصال/٥٦١، قال صلى الله عليه وآله:«أنت يا علي سيد العرب. فقيل له: يا رسول الله ، فأنت ؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ، وأبناؤه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

وفي مسند أحمد:٤١٩/٥:«عن رياح بن الحرث (رباح بن الحارث) قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا ! قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فإن هذا مولاه. قال رياح: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري» .

أقول: غصَّ أتباع (الخلافة) بحديث: علي سيد العرب ، لأنه يجعل علياً عليه السلام سيداً للشيخين ! فحاولوا تضعيفه كما فعل الهيثمي في مجمع الزوائد ، بحجة أن في سنده ابن عبدالله الأهتم ، وقال إنه شيعي ضعفه أبو داود !

وردَّ عليهم علماؤهم كالحافظ ابن الصديق المغربي في رسالته: إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي/٥٨ ، فذكر له عدة طرق ، وقال عن ابن الأهتم: «ذكره ابن أبي حاتم في الجرح ولم يجرحه.. وهو بصري والبصريون أبعد الناس عن التشيع» .

أما الذهبي مؤسس مذهب السلفيين المعاصرين، فاعترف في تاريخه:٦٣٥/٣، بصحته مرغماً ! ورواه في ميزان الإعتدال:١١٥/٤، عن حذيفة بن اليمان بسند صحيح ، قال:«لما تهيأ علي يوم خيبر للحملة قال رسول الله(ص): يا علي بأبي أنت ، والذي نفسي بيده إن معك من لايخذلك ، هذا جبرائيل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها ، فاستبشر بالرضوان والجنة. يا علي إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم...الحديث بطوله».

ولم يكمل الذهبي رواية الحديث ، لأن فيها مديحاً لعلي عليه السلام بأنه كرار غير فرار

تعريضاً بأبي بكر وعمر لأنهما فرَّا في خيبر !

بينما أورد ابن حجر بعض رواياته (لسان الميزان:٣٩/٦) ولم يعلق عليه بشئ . بينما روى الذهبي بعضها (ميزان الإعتدال:١٨٥/٣) ووصفه بأنه خبر باطل !

قال ابن حجر في لسان الميزان:٢٨٩/٤:«وقد أخرج الحاكم هذا الحديث في مناقب علي فقال...ثم ذكر له متابعاً من طريق حسين بن علوان...وقال صحيح وأرجو أن عمر بن الحسن صدوق . وتعقبه الذهبي في تلخيصه فقال: قلت أظن أنه هو الذي وضعه». انتهى.

وردَّ على الذهبي الصديق المغربي ، في رسالته المتقدمة في التوسل ، قال:«تحامل الذهبي على الحكم بوضع الحديث ، لفهمه أن الحديث يقتضي تفضيل علي على الشيخين ، وعلى أساس هذا الفهم رد هو وغيره كثيراً من الأحاديث في فضل علي وحكموا بوضعها أو نكارتها ، ولم يسلم من نقدهم بهذا الفهم إلا قليل.. بل يستنكرون الحديث الوارد في فضله ولو لم يكن في سنده شيعي» !

وقال:«حكم بوضعه في مقدمة كتبها لبعض الرسائل ، مستدلاً على وضعه بأن روح التشيع واضحة في الحديث ، ولا أدري أين هذا التشيع الذي وضح له من الحديث ! مع أن الحديث له شواهد وطرق ! وعلى قوله هذا وقاعدته الفارغة ، ينبغي ألا نقبل حديثاً في فضل علي ولو تواتر ، لا سيما إذا كان يخبر بفضل لعلي لايوجد لغيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، كحديث: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره !

وهكذا إذا اتبع الإنسان كل جاهل وأجاب كل صارخ ولم يعمل النظر ويبحث عن الأقوال قبل قائلها ، فإنه يرد السنة الصحيحة جملة ، ويعطي مع ذلك السلاح لأعداء الدين وملاحدة العصر في رد ما لايعجبهم ويوافق هواهم من حديث سيد المرسلين !

وقد أقر الحافظ العسقلاني الذهبي على وضعه فانظر لسان الميزان: ٢٨٩/٤. وقول الذهبي: موضوع ، غلوٌّ غير مقبول ! ذلك أن الحديث ورد من غير طريق ابن علوان وعمر الوجيهي ، فرواه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك..». ثم ذكر له عدة طرق وبعضها صحيح على شرط الشيخين ، وذكر أحاديث مشابهة ردوها رغم صحتها لأنها تفضل علياً عليه السلام على غيره ! ورواه: مصنف ابن أبي شيبة:٤٧٤/٧ وتاريخ بغداد:٩٠/١١ ، وتاريخ دمشق:٣٠٤/٤٢ ، و:١٩٢/٦٤، بعدة طرق ، وذيل تاريخ بغداد:٦٠/٥، والسيرة الحلبية: ٧٣٦/٢ ، ونفحات الأزهار:١٧٤/٩، وذكر له مصادر شرح إحقاق الحق: ٤٠/٤ و: ٢٦/١٥.

زعمت مصادر السنة أن قريشاً والعرب سَيُبادون !

استطاع كعب الأحبار أن يقنع عمر بن الخطاب بأن الإسلام كالبعير سيكبر عن قريب وينتهي ! وأن قريشاً والعرب سيهلكون ويبادون ! وأن الكعبة ستهدم فلا تبنى أبداً ! ومكة ستخرب فلا تعمر أبداً ! وبحثنا ذلك في كتاب ألف سؤال وإشكال:٤٩٢/١ .

وقد ردَّ أهل البيت عليهم السلام أحاديث انتهاء الإسلام وهلاك العرب ، لكنهم انتقدوا عدم وفائهم للنبي في عترته صلى الله عليه وآله فقال الإمام الصادق عليه السلام:«إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بأبي وأمي وقومي وعشيرتي ! عجبٌ للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها ، والله عز وجل يقول في كتابه: وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ! فبرسول الله صلى الله عليه وآله أنقذوا» . (الكافي: ٢٦٦/٨).

وفي المسترشد لمحمد بن جرير الطبري الشيعي/٣٧٤ ، والإحتجاج للطبرسي:٩٣/١ ، من حديث طويل عن السقيفة:« عن زائدة بن قدامة ، أن أبا بكر دعا علياً إلى البيعة فامتنع وقال: إني لأخو رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقولها غيري إلا كذاب ، وأنا والله أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، إنكم أخذتم هذا الأمر من العرب بالحجة وتأخذونه منا أهل البيت غصباً وظلماً ! احتججتم على العرب بأنكم أولى الناس بهذا الأمر منهم ، بقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة وسلموا لكم الأمر ، فأنا أحتج عليكم بما

احتججتم به على العرب ، فنحن والله أولى بمحمدﷺ منكم فأنصفونا من أنفسكم إن كنتم تؤمنون بالله ، واعرفوا لنا من هذا الأمر ما عرفته لكم العرب ، وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون ! فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا أبا الحسن أبو بكر أقوى على هذا الأمر ، وأشد احتمالاً ، فارض به وسلم له ، وأنت بهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك !

فقال لهم علي: أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي ! أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول اللهﷺوتأخذونه منا أهل البيت غصباً ، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول اللهﷺ ، فأعطوكم المقادة وسلموا لكم الإمارة .

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار ، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً وأنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه ، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، أول من آمن به وصدقه ، وأحسنكم بلاءً في جهاد المشركين ، وأعرفكم بالكتاب والسنة ، وأفقهكم في الدين ، وأعلمكم بعواقب الأمور ، وأذربكم لساناً وأثبتكم جناناً ، فعلامَ تنازعونا هذا الأمر ؟

أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم ، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار وإلا فبوؤا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون...

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع طوعاً أو كرهاً !

فقال علي: إحلب حلباً لك شطره ، أشدد له اليوم ليرد عليك غداً ! إذاً والله لا أقبل قولك ، ولا أحفل بمقامك ولا أبايع !

فقال أبو بكر: مهلاً يا أبا الحسن ، ما نشك فيك ولا نكرهك !

فقام أبو عبيدة الى علي فقال: يا ابن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ، ولكنك حدث السن ، وكان لعلي يومئذ ثلاث وثلاثون سنة ، وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك وهو أحمل لثقل هذا الأمر ، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له ، فإن عمَّرك الله يسلموا هذا الأمر إليك ، ولا يختلف فيك اثنان...

فقال علي عليه السلام: يا معشر قريش ، الله الله ، لا تخرجوا سلطان محمد صلى الله عليه وآله من بيته إلى بيوتكم ، فإنكم إن تدفعونا أهل البيت عن مقامه في الناس ، وحقه تؤزروا ! والله إنه لفينا لا فيكم ، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً ، وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم.. وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي ، ففسح المجلس وقال: إن الله يقلب القلوب ، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة ، فانصرفوا يومهم ذلك». ورواه بتفاوت ألفاظه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة:١٨/١، وشرح النهج:١١/٦.

وصفت الزهراء عليها السلام حالة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله

وذلك في خطبتها البليغة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، حيث ذكَّرتهم بنعمة النبي صلى الله عليه وآله عليهم . وقد روت الخطبة مصادر الشيعة والسنة ، وجاء فيها قولها عليها السلام:

« ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمةً على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير رحمته ، فرأى الأمم فرقاً في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ، منكرةً لله مع عرفانها ، فأنار الله بأبي محمداً صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار عماها... وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الأقدام ، تشربون الطرق ، وتقتاتون القد ، أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة

أهل الكتاب ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن الشيطان ، أو فغرت فاغرة من المشركين ، قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً لاتأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرون من القتال !

فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ، ظهرت فيكم حسيكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الأقلين ، وهدر فنيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم ، فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير شربكم . هذا ، والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر ، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ! ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين..». (الإحتجاج:١٣١/١، وغيره).

إنقاذ المسلمين والعرب بأهل البيت عليهم السلام

رغم ما فعلته قريش والعرب مع أهل البيت عليهم السلام ، فقد وعد النبي صلى الله عليه وآله بأن الله عز وجل سينقذ الأمة عند انهيارها ، وينقذ العرب وقريشاً بأهل بيته عليهم السلام.

وتقدمت أحاديثه في محلها ومنها في كمال الدين/٢٣٠:«قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله أمنا الهداة أم من غيرنا ؟ قال: بل منا الهداة إلى الله إلى يوم القيامة ، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلالة الشرك ، وبنا يستنقذهم من ضلالة الفتنة ، وبنا يصبحون إخواناً بعد ضلالة الفتنة ، كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلالة الشرك . وبنا يختم الله كما بنا فتح الله» .

ومنها في كنز العمال: ١٩٦/١٦، من وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:«يا علي إن القوم

سيفتنون ويفتخرون بأحسابهم وأموالهم ، ويزكون أنفسهم ويمنون بدينهم على ربهم ، ويتمنون رحمته ويأمنون عقابه ، ويستحلون حرامه بالمشتبهات الكاذبة ، فيستحلون الخمر بالنبيد ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع...

قلت: يا رسول الله فبأية المنازل هم إذا فعلوا ذلك ، بمنزلة فتنة أو بمنزلة ردة ؟
قال: بمنزلة فتنة إلى أن ينقذهم الله بنا أهل البيت عند ظهورنا...

يا علي بنا فتح الله الإسلام وبنا يختمه ، وبنا أهلك الأوثان ومن يعبدها ، وبنا يقصم كل جبار وكل منافق ، حتى إنا لنقتل في الحق مثل من قتل في الباطل .

يا علي ، إنما مثل هذه الأمة مثل حديقة أطعمت فوجاً عاماً ثم فوجاً عاماً ، فلعل آخرها فوجاً أن يكون أثبتها أصلاً ، وأحسنها فرعاً ، وأحلاها جنىً ، وأكثرها خيراً وأوسعها عدلاً ، وأطولها ملكاً». ونهج السعادة:٣٨٦/١. كما تقدم وصف الرخاء الذي يحققه الإمام المهدي عليه السلام في العالم وبلاد العرب:« حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لايخاف ضلال الطريق». (مسند أحمد:٣٧٠/٢).

○ ○

ملحق رقم (٢٠)

أول زوجات النبي صلى الله عليه وآله بعد خديجة عليها السلام

١- سَوْدَة بنت زَمْعَة القرشية . أبوها زمعة بن قيس من قبيلة عامر بن لؤي القرشية ، التي عرف منها ابن الزبعرى الشاعر الذي كان يهجو النبي صلى الله عليه وآله ، وعمرو بن عبد ود ، الذي قتله علي عليه السلام مع ابنه يوم الخندق ، وحويطب بن عبد العزى (العلل لابن حنبل:٤٢٢/٣) ومنهم بسر بن أرطاة القائد عند معاوية ، الذي أغار على الحجاز واليمن لأنها تحت حكم علي عليه السلام فقتل في غرته ثلاثين ألفاً ! (ابن خياط/١٥٠). ومنهم عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى ، الذي رووا أنه انحاز في بدر من صف المشركين الى صف النبي صلى الله عليه وآله. (ابن هشام: ٢٤٦/١).

وكان رئيسهم سهيل بن عمرو ، من أشد المشركين على النبي صلى الله عليه وآله، وكان المفاوض عنهم في صلح الحديبية .

وعندما غضب القرشيون على أبي سفيان في فتح مكة واتهموه بأنه وافق محمداً صلى الله عليه وآله على خلع سلاحهم وتسليمه مكة بدون شروط ، عزلوه ونصبوا بدله سهيل بن عمرو ، فصار زعيم قريش عامة . وكان له دور في الإعداد للسقيفة .

وقد وقع سهيل أسيراً يوم بدر هو وعبد بن زمعة أخ سودة. (ابن هشام: ٥٣٤/٢) وقد يكون عبد هذا نفسه عبدالله بن زمعة الذي نصوا عليه. (الطبقات: ٢٠٤/٤).

وكانت سودة زوجة السكران بن عمرو ، أخ سهيل بن عمر ، فقد هاجر الى الحبشة خوفاً من أخيه سهيل وعشيرته ، ثم استرضاه ورجع الى مكة قبل الهجرة فتوفي فيها ، وروى ابن سعد أنه مات في الحبشة وأن له ولداً من سودة (الطبقات: ٢٠٤/٤) وقال غيره لم

يكن لهما أولاد (أنساب السمعاني: ١١٧/٤) . وقال الطبري:٤١١/٢:«وكان السكران من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها ، فخلف عليها رسول الله (ص)».

وقد اشتبه السرخسي وغيره (المبسوط: ١٨٦/٢٨) في إسم أبيها زمعة بن قيس ، فحسبوه زمعة بن الأسود . وتنبه له ابن حجر .(الإصابة: ٣٢٢/٤) .

٢. خطب النبي صلى الله عليه وآله سودة قبل الهجرة وتزوج بها بعد الهجرة ، ووصفتها عائشة فقالت:«كانت سودة امرأة ضخمة ثبطة» (نيل الأوطار: ١٤٢/٥، ومسند أحمد: ٩٤/٦).

وفي إمتاع الأسماع: ٣٣٦/٦: «كانت امرأة ثقيلة ثبطة وكان في أذنها ثقل، وأسنَّت عند رسول الله (ص) فهم بطلاقها ، ويقال طلقها في سنة ثمان من الهجرة تطليقة».

وفي دلائل الامامة/٨١:« وتزوج سودة أول دخوله المدينة فنقل فاطمة إليها ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية ، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وفوَّض أمر ابنته إليَّ ، فكنت أدلها وأؤدبها ، وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها ».

وزعمت عائشة (مسند أحمد: ٢١٠/٦) أن خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون عرضت على النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة خديجة سودة وعائشة ، فأمرها أن تخطبهما له ، وكان عمر عائشة ست سنين ! فقال أبو بكر لخولة:«أدعي لي رسول الله فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين»! انتهى.

ثم زعمت عائشة في روايتها أن خولة ذهبت بعد خطبتها هي الى زمعة والد سودة ، وكان شيخاً كبير السن فحيته بتحية الجاهلية ! وخطبت منه سودة فقبل:«فجاء رسول الله إليه فزوجها إياها ، فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثى في رأسه التراب... قالت عائشة فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن الخزرج في السنح. قالت فجاء رسول الله فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء فجاءتني أمي وإني

لفي أرجوحة بين عذقين ترجح بي فأنزلتني من الأرجوحة ولي جُمَيْعَة (شعر قليل) ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستني في حجره ، ثم قالت هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك ، فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله في بيتنا ما نحرت عليَّ جزور ولا ذبحت عليَّ شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله إذا دار إلى نسائه وأنا يومئذ بنت تسع سنين». انتهى.

ولا يمكن قبول هذه الرواية ، لأن النبي ﷺ كان بعد وفاة أبي طالب وخديجة في ظرف أمني خطير ، وقد اختفى مدة في الحجون خوفاً على حياته من قريش ! مضافاً الى معارضتها بغيرها ، وتهافت مضامينها .

٣. زعموا أن النبي ﷺ أرسل: «زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم إلى مكة ، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله وسودة بنت زمعة». (الطبقات: ١/٢٣٧). لكن روايتهم استفاضت بأن النبي ﷺ انتظر علياً عليه السلام في قباء حتى جاء بعائلته ، ولم تكن فيهم سودة ولا عائشة ، فلا بد أن تكون هذه الرواية من قصص عائشة الكثيرة التي حكتها لمدح نفسها ! والمعقول أن عائشة هاجرت مع أمها ونزلت في بيت أبيها أبي بكر ، وكان له زوجتان في السنح غير أمها أم رومان . أما سودة فلا يعرف كيف هاجرت الى المدينة .

٤. وكانت عائشة وحفصة تسخران من سودة وتؤذيانها ، ففي دلائل الإعجاز للجرجاني وأحاديث عائشة للعسكري: ١/٦٣: «سمعت أم المؤمنين عائشة سودة تنشد: عديٌّ وتيمٌ تبتغي من تحالف ! فقالت عائشة لحفصة: ما تعرض إلا بي وبك ! يا حفصة فإذا رأيتني أخذت

برأسها فأعينيني ! فقامت فأخذت برأسها وخافت حفصة فأعانتها ، وجاءت أم سلمة فأعانت سودة ! فأتى النبي فأُخْبِرَ وقيل له: أدرك نساءك يقتتلن ! فقال: ويحكن مالكن؟ فقالت عائشة: يا رسول الله ألا تسمعها تقول: عديٍ وتيم تبتغي من تحالف. فقال: ويحكن ليس عديكن ولا تيمكن ، إنما هو عدي تميم وتيم تميم» !

ورأت عائشة وحفصة سودة وقد تزينت فأرادتا إيذاءها فقالتا: خرج الدجال خرج الدجال ! فخافت سودة:« وكانت امرأة طويلة فدخلت خباء كان لوقودهم ! قالت: واستضحكنا فدخل رسول الله فإذا سودة تنتفض فقال: مالك؟ فقالت: يا رسول الله خرج الدجال؟ فقال: لا، وهو خارج؟ فأخذ بيدها وأخرجها وجعل ينفض بكم قميصه عن وجهها وعن خمارها أثر الدخان ونسج العنكبوت». (الآحاد والمثاني للضحاك: ٢٠٨/٦).

٥. وقالوا:«أسنَّت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فهم بطلاقها» ولا يصح لأنه اتهام للنبي صلى الله عليه وآله، فإنه ما تزوج ولا طلق لأسباب جنسية ، فقد يكون سبب رغبته بطلاقها أنها صارت من حزب عائشة ، أو أنها كانت تعظم سهيل بن عمرو أخ زوجها السابق ! فعندما رأته مع أسارى بدر حرضته على النبي صلى الله عليه وآله ووبخته كيف استسلم ولم يقاوم ! وقالت له بحضور النبي صلى الله عليه وآله:«أي أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألا متم كراماً؟! فقال لها رسول الله: أعلى الله ورسوله تحرضين ياسودة» ! (ابن هشام: ٤٧٢/٢).

كما لايصح قولهم إنها لم يكن لها إربة بالرجال فوهبت ليلتها لعائشة !

قال الشافعي في الأم:١٥٢/٥:«أراد فراق سودة فقالت: لاتفارقني ودعني حتى يحشرني الله في أزواجك، وأنا أهب ليلتي ويومى لأختي عائشة».

وأصله ما زعمته عائشة فقالت كما في صحيح بخاري:١٣٥/٣:«كان(ص) يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها ، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي (ص) تبتغي بذلك رضا رسول الله» .

والصحيح أن الله تعالى أسقط عن نبيه صلى الله عليه وآله القسمة لنسائه ، فقال له: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُئْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ. (الأحزاب: ٥١). فكيف يوهب الحق الذي أسقطه الله تعالى ؟!

ملحق رقم (٢١)

نقاط عن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله

زوجات الأنبياء عليهم السلام فيهم الصالحة والطالحة

اعتقادنا أن زواج النبي صلى الله عليه وآله كان بأمر ربه لأغراض متعددة لجلب منفعة للرسالة أو دفع مفسدة عنها . فزواجه أو تزويجه صلى الله عليه وآله لا يدل على اختيار إلهي للزوجة والصهر ، إلا أن ينص على ذلك النبي صلى الله عليه وآله. وقد بين الله عز وجل ذلك في قوله: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ. وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ .(التحريم: ١٠-١٢).

وقد اختلف المسلمون في تقييم صحابة النبي صلى الله عليه وآله ومنهم زوجاته ، وخاصة عائشة وحفصة ، فمدحهما أتباع الخلافة ، ورووت عائشة في مدح نفسها أحاديث كثيرةً ، وادعت أن جبرئيل جاء للنبي صلى الله عليه وآله بصورتها على منديل حرير وقال له:«هذه زوجتك في الدنيا والآخرة». (تاريخ بغداد: ٢٢١/١١) . ورووا أن جبرئيل طبع صورتها على كف النبي صلى الله عليه وآله ! وشهد الذهبي بانه مكذوب (ميزان الإعتدال:٤٤/٣).

وقال الشيخ أبو رية في كتابه أبو هريرة شيخ المضيرة/١٣٥:« أسرع أبو هريرة فتبرع بحديث من كيسه يقول فيه: إن طول تلك الخرقة ذراعان وعرضها شبر» !

ونحن لانعتمد على أحاديث عائشة وحفصة خاصة في مديح نفسها وأسرتها وما تدعيه لهم من فضائل ومناقب !

ونعتقد في عائشة أنها عصت الله ورسوله صلى الله عليه وآله وشقت عصا المسلمين ، وخرجت على إمامها عليه السلام ، وسببت قتل ألوف المسلمين ، وانقسام الأمة !

عائلتا عائشة وحفصة

إسمها عائشة بنت أبي بكر عتيق بن أبي قحافة ، واسم قبيلتها بنو تيم بن مرة .

أما حفصة فهي بنت عمر بن الخطاب بن نفيل ، واسم قبيلتهم بنو عَدِيّ ، وهما من القبائل الصغيرة ، ولعل عدد تيم عند بعثة النبي صلى الله عليه وآله نحو ثلاث مئة نفر ، وأقل منها قبيلة عدي . ولم يكن لهما موقع بين قبائل مكة ، ولذلك قال أبو سفيان عندما تفاجأ ببيعة أبي بكر كما في تاريخ الطبري:٤٤٩/٢:« ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً» !

وذكر المؤرخ ابن حبيب في المنمق/٨٠، أن بني عدي سرقوا ناقة لبني عبد شمس فطردوهم من مكة !« فارتحلوا ، وتعرض بنو سهم لهم وأنزلوهم بين أظهرهم ، وقالوا: والله لاتخرجون ! وأم سهم بن عمرو الألوف بنت عدي بن كعب ، فأقاموا وهم حلف بني سهم». وقال ابن حبيب/١٢٩، إنهم لقلتهم لم يكن لهم رئيس:«ولم يكن من قريش قبيلة إلا وفيها سيد يقوم بأمرها ويطلب بثأرها إلا عدي بن كعب». وكان مسكنهم خارج مكة عند صخرات الحثمات السوداء .

وقال البكري في معجمه:٤٢٥/٢:« الحثمة بفتح أوله وإسكان ثانيه: صخرات بأسفل مكة بها ربْعُ عمر بن الخطاب». ومعجم البلدان: ٢١٨/٢ ، ولسان العرب: ١١٥/١٢.

فقد ولدت عائشة وحفصة ونشأتا في بيت عادي فقير ، ولاصحة لزعمها بأن أباها كان ثرياً وكان ينفق على النبي صلى الله عليه وآله !

مبالغة عائشة في فضائل أبيها في الهجرة

أكثروا في أحاديث الهجرة من روايات عائشة عن هجرة أبيها وثروته الطائلة ، وعن هجرتها وفضائلها هي ، وأن الله أنزل صورتها على منديل حرير للنبي صلى الله عليه وآله وأمره أن يتزوجها..مع أن النبي صلى الله عليه وآله صادف أبا بكر في طريق هجرته فأخذه معه ، وأمر علياً في الغار أن يشتري منه بعيراً لدليله ابن أريقط فاشتراه من أبي بكر ونقَّده الثمن أربع مئة درهم أو ثمان مئة كما روى ابن حجر ، ثم مات البعير في الطريق فاستأجر النبي صلى الله عليه وآله بعيراً لدليله لبقية الطريق !

وعندما وصل النبي صلى الله عليه وآله الى قباء أصرَّ عليه أبو بكر أن يدخل الى المدينة فأبى ، فتركه من عصر ذلك اليوم وذهب الى السنح ، ولذلك لا تسمع له خبراً ولا لعمر لا في قباء ، ولا في بناء النبي صلى الله عليه وآله مسجده وبيته في المدينة !

أما عن ثروة أبي بكر ، فكان معلماً للصبيان في الجاهلية ، وصار في الإسلام خياطاً . ولما ولي أمر المسلمين منعه الناس من الخياطة فقال: إني أحتاج إلى القوت ، فجعلوا له في كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال . والنبي صلى الله عليه وآله كان قبل الهجرة غنياً بمال خديجة ولم يحتج إلى الحرب وتجهيز الجيوش، وبعد الهجرة لم يكن لأبي بكر شئ البتة». (منهاج الكرامة/١٨٧) .

وعندما استخلف أبو بكر قال:«إن حرفتي لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلي ، وقد شغلت بأمر المسلمين وسأحترف للمسلمين في مالهم ، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال». (الطبقات:١٨٤/٣). فجعل له الصحابة كل يوم درهمين ونصف شاة. (مغني ابن قدامه:٣٧٧/١١ ، وفتح الباري:٢٥٨/٤). ثم جعلوا له ألفي درهم في السنة:« فقال زيدوني فإن لي عيالاً ، وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة».(الطبقات:١٨٤/٣).

وفي الطبقات: ١٨٦/٣:« فأقام هناك بالسنح بعدما بويع له ستة أشهر ، يغدو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له ، وعليه إزار ورداء ممشق ، فيوافي المدينة فيصلي الصلوات بالناس ، فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح. فكان إذا حضر صلى بالناس وإذا لم يحضر صلى عمر بن الخطاب.

وكان يقيم يوم الجمعة في صدر النهار بالسنح يصبغ رأسه ولحيته ، ثم يروح لقدر الجمعة فيجمع بالناس. وكان رجلاً تاجراً ، فكان يغدو كل يوم السوق فيبيع ويبتاع ،

وكانت له قطعة غنم تروح عليه ، وربما خرج هو نفسه فيها». راجع مكذوبات ثروته في: الصحيح من السيرة:٥٦/٤ و٩٦).

قال في منهاج الكرامة/١٨٧: «وأما إنفاقه على رسول الله صلى الله عليه وآله فكذب ، لأنه لم يكن ذا مال ، فإن أباه كان فقيراً في الغاية وكان ينادي على مائدة عبد الله بن جدعان بمد في كل يوم يقتات به ! فلو كان أبو بكر غنياً لكفى أباه.

وكان أبو بكر في الجاهلية معلماً للصبيان وفي الإسلام كان خياطاً. ولما ولي أمر المسلمين منعه الناس من الخياطة فقال: إني أحتاج إلى القوت ، فجعلوا له في كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال». انتهى.

أما عمر فكان أفقر من أبي بكر ، فقد حدث عن نفسه أنه كان يرعى بعيراً لأبيه ولا يعطيه قوته ! فقد قال عمر (تاريخ المدينة لابن شبة:٦٥٥/٢):« لقد رأيتني وإني لأرعى على الخطاب في هذا المكان ، وكان والله ما علمت فظاً غليظاً.. وأنا في إبل للخطاب ، أحتطب عليها مرة وأختبط عليها أخرى» ! أي آتي بالخَبَط وهو ورق الشجر.

وفي كنز العمال:٥٨٩/٤:« أخذ عمر يحدث عن نفسه فقال: لقد رأيتني وأختاً لي نرعى على أبوينا ناضحنا قد ألبستنا أمنا نقبتها وزودتنا من الهينة فنخرج بناضحنا فإذ طلعت الشمس ألقيت النقبة إلى أختي وخرجت أسعى عرياناً فنرجع إلى أمنا وقد جعلت لنا لعبة من ذلك الهينة فيا خصباه» !

وعندما كبر صار مبرطشاً ، ففي النهاية لابن الأثير:١١٩/١:« وهو الدلال أو الساعي بين البائع والمشتري ، وورد في الحديث كان عمر رضي الله تعالى عنه في الجاهلية مبرطشاً ، أي كان يكتري للناس الإبل والحمير ويأخذ عليه جعلاً ، أو هو بالسين المهملة كما ذهب إليه ابن دريد». وتاج العروس: ٥٨/٩، ولسان العرب: ٢٦/٦.

سن عائشة عندما تزوجها النبي صلى الله عليه وآله

١- روت السلطة كثيراً من أقوال عائشة عن زواجها وفيها المتهافت ! فقالت إن النبي صلى الله عليه وآله عقد زواجه عليها وعمرها ست سنين وتزوجها وعمرها تسع سنين .

لكن نشك في ذلك ، لأنهم اتفقوا على أنها كانت أصغر من أختها أسماء بعشر سنين:«عن ابن أبي الزناد أن أسماء بنت أبي بكر كانت أكبر من عائشة بعشر سنين».

(سنن البيهقي: ٢٠٤/٦ وسير أعلام النبلاء: ٣٨٠/٣، وتاريخ دمشق: ١٠/٦٩، وسبل السلام: ٣٩/١).

وفي تهذيب الأسماء:٥٩٧/٢:« ولدت أسماء قبل هجرة رسول الله (ص) بسبع وعشرين سنة ، وكان لأبيها أبي بكر حين ولدت إحدى وعشرون سنة».

وقد توفيت أسماء بعد قتل ولدها عبدالله بن الزبير سنة٧٣، وعمرها مئة سنة وأكثر ، فيكون عمرها عند الهجرة سبعاً وعشرين ، وعمر عائشة سبع عشرة سنة !

ومما يؤيد أن سن عائشة أكبر مما قالت ، سن أمها أم رومان فقد كانت في الجاهلية زوجة ابن سخبرة وولدت له الطفيل ، وجاؤوا من الأردن مع ابنهما وغلامهما ابن فهيرة وسكنوا في مكة ، ومات زوجها ابن سخبرة ، فتزوجها أبو بكر وولدت له ولدين: عبد الرحمن وعائشة ولم تلد له بعدهما ، ويبدو أنها بلغت سن اليأس ، وكان عبد الرحمن في بدر مع المشركين فبرز وطلب أن يبارزه أبوه أبو بكر فقال له النبي صلى الله عليه وآله كمارووا:«متعنا بنفسك يا أبا بكر». (النهاية: ٩٥/٨، والحاكم: ٤٧٤/٣، والحلبية: ٤١٤/٢، والبيهقي: ١٨٦/٨، والإستيعاب: ٨٢٤/٢، وغيرها. راجع في الطفيل بن عبد الله بن سخبرة: الطبقات: ٢٧٦/٨، والتعديل والتجريح: ١١٥٥/٣ ، وتهذيب الكمال: ٣٨٩/١٣ ، والإصابة: ٤٢١/٣ ، و: ١١٧/٤، و: ٣٩١/٨، وفيه: «وقدم من السراة ومعه امرأته وولده فحالف أبا بكر ومات بمكة». وتقريب التهذيب: ٤٥٠/١ ، وتهذيب التهذيب: ١٤٩/٨) .

٢- وادعت عائشة أنها لم تتزوج قبل النبي صلى الله عليه وآله، لكن روى ابن سعد(٥٩/٨) بسند صحيح عندهم عن عبد الله بن أبي ملكية قال:«خطب رسول الله (ص) عائشة بنت أبي بكر الصديق فقال: إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير ، فدعني حتى أسلها منهم فاستسلها منهم فطلقها فتزوجها رسول الله» .

وفي الطبراني الكبير: ٢٦/٢٣: «وكان أبو بكر قد زوجها جبير بن مطعم فخلعها منه».

وفي صفة الصفوة: ١٥/٢،والمنتظم: ٣٠٢/٥: «دعني حتى أسلها من جبير سلاً رفيقاً».

يضاف اليه أنها كانت تكنى أم عبدالله ، فقد يكون لها ولد من مطعم بن جبير إسمه عبدالله ومات . ففي سنن البيهقي:٣١١/٩: «أنها قالت: يا رسول الله ألا تكنيني فكل نسائك لها كنية؟ فقال: بلى إكتني بابنك عبد الله ، فكانت تكنى أم عبد الله».

وقد فسروا ذلك بأن النبي صلى الله عليه وآله قصد ابن أختها عبدالله بن الزبير ، لكن هذا غريب حيث لم يعهد أن امرأة من العرب تكنت بابن أختها !

وفي بعض رواياتها أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي قال لها تَكَنَّيْ ، والصحيح أنها هي التي طلبت منه كنية ، وغرضها أن يسمي لها النبي صلى الله عليه وآله ولداً حتى ترزقه ! فقد نصت رواية البيهقي المتقدمة على أنها هي التي طلبت الكنية . وكذا أحمد:١٨٦/٦، والحاكم:٢٧٨/٤، والطبراني الكبير:١٨/٢٣ ، والطبقات: ٦٦/٨، والبخاري في المفرد/١٨٣، وغيرها.

عائشة أكثر نساء النبي صلى الله عليه وآله كلاماً

عائشة أكثر نساء النبي صلى الله عليه وآله كلاماً ، وأكثرهن إثارة للجدل ! فقد أثارت بأقوالها وأفعالها إشكالات وأسئلة ما زال يطرحها منتقدوها ويعجز عن جوابها محبوها ، وأكثر ما يعجزون في الدفاع عن خروجها على الخليفة الشرعي عندهم ، وشقها عصا المسلمين ، وإشعالها حرب الجمل التي قتل فيها ألوف المسلمين ، بدون أن يكون لذلك أي سبب

مقنع ! ثم ، إرسالها بضعة رجال الى أختها والى زوجة أخيها ، لترضع الواحد خمس رضعات فيصير من محارمها كما تزعم ، ويدخل عليها مع أنه أجنبي !

ثم مدحها المفرط لنفسها ، فقد تحدثت كثيراً عن ملبسها ومأكلها ونومها ويقظتها وجمالها وفضلها على نساء النبي صلى الله عليه وآله ، وادعت أنها كانت أحبهن اليه صلى الله عليه وآله ، حتى أنها تحدثت عن أمورها الشخصية مع النبي صلى الله عليه وآله !

ثم مدحها لأمها بأن النبي صلى الله عليه وآله دعا المسلمين الى أن يتفرجوا عليها فقال:« من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان» (الطبقات:٢٧٧/٨) ، ثم اعترفوا بعدم معقولية هذا الحديث فقالوا:«أي يتأملها بعين بصيرته لا ببصره ، فإنه إلى الأجنبية حرام». (فيض القدير:١٩٧/٦).

وعندما رأت النبي صلى الله عليه وآله تولى دفن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، ونزل في قبرها وقال إنها أمي ! قالت عائشة إنه نزل في قبر أمها أم رومان ! (الإصابة:٣٩٢/٨).

حَكَمَتْ عائشة في دولة أبيها !

حكمت عائشة في دولة أبيها ، وسيطرت على قبر النبي وادعت أن النبي صلى الله عليه وآله أعطاها المكان الذي دفن فيه فهو غرفتها، صلى الله عليه وآله.

وأخذت امتيازات مالية ومعنوية كثيرة ، واستمرت على هذه الحالة في حكم عمر ، فكان يعطيها مبلغاً سنوياً كبيراً ، ويهديها هدايا كثيرة ، فصارت من أثرياء الصحابة واشترت بيتاً كبيراً في المدينة ، ثم باعته الى معاوية بمئة وثمانين ألف درهم وقيل بمئتي ألف (الطبقات: ١٦٥/٨. راجع جواهر التاريخ: ٣). وفي مسند أحمد: ٢٢/٢، أن عمر خير حفصة وعائشة بين أرض من خيبر أو غلة سنوية ، فاختارتا الغلة .

قطع عثمان مخصصاتهما فثارتا عليه

لكن عثمان قطع مخصصاتها ومخصصات حفصة ، فجاءتاه معترضتين فقال:« لا أجد لك موضعاً في الكتاب ولا في السنة ، وإنما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبة من أنفسهما ، وأنا لا أفعل ! قالت له: فأعطني ميراثي من رسول الله». (أمالي المفيد/١٢٥).

«وكان متكئاً فجلس وقال: ستعلم فاطمة أي ابن عم لها أنا اليوم ! ثم قال لهما: ألستما اللتين شهدتما عند أبويكما ولفقتما معكما أعرابياً يتطهر ببوله مالك بن أوس بن الحدثان فشهدتما معه أن النبي قال: لانورث». (المسترشد/٥٠٨).

وفي كتاب سُليم بن قيس/٢٤٢:«لا والله ولا كرامة لكما ولا نعمت عنه ! ولكن أجيز شهادتكما على أنفسكما فإنكما شهدتما عند أبويكما أنكما سمعتما من رسول الله يقول: النبي لا يورث ، ما ترك فهو صدقة !

ثم لقنتما أعرابياً جلفاً يبول على عقبيه ويتطهر ببوله (مالك بن أوس بن الحدثان) فشهد معكما ! ولم يكن في أصحاب رسول الله من المهاجرين ولا من الأنصار أحد شهد بذلك غيركما وغير أعرابي .

أما والله ما أشك أنه قد كذب على رسول الله وكذبتما عليه معه ، ولكني أجيز شهادتكما على أنفسكما فاذهبا فلا حق لكما! فانصرفتا من عنده تلعنانه وتشتمانه».

وفي رواية الجوهري في السقيفة: ٨٢ وشرح النهج: ٥/٩، أنهما تكلمتا في المسجد تحركان الناس على عثمان فقال:«إن هاتين لفتانتان يحل لي سبهما ، وأنا بأصلهما عالم ! فقال له سعد بن أبي وقاص: أتقول هذا لحبائب رسول الله ؟ فقال: وفيم أنت وما هاهنا ، ثم أقبل نحو سعد عامداً ليضربه فانسل سعد من المسجد».

واستمرت عائشة وحفصة في ادعاء إرثهما من النبي صلى الله عليه وآله لتبرير دفن أبويهما في ملك النبي صلى الله عليه وآله! فكان الشيعة يحتجون عليهم ، كما في الفصول المختارة/٧٤ ، أن الفضال بن الحسن بن فضال مرَّ على أبي حنيفة: «وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه ، فقال لصاحب كان معه: والله لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة ! فقال صاحبه: إن أبا حنيفة ممن قد علمت حاله ومنزلته وظهرت حجته ، فقال: مه هل رأيت حجة كافر علت على مؤمن؟ ثم دنا منه فسلم عليه فرد ورد القوم بأجمعهم السلام . فقال: يا أبا حنيفة رحمك الله إن لي أخاً يقول: إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وأنا أقول: إن أبا بكر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده عمر ، فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: كفى بمكانهما من رسول الله كرماً وفخراً ، أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره ، فأي حجة أوضح لك من هذه ؟ فقال له فضال: إني قد قلت ذلك لأخي فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله لقد أساءا وما أحسنا إليه إذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما ! فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال قل له: لم يكن لهما ولا له خاصة ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما .

فقال له فضال: قد قلت له ذلك فقال: أنت تعلم أن النبي مات عن تسع حشايا فنظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع ، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر ، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة ابنته تمنع الميراث؟فقال أبو حنيفة: يا قوم نحوه عني فإنه والله رافضي خبيث» !

قال أبو الفتح الكراجكي في التعجب من أغلاط العامة/١٣٧: «ثم إن العجب كله من أن تمنع فاطمة جميع ما جعله الله لها من النحلة والميراث ونصيبها ونصيب أولادها من الأخماس التي خص الله تعالى بها أهل بيته ﷺ دون جميع الناس، فإذا قيل للحاكم بهذه القضية: إنها وولدها يحتاجون إلى إنفاق جعل لهم في كل سنة بقدر قوتهم على تقدير الكفاف! ثم برأيه يجري على عائشة وحفصة في كل سنة اثني عشر ألف درهم واصلة إليهما على الكمال ولاينتطح في هذا الحكم عنزان»!

واعترضت عائشة على عثمان لما فعل بعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، وقالت لمروان: وددت والله أن أضعك وعثمان في بعض غرائري، والغرائر أكياس كبيرة تحمل على الجمال، وأرميكما في البحر. وقالت: سيشأم عثمان قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر، وأيدت مطالب وفد المصريين الذين حاصروا عثمان فى دار (الخلافة)، وقالت لابن عباس: إياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية، وقالت عندما قتل عثمان بعض المصريين: أيقتل قوماً جاؤا يطلبون الحق؟

وذهبت الى الحج وعثمان محصور، وفرحت عندما بلغها قتله وقالت: بعداً لنعثل وسحقاً، يا معشر قريش لا يسومنكم مقتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه وأخذت توجه الناس الى بيعة طلحة وكانت تتوقع أن يتم ذلك!

زعمت عائشة أن الخلافة لأبيها وأولاده بالنص!

فقد روت حديثاً مقابل حديث: إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً... فقالت: «قال لي رسول الله في مرضه: أدعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى»! (مسلم ١١٠/٧، وأحمد: ١٤٤/٦، وغيرهما).

ورواه بخاري:٨/٧ ، و:١٢٦/٨، بلفظ:«أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد ، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون».

وقال ابن حجر:١٨٦/١ و:١٧٧/١٣:«أفرط المهلب فقال فيه دليل قاطع في خلافة أبي بكر ، والعجب أنه قرر بعد ذلك أنه ثبت أن النبي (ص) لم يستخلف» !

أما عبد الرحمن بن أبي بكر فكان أكثر صراحة من أخته فقال:« قال رسول الله: إئتوني بكتاب وكتف أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده أبداً». (مجمع الزوائد:١٨١/٥) .

أي ليكتب الخلافة لأبي بكر وبنيه ! ولم يذكروا سبباً مقنعاً لعدم كتابة النبي صلى الله عليه وآله الخلافة لهم ، وهل تجرأ أحدٌ عليه فقال إنه يهجر ، لاتقربوا له شيئاً حسبنا كتاب الله ! وهل لغطوا واختلفوا فطردهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: قوموا عني !

وقد عملت عائشة ليكون أخوها عبد الرحمن الخليفة فقتله معاوية ، ثم عملت ليكون الخليفة ابن عمها طلحة فقتله مروان في معركة الجمل .

ثم كانت تمدح ابنه موسى بن طلحة ، الذي ادعى أنه المهدي الموعود ، الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ولكنه لم يصل الى شئ ، ولم يملأ شيئاً !

واشتهرت عائشة بسلوكها الخشن مع النبي صلى الله عليه وآله

من ذلك قولها للنبي صلى الله عليه وآله:«ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك»! (البخاري: ٢٤/٦).

وقولها للنبي صلى الله عليه وآله: لا تشبع من أم سلمة !

وكانت تتفقد النبي ليلاً ، وقد تعقبته عندما ذهب الى زيارة البقيع .

وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي وهي نائمة معترضة بين يديه ، أو مادة رجلها .

وزعمت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله سُحر فكان يتخيل أنه قاربها ولم يقاربها !

وقولها إن النبي صلى الله عليه وآله قال في علي والعباس: من أراد أن ينظر الى رجلين من أهل النار فلينظر اليهما !

وقولها إن رضاع الكبير نزل في القرآن وقد ضاعت منها آيته وغيرها حيث كانت تحت سريرها فجاءت داجن وأكلتها ، فبقي القرآن ناقصاً !

وقولها: مرض النبي صلى الله عليه وآله في بيتي فمرضته وقبض ولم يشهده غيري والملائكة !

وقولها: نزل الوحي على رسول الله وهي معه في لحاف واحد .

وقولها قبض رسول الله وهو بين سحري ونحري .

وقولها سلَّمَ جبرئيل عليَّ وبلغني سلام الله !

وقولها إنها رأت جبرئيل ولم تره امرأة غيرها .

وقولها صُوِّرت لرسول الله قبل أن أصور في رحم أمي !

وقولها سابقني النبي فسبقته .

وقولها إن النبي صلى الله عليه وآله كان يقاربها وهي حائض.. الخ. (راجع:المراجعات/٣٢٥).

واشتهرت بسلوكها الخشن مع نساء النبي صلى الله عليه وآله

فقد شتمت أم سلمة وغيرها من نساء النبي صلى الله عليه وآله !

وأخذت برأس سودة وعاونتها حفصة ولطخت وجهها بالعصيدة .

وكسرت أواني نساء النبي صلى الله عليه وآله عندما كنَّ يرسلن اليه شيئاً !

وشتمت صفية واتهمتها بتهمة وصفها النبي صلى الله عليه وآله بأنها لو مزجت بماء البحر لنتنته!

وخدعت إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وكذبت عليها . فكانت تتفق مع حفصة على الكذب واستعمال الحيلة: ففي الكافي:٥/٤٢١، عن الحسن البصري قال:« تزوج

النبي صلى الله عليه وآله امرأة من بني عامر بن صعصعة يقال لها سني وكانت من أجمل أهل زمانها ، فلما نظرت إليها عائشة وحفصة قالتا: لتغلبنا هذه على رسول الله صلى الله عليه وآله بجمالها فقالتا لها: لايرى منك رسول الله صلى الله عليه وآله حرصاً [إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله إذا دخلت عليه] فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله تناولها بيده فقالت: أعوذ بالله فانقبضت يد رسول الله صلى الله عليه وآله عنها [فقال: أمن عائذ الله] فطلقها وألحقها بأهلها». والإستيعاب:١٧٨٦/٤، والطبقات:١٤٥/٨، والمحبر/٩٤، و اليعقوبي:٨٥/٢، والسيرة الحلبية:٤١٨/٣. والحاكم:٣٧/٤، وفيه:«فكانت تقول:أدعوني الشقية...قال ابن عمر..إنها ماتت كمداً».

وكانت تغار من مارية القبطية وتؤذيها ، وزادت غيرتها عندما رزقها الله إبراهيم فافترت عليها واتهمتها برجل قبطي ، ونفت شبه إبراهيم بالنبي صلى الله عليه وآله !

فأنزل الله آيات الإفك في براءة مارية ، وهي المعنية بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . فزعمت عائشة أنها هي التي اتهموها وأن الآيات نزلت في براءتها ، مع أنها لم تكن ساذجة غافلة !

وقد فصلنا ذلك في محله !

وعندما كان النبي صلى الله عليه وآله مريضاً عرف أنها أعدت له دواء تريد أن تلده به ، أي تجعله في فمه بالقوة عندما يغشى عليه ، فنهاها لكنها خالفته ولدّته ، فغضب وأمرها وغيرها من الحاضرين أن يشربوا منه ، فوجه اليهم التهمة بسمه !

كما كان لها دور في مرض النبي صلى الله عليه وآله في تأخير حركة جيش أسامة ، فأرسلت الى أبيها وعمر فجاؤوا ! ثم زعمت أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، فعرف النبي صلى الله عليه وآله فغضب وخرج يتهادى وهو مريض ، وأخر أبا بكر وصلى بالناس !

وما أن توفي النبي صلى الله عليه وآله حتى تركت عائشة وحفصة جنازته ، وكسرتا الحداد ، وذهبتا الى الأنصار لإقناعهم ببيعة أبي بكر ، ولم يحضرأحد منهم جنازة النبي صلى الله عليه وآله !

وكانت عائشة معجبة بطلحة التيمي وابنه موسى

كان طلحة يأتيها فيجلس معها فنهاه النبي صلى الله عليه وآله فأجابه طلحة بخشونة وجاهلية ! ثم قال: لئن مات محمد لأتزوجن عائشة !« فقال النبي (ص): لاتقومن هذا المقام بعد يومك هذا ! فقال:يا رسول الله إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي ! قال النبي: قد عرفت ذلك . إنه ليس أحد أغْيَرُ من الله وإنه ليس أحد أغْيَر مني! فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من بعده ! فأنزل الله هذه الآية: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا».(سنن البيهقي:٦٩/٧ ، والدر المنثور: ٢١٤/٥).

وفي تفسير القمي:١٩٥/٢:« لما أنزل الله: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وحرم الله نساء النبي على المسلمين ، غضب طلحة فقال: يحرم محمد علينا نساءه ويتزوج هو نساءنا ! لئن أمات الله محمداً لنفعلن كذا وكذا» !

ثم عملت عائشة ليكون طلحة الخليفة بعد عثمان ، لكنها تفاجأت ببيعة المسلمين لعلي عليه السلام! فقالت: وددتُ أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا ! وكانت في الطريق الى المدينة فرجعت الى مكة وضربت خيمتها في حجر إسماعيل ، وأخذت تُخذِّلُ الناس عن بيعة علي عليه السلام، وأعلنت أن عثمان قتل مظلوماً وأنها ستطلب بدمه !

والتحق بها طلحة والزبير في مكة ، وأرسلوا عائشة لأم سلمة لتكون قائدتهم ويذهبوا الى البصرة ، لأن فيها أنصارهم ! فنهتها أم سلمة وحذرتها وأقامت عليها الحجة فوعدتها أن لاتذهب ، ثم ذهبت راكبة على الجمل الأدبب حتى وصلت الى الحوأب فنبحتها كلابها التي أخبرها بها النبي صلى الله عليه وآله، فقالت ردوني فشهدوا لها بأن المكان ليس إسمه الحوأب !

وروى الجميع تحذيرات النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين منها ، فقد روى البخاري أنه صلى الله عليه وآله أشار الى بيتها وقال: هاهنا الفتنة ! وقال لها عند ما شكت من وجع رأسها: ماضرك لو متِّ قبلي ! وحذرها أن تكون صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة في النار ! وكان سعيد بن العاص الأموي مع جيش عائشة فلما نبحتها كلاب الحوأب رجع وقال لمروان: إن قتلة عثمان على أعجاز الإبل، يقصد عائشة وطلحة والزبير ! ورجع المغيرة بن شعبة ومن معه من ثقيف .

وفي طريق البصرة تنازع طلحة والزبير على إمامة الصلاة بالناس فأمرت عائشة أن يصلي بالجيش ابن أخيها عبدالله ! وكتبت الى عامل البصرة من قبل علي عليه السلام وهو عثمان بن حنيف الأنصارأن يخلي لها دار الإمارة ، فشاور الأحنف بن قيس زعيم تميم فنهاه وكتبا الى أمير المؤمنين عليه السلام يخبرانه .

ونزلت قرب البصرة فخرج ابن حنيف والأحنف وكلماها هي وطلحة والزبير ، فرفضت الرجوع وعسكرت قرب البصرة وخطبت في مربدها .

وتوسط بعض الزعماء بينهم وبين ابن حنيف حاكم البصرة ، واتفقوا على الصبر حتى يصل علي عليه السلام، لكنهم غدروا بابن حنيف وهاجموا بيت المال وقتلوا حراسه وأخذوه وقبضوا على ابن حنيف ، فأمرت عائشة بقتله فهددهم بأخيه سهل والي المدينة ، فخافوا أن يقتل أقاربهم ، فأمرت عائشة بجلده ونتف شعر رأسه ولحيته وأشفار عينيه !

وكتبت عائشة الى حفصة تخبرها بنزول علي في ذي قار (مدينة الناصرية) ينتظر وصول أعوانه من الكوفة ، وأنه خائف من جيش عائشة ، فأقامت حفصة مجلس غناء فرحاً بذلك !

قال المفيد في الكافئة في إبطال توبة الخاطئة/١٦: «ولما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار كتبت إلى حفصة بنت عمر: أما بعد ، فإنا نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار ، والله دق عنقه كدق البيضة على الصفا ، إنه بذي قار بمنزلة الأشقر ، إن تقدم نحر وإن تأخر عقر ! فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ، ودعت صبيان بني تيم وعدي وأعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن: ما الخبر ما الخبر! عليٌّ كالأشقر! إن تقدم نحر وإن تأخر عقر ! فبلغ أم سلمة اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين عليه السلام والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة ، فبكت وقالت: أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأقع بهن ! فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواريها متخفرات ، وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النظارة ، فلما رأت ما هن فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها ثم قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين عليه السلام فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل ، فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل! والله من وراء حربكما ! فانكسرت حفصة وأظهرت خجلاً وقالت: إنهن فعلن هذا بجهل ، وفرقتهن في الحال ، فانصرفن من المكان» ! وقد ادعوا لموسى بن طلحة أنه المهدي لكنه لم يصل الى شئ !

أدارت عائشة معركة الجمل سبعة أيام

قال عليه السلام: إن جند المرأة والقاسطين وأهل النهروان ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعندما وصل الى البصرة كتب الى عائشة ، وأرسل اليها ابن عباس وزيد بن صوحان للمفاوضة ، فأجابت بالحرب مغترة بكثرة جيشها وقلة جيش علي عليه السلام. وخرجت راكبة على الجمل الأدبب تعبئ أصحابها !

وفي صبيحة المعركة وقف عمار بن ياسر بين الصفين وتكلم ، وطلب علي الزبير وكلمه فانسحب من المعركة ، واستغل مروان الوضع فرمى طلحة بسهم فقتله ! وبقيت عائشة وحدها وأدارت المعركة سبعة أيام !

وفي اليوم السابع نشر علي عليه السلام راية رسول الله صلى الله عليه وآله فهزمهم وسقط الجمل ، فأرسل علي عليه السلام أخاها محمداً ليحملها من ساحة المعركة ، وأعلن العفو العام ، ومنع أن يؤخذ أحد أسيراً أو يعتدى على مال أحد ، وزار عائشة في منزلها ، ثم أعادها الى المدينة مع نساء ملثمات يحرسنها ، وهي تحسبهن رجالاً !

ورجعت عائشة من حرب الجمل وهي مملوءة غيظاً ، لأنها هزمت شر هزيمة ! وقد ذكر أمامها يوم الجمل فقالت: والناس يقولون يوم الجمل ؟ قالوا نعم ! وكانت تقول: إن يوم الجمل لمعترض في حلقي ، ليتني متُّ قبله أو كنت نسياً منسياً ! وقالت لابن عمر: ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟! ولكنهم نصحوها فركبت رأسها ولم تسمع !

وعندما جاءها خبر مقتل علي عليه السلام سجدت لله شكراً ! فاستنكرت عليها زينب بنت أم سلمة فقالت: إذا نسيت فذكروني !«عن ذكوان مولى أم سلمة عن زينب بنت أبي سلمة قالت: كنت يوماً عند عائشة.. إذ دخل رجل معتم عليه أثر السفر فقال: قتل علي بن أبي طالب ! فقالت عائشة: إن تك ناعياً فلقد نعاه نعيٌّ ليس في فيه التراب

ثم قالت: من قتله؟ قالوا: رجل من مراد . قالت: رب قتيل الله بيد رجل من مراد ! قالت زينب: فقلت: سبحان الله يا أم المؤمنين ، أتقولين مثل هذا لعلي في سابقته وفضله ؟ فضحكت وقالت: بسم الله إذا نسيت فذكريني». (مواقف الشيعة: ١٥٨/٣).

وقصص حسدها وبغضها لعلي وفاطمة صلى الله عليه وآله كثيرة ، فقد رفعت صوتها على النبي صلى الله عليه وآله ذات مرة قائلة: والله لقد علمت أن علياً وفاطمة أحب اليك مني ومن أبي ! وحسدت فاطمة عليها السلام فلم تزرها في مرضها، وحاربت علياً عليه السلام وشمتت بموته! واستمرت

في بغضها لأولاده عليهم السلام، وكانت تحتجب عن الحسن والحسين عليهما السلام مع أنهما من محارمها، بينما ترضع الكبار من وزجة أخيها، ولا تحتجب منهم!

وخرجت عند وفاة الإمام الحسن عليه السلام وركبت على بغل مروان (يوم البغل) لتمنع بني هاشم من أن يدفنوه عند جده صلى الله عليه وآله، مع أنها لاتملك شيئاً من المكان.

قتل معاوية أخويها فسكتت عنه

وعندما جاءها خبر قتل معاوية لأخيها محمد بن أبي بكر في مصر وإحراق جثته، بكت عليه ولعنت معاوية وعمرو بن العاص!

وزاد من غيظها أن ضرتها أم حبيبة أخت معاوية أرسلت لها كبشاً مشوياً وقالت: هكذا فعلنا بأخيك محمد! فلم تأكل عائشة شواء كل عمرها!

واسترضاها معاوية بالمال فسكتت عن قتله لأخيها، ثم ساءت علاقتها معه عندما أراد أن يأخذ البيعة ليزيد لأنها كانت تأمل بالخلافة لأخيها عبد الرحمن!

فعندما دعا مروان في مسجد النبي صلى الله عليه وآله الى بيعة يزيد وقف عبد الرحمن بن أبي بكر في وجهه وتشاتما، فأمر مروان الشرطة بأخذه فهرب الى غرفة عائشة، فخرجت الى المسجد وشتمت مروان، وهرَّبت أخاها من المدينة، فقتلوه بالسم قرب مكة.

وفي مسند أحمد:٩٢/٤: «عن سعيد بن المسيب أن معاوية دخل على عائشة فقالت له: أما خفت أن أقعد لك رجلاً فيقتلك؟ فقال: ما كنت لتفعليه وأنا في بيت أمان، وقد سمعت النبي يقول: الإيمان قيد الفتك. كيف أنا في الذي بيني وبينك، حوائجك؟ قالت: صالح. قال: فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا عز وجل».

وتوفيت عائشة في عهد معاوية سنة٥٧، وقيل قتلها معاوية بالسم، وقيل وقعت في بئر حفره لها في طريقها، وكانت تصيح وهي تحتضر: إني أحدثت بعد رسول الله فلا تدفنوني

عنده ! يا ليتني لم أخلق ، لوددت أني كنت مدرة ولم أكن شيئاً مذكوراً ! وتوفيت ودفنت في البقيع وصلى عليها أبو هريرة .

ملحق رقم (٢٢)

نقاط عن حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وآله

كان أبو بكر وعمر يعملان للتقرب السياسي من النبي صلى الله عليه وآله أكثر من جميع أصحابه ، ولكن الله عز وجل أمره أن لايصطدم بأصحابه ويترك الأمور تجري بشكل طبيعي ، لتجري سنن الله وقوانينه في هداية الأمم وضلالها .

وقد رأى عمر أن زواج النبي صلى الله عليه وآله من عائشة امتيازٌ مهم لأبي بكر ، لكن لم تكن عنده بنت ليعرضها على النبي صلى الله عليه وآله إلا حفصة وهي أرملة كبيرة السن غير جميلة ! لذلك لم يعرضها على النبي صلى الله عليه وآله وعرضها على عثمان وأبي بكر فرفضا ! ففي مسند أحمد: ٢٧/٢: «عن ابن عمر قال: لما تأيَّمَتْ حفصة وكانت تحت خنيس بن حذافة ، ولقي عمر عثمان فعرضها عليه فقال عثمان: مالي في النساء حاجة وسأنظر ! فلقي أبا بكر فعرضها عليه فسكت ! فوجد عمر في نفسه على أبي بكر ، فإذا رسول الله قد خطبها ، فلقي عمر أبا بكر فقال: إني كنت عرضتها على عثمان فردني وإني عرضتها عليك فسكتَّ عني ، فلأنا عليك كنت أشد غضباً مني على عثمان وقد ردني ! فقال أبو بكر إنه قد كان ذكر من أمرها وكان سراً ، فكرهت أن أفشي السر». وفي الإصابة:٨٥/٨ ، أن عمر عرضها على أبي بكر أولاً ! وفي الطبقات: ٨٣/٨ أن عمر شكى أبا بكر وعثمان للنبي صلى الله عليه وآله ، فخطبها منه ففرح فرحاً شديداً ! ولهذا لما طلقها النبي صلى الله عليه وآله قال عمر:« يا ويح حفصة». (الطبقات: ١٨٩/٨).

وفي البخاري:١٠٣/٣، وأحمد:٣٣/١:«قد خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا كائناً»!

وعندماتزوج النبي صلى الله عليه وآله بحفصة اكتفى بوليمة عادية كبقية زواجاته وتزويجه لبناته ، أو ربائبه:«عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله تزوج حفصة أو بعض أزواجه فأولم عليها بتمر وسويق». (مكارم الأخلاق/٢١٢، والمنتقى من السنن لابن الجارود/١٨١).

أما عرس عائشة فكان بدون وليمة، ففي مسند احمد: ٤٣٨/٦: «عن أسماء بنت يزيد قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله (ص) ومعي نسوة ، قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن» !

أما عرس الزهراء عليها السلام فأقام لها أوسع مراسم أقامها نبي في تزويج ابنته ، كما بينا في محله ! ومنها ما نقله في مناقب آل أبي طالب:١٣٠/٣ ، عن كتاب مولد فاطمة عليها السلام للصدوق قال:«أمر النبي صلى الله عليه وآله بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة عليها السلام وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ، ولا يقلن ما لا يرضي الله . قال جابر: فأركبها على ناقته ، وفي رواية على بغلته الشهباء ، وأخذ سلمان زمامها ، وحولها سبعون حوراء والنبي صلى الله عليه وآله وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ، ونساء النبي صلى الله عليه وآله قدامها يرجزن . فأنشأت أم سلمة..». ثم ذكر أراجيز أم سلمة ، وعائشة ، وحفصة ، ومعاذة أم سعد بن معاذ .

أما وقت زواج النبي صلى الله عليه وآله بحفصة فكان:«في شعبان على رأس ثلاثين شهراً قبل أحد»(الطبقات:٨٣/٨).أي قبل ولادة الحسن عليه السلام بشهر وأيام ، لأنه عليه السلام ولد منتصف شهر رمضان سنة ثلاث . وأما مهرها فكان أربع مئة درهم . (ابن هشام:١٠٥٩/٤).

وفي الطبقات:٨٦/٨«توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وهي يومئذ ابنة ستين سنة». وقد صغروا من عمرها لأنهم نصوا على أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين وأكثر . (الحاكم:١٥/٤).

كانت حفصة أكبر أولاد أبيها ، وقد اشتق كنيته من إسمها فتكنى بأبي حفص ، وكانت معتمدته في أموره ، فكان يضع نسخة القرآن التي يريد أن ينشرها عندها ، قال البخاري: ٢١١/٥ و: ٩٨/٦ و:١١٩/٨:«وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر».انتهى.

وعندما وحَّد عثمان نسخة القرآن حاول أن يأخذها منها فلم تعطها ، لأن فيها اجتهادات عمر الكثيرة المخالفة للقرآن المعروف !

فلما ماتت أخذها مروان وأحرقها ! قال ابن شبة في تاريخ المدينة:١٠٠٣/٣:«عن ابن شهاب قال: حدثني أنس قال: لما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها عن المصاحف ليمزقها ، وخشي أن يخالف الكتاب بعضه بعضاً فمنعتها إياه ! قال الزهري: فحدثني سالم قال: لما توفيت حفصة أرسل مروان إلى ابن عمر بعزيمة ليرسلن بها، فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها ابن عمر فشققها ومزقها مخافة أن يكون في شئ من ذلك خلاف لما نسخ عثمان» !

وكانت حفصة قوية الشخصية جداً ، وجعلها عمر وصيته «وقال أحمد بن حنبل: إن عمر أوصى إلى حفصة». (الأم للشافعي: ٢٣٦/٧). وخصها بالولاية على ما أوقفه على ذريته ، وأهمها بساتين خيبر (ثمغ) التي أهداها له اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وآله !

وكان لها مخصصات من أبي بكر وأبيها ، فأوقفت ذهباً على نساء عشيرتها:«ابتاعت حفصة حلياً بعشرين ألفاً فحبسته على نساء آل الخطاب».(المجموع:٣٢٥/١٥).

اعترف محبوها أنها كانت تؤذي النبي صلى الله عليه وآله

كانت حفصة تؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله لكن ذلك لم يمنعها من مخالفته وحتى مقاطعته وأذيته ! قال عمر:« فدخلت على حفصة فقلت: أتغاضب إحداكن رسول الله اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم». (صحيح بخاري: ١٠٣/٣).

قال عمر:«وكان بيني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي فقلت لما وإنك لهناك؟ قالت: تقول هذا لي وابنتك تؤذي النبي (ص)» ! (صحيح بخاري: ٤٧/٧).

وكانت تعرف حرص عمر على استمرار زواجها من النبي صلى الله عليه وآله وغضبه من سوء أخلاقها معه صلى الله عليه وآله ، لكنها مع ذلك كانت تخالفه وتؤذيه !

ففي السيرة الحلبية:٤٠٦/٣:«شجر بين النبي (ص) وبين حفصة أمر فقال لها: إجعلي بني وبينك رجلاً. قالت: نعم. قال: فأبوك إذن ، فأرسلت إلى عمر فجاء ، فلما دخل عليها قال لها النبي (ص) تكلمي. فقالت: بل أنت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقاً ! فرفع عمر يده فوجأها في وجهها فقال له النبي: كف يا عمر ، فقال عمر: يا عدوة الله النبي لايقول إلا الحق ، والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي» ! وتفسير السمعاني: ٢٧٦/٤، ومجمع البيان: ١٥١/٨، عن الواحدي ، عن ابن عباس.

وفي الكافي: ١٣٨/٦، عن الإمام الصادق عليه السلام:«أن زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لاتعدل وأنت رسول الله ! وقالت حفصة: إن طلقنا وجدنا أكفاءنا في قومنا ! فاحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين يوماً ، قال: فأنف الله عز وجل لرسوله فأنزل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً..الى قوله:أَجْرًا عَظِيمًا. قال: فاخترن الله ورسوله ولو اخترن أنفسهن لبنّ».

وقد طلق النبي صلى الله عليه وآله حفصة مرتين ورجع اليها ، وكانت الثانية في السنة التاسعة قبيل غزوة تبوك ، كما نص أبوها ورواه البخاري وغيره .

أما الأولى فيبدو أنها في نفس سنة زواجه بها ، كما في الطبقات: ٨٤/٨ ، والحاكم: ١٥/٤: « عن قيس بن زيد أن رسول الله (ص) طلق حفصة بنت عمر ، فأتاها خالاها عثمان وقدامة ابنا مظعون فبكت وقالت: والله ما طلقني رسول الله عن شبع ، فجاء رسول الله (ص) فدخل عليها فتجلببت ، فقال رسول الله: إن جبريل أتاني فقال لي أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة».

وقد توفي خالها عثمان بن مظعون رحمه الله بعد رجوعه من بدر. (الطبري:١٧٧/٢).

وفي الإصابة: ٨٦/٨ «طلق رسول الله حفصة بنت عمر فبلغ ذلك عمر ، فحثى التراب على رأسه وقال: مايعبأ الله بعمر وابنته بعدها ! فنزل جبريل من الغد على النبي (ص) فقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر».

والصحيح أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله بزواجها ثم بطلاقها ثم بإرجاعها ، لمصالح لاتتعلق بإيمانها وعبادتها كما زعموا ، فقد ضرب الله لها ولعائشة مثلاً بامرأتي نوح ولوط وهما كافرتان . بل لتحزبها مع عائشة وعملهما ضد النبي صلى الله عليه وآله كمانصت سورة التحريم . **قالت عائشة:« إن نساء رسول الله (ص)كنَّ حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة . والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله».** (بخاري:١٣٢/٣) .

نزلت فيها وفي عائشة آية النهي عن السخرية

لكن صفية لم تكن من حزبهما ، **قال المجموع:** ٣٥٣/١٥:« بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي (ص) وهي تبكى وقالت: قالت لي حفصة: أنت

ابنة يهودي ! فقال النبي (ص): إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي ، فبم تفتخر عليك؟ ثم قال: إتقي الله يا حفصة».

وروى الجميع أن آية: لايسخر قوم من قوم ، نزلت في حفصة وعائشة! لسخريتهما من صفية بنت حي ، ففي تفسير القمي:٣٢١/٢:« نزلت في صفية بنت حي بن أخطب ، وكانت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها يا بنت اليهودية ! فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: ألا تجيبنهما؟ فقالت بماذا يا رسول الله؟ قال قولي: أبي هارون نبي الله ، وعمي موسى كليم الله ، وزوجي محمد رسول الله ، فما تنكران مني؟ فقالت لهما، فقالتا: هذا علمك رسول الله! فأنزل الله في ذلك: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. والحاكم:٢٩/٤، وعمدة القاري:١٢٢/، والأحوذي:٢٦٧/١٠، وأوسط الطبراني:٢٣٦/٨.

وفي أسباب النزول للواحدي/٢٦٣، أن سبب نزول الآية أن حفصة وعائشة سخرتا من أم سلمة«وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية وهي ثوب أبيض وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره ، فقالت عائشة لحفصة: أنظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب..»! فالمتفق عليه أنهما المعنيتان بالآية ، بسبب هذه السخرية أو تلك !

واتفقت مع عائشة على استعمال الكذب والحيلة ، ضد المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله، ففي الكافي:٥٦٨/٥ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:«جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه وهو في منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن المرأة لا تخطب الزوج وأنا امرأة أيِّم لا

زوج لي منذ دهر ولا ولد ، فهل لك من حاجة ، فإن تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: خيراً ودعا لها ثم قال: يا أخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً ، فقد نصرني رجالكم ورغبت فيَّ نساؤكم ، فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجراك وأنهمك للرجال ! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: كفي عنها يا حفصة فإنها خير منك ، رغبت في رسول الله فلمتها وعيبتها ، ثم قال للمرأة: إنصرفي رحمك الله فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيَّ وتعرضك لمحبتي وسروري ، وسيأتيك أمري إن شاء الله ، فأنزل الله عز وجل: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.(الأحزاب:٥٠) قال: فأحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وآله، و لا يحل ذلك لغيره».

وفي الخصال/٤١٩ ، أن اسمها: خولة بنت حكيم السلمي. وروي أنها أسدية.

وفي الحدائق: ٩٨/٢٣: «الظاهر أنه بعد نزول الآية على أثر هذه الواقعة ، نكح النبي صلى الله عليه وآله المرأة ولا إيجاب هنا ولا قبول».

وكانت حفصة عنيفة فقتلت امرأتين !

فقد قتلت عائشة امرأة واحدة ، زعمت أنها كتبت لها سحراً ، أماحفصة فقتلت امرأتين زعمت أنهما كتبا لها سحراً ! (المحلى:٣٩٥/١١) . وروى في الطبقات:٣٥٦/٣، أنها دفعت عبيدالله بن عمر لقتل الهرمزان وجفينة طفلة أبي لؤلؤة ، على أثر قتل عمر ! قال أخوها عبدالله:«يرحم الله حفصة فإنها ممن شجع عبيد الله على قتلهم» !

وكانت حفصة وعائشة حليفتين

وكان تحالفهما كتحالف أبويهما ، وكانت حفصة تقلد عائشة في كثير من الأمور ، وقد أخذت برأيها في رضاع الكبير ، فكانت ترسل الأجنبي الى أختها لترضعه خمس رضعات ويدخل عليها ! (الأم للشافعي:٧/٢٣٦).

وأرسلت عائشة الى حفصة وغيرها من أمهات المؤمنين كما نص عليه غير واحد من أثبات أهل الأخبار ، تسألهن الخروج معها إلى البصرة ، فما أجابها إلى ذلك منهن إلا حفصة لكن أخاها عبد الله أتاها فعزم عليها بترك الخروج ، فحطت رحلها بعد أن همت». (النص والإجتهاد/٤٣٢).

نزلت سورة التحريم تهديداً من الله لعائشة وحفصة !

اتفق الجميع على أن نزول سورة التحريم كان بسبب أن النبي صلى الله عليه وآله ائتمن حفصة على سره فأذاعته ، وتآمرت على النبي صلى الله عليه وآله هي وعائشة ! فهددهما الله تعالى بأشد تهديد وضرب الله لهما مثلاً بكافرتين من زوجات الأنبياء عليهم السلام خانتا زوجيهما في أمر الرسالة ، وأمر رسوله صلى الله عليه وآله أن يشدد على المنافقين والمنافقات ، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ .

قال المفيد في المسائل العكبرية/٧٧: «جاء في حديث الشيعة عن جعفر بن محمد عليه السلام أن السر الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وآله الى بعض أزواجه إخباره عائشة أن الله أوحى إليه أن يستخلف أمير المؤمنين عليه السلام وأنه قد ضاق ذرعاً بذلك ، لعلمه بما في قلوب قريش له

من البغضاء والحسد والشنآن ، وأنه خائف منهم فتنة عاجلة تضر بالدين ، وعاهدها أن تكتم ذلك ولا تبديه وتستره وتخفيه .

فنقضت عهد الله سبحانه عليها في ذلك وأذاعت سره إلى حفصة ، وأمرتها أن تعلم أباها ليعلمه صاحبه ، فيأخذ القوم لأنفسهم ويحتالوا في بعض ما يثبته رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل له أسباب مذكورة .

ففعلت ذلك حفصة واتفق القوم على عقد بينهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولايؤتوهم مقامه ، واجتهدوا في تأخيرهم والتقدم عليهم ، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله بذلك وأعلمه ماصنع القوم وتعاهدوا عليه ، وأن الأمر يتم لهم محنة من الله تعالى للخلق بهم . فأوقف النبي صلى الله عليه وآله عائشة على ذلك وعرفها ما كان منها من إذاعة السر ، وطوى عنها الخبر بما علمه من تمام الأمر لهم ، لئلا تتعجل إلى المسرة به وتلقيه إلى أبيها فيتأكد طمع القوم فيما عزموا عليه ، وهو قوله تعالى: عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ، فالبعض الذي عرفه ما كان منها من إذاعة سره ، والبعض الذي أعرض عنه ذكر تمام الأمر لهم» وروى الطبراني في الكبير: ٩١/١٢، عن ابن عباس:« فقال لها رسول الله: لاتخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة ، فإن أباك يلي من بعد أبي بكر إذا أنا مت ، ويلي عمر من بعده ، فذهبت حفصة فأخبرت عائشة» !

وقد بحثنا ذلك في اتهامهم لمارية القبطية رضي الله عنها ونزول براءتها .

هذا ، وقد انفردت حفصة بأحاديث لم يروها غيرها ! مثل حديث أن أهل بدر كلهم في الجنة ، وأهل بيعة الرضوان كلهم في الجنة ، وحديث:« إقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر». وحيث لم يروها غيرها تكون متهمة بوضعها ! راجع: الإفصاح للمفيد/٢١٩.

ملحق رقم (٢٣)

خالد بن الوليد

١- كان عمر بن الخطاب يبغض خالد بن الوليد ، لأن خالداً كسر ساق عمر فكان عمر يخوي أي يفحج في مشيه كل عمره. (النهاية: ١٣١/٧، وتفسير الطبري:٧٩/٢).

وكان خالد يرى نفسه أنه ابن أكبر شخصية في قريش ، وأن عمر مغمور من قبيلة مغمورة مهنته البرطشة ! والمبرطش هو دلال كراية الحمير والإبل. (نهاية ابن الأثير:١١٩/١، وتاج العروس:٥٨/٩). وكان عمر قبل ذلك خادماً لأخ خالد ، عمارة بن الوليد في سفر له الى الشام فغضب عليه وأراد أن يقتله (المنمق/١٣٠).

وأول عمل قام به عمر لما صار خليفة أنه عزل خالداً ، وكتب لأبي عبيدة بن الجراح أن يقاسمه كل ما يملك حتى أنه أخذ (فردة) نعله وترك له الثانية !

وعاش خالد بقية حياته في حمص ، ولما مات منع عمر البكاء عليه:« اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين ، فجاء عمر ومعه ابن عباس ومعه الدرة فقال: يا عبدالله أدخل على أم المؤمنين فأمرها فتحتجب وأخرجهن عليَّ، فجعل يخرجهن عليه وهو يضربهن بالدرة ! فسقط خمار امرأة منهن فقالوا: يا أمير المؤمنين خمارها ! فقال: دعوها فلا حرمة لها ! وكان يُعجب من قوله: لا حرمة لها» (عبد الرزاق: ٥٥٧/٣).

٢- عمل خالد مع اليهود والطلقاء لأخذ خلافة النبي ﷺ، وكان في من هاجموا بيت علي وفاطمة عليهما السلام وهددوهم بحرق البيت عليهم إن لم يبايعوا ! وأرسله أبو بكر لإخضاع مالك بن نويرة رئيس عشيرة من بني تميم ، الذي عينه النبي ﷺ مسؤولاً عن صدقات قومه ، فلما بلغه وفاة النبي ﷺ جاء الى المدينة: «فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالناس

فنظر إليه وقال: أخو تيم؟ قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أمرني بموالاته؟ قالوا: يا أعرابي ، الأمر يحدث بعده الأمر ! قال: بالله ما حدث شئ وإنكم قد خنتم الله ورسوله ! ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أرقاك هذ المنبر ووصي رسول الله جالس؟ فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبيه من مسجد رسول الله ! فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكزان عنقه حتى أخرجاه ! فركب راحلته وأنشأ:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

إذا مات بكر قام عمر ومقامه فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

يدب ويغشاه العشار كأنما يجاهد جماً أو يقوم على قبر

فلو قام فينا من قريش عصابة أقمنا ولكن القيام على جمر

قال فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد ، وقال له: قد علمت ما قاله مالك على رؤس الأشهاد ، ولست آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتئم فاقتله ! فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يعد بألف ، فخاف خالد منه فآمنه وأعطاه المواثيق ، ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله ، وأعرس بامرأته في ليلته!». (الفضائل/٧٦).

٣- ضخموا دور خالد في الفتوحات ، ونسبوا اليه بطولات غيره ، وقد بينا بعض مكذوباتهم كما في غزوة مؤتة .

٤- برز من أولاد خالد عبد الرحمن وكان قائد جيش معاوية في صفين ، وأحبه أهل الشام فطلبوا من معاوية أن يجعله ولي عهده ، فقتله معاوية بالسم على يد طبيب مسيحي ، فجاء أخوه المهاجر من مكة وأخذ بثاره . وكان المهاجر شيعياً شهد مع علي عليه السلام حرب الجمل وصفين وأولاده شيعة. (الإستيعاب:١٤٥٣/٤).

وقيل مات في طاعون عمواس عشرون شخصاً من ولد الوليد بن المغيرة. (الاستيعاب: ١٧١١/٤).

○ ○

إلفات الى أهمية الخرائط التوضيحية لمواقع السيرة

تُبيِّنُ الخرائط الجغرافية مواقع أحداث السيرة النبوية ، فتساعد في فهم مواضيعها .
ومن الممكن تجميع الكثير منها من شبكة النت ، بالبحث عن أسماء الأماكن الوادرة في السيرة . ومن المصادر المفيدة: أطلس السيرة النبوية لشوقي أبو خليل ، وأطلس التاريخ الإسلامي للدكتور حسين يونس . وهذه روابطها:

http://www.waqfeya.net/search.php
http://www.waqfeya.net/book.php?bid=٣٣٧
http://www.islamichistory.net/forum/showthread.php?p=٣١٩٣٨

وتبقى الحاجة قائمة الى عمل دقيق في أطلس السيرة النبوية ، لبيان مواقع حركة النبيﷺطول حياته الشريفة ، من سفراته الى الشام في صباه وشبابه ، وحركته في مكة الى حراء وغيرها ، ثم حركة الإسراء به من المسجد الحرام في مكة ، الى كوفان من العراق حيث نزل وصلى في مسجدها ، ثم الى بيت المقدس في فلسطين .

ثم هجرته المباركة الى المدينة ، ثم تحركاته الكثيرة الى أكثر من عشرين موقعاً في أنحاء الجزيرة ، وصلت غرباً الى تبوك عند حدود الأردن ، وشرقاً الى حدود اليمن وداخل نجد ، وكان ختامها سفره الى مكة لحجة الوداع .

لكن ينبغي تحري الدقة في النص الذي يحدد مكان الحدث ، والدقة في الخريطة .

وكنا اخترنا مجموعة خرائط لهذا الكتاب ، لكن منع مانع من نشرها !

○ ○



فهرس السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام (٣)

الفصل الرابع والخمسون

غزوة حنين والطائف

الفصل الخامس والخمسون

استكمال فتح اليمن بعد حرب هوازن

الفصل السادس والخمسون

أزمة الخلافة تصل الى داخل بيت النبي صلى الله عليه وآله

الفصل السابع والخمسون

احداث قبل غزوة تبوك

الفصل الثامن والخمسون

غزوة تبوك لمواجهة الروم

الفصل التاسع والخمسون

السنة التاسعة للهجرة: عام الوفود

الفصل الستون

النبي صلى الله عليه وآله يدعو المسلمين الى حجة الوداع

الفصل الحادي والستون

النبي صلى الله عليه وآله يعلن علياً عليه السلام خليفته في غدير خم

الفصل الثاني والستون

جيش أسامة وهدف النبي صلى الله عليه وآله منه

الفصل الثالث والستون

مرض النبي صلى الله عليه وآله وشهادته

بحوث ملحقة من السيرة النبوية

الملحق رقم (١)

الملحق رقم (٢)

الملحق رقم (٣)

الملحق رقم (٤)

الملحق رقم (٥)

الملحق رقم (٦)

الملحق رقم (٧)

الملحق رقم (٨)

الملحق رقم (٩)

الملحق رقم (١٠)

الملحق رقم(١١)

الملحق رقم (١٢)

الملحق رقم (١٣)

الملحق رقم (١٤)

الملحق رقم (١٥)

الملحق رقم (١٦)

الملحق رقم (١٧)

الملحق رقم (١٨)

الملحق رقم (١٩)

ملحق رقم (٢٠)

الملحق رقم (٢١)

۞ ۞

دار المرتضى

طباعة، نشر، توزيع
بيروت لبنان، ص.ب ١٥٥/٢٥ الغبيري
تلفاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
مكتبة: ٠٠٩٦١١٢٧٩٥٥٧
خليوي: ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢
E-mail:mortada14@hotmail.com

DAR AL-MORTADA

Printing - publishing - Distributing
Lebanon - Beirut
PO Box: 155/25 Ghobiery
Tel-Fax: 009611840392
Mobile: 0096170950412
E-mail:mortada14@hotmail.com
Printed In Lebanon

يُطلب هذا الكتاب وبقية منشورات
الدار من مكتبة القائم
العراق - بغداد - الكاظمية المقدسة - باب المراد
تلفون: ٠٠٩٦٤٧٩٠١٩٩٢٧٢٠

الطبعة الجديدة
1430 هجرية
2009 ميلادية